





المجلدان الثانى والثلاثون والثالث والثلاثون
الجزءان الأول والثانى
مايو ، ديسمبر ١٩٧٠
ومايو ، ديسمبر ١٩٧١

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٧٩





المجلدان الثانى والثلاثون والثالث والثلاثون
الجزءان الأول والثانى

مايو ، ديسمبر ١٩٧٠
ومايو ، ديسمبر ١٩٧١

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٧٩

تصدر هذه المجلة مرتين كل سنة ، فى مايو وديسمبر ، وتطلب من مكتبة جامعة القاهرة بالجيزة ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية الى المشرف على تحريرها الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة

فهرس القسم العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج احمد امين فى السير

للدكتور / محمد رشدى حسن

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة بالخرطوم

اولا ـ المنهج

إن المنهج يختلف عند الكاتب الواحد من موضوع إلى موضوع ـ ويتفق المنهج والأسلوب فى أن كلا منهما يعتبر مميزاً فردياً للباحث عن غيره من الباحثين ـ وقد يبدو هذا الكلام متناقضاً ـ فكيف يستقيم أن يختلف المنهج من موضوع إلى موضوع عند الكاتب الواحد ـ ثم يكون هذا المنهج المختلف كالأسلوب تماماً من ناحية كونه مميزاً فردياً للباحث عن غيره ؟ ـ الواقع ليس هناك تناقض إذ أننى هنا أتكلم عن المنهج الخاص الذى يختص بموضوع دون موضوع ـ ولا أتكلم عن المنهج العام أو الطريقة ـ فالمنهج العام هو الكيفية الشاملة التى يصوغ الباحث عن طريقها المقدمات والنتائج لأبحاثه ـ فنستطيع بناء على هذا التعريف أن نقول مثلا ـ أن المنهج العام الذى يتبعه أحمد أمين يغلب عليه الطابع التركيبى ـ وإنى أقصد فى هذه الحالة أن أبحاثه الأدبية والمقالية يغلب هذا الطابع التركيبى عليها ، ولكن حينما نفصل الموضوعات موضوعاً موضوعاً يبدو لنا المنهج الخاص أو الأسلوب .

وتتداخل فى التركيب والتحليل مناهج نفسية واجتماعية يتصل بها الباحث ليقيم عليها موضوعاته .

ومن الممكن أن نحدد فوائد المنهج فيما يلى :ـ

أولا : إنارة الطريق للباحث المقبل على موضوع بحثه فهو على ضوء المنهج العام يرسم حدود موضوعه .

ثانياً : توضيح الموضوع على أساس تشقيقه وتحليله لتركيبه مرة أخرى فى نتائج مركزة .

ثالثاً : إرشاد المتلقى إلى أسلم الطرق لتلقى البحث بمقدماته ونتائجه ، إذ أن البحث لم يكتب لمجرد التعبير وإنما كتب أيضاً لكى يتلقاه القارىء .

رابعاً : التنبيه على أهمية الزمان والمكان وأثرهما فى إعداد البحث بطريقة تبادلية . .

خامساً : إلمام الباحث بالطريقة المنظمة لإظهار شخصيته ، فالباحث عليه ألا يكون نسخة أخرى من غيره وألا يكون كتابه طبعة أخرى لكتب غيره .

فكأن المنهج العام حينئذ يبدو على القمة ويتفرع منه المنهج الخاص أو الأسلوب . ويختلف المنهج الخاص عن الأسلوب فى تنوع وظائفه — فالأسلوب طريقة التشكيل والتصوير فقط — أما المنهج الخاص فيشمل هذه الطريقة مضافاً إليها طريقة التخطيط والتفكير .

فالمنهج الخاص أعم من الأسلوب وإن كان كل منهما يعرف بأنه هو الشخصية — فكل كاتب له منهج عام يتضح فى كل موضوعاته مجتمعة — ولكن له فى كل موضوع منهجه الخاص . وهذا الكاتب ذو المنهج ينمى مع عدة كتاب آخرين وإن كانوا مختلفى المناهج العامة تحت لواء (المدرسة) ، فالمدرسة تضم كتاباً مختلفى المناهج لكن متحدين فى المبدأ والمذهب ، فهذه مدرسة الشعراء التقليديين تضم البارودى وأحمد شوقى وحافظ إبراهيم ، على اختلاف ما بينهم فى المناهج . وقد عبر عباس محمود العقاد عن هذا الفهم حينما قال (إننا لا نعنى بالمنهج ما يعنونه بالمدرسة الفنية أو الأدبية ولكننا نعنى أنه أسلوب كاتب فى قصته أو مقاله وهو الأسلوب الذى لا يتشابه كاتبان فيه إلا كما يتشابه الوجهان فى الملامح الواحدة ، فربما انتمى عشرون قصاصاً إلى مدرسة فنية شاملة ولكل منهم مع هذا منهج يخالف به مناهج الآخرين)[1] .

---

(١) « بين الكتب والناس » (مقالة المناهج فى فن القصة صفحة (٢٠١) عباس محمود العقاد مطبعة مصر ١٩٥٢ .

ويلاحظ أن من يؤرخ لموضوع أو لشخصية يستخدم منهجاً متناقضاً ، وهذا المنهج المتناقض لا عيب فيه ، فالأيام متغيرة والأحداث تتغير تبعاً لها ، فالكيفية التي يعالج بها المؤرخ عصر صدر الإسلام تتغير حين يتناول هذا المؤرخ عصر العباسيين وهذا الاختلاف قد يصل إلى حد التناقض — ولا يخلو منهج من المناهج من أن يكون تاريخياً — اللهم — ما كان منها متناولا بتحليل نظريات جبرية أو عددية فهذه النظريات تعتبر حقائق إذا تناولناها مجردة — أما إذا تحدثنا عن أصحاب النظريات ففي هذه الحالة لا بد أن نتناولهم من ناحية هذا المنهج التاريخي الذى قد يبدو متناقضاً وقد وضح هذا الفهم فى قول بول فالرى (لاحظوا أننا نستخدم نوعاً من المنهج المتناقض لتكون مختلف الأشياء عن مختلف العصور ، فمن ناحية نحن فى حاجة إلى الحرية فى مملكة تخيل حيوات الآخرين والشعور بها ، ومن ناحية أخرى لا بد من تضييق هذه الحرية من أجل أن تحسب للوثائق حسابها وأن تضطر أنفسنا إلى ترتيب وتنظيم ما كان بواسطة قوانا وصور تفكيرنا وانتباهنا وهذه أمور فى جوهرها حاضرة)(١).

ولتناقض المنهج التاريخي أسباب هى :—

أولا : اختلاف الموضوعات التى نؤرخ لها .

ثانياً : اختلاف العصور .

ثالثاً : الحرية التى يتيحها الخيال فى تناوله للشخصيات فهذه الحرية فيها كثرة فى الجوانب وتعدد فى الزوايا مما يسبب التناقض .

رابعاً : الباحث يبحث بذهنه الحاضر وبشخصيته المعاصرة وقوته الآنية أموراً مضت ، والحاضر والماضى بينهما من الاختلاف ما هو معروف .

هذه هى الأسباب التى تبرر التناقض فى المنهج التاريخي — غير أنه مما يبرر بروز هذا التناقض بشكل واضح هو أن الوثائق التاريخية التى تحت يد الباحث تعقل تفكيره وتحدد خياله — فالعقل والخيال لهما الحرية والانطلاق فى التأمل

---

(١) النقد التاريخي صفحة ٣٠٣ ، ٣٠٤ ترجمه عن الفرنسية والألمانية الدكتور عبد الرحمن بدوى دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٢ .

بينما نجد أن هذه الوثائق سرعان ما تقلل من شأن هذه الحرية . ومع ذلك فان بول فاليرى فى نظرته إلى المنهج التاريخى قرر أنه لا يمكن الفصل بين التاريخ والمؤرخ – على أننا لا يمكن لنا أن نقبل بطبيعة الحال هذه الصلة بين التاريخ والمؤرخ بمفهومها العام المطلق – وإلا كان الباحث قد عرض لنفسه قبل أن يعرض للحقائق التى تحت يده – والباحث حين يعرض نفسه فان بحثه يميل معه قبل أن يميل مع الحقيقة – ولا مانع من أن يظهر تأثير الباحث على أن يكون هذا التأثير مقصوراً على إضافة بعض الأحكام المهمة أو وصف الحقيقة(١) .

وإن الباحث فى تخصصه عليه أن يحيط من كل نوع من أنواع المعرفة بطرف – وذلك لكى يكون منهجه متوازناً – فالتخصص مطلوب وكذلك فان تنوع المعرفة مطلوب أيضاً – وقد عبر عن هذا التنوع والتخصص الدكتور عبد المجيد عابدين حين قال : –

« إن التخصص الذى لا يقترن بتنوع المعرفة لا يتيح لصاحبه فرصاً كافية للابتكار والتجديد »(٢) .

فالباحث الذى يتصل بموضوعه عليه أن يتصل به عن طريق منهج سوى ولن يتاح له هذا المنهج السوى إلا إذا أحاط علماً بألوان مختلفة من المعارف – وهذه الألوان المختلفة مع تخصصه الدقيق تكون فى الباحث نزعة الخلق والابداع مما يجعلنا نصفه بأن قد جدد فى موضوعه وتناوله بمنهج فيه تأمل وتناسب(٣) ومنطق وهدف وحلل القضايا التى يعرضها فى موضوعه على أساس الفهم المشترك(٤) .

---

(١) ا – تطور النقد الأدبى فى العصر الحديث ص ٦٣ ، ٦٤ تاليف كارلونى وفيللو ترجمه جورج سعد يونس . مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٣ .

ب – منهج البحث فى الأدب واللغة ص ١٧ تأليف لانسورمابيه ترجمة الدكتور محمد مندور دار العلم للملايين بيروت ١٩٤٦ .

(٢) مذكرات الدكتور عبد المجيد عابدين ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢ .

(٤) مور وطريقة التحليل مقالة للدكتور زكى نجيب محمود فى مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (المجلد الرابع عشر الجزء الأول مايو ١٩٥٢) .

وإنى أختار أن ينهج الباحث فى موضوعه الفنى نهجاً تحليلياً تركيبياً فى الفصل الواحد من فصول البحث على أن يكون جل الفصل للتحليل وفى آخره يكتب النتائج المستخلصة القليلة مركبة ، أما فى خاتمة البحث فيجعل ما فيها تركيباً لكل الجزئيات التى تعرض لها وأهم ما فى بحثه من نتائج جديدة .

وهذان المنهجان التحليلى والتركيبى مشتقان من المنهج الفنى الشعورى إذ أن المنهج العلمى وهو المقابل للمنهج الفنى الشعورى يعتمد على العقل بينما نجد المنهج الثانى يعتمد على القلب والذوق والاحساس — نعم فالمنهج الفنى هو المختار دون المنهج العلمى إذ أن هذا المنهج الفنى فيه نوع من الالهام لا تجده فى المنهج العلمى الذى يعتمد على الملاحظة والتجربة والبرهان فحسب .

ثانيا ـ شخصية احمد امين ومنهجه فى كتابه حياتى

ظهرت ترجمة أحمد أمين الذاتية فى كتابيه « حياتى » و « إلى ولدى » وبعض مقالات فى « فيض الخاطر » .

وقد صور فى مقدمة « حياتى » مدى الصعوبة التى لاقاها فى هذه الترجمة « لم أتهيب شيئاً من تأليف ما تهيبت من إخراج هذا الكتاب فان كل ما أخرجته كان غيرى المعروض وأنا العارض أو غيرى الموصوف وأنا الواصف — أما فى هذا الكتاب فأنا العارض والمعروض والواصف والموصوف. . وما أشق ذلك وأضناه[1] :

وهذا الإحساس بالتعب والاجهاد حين يكتب الإنسان سيرته بنفسه إنما يحدث بسبب أن الكاتب لسيرته يكون هو (المؤلف والبطل والممثل فى وقت واحد)[2].

وقد تحدث عن حياته ناهجاً نهج الترتيب الزمنى عارفاً أن تاريخ حياة الفرد وحدة فى جملته وليست مجرد حوادث متفرقة — وهذا النهج سار عليه الدكتور طه حسين فى « الأيام » ، وبالرغم من كون الفترة الزمنية تحوى عدداً مختلفاً من

(١) « حياتى » أحمد أمين — المقدمة — الطبعة الخامسة ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية . ١٩٦٦ .

(٢) السيرة تاريخ وفن ص ٢٣٩ دكتور ماهر حسن فهمى الطبعة الأولى ١٩٧٠ النهضة المصرية .

الأحداث فى أماكن متفرقة مما يستدعى عدم التقيد التام بالتدرج الزمنى ، فانه للآن لم يوجد بديل للأساس الزمنى المتتابع ولكن حين يقوم الباحث بترجمة حياة غيره فهو لا يتقيد بهذا التتابع فهو مثلا يتعرض لموضوع إصلاحى قام به المترجم له ، فى فترات متباعدة غير عابىء بفروق الزمان وفروق المكان .

فكتابة السيرة لا تتقيد(١) تماماً بالتدرج الزمنى فالمترجم له لا نكتب عنه إلا ونحن نجعل بلوغه لقمة عظمته محوراً نرتكز عليه وهو لم يبلغ هذه الدرجة من العظمة فى سن طفولته ومن ثم فحين نكتب سيرته وهو طفل أو وهو شاب ، إنما نرجع مرة أخرى لنرتكز على المحور الأول وهو قمة عظمته التى بلغها فى سن متأخرة نسبياً .

وأول خطوة يخطوها أحمد أمين فى منهجه فى كتابه « حياتى » هو حديثه عن طفولته فى بيته وكان رابع ولد لوالديه ، فقد ولد فى أول أكتوبر ١٨٨٦ فى جو حزين ، ويصور لنا سبب هذا الحزن فى موت أخت له بحريق أكل جسدها قبل ولادته بشهور ، وهو هنا يريد أن يربط بين طبعه الحزين وبين هذا الحادث ، ويتخذ من المنهج النفسى أساساً يبنى عليه الوقائع التى حدثت له ، وفى ظنى أنه لو لم تتوف أخت له متأثرة بحروقها وهو حمل فى بطن أمه ، لوجدنا أيضاً طابع الحزن الدفين فيه إذ لو صدقت العلل لما وجدنا من تقلب فى مهاد النعيم منذ ولادته السعيدة قد أصابه الحزن أو مسه الترح .

فالإنسان تتعاوره الأفراح والأتراح وهو يتقلب على جنبى الحزن والفرح أياً كانت ظروفه ، ولكن يغلب على المفكرين طابع الحزن وإن كانوا يدعون إلى غير ذلك فى كتاباتهم ، فكثيراً ما طرق أحمد أمين فى كتاباته أبواب السرور والفرح ودعا إليها وقال « لو أنصف الناس لاستغنوا عن ثلاثة أرباع ما فى الصيدليات بالضحك . . فالإنسان فى هذا الزمان أحوج إلى الضحك منه إلى التفكير »(٢)، وقال أيضاً « فتصنع الفرح والسرور والابتسام للحياة حتى يكون التطبع طبعاً »(٣).

(١) فن السيرة الأدبية تأليف ليون أدل ترجمة صدق خطاب مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٧٣ .

(٢) فيض الخاطر أحمد أمين جـ ١ الطبعة الخامسة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ . مقالة الضحك .

(٣) المرجع السابق ج ٢ مقالة فن السرور .

وأحمد أمين حين يطيل فى وصف والديه إنما لكى يرجع بعض ما فى طباعه إليهما فهما وسيلة عنده لا غاية وهو لا يركب أحكاماً بسببهما إلا لأن هذه الأحكام تنطبق عليه فأبوه أصلا من قرية بمحافظة البحيرة هرب من السخرة واستقر مع أخيه فى قسم الخليفة بالقاهرة وجاهدالأخ الأكبر من أجل تعليم أخيه الأصغر والد أحمد أمين حتى تخرج من الأزهر واشتغل مدرساً وإماماً ومصححاً بالمطبعة الأميرية ببولاق وتزوج امرأة هى أصلا من تلا بالمنوفية نزح أهلها أيضاً إلى القاهرة واستقروا بباب الخلق — وأنجبت له عدداً من البنين والبنات كان واسطة العقد فيهم أحمد أمين ، الذى صرح بأن البيت كان مدرسته الأولى .

وأما الحارة فكانت هى المدرسة الثانية فهو يلاحظ كل ما يرى ويسمع كل مايقال حتى السباب بين نساء الحارة من الطبقة الدنيا وصفه بأنه كان مليئاً بالكنايات والاستعارات والتشبيهات ، وقد كان مغرماً بالغناء فوصف لنا ملاحقته لأحد السائلين المكدين بالحارة الذى كان يكدى بصوت رخيم وقد عوقب أحمد أمين من والده بعد رجوعه متأخراً وقد تعلم أحمد أمين فى هذه الحارة اللهجة القاهرية الأصيلة ، مما مكنه من صياغة قاموسه المسمى « قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » .

وحان الأوان لانتقال أحمد أمين إلى المدرسة الثالثة وقال عنها ، إنها الكتاب .

والكتاب قاسم مشترك بين كثير من الأدباء ، فقد تكلم عنه طه حسين وغيره .

أما ذكريات أحمد أمين عنه ففيها اللوعة والسخط بسبب ما لاقاه فيه من ضرب وإهانة ، ولكن خرج منه بفائدة وهى حفظه للقرآن الكريم ومعرفته بمبادىء الحساب بعد خمس سنوات .

ولم يتحدث أحمد أمين عن الكتاب باستفاضة كما تحدث طه حسين — ولعل الفكرة المنفرة التى كونها عنه جعلته ينهى الكلام بسرعة — أما طه حسين فلم يجد فى الكتاب قسوة قاسية — ومن ثم فانه قد أطال وخاصة فى وصف « سيدنا » الذى صوره فى إطار فكه مرح — واختار طه حسين قالباً معيناً وهو قالب الفكاهة ليصب فيه سيدنا — فقد جعله — إذا سار فى زقاق من أزقة القرية يعتمد على تلميذين

عنده أحدهما على يمينه والآخر على يساره – وكان هذا الشيخ بديناً ويكاد أن يكون كفيفاً ولكنه يوهم نفسه أنه مبصر وكان أجش الصوت ويوهم نفسه بأن صوته من أحسن الأصوات ولا مانع عنده من أن يرفع عقيرته بالغناء(١) وهو يسير فى أزقة القرية ، أما شيخ أحمد أمين(٢) فهو شيخ عنيف غضوب ثائر .

وبعد الكتاب نجد أحمد أمين ينقلنا نقلة أخرى إلى قطاعات أخرى فى حياته فهو يرينا نفسه وهو تلميذ صغير بمدرسة أم عباس الابتدائية ، ثم وهو طالب بالأزهر وفى أثناء طلبه للعلم بالأزهر اشتغل مدرساً بطنطا ثم رجع منها إلى الأزهر مرة أخرى ، وبعد انتهائه اشتغل أيضاً مدرساً ولكن فى الاسكندرية وتعرف هناك على مدرس أكبر منه تعلم من تجاربه فى الحياة وبعد سنتين نقل إلى القاهرة مدرساً بالمدرسة التى تتلمذ منها (أم عباس) حتى مرت سنة واحدة عليه التحق بعدها طالباً بمدرسة القضاء الشرعى عام ١٩٠٧ وكان من أساتذته فى هذه المدرسة الذين تركوا آثاراً قوية فى منهج أحمد أمين عاطف بركات ناظر المدرسة وأستاذ الأخلاق بها وعلى فوزى أستاذ التاريخ وأحمد أمين أستاذ القانون – وقد مكث فى القسم العلمى بهذه المدرسة أربع سنوات – لم يحرم نفسه خلالها من سماع المحاضرات فى الجامعة المصرية التى قد أنشئت آنئذ ، وأكثر الأساتذة الأجانب فى كلية الآداب تأثيراً فيه هو نللينو الإيطالى الذى كان يحاضر عن تاريخ الفلك عند العرب – ومع قصر المدة التى قضاها فى كلية الآداب فانه استفاد العمق فى التفكير والقدرة على الاستقصاء مع المقارنة بين مناهج العرب والافرنج .

ثم تخرج من مدرسة القضاء وعمل بها معيداً تحت إشراف عاطف بركات ، وقد اتصل حين كان معيداً بجريدة المؤيد وجريدة الجريدة وكان رئيس تحريرها أحمد لطفى السيد كما أنه اتصل بأحد مشايخ الطرق وأخذ العهد عليه فى قبة الإمام الشافعى –كما يحكى لنا فى هذه الفترة عن موت أخوين له فى مدة لا تتجاوز عامين .

ولكونه لم يثبت فى عمله كمعيد لضعف نظره فقد اضطر أن يشتغل قاضياً شرعياً فى الواحات الخارجة لمدة ثلاثة شهور بمرسوم خديوى عاد بعدها مثبتاً لعمله كمعيد

---

(١) الأيام طه حسين جـ ١ ص ٣٢ دار المعارف مصر .

(٢) فيض الخاطر جـ ١ (سيدنا) .

عام ١٩١٣ — وعند عودته أصر على تعلم اللغة الإنجليزية وكان له ما كان على يد سيدتين إنجليزيتين إحداهما مس بور Power التى تركت أثراً كبيراً فيه ثم إنه فى عام ١٩١٤ كون هو وبعض أصدقائه لجنة التأليف والترجمة والنشر وصار رئيسها — وحدثنا أحمد أمين عن قصة زواجه عام ١٩١٦ وإنجابه لعشرة أبناء بقى منهم ثمانية ، وقد ترجم عن را بوبورت الإنجليزى ، كتاب مبادىء الفلسفة عام ١٩١٨ . وقد اشترك أحمد أمين فى ثورة ١٩١٩ وكان يرسل لسعد زغلول وهو فى منفاه التقارير — وقد علل أحمد أمين لعدم ظهوره كسياسى بخوفه من السجن والعقوبة وبمزاجه العلمى(١) الذى لا يميل للسياسة ثم حدث أن جاء ناظر جديد إلى مدرسة القضاء فلم يتجاوب معه أحمد أمين فرجع إلى وظيفة القاضى مرة أخرى ومكث فيها أربع سنوات بالعاصمة وخارجها .

ويكمل لنا أحمد أمين فى تسلسل زمنى رواية حياته فيقول إن طه حسين عرض عليه وظيفة مدرس بكلية الآداب عام ١٩٢٦ فقبلها ثم غير زيه الأزهرى إلى الزى الأوربى عام ١٩٢٧ . وحين عين مدرساً فى كلية الآداب قام برحلات عديدة إلى الآستانة ١٩٢٨ ،والشام ١٩٣٠ ،والعراق ١٩٣١ ، وأوربا ١٩٣٢ ، والحجاز ١٩٣٧ ، وأوربا مرة أخرى ١٩٣٨ ، وقد ألقى بحثاً عن نشأة المعتزلة فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد بمدينة ليدن بهولندا عام ١٩٣٢ ، وقد ألقى هذا البحث باللغة الإنجليزية — ثم ألقى بحثه الثانى باللغة العربية فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد ببروكسل ببلجيكا عام ١٩٣٨ وعنوانه) أبوحيان التوحيدى وكتابه الامتاع والمؤانسه وقد انتهى أحمد أمين من الجزء الأول من فجر الإسلام ١٩٢٨ — ثم أخرج ضحى الإسلام فى ثلاثة أجزاء فى ست سنوات .

وقد كان رابع مصرى بعد طه حسين ومنصور فهمى وشفيق غربال يتولى عمادة الآداب — فقد عين عميداً لها فى أبريل عام ١٩٣٩ ومكث سنتين فقط ثم عاد أستاذاً فأخرج الجزء الأول من ظهر الإسلام ١٩٤١ — ونشر كتاب « الامتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى — واشترك مع زكى نجيب محمود فى « قصة الفلسفة اليونانية » وقصة « الفلسفة الحديثة » وقصة « الأدب فى العالم » — وقد نشر مقالات

(١) حياتى ص ١٩٤ .

أسبوعية فى مجلة الرسالة ، ولما صار مديراً لمجلة الثقافة التى أنشأها عام ١٩٣٣، نقل مقالاته الأسبوعية إليها وكتب أيضاً مقالات أسبوعية فى الهلال والمصور وجمع كل هذه المقالات وزاد عليها فى كتاب واحد فى سبعة(١) أجزاء سماه « فيض الخاطر ».

ومن المناصب التى شغلها أحمد أمين أيضاً منصب مدير الإدارة الثقافية بوزارة المعارف عام ١٩٤٥ ورئيس مجلس إدارة الجامعة الشعبية التى أنشأها — كذلك فى ١٩٤٦ حين أحيل إلى المعاش لبلوغه سن الستين شغل منصب مدير الإدارة بجامعة الدول العربية فأنشأ معهداً للمحفوظات بهذه الإدارة .

وفى ١٩٤٨ منح الدكتوراه الفخرية عن كتابه « ظهر الإسلام » كما منح جائزة الدولة التشجيعية وعمل كأستاذ غير متفرغ فى كلية الآداب حتى وفاته فى ٣٠ مايو عام ١٩٥٤ . هذه هى الفترات الزمنية التى رتبها أحمد أمين فى كتابه « حياتى » .

مررنا عليها هذا المرور السريع لا لكى نؤرخ له ولكن لكى نتخذ من هذه المعالم الرئيسية أساساً نبنى عليه فهمنا لمنهجه فى « حياتى » ، وقد قال الدكتور شوقى ضيف فى معرض المقارنة بينه وبين طه حسين « أحمد أمين فى حياتى إلى ذوق المؤرخين أقرب منه إلى ذوق الأدباء مثل طه حسين »(٢) . وقد وجدنا طه حسين يقول عن « حياتى » لأحمد أمين وحياة أحمد أمين قصة من أعظم القصص روعة وأعمقها تأثيراً ومن أعظمها حظاً من البراعة »(٣) . وهذان الرأيان يختلفان فى كون أولهما يحدد وينتقد والثانى يطلق ويمدح .

وقد وجدنا أحمد أمين يحلل ويركب فهو يبدأ بالمقدمات التى يفصلها ويحللها جزءاً جزءاً تحت منظار دقيق ويستخدم المقارنات حتى يصل إلى النتائج — مثل ذلك حديثه عن سلطة الأب التى انهارت فى هذا الزمان وحلت محلها سلطة الأم والأبناء والبنات — فأصبح المنزل الآن شبيهاً بالبرلمان غير المنظم لأن رب الأسرة لا يستطيع التوفيق بين الآراء المتضاربة — وينهى أحمد أمين تحليله بقوله ان هذه الفوضى «كانت ضحيتها سعادة البيت وهدوءه وطمأنينته » — وهو قبل أن يصل

(١) تحت أيدينا الآن فى الطبعة الخامسة لفيض الخاطر عشر أجزاء لا سبعة — مكتبة النهضة المصرية .

(٢) الترجمة الشخصية ص ١٢١ دار المعارف ١٩٥٦ .

(٣) احمد أمين بقلمه وقلم أصدقائه — مقالة الدكتور طه حسين ص ٦٠ .

إلى هذا الحكم التركيبي يبين ما كان يفعله أبوه فى البيت وكيف كان الآمر الناهي وكيف أن أمه وجميع الأبناء يخضعون الخضوع الكامل لكلمة الأب النافذة — ومع عنف هذه الطريقة فى رأيه يوضح لنا أيضاً بالمقارنة « أن الوسط بين الشدة واللين هو خير طريق لتربية الأولاد ولا مانع من أن يكون هناك برلمان » فى البيت ولكن على أن يكون برلماناً منظماً ليس فيه فوضى وليس فيه دكتاتورية .

وكذلك حين يتكلم أحمد أمين عن الحارة نجده أيضاً يهتم بالجزئيات فقد رأيناه يصف لنا بيوتها وتعاون سكانها ويقارن بين هؤلاء السكان وبين سكان الأحياء الراقية الذين لا يتزاورون ولا يتراحمون ، وهو يخص نائب رئيس المحكمة العليا الشرعية الذى يسكن فى بيت فخم فى الحارة بعناية كبيرة لأنه « سيد الحارة وأغنى أهلها وهو رجل تركى الأصل تموت زوجته الأولى وهو فى السبعين من عمره فيتزوج مرة أخرى بشابة قال عنها أحمد أمين أنها « لعبت بماله وبغير ماله »(١).

وقد أسهب أحمد أمين أيضاً فى وصف معيشة الطبقات الثلاث فى حارته ، فهذه طبقة الأغنياء ويمثلها نائب رئيس المحكمة والطبقة المتوسطة ويمثلها أبوه والطبقة الدنيا ويمثلها معظم سكان الحارة وهم من العمال والباعة الجائلون — وبعد هذا الحديث عن كل طبقة على حدة كعنصر مفصل نجده يكون حكماً منطقياً مستخلصاً من جميع هذه العناصر التى يعتمد كل منها على الآخر — فكان أحمد أمين فى حكمه المنطقى هذا « يفرق بين عناصر الحقيقة الواحدة لكى يكشف عن توقف كل منها على الآخر »(٢) — وهذه الحقيقة التى تنبع منها الاهتمام بالجزئيات جعلتنا نظن أن أحمد أمين فى ترجمته لحياته قد تأثر بالكاتبة الإنجليزية جين أوستن gane austen وخاصة فى روايتها الاعتزاز والتحيز Pride and qryndiçe التى تهتم فيها بتحليل الجزئيات — ومن المؤكد أن اهتمامه بالجزئيات وتحليلها راجع إلى(٣) تأثره بأستاذه

---

(١) حياتى ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ص ١٠٠ تأليف محمد إقبال ترجمة عباس محمود وراجعه عبد العزيز المواف ومهدى علام — القاهرة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٥٥ .

عاطف بركات الذى لازمه ثمانية عشر عاماً تلميذاً وزميلا وكان عاطف بركات يتقن الإنجليزية والاستعانة بمراجعها وتعلم منه كيف يستخدم التفكير فى كل شىء حتى فى الدين أما جوهره من إيمان بالله فهو نابع من القلب ولعل الذى يدعوه للإطالة أنه لا يخطط لهذه التفصيلات وإنما هو يخطط الموضوع إجمالا باختصار ثم حين يبدأ فى الكتابة تأتيه التفصيلات . فهو يرسم الموضوع فى فكره ثم بعد ذلك يفصل وهو يكتب ، يقول « وكثير من المعانى تأتى وأنا أكتب لا وأنا أفكر قبل(١) أن أكتب » .

ومع أن أحمد أمين يهتم بالجزئيات — كما رأينا — إلا أنه لا يلح عليها إلحاح طه حسين الذى يأخذ الفكرة طولا وعرضاً ولا يترك منها شيئاً فهو يعرضها ويبسطها ويحللها ، فالموضوع حين يعرضه لا نتبين أين مقدماته ؟ وأين نتائجه ؟ فنستطيع أن نقول إن كل ما يكتبه طه حسين مقدمات ونستطيع أن نقول إن كل ما يكتبه طه حسين نتائج ، أما أحمد أمين فانه لا يلح على الفكرة هذا الإلحاح وهو يسير بترتيب ونظام فيصل من المقدمات إلى النتائج وأنت تحتاج إلى أن تقرأ موضوعه خطوة خطوة فيسلمك من الخدمات التحليلية إلى النتائج التركيبية ، وتخرج من هذه المقارنة بنتيجة أخرى وهى أن الصور عند طه حسين يأخذ بعضها بتلابيب بعض بينما نجد أن الأفكار عند أحمد أمين هى التى يأخذ بعضها بتلابيب بعض .

وأحمد أمين يدرك أن المعنى له المقام الأسنى ، فاذا بولغ فى تزيين اللفظ كان هذا على حساب المعنى وهذا الذى يميل إليه أحمد أمين مبنى على أساس أن الاهتمام باللفظ يدعو إلى الانتقاص من المعنى ، وهذا الفهم خاطىء فالاهتمام باللفظ لا ينقص من قدر المعنى الموجود — وإلا فأين المجهود ؟ والغريب أن أحمد أمين ينسب هذا الاهتمام الزائد بالمعنى إلى تعلمه للغة الإنجليزية يقول « لو لم أجتز هذه المرحلة (تعلم اللغة الإنجليزية) ثم كنت أديباً لكنت أديباً رجعياً يعنى بتزويق اللفظ لا جودة المعنى ويعتمد على أدب الأقدمين دون أدب المحدثين ويلتفت فى تفكيره إلى الأولين دون الآخرين — ولو كنت مؤلفاً لكنت جماعاً أجمع مفترقاً أو أفرق مجتمعاً

---

(١) حياتى ص ٢٩٤ .

من غير تمحيص ولا نقد ، فأنا مدين فى إنتاجى الضعيف فى الترجمة والتأليف والكتابة إلى هذه المرحلة بعد المراحل الأولى »[١].

وقد جنى هذا الفهم القائل لمفهوم اللفظ والمعنى على أسلوب أحمد أمين — و « حياتى » وهو أقرب إلى الأدب من بقية كتبه — كان المفروض فى أحمد أمين أن يرتقى بأسلوبه إلى مستوى الأدب الرفيع أكثر مما ارتقى فى بقية كتبه — ولكننا وجدناه سائراً على نفس المنهج من احتفال بالمعنى وعدم احتفال باللغة ، واللغة الإنجليزية الذى يحتج بها أحمد أمين فيها اهتمام باللفظ وفيها اهتمام بالمعنى — ثم هو يصل بين تزويق اللفظ وبين الرجعية ويصل أيضاً بين التقدمية وبين جودة المعنى — وهذا أمر غريب . ولكن غرابته تتلاشى لأن أحمد أمين سجله على نفسه .

وهذا المنهج الذى اختاره أحمد أمين فى أسلوبه يدل على أن ملكة التذوق الأدبى ليست مستوحاة من الشعور والوجدان — فهو حين يكتب عن حياته لا يكتب عن وثيقة تاريخية يسجل ما فيها — وإنما هو يعرض مشاعره وأحاسيسه وعواطفه — فكان من الأنسب أن تكون لغته شاعرة وأن يكون أسلوبه ملائماً لموضوعه — ولكنه لم يرد أن يكون رجعياً ! فارتد هذا الارتداد العنيف الذى حال دون استغلاله لطاقاته فى تصوير ذاته — فكان فى معظم الأحيان واصفاً ولم يكن مصوراً ، فالأدب هبة قبل أن يكون كسباً ومراساً كما قال : « إننا لا نخلق الأديب ببرنامج بل لا بد أن تكون قد هيأته الطبيعة ومنحته استعدادات خاصة وكفايات ممتازة على كل حال لا وسيلة لترقية الفن ومنه الأدب إلا بترقية الذوق وربط الفن به »[٢].

فهو هنا يوجه لترقية الأدب ولكن لن يكون أديباً إلا من وهب أصلا هذه الموهبة ويمتاز أسلوب أحمد أمين بالبساطة حتى لنخال أنه لم يبذل أى مجهود لصقل تعبيراته وهو فى هذا مقيد بقوله « أصدق كاتب فى نظرى من احتفظ بشخصيته وجعل أفكاره وعواطفه تمتزج امتزاجاً تاماً بأسلوبه »[٣].

---

(١) حياتى ص ١٥١ .

(٢) فيض الخاطر جـ ١ « كيف يرقى الأدب » .

(٣) مقدمة فيض الخاطر .

فشخصيته سهلة بسيطة فكان أسلوبه كذلك سهلا بسيطاً[١] إلا أنه لم يكن ممتنعاً وعلى هذا فن السهل على الكاتب أن يعبر ببساطة ويسر وسهولة وهو فى هذا يشبه غيره ممن لم يكدوا أذهانهم — ونستطيع أن نقول إن الشخصية البسيطة السهلة هى الشخصية العامة التى لها صفات شخصيات الآخرين .

أما المفاضلة من ناحية جودة المعانى فالمعانى كما يقول النقاد مطروحة أمام الناس فالمفاضلة أساساً تكون فى مدى الاقتدار على صياغة المعانى .

ووصل الأمر بأحمد أمين فى حماسته للمعنى أن جرد الألفاظ من بديعها وحليها وأصبح لا مانع عنده أن تكون لغة الكتابة هى لغة الكلام — وهو يستخدم كلمات « الحزمة والمركوب والزير[٢] والماجور » بدلا من « الحذاء والقدر » — ولعله اقتنع بهذا الرأى رأى اتحاد اللغتين العامية والفصحى فى لغة واحدة من أستاذه على فوزى الذى قابله فى رحلته للآستانه عام ١٩٢٨ . وأخبره أن مصر لن ترتقى إلا إذا استمدت اللغة روحها من الشعب — فاللغة يخاطب بها الشعب والشعب له لغته فلا مانع من اتحاد اللغتين الفصيحة والعامية فى لغة واحدة هى إلى العامية[٣] أقرب .

ويزيد أحمد أمين هذا الرأى وضوحاً حين يقول إن الإعراب فى اللغة دليل البداءة وأن الاسكان هو نهاية التطور — واللغة العربية ليست بدعاً فيجب أن ينطبق عليها ما ينطبق على اللغات الأخرى[٤] — ولعله فى هذا الرأى لا يأخذه من ناحية المنطق بقدر ما يأخذه من ناحية الرحمة — فهو يريد أن يرحم العامة ويفهم هذه الرحمة على أساس أن يتدنى لمستواهم لا أن يرفعهم إلى مستواه ويقول فى ذلك : « لقد هممت أحياناً أن أتحدث بالعامية لأنى أرحم الأميين وأشباههم » [٥].

وهكذا فان ما كتبه أحمد أمين فى « حياتى » يدل دلالة واضحة على رغبته

(١) حياتى ص ٤١ و ٤٩ و ٥٩ .

(٢) حياتى ص ٢٣٣ .

(٣) شخصيات عربية ص ١٣٨ بقلم صديق شيبوب الوكالة العربية للدعاية والنشر الاسكندرية .

(٤) فيض الخاطر جـ ٩ « الأدب الشعبى بين الحرفشة والفصحى » .

(٥) حياتى ص ٢٩٥ .

فى الاقتراب(١) من العامية ووسيلة هذا الاقتراب هو البعد عن الإعراب وتسكين أواخر الكلمات — وهو يقول إن التسكين هو دليل التطور والرقى — وأن الإعراب هو دليل البداءة .

ويكفى أن نقول فى هذا المجال — أن الواقع لا يصدق مع هذا القول فان اللغات الأوربية التى يكتب بها الأدب والعلوم تختلف عن اللهجات التى يلهج بها متكلموها فى الشارع وفى البيت وهذا الاختلاف حتى وإن قل — موجود — وعلى هذا فلا يخيفنا فى لغتنا العربية الاختلاف بين لغة الكلام ولغة الكتابة إلى هذا الحد — لأن الأهداف المحققة بالتمسك باللغة الفصحى أكبر وأعظم من أية فوائد وقتية نجنيها حين نسكن أواخر كلماتها وتدريبها من اللهجات العامية :

أما عن الناحية الموضوعية فى منهجه فى « حياتى » فقد اتصل أحمد أمين بكل الجزئيات التى بترابطها جميعاً تحدد لنا صورة أحمد أمين فى مراحل تطوره المختلفة — وشخصيته هذه قد وضحت لنا من خلال تعاملها مع ذاتها ومع الآخرين — والآخرون الذين تعاملوا معه وتأثر بهم تمثلوا فى والديه وزوجته وأساتذته وأصدقائه وكما جلى لنا عن محاسنهم فقد أفصح أيضاً بصراحته المعهودة عن العيوب .

وأول ما لاحظه فى والده تمثل فى تبيانه لقسوته الشديدة فى معاملة أولاده وزوجته وعدم ترك الحرية لهم فى اختيار ما يلائمهم بل إنه يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة حتى لقبه بالمستبد(٢) وإن كان قد تحدث عن رحمته المستترة التى تظهر فى وقت المرض .

وأما أمه(٣) فقد علل لآلامها الكثيرة وانقباض نفسها لوفاة ثلاثة من أولادها متتابعين وهم فى سن الشباب ولمعاملة أبيه لها معاملة شديدة قاسية فى سلبه لكل سلطتها وحرمها دائرة نفوذها .

---

(١) صور من وحدة الفكر العربى ص ٣٥ د . عبد المجيد عابدين — معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠ .

(٢) حياتى ص ٢٨ .

(٣) فيض الخاطر جـ ٩ « أمى » .

وقد اهتم أحمد أمين بما فى البيت هذا الاهتمام لأنه انعكس فى طبيعته وكون عناصر خلقه وروحه ويقول عن ذلك « فان رأيت فى إفراطاً فى جانب الخير وتفريطاً معيباً فى جانب المرح أو رأيت صبراً على العمل وجلداً فى تحمل المشقات واستجابة لعوامل الحزن أكثر من الاستجابة لعوامل السرور ، اعلم أن ذلك كله صدى لتعاليم البيت ومبادئه » .

فالبيت كما يقرر أحمد أمين هو المسئول الأول عن شخصيته بما فيها من مزايا وعيوب .

وأما زوجته فقد تحدث عنها فى « حياتى » وسلك فى منهجه إزاءها مسلك المصارحة أيضاً كما أبان عن طباع المرأة المصرية من خلالها وهو فى هذا ينهج نهجاً اجتماعياً فهو بعد الزواج عام ١٩١٦ مكث معها مدة طويلة حتى عرف طباعها وعرفت طباعه — وكان أكثر ما يؤلمه منها عدم اعترافها بالمنطق كوسيلة للتفاهم — بل إن الكلمة السخيفة كثيراً ما ترضيها مع بعد هذه الكلمة السخيفة عن العقل — كذلك كان يزعجه منها العطف الكاذب على أبنائهما . فاذا أخطأ أحد الأبناء وأحب أن يعاقبه تدخلت هى وأفسدت هذه العقوبة وكانت تؤمن بالمثل المشهور « قصيه لئلا يطير » — فأنجبت له عشرة أبناء مات منهم إثنان . ثم هو ينتقل من الإفراد إلى الإجماع — أى أنه يتخذ من زوجته ممثلة للمجموع فهو يصارح بخصالها حتى يستخرج لنا حكماً تركيبياً فيه انضباط وشمول . فهو يصرح لنا كثيراً أن الفضل الأكبر فى المدنية الحديثة يرجع معظمه إلى المرأة وذلك لأنها هى التى تعد النشىء وتسكب فيه من روحها كأم النظام والأخلاق الحميدة — وما دامت المرأة هى التى تنشىء هذه المدنية الحديثة — فما أجدرها إذن بالرعاية وما أحقها بالعناية .

أما أساتذته الذين تأثر بهم فهم عاطف بركات وعلى فوزى وأحمد أمين — وكانوا كلهم أساتذته فى مدرسة القضاء الشرعى .

أما عاطف بركات فقد أفاض فى الكتابة عنه فى مواضع عديدة من كتابى

---

(١) حياتى ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ .

« حياتى » وكذلك فعل مع على فوزى وسميه أحمد أمين — أما مس بور Bower فهى أستاذته فى اللغة الإنجليزية تعلم منها الكثير غير اللغة ، فهو تعلم منها أن ينظر للحياة بعين مفتوحة وأن يحيا شبابه وأن يعشق الجمال ويدعو إليه ولعل بعض مقالاته فى الترتيب والتنسيق والدعوة لهما كان بتأثير هذه الأستاذة الإنجليزية التى لازمها أربع سنوات وكانت دائماً تقول له « تذكر أنك شاب. . . يجب أن تكون لك عين فنية » (١).

وأحمد أمين فى وفائه لم ينس كارل نللينو الإيطالى الذى كان أستاذاً بالجامعه المصرية وقال عنه أنه استفاد منه المنهج بعد أن حضر له بعض المحاضرات فى كلية الآداب — وكان كتاب نللينو « تاريخ الفلك عند العرب » مرافقاً لأحمد أمين حين كان يعمل قاضياً بالواحات الخارجة — وقد قرأه وقرظه قائلا : « قرأته بامعان واستفدت منه كيف يبحث كبار المستشرقين وكيف يصبرون على البحث وكيف يعيشون فى المادة التى تخصصوا فيها وكيف يدبرون فى بحثهم من البسيط إلى المركب فى حذر وأناة فاذا قلت أننى استفدت منهج البحث من هذا الكتاب لم أبعد عن الصواب » (٢).

ولم يذكر شيئاً كثيراً عن أصدقائه اللهم إلا ما ذكره عن الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان يمثل طرف الثقافة الفرنسية عنده — أما صديقه طه حسين — وإن لم يذكر اسمه صراحة فقد قارنه بنفسه فى عدد من الصفحات فى حياتى — ولعل حساسيته المفرطة كانت هى الدافع الذى جعله يعقد هذه المقارنة بعد قطع حبال الود التى كانت موصولة — ولا مانع من استعارة ما كتبه أحمد أمين عن نفسه وعن هذا الصديق « فأصبح يكون جزءاً من نفسى ويملأ جانباً من تفكيرى ومشاعرى على اختلاف ما بيننا من مزاج فهو أقرب إلى المثالية وأنا أقرب إلى الواقعية وهو فنان يحكمه الفن وأنا عالم يحكمه المنطق وهو يحب المجد ويحب الدوى وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء وهو مغال إذا أحب أو كره وأنا معتدل إذا أحببت أو كرهت وهو نشيط فى الحكم على الأشخاص وعلى الأشياء وأنا بطىء

(١) فيض الخاطر جـ ٨ « قصة من حياتى » .
(٢) « حياتى » ص ١٤٠ .

وهو عنيف إذا صادق أو عادى وأنا هادىء إذا صادقت أو عاديت ، هو واسع النفس أمام الأحداث وأنا قلق مضطرب غضوب ضيق النفس بها ، وهو ماهر فى الحديث إلى الناس فيجذب الكثير وليست عندي هذه المقدرة فلا أجتذب إلا القليل وهو فى الحياة مقامر يكسب الكثير فى لعبة وأنا تاجر إن كسبت كسبت قليلا فى بطء وإن خسرت خسرت قليلا فى بطء ، يحب السياسة لأنها ميدان المغامرة وأنا لا أحبها إذ لا أحب المغامرة ولعل هذا الخلاف بيننا فى المزاج هو الذى ألف بيننا فأشعره أنه يكمل بى نقصه وأشعرنى أن أكمل به نقصى — جاءت العمادة (حين تولى عمادة كلية الآداب عام ١٩٣٩) مفسدة لهذه الصداقة لأنه بحكم طبيعته أراد أن يسيطر وأنا بحكم طبيعتى أردت أن أعمل ما أرى لأنى مسئول عما أفعل ثم ولى منصباً أكبر من منصبى يستطيع منه أن يسيطر على عملى فأراد السيطرة وأبيتها وأراد أن يحقق نفسه بأن ينال من نفسى فأبيت إلا أن أحتفظ بنفسى فكان من ذلك كله صراع أصيبت منه الصداقة فحزن لما أصابها وحزنت وبكى عليها وبكيت » (١).

وهذه الصراحة التى كانت ديدنه فى الحديث عن أصدقائه إنما هى راجعة إلى إحساسه(٢) المرهف — فهو يريد أن يبرر لم صادق هذا ولم خاصم ذاك — ولو رجعنا إلى النص السابق لوجدنا أن أزمة الصداقة التى مر بها كان من السهل علاجها بدون قطع حبال الود — وهذه الحساسية أظهرها لنا أحمد أمين منذ كان طفلا فقد حدثنا عن سيدنا فى الكتاب وكيف أن الضرب(٣) يميت الروح ويكسر النفس — وقد رأينا كثيراً ممن تعلموا فى الكتاب وضربوا ومع ذلك لم تمت أرواحهم ولم تكسر نفوسهم ولكنها الحساسية المرهفة عند أحمد أمين .

بل إن تغيير زيه الأزهرى إلى الزى الأوربى عام ١٩٢٧ قد تدخلت إحساساته المرهفة فيه — فالسبب الأساسى لهذا التغيير كما حدثنا — يعود إلى أنه حينما كان يريد أن يجلس فى « كازينو » يمنعه الزى الأزهرى من ذلك — كذلك إذا أراد أن يركب

---

(١) « حياتى » ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) Mddle Eepstern affaires Vol.v, h.1, ganvary 1654 .

(٣) الرسالة الأولى التى بعثها إلى ابنه فى كتابه (إلى ولدى) ط ١ مكتبة الآداب بالجماميز ١٩٥١ .

بالدرجة الأولى بالترام ظنه الجابى قد أخطأ طريقه وأرشده إلى الدرجة الثانية ، وإذا وقف فى صف ليسجل خطاباً وكان دوره فى المقدمة تعداه الموظف إلى من خلفه ممن يرتدى الزى الأفرنجى « هذه الأمثلة التى قالها فى كتابه « حياتى » تدل على مدى حساسيته وأن تناوله لها بالتفصيل يبين أنها تركت آثاراً غائرة فى نفسيته لم يستطع أن ينساها . ولذلك فهو يخشى على الباحثين بأن يضيع إحساسهم المرهف كثيراً من إنتاجهم فيقول :-

« فخير للإنسان أن يثق بنفسه من غير غلو ويقدر إنتاجه على حقيقته من غير إفراط أو تفريط »(١).

وقد بكى أحمد أمين كثيرا حين راى رجلا غنياً افتقر — وهذا الرجل بلغ من سطوته أيام غناه بأن أراد منع الترام من السير من أمام منزله وكانت عربته فى الصباح تغلق الطريق على الترام باستعراضها الشارع حتى ينزل أولاده ليركبوها ، ثم حين افتقر وبيعت عربته —كان الباشا يقف على الرصيف منتظر للترام الذى كان يريد له ألا يمر فى الشارع أمام منزله يقول أحمد أمين إن هذا الحادث (أثر فى أثراً بالغاً فذكرته) (٢).

وأن أحمد أمين يعرض للأحداث عرضاً سريعاً تارة وعرضاً متأنياً تارات وهو حين يتمثل الصور التى مرت به لا يستنكف أن يذكرها كبيرة كانت أم صغيرة وهذا يدل على وقته فى الجمع وحين يفرغ من هذا الجمع يبدأ فى التفريق لالتقاط الأحكام التركيبية التى يصوغها هنا وهناك وفى أثناء هذا وذاك تسعفه ذاكرته بكثير من المعالم البارزة لرحلته خلال الحياة فهو يذكر لنا أنه كان أول من درس النقد الأدبى باللغة العربية فى الجامعة مع استعانته بمكانه فى اللغة الإنجليزية .

ومن خلال نظراته النافذة للأبطال فى عصره وفى العصور السابقة ومن الربط بينها وبين ما سبق أن ذكرناه يتضح لنا منهجه لا فى تبويب كتابه فحسب ولكن أيضاً فى فلسفته فى الحياة . فهو مثلا يتحدث عن أستاذه الشيخ محمد عبده الذى

(١) حياتى ص ٣٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١١١ .

جلس بين يديه مرتين كتلميذ فى الجامع الأزهر – وهو يستفيد منه أكثر مما يستفيد من الزعيم الوطنى مصطفى كامل الذى كان ملء السمع والبصر ، فهو يقول أنه يؤمن بنظرية الشيخ محمد عبده فى الإصلاح العقلى المتدرج ولا يؤمن بنظرية مصطفى كامل الذى يتسرع فى الإصلاح ويتصرف بشعوره وعواطفه فيريد أن يخرج الإنجليز أولا من مصر ثم يبدأ الإصلاح بعد ذلك وبعد حادثة دنشواى عام ١٩٠٦ نجد أن أحمد أمين يغير رأيه فينحاز إلى رأى مصطفى كامل الذى يقول أن مصر لن يصلح حالها إلا بخروج الإنجليز أولا .

وقد وضح لنا أحمد أمين أنه يحكم عقله فى كل شىء حتى فى الدين واستثنى زوجه من هذا التحكيم كما استثنى كثيراً من السيدات ، « فقد كنت من غفلتى أعتقد أن العقل هو وحده الوسيلة الطبيعية للتفاهم ولكن بعد تجارب طويلة رأيت أن العقل أسخف وسيلة للتفاهم مع أكثر من رأيت من السيدات » (١).

وهو فى تنبيهاته المتكررة لا ينسى أن يوضح قيمة الجمال فى تربية الذوق وفى رقى الأخلاق فهو كما يجب أن يرى الكتاب مبوباً تبويباً منطقياً يحب أن يرى البيت منسقاً والشارع نظيفاً والأصوات خافتة والموسيقى هادئة والملابس نظيفة كل هذا من ألوان الجمال التى يريدها أن تتحقق لكى يتسع العقل وترقى عواطف الناس .

وتتوالى آراؤه الإصلاحية فى كتابه « حياتى » فشملت الجامعة التى حدد رسالتها فى اكتشاف المجهول من العلم وإقامة الجديد محل القديم وتمثل هذا الاهتمام أيضاً فى المقالات التى أنشأها فى « فيض الخاطر » (٢).

وهو كمفكر يجب أن يظهر منهجه الفكرى فيبين أهمية توزيع المسئولية والاختصاصات حتى يتفرغ كل رئيس مصلحة لما هو أهم – وقد حاول وهو عميد الكلية الآداب أن يحقق ثلاثة أشياء كما يقول ، الأول هو تنظيم الحياة الاجتماعية فى الكلية والثانى تمكين الأساتذة من الإشراف على الطلبة علمياً وخلقياً والثالث القضاء على طريقة الاملاء والمذكرات فى المحاضرات ودعوة الأساتذة إلى أن يحاضروا مع تبيان أهم المراجع ويقيد الطلبة فى مذكراتهم بعض النقاط .

---

(١) حياتى ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) فيض الخاطر جـ ١ ص ٦٤ « الجامعة كما أتصورها » .

قد سجل فى « حياتى » خلاصة ما وصل إليه من تجارب خلال تقلبه فى مختلف المناصب فهو قد عمل أستاذاً غير متفرغ بعد إحالته إلى المعاش عام ١٩٤٦ وعمل مديراً للإدارة الثقافية بوزارة التعليم ورئيساً لمجلس إدارة الجامعة الشعبية ولجنة التأليف والترجمة والنشر كما عمل أيضاً كمدير للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية وأنشأ فى أثناء ذلك معهداً للمحفوظات العربية — كل هذه المناصب التى تولاها لم ينس أحمد أمين منها شيئاً بل سجل كل ما يمكن تسجيله حتى اتصاله بالجرائد اليومية وكتابته أول مقال له تحت عنوان « خطأ العقلاء » الذى لم ترض جريدة المؤيد أن تنشره له — حدثنا عنه أخيراً بأنه كان يقصد بهذا المقال سعد زغلول الذى قبل أن يكون وزيراً للحقانية بعد أن كان وزيراً للمعارف ، فقد كان فى وجوده فى وزارة المعارف خير كبير للغة العربية وآدابها ومقاومة دنلوب الإنجليزى الذى أخر التعليم فى مصر تأخيراً كبيراً .

ولا يغفل أحمد أمين أن يحدثنا ضاحكاً فى بعض الأحيان مثال ذلك أنه ذهب فى رحلة إلى حلوان مع أخوانه وحين هموا بالرجوع قطع حذاؤه ودميت أصبع قدمه فاضطر إلى أن يركب حماراً ليوصله إلى محطة القطار وأحاط به زملاؤه يضحكون منه ويرثون له . وحادثة أخرى ضاحكة رواها بعد حدوثها بزمن طويل إذ أنه اشترى كتاباً من سيدنا الحسين وركب عربة « سوارس » عربة يجرها جوادان وكانت العربة مملوءة ، فحين أراد أن يدخل لمست برجله امرأة بدون قصد فما كان منها إلا أن سبته سباً قبيحاً فضرب فمها بجريدة كانت بيده فأخذته إلى قسم الشرطة وكاد أن يحاكم لولا تدخل فتحى زغلول وكيل وزارة العدل .

وذكر أيضاً أحمد أمين حادثة طريفة أخرى شاركه فى طرافتها صديقاه طه حسين وعبد الوهاب عزام — إذ ذهب وهو فى بروكسل عاصمة بلجيكا إلى الحلاق الذى لم يكن يعرف إلا اللغة الفرنسية وأحمد أمين لا يعرف من اللغات الأجنبية إلا اللغة الإنجليزية — فلم يتفاهما — وكان أن قصر الحلاق البلجيكى شعر أحمد أمين جداً — وقص أحمد هذه الحكاية على صديقيه طه حسين وعبد الوهاب عزام فأغرق الإثنان فى الضحك وقال طه حسين سأؤلف رواية اسمها « حلاق بروكسل » على وزن « حلاق أشبيليه » — أما عبد الوهاب عزام فألف قصيدة يقول فيها :—

ونظر الأستاذ فى المراية   فلم يجد فى رأسه شعراية

وهذه الحوادث المضحكة لم يروها أحمد أمين لمجرد أنها مضحكة ولكن رواها لأن فيها – سخرية – والسخرية لها هدف اجتماعي لا شك فيه فهو فى الحادثة المضحكة الأولى يشير إلى أن حرمة الصداقة لا تراعى فى وقت انفعالات المزاج فهاهم الأصدقاء وقد دهت داهية بأحدهم ماذا يفعلون ؟ إنهم يضحكون – إذن – فليتجنب الشخص – على قدر الإمكان – المواقف التى قد تسبب له الحرج والارتباك أما الثانية فهى تشير إلى أن المرأة لا يغلبها إلا لئيم وهو بتصرفه المنطقى لم يستطع أن يأخذ من المرأة التى شتمته وأوصلته إلى الشرطة شيئاً ، ومن ثم فإنه يلمح إلى وجوب تربية المرأة تربية تقوم على أساس الأخلاق الفاضلة الكريمة أما الحادثة الثالثة فهى تدل على أن التفاهم لن يتم إلا بين متجانسى اللغة ، أما هؤلاء الذين تختلف ألسنتهم فقد تحدث تجاه بعضهم البعض أخطاء – وإن كانت بحسن نية – إلا أنها أخطاء على كل حال .

وقد علق عباس محمود العقاد على إيراد أحمد أمين لهذه الفكاهات فقال :
« فلا يمنع أحمد أمين العبوس أن يبتسم ولا يمنعه الابتسام أن يعبس ولكنه يطالعك فى الحالتين بصبر حكيم ينطوى فيه العبوس[1] والابتسام » .

وأن أحمد أمين ليؤثر الحكمة فى كل شىء حتى فى فكاهاته – وإيمانه بالحكمة تجلى فى كثير مما كتب بل إنه يعترف بصراحة بأن الحكمة خير من العلم ولو اجتمع العلم[2] والحكمة لكان خيراً أكبر .

وهكذا يعرض أحمد أمين شخصيته علينا فى كتابه « حياتى » يعرضها بما فى ملامحها من حكمة ورغبة فى الإصلاح ، وهو ينهج هذا النهج الذى تشعر فيه إزاءه بأن ما كتبه إلا عالماً بمدى الفائدة التى يجنيها المرء من التراجم والسير كما قال العقاد « أحسب أن التراجم والسير لا تكتب إلا لتوسيع أفق الحياة وتعديد جوانب الشعور »[3] .

---

(١) بين الكتب والناس عباس محمود العقاد مقالة « كتاب حياتى » ص ٢٤ مطبعة مصر عام ١٩٥٢

(٢) علمتنى الحياة بأقلام نخبة من الشرق والغرب أشرف عليه الدكتور أحمد أمين دار الهلال مقالة أحمد أمين تحت عنوان « درهم حكمة خير من قنطار علم » ص ٦٢ .

(٣) ساعات بين الكتب عباس محمود العقاد مقالة « مع بافلوفا حول الدنيا » ص ٤٨٢ الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية .

فقد امتزج عند أحمد أمين فى كتابه « حياتى » مبدأ الأدب للأدب مع مبدأ الأدب للحياة — فهو لم يعبر تعبيراً إلا بعد أن يفكر تفكيراً كثيراً — فالفكر يغلب والأدب نسيجه رقيق لا يتحمل تبعة هذه الأفكار المتزاحمة ، ويعجبه القول الحكيم ذو المعنى الدقيق وقد وجدناه وهو عميد يذكر كلمة الشيخ محمد عبده « أن الرجل الصغير يستعبده المنصب والرجل الكبير يستعبد المنصب » — ومن ثم فقد أبرز لنا فى كتابه بعض عيوب المجتمع الوظيفى مثل تركز الأعمال كلها فى يد مدير المصلحة وطالب بتوزيع الاختصاصات ، وقد جنى تركيز أعمال كلية الآداب فى يده على إنتاجه — فهو كما يذكر لم ينتج شيئاً فى خلال العامين اللذين قضاهما كعميد — وأيضاً بعد أن استقال من عمله كعميد دون لنا فى كتابه « حياتى » الكلمة التى قالها لصحفى « إننى أصغر من أستاذ وأكبر من عميد » ، وقد ضغط أحمد أمين كثيراً على تبيان تمسكه بالمبادىء المثالية فهو لا يسكت على خطأ مهما كان المخطىء وكثيراً ما كان يقول « لا » ما دام على حق فهابه الجميع من مؤيدين وخصوم — وهو فى تمسكه بالمبادىء المثالية واقعى ، فليس كل كبير كبيراً حقاً وهو يروى لنا أن تفكير المسئولين الذين كان يناقشهم كان يبدو كتفكير رجل الشارع ليس الهوى ويغلفه الخطأ » .

وهكذا نرى أحمد أمين يتبع فى منهجه الطريقة التحليلية التى يهتم فيها بالجزئيات الصغيرة ثم ينتهى بنا إلى التركيب الذى يمتلىء بالاستنتاجات والنظريات وقد أفسد هذا النوع من المنهج عناصر القصة فى « حياتى » ، فان « حياتى » تكاد تكون قصة لولا شيوع هذه الطريقة المتمثلة فى التحليل ثم التركيب فالتحليل ثم التركيب وأن عناصر القصة من موضوع وفكرته وهدفه ، وشخصيات ، وحوارها ، وعقدة وحلها ، لا يطرد فيها هذا المنهج المنطقى الصارم ومن ثم فان وصف طه حسين لحياتى بأنها قصة من أروع القصص فيه شىء من المبالغة لا شك فيها وقد اعترف أحمد أمين ذاته بأنه فشل فى كتابة القصة ومن ثم فوصف « حياتى » بأنه قصة لا يستساغ ولننظر مثلا إلى الشخصيات فى « حياتى » فنرى أن الشخصية يجب أن تكون لها أبعاد ثلاثة البعد المادى والبعد الاجتماعى والبعد النفسى الذى هو نتيجة للبعدين السابقين ، وحين نطبق هذا على أى شخصية من شخصيات أحمد أمين

فى « حياتى » لا نجد فيها إلا بعداً واحداً أو بعدين على الأكثر وهو يهتم بالبعد الواحد أو البعدين لا لكى يجعل الحوار مسايراً لمميزات الشخصية وتنمو الحركة من خلاله ولكن لكى يصف لنا وصفاً تقريرياً الشخصية التى تحت ناظريه ولو أن أحمد أمين اتبع القاعدة المضبوطة فى كتابته عن الشخصيات وحدد الأبعاد الثلاثة بدقة ونضوج وتجاوب كاف معها لاكتمل عنده عنصر من عناصر القصة .

ونأتى إلى الحوار عند أحمد أمين فنجد أنه إذا وجد يكمن فى كونه عبارة عن سؤال وجواب والسؤال والجواب لا يخلقان الحوار القصصى بشكل من الأشكال إذ أن الحوار الفنى يعبر عن الحركة ويخلق حركة جديدة بجانبها وإلا أصبح الحوار حواراً ميتاً يعبر عن شخصيات ميتة .

أما العقدة فى « حياتى » لأحمد أمين فهى قد توجد فى جزئيات خفيفة حين يسرد لنا بعض الحوادث المضحكة كحادثة المرأة فى العربة السوارس التى أخذته إلى الشرطة لأنه ضربها على فمها بالجريدة بعد أن سبته ولعنته فالعقدة فى هذه الحادثة تبدو فى الأزمة التى نتجت عن أمر تافه وهو أن أحمد أمين لمس المرأة برجله عفواً حين أراد أن يتخذ مكاناً له ليجلس ثم تأزمت الأزمة حين اشتعلت المرأة بالغضب بعد أن ضربها بالجريدة ثم انفرجت الأزمة عن طريق الصدق والأخلاق وهو اللجوء إلى الشرطة ثم توسط فتحى باشا زغلول حتى لا يتقدم أحمد أمين إلى المحاكمة.

أما الموضوع فى « حياتى » فكان هو المحور الأساسى الذى اهتم به أحمد أمين إذ أننا نستطيع أن نقول عنه وبحق أنه رجل موضوعى فهو قد عرض حياته عرضاً محدداً بهدف وهو أن تكون هذه الحياة بما فيها من تجارب ومواعظ عبرة للغير يستفيد منها ويستفيد من تجاربها ويبدو هنا الاختلاف بيناً بين أحمد أمين فى « حياتى » وطه حسين فى الأيام ، فطه حسين بالنسبة لأحمد أمين من أنصار الفن للفن وأحمد أمين من أنصار الفن للاعتبار والعظة .

أحمد أمين يركب وطه حسين يجرد وإن كان التركيب صالحاً فى غير الفن إلا أننا لا ننسى أننا ننظر إلى أحمد أمين فى كتابه « حياتى » على أنه عرض كتابه هذا عرضاً فنياً أكثر من أى كتاب آخر له وإن كان قد اقترب نهجياً من المؤرخ .

وإذا ارتدى رداء الفنان فانما ليخلعه بعد مدة قصيرة فهو لا يطيقه ولا يتحمله بل سرعان ما يرتد إلى موضوعيته التركيبية .

فهو مثلا يصور زوجه فى أسلوب يقترب من أسلوب الفنان إلا أن هذا الرداء يخلعه ليرتدى رداء الطبيب الذى يشخص الداء ويصف الدواء ويبين الرسالة التى تحملها المرأة وأنها هى المسئولة عن تربية الأجيال وغرس المبادىء الصالحة وتقويم المعوج والفاسد من الأمور — هذا — ولا أقول أن الفنان لا يدعو إلى هذا ولكن—

أبين أن الفنان حين يدعو إلى المبادىء والقيم لا يدعو إليها بتصنع ولا يقصد إليها قصداً وإنما يدعو إليها دعوة غير مباشرة ، وهذه الدعوة غير المباشرة إلى المبادىء والقيم وتأثيرها أكبر من الدعوة المباشرة .

وأحمد أمين فى حياته لم يكن شاعراً فى أسلوبه بل هو منطقى يقيس ألفاظه كما يقيس معانيه ويخشى أن يأتى لفظ زائداً وكلمة لا موضع لها وهو لهذا قد حذف باب الأطناب ولم يبق إلا على الإيجاز والمساواة .

وقد لخص أحمد أمين فى مقالة له فى فيض الخاطر أهم الأيام التى أثرت فى حياته فذكر أنها ستة أيام ، اليوم الأول يوم خرج من الكتاب إلى المدرسة المنظمة واليوم الثانى يوم دخول مدرسة القضاء واليوم الثالث هو يوم زواجه واليوم الرابع هو تعلمه الإنجليزية واليوم الخامس سفره لأوربا واليوم السادس هو تعيينه عميداً لكلية الآداب[1] ، ولدقة أحمد أمين وواقعيته وجدنا كتابه « حياتى » يصور نفسه منه تصويراً بلغ من دقته أنك تكاد تلمسه هو دون أدنى رتوش أو أية ظلال مما دفع بعض المؤرخين له إلى أن يقول عنه « أما أحمد أمين فقد رأيت صورته فى كتابه « حياتى » كما رأيته فى العيان والممارسة ولم أجد الشخص الذى فى الوجود ومخالفاً للشخص الذى صوره نفسه على الورق بل لمست فيه تواضع العلماء والبعد عن التبجح والغرور ولم يضف إلى نفسه صفحة لم تكن فيه » [2].

---

(١) فيض الخاطر جـ ٩ (ستة أيام فى حياتى) .

(٢) محاضرات عن احمد أمين اتاها الدكتور زكى المحاسنى على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية معهد الدراسات العربية العالية — عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ .

والآن نتساءل هل سلك أحمد أمين فى منهج ترجمته لحياته سلوك الترجمة الخارجية أم سلوك الترجمة الذاتية ؟ أو بمعنى أصح هل وصف أحمد أمين حياته من الخارج ووقف أمام نفسه كما يقف الرسام أمام صورة يحيط بتفاصيلها من الخارج أم أن أحمد أمين قد نظر إلى ذاته من الداخل وصور مشاعره وأحاسيسه ولون خارجه ألواناً نابعة من وجدانه ؟

الحقيقة بعد هذا التحليل نجد أن أحمد أمين قد ترجم لنفسه من الخارج أكثر مما ترجم لها من ذاته فهو فى « حياتى » كان يصح أن يسميه « حياتى وحياة الآخرين » ولو أنه كان قد اتصل بالآخرين اتصالا مرتبطاً أى أنه كان قد اتصل بهم اتصالا لا تلغى فيه ذاته لكان حقاً مترجماً لذاته الترجمة التى تنضبط تحت المعنى الدقيق للترجمة الذاتية ، فمثلا يكفى لأحمد أمين أن يرى رجلا إنجليزياً فى الواحات الخارجة فنجده لا يتحدث عنه إلا من الناحية الموضوعية الخارجية التى لا تتصل به من قريب أو بعيد ، فالذى يترجم لنفسه ترجمة ذاتية حين يرى مثل هذا الرجل الإنجليزى فى الواحات الخارجة لا يتحدث عنه من خلال الإعجاب أو الذم حتى لو اتصل بموضوع خارجى فهو يغلفه بذاته .

أما الذى يترجم ترجمة خارجية فانه يفعل كما فعل أحمد أمين فهو يتحدث عن هذا الرجل الإنجليزى كموضوع خارجى عن ذاته فهو لا يتصل به إلا من وجهة النظر الموضوعية ثم هو يربط بينه وبين قدرة الأجانب على مواجهة الغربة بقلب من حديد بينما تجد أن المصريين مرتبطون بالأرض لا يهاجرون ولا يغتربون .

إذن فأحمد أمين فى « حياتى » نستطيع أن نقول عنه أنه كان مؤرخاً أديباً ، قبل أن يكون أديباً مؤرخاً ثم وهو فى تأريخه لحياته يؤرخ عنها كشىء خارجى لم يؤثر عليه وإنما وصفه كما هو فكأنه جعل من نفسه وثيقة من الوثائق يحققها ، وقد ظهر كأديب حين كان ينفعل إرادياً والانفعال الإرادى يكون انفعالا مؤقتاً وحين يزول يرتدى أحمد أمين ثوب العالم ، إذ أن الأديب ينفعل دائماً انفعالا لا إرادياً فيكون أسلوبه شاعرياً متصلا بوجدانه الذى لا يتحكم فيه عقله أو منطقه .

وقد بين لنا أحمد أمين أن الكتابة فى الأدب الإنشائى لا تتم إلا وهناك المزاج

الملائم وقد مر على الكاتب الأديب أوقات وخلع ضرسه أهون عليه من كتابة مقال(1).

ولذلك فان اتصال أحمد أمين بالأدب الإنسانى وهو يكتب « حياتى » لم يتم إلا فى بعض المواقف التى حددتها فيما سبق ، أما اتصاله بالمواقف الأخرى، وهى كم عظيم فكان اتصال استقصاء وفكر ، وعلى هذا فكان الأسلوب فى الأدب الإنشائى البحت أسلوب أدباء أما الأسلوب فى موضوعاته الأخرى فكان أسلوب علماء يتقصون الحقائق ويعبرون عنها تعبيراً فيه إيجاز وتركيز ووضوح.

ثالثا ــ ترجمة احمد امين لاساتذته

لا شك أن احمد أمين حين يترجم لأساتذته فإنه يترجم لأناس متصلين بذاته ومن ثم فلا يمنع هذا أن يحكم حكماً فيه نوع من الإعجاب الزائد ، ومع معرفتنا بأن هذا صحيح ، إلا أن أحمد أمين وكان محايداً مع ذاته هو ، فمن باب أولى ، أن يكون محايداً مع الآخرين .

وأول من تأثر بهم أحمد أمين من أساتذته هو محمد عاطف بركات الذى كان ناظراً لمدرسة القضاء الشرعى وأستاذاً للفلسفة أيام أن كان أحمد أمين طالباً بها ومعيداً وقد كتب أحمد أمين عن عاطف بركات فى مقالتين .

وممن ترجم لهم أحمد أمين من أساتذته أيضاً على فوزى .

محمد عاطف بركات :

هجم أحمد أمين على الموضوع مباشرة دون مقدمات وكان هذا هو منهجه فى تناوله للموضوعات فهو لا يعمل لها تقديماً وإذا كان فهو تقديم يكا ديكون داخلا فى الموضوع لا منفصلا عنه ، فهو حين يتحدث عن بركات فى المقالة الأولى فى الجزء الأول من فيض الخاطر لا نجده يسرف فى إظهار عواطفه الجياشة بالألم من سماع نبأ وفاته بل يكتفى بأن يبدأ بدءاً تركيبياً فيه صياغة لحقيقة الدنيا الزائلة فيصفها بأنها خط فى ماء ، وبسرعة خاطفة ينقلنا نقلة أخرى فيبين صلته ببركات

(1) فيض الخاطر جـ ١ « كتابة المقالات » .

وكيف أنها امتدت إلى أربعة عشر عاماً عرف من خلالها صحيفة حياته ، كأنه يبين أن حديثه عن بركات ليس فيه مبالغات وإنما هو تقرير للحقيقة .

وقد نهج أحمد أمين فى مقالته هذه عن بركات نهجاً منطقياً بحتاً ، إلا فى المقدمة العاطفية القصيرة التى أشرت إليها ، ثم بعد ذلك قسم مقالته إلى عدة عناصر :—

العنصر الأول عن معاملة عاطف بركات للطلبة : وفيه أبان كيف أن عاطف بركات نهج نهجاً جديداً من ناحيتين ، الناحية الأولى فى المادة حيث أن مادة الأخلاق التى كان يحاضر عنها فى مدرسة القضاء الشرعى لم يدرسها كمواعظ وعبر وإنما استطاع أن يفلسفها ويخضعها للعقل ومناهج التفكير والناحية الثانية فى الطريقة حيث اتبع مع الطلبة طريقة شرح النظرية ومناقشتها دون التقيد بالكتابة الوقتية ، بل إن الطلبة كانوا يعتمدون على أنفسهم بعد ذلك فى كتابة المحاضرات على ضوء الشرح السابق ومناقشته .

والعنصر الثانى علاقة عاطف بركات بزملائه الأساتذة : فقد كان بركات ينتهز إثارة كل فكرة جديدة مع زملائه ويشققها ويستخرج منها الجديد الذى يعلنه بكل شجاعة لا يبالى لومة لائم ، وما أكثر اللائمين فى عصره .

والعنصر الثالث صفات بركات الخلقية : وهذا العنصر كان أهم ما فى الموضوع إذ أنه ركز عليه تركيزاً شديداً وأبان كيف أن المترجم له كان عنيداً فى التمسك برأيه كارهاً للكذب وسفاسف الأمور حازماً فى إدارته لعمله عارفاً بنظريات علم النفس ومطبقاً لها فى معاملته لجميع أبنائه الطلبة ، وكان كثير العمل قليل الكلام .

وقد أوجز أحمد أمين فى مواضع الإيجاز والإطناب على السواء وإيجازه فى موضع الإطناب وإن كان عيباً فى النظريات البلاغية إلا أنه استطاع أن يرفع هذا العيب فى التطبيق فلم نجد خللا فى إيضاح الفكرة بالرغم من تعبيره بالكلام القليل عن المعنى الغزير .

ثم فى مقالة ثانية فى الجزء العاشر من فيض الخاطر يتحدث أحمد أمين عن أستاذه محمد عاطف بركات فيفصل له فى أربعة عناصر ، العنصر الأول من هذه العناصر يتصل بالمدخل اتصالا وثيقاً فهو أيضاً هنا لا يتخلى عن مبدأ الهجوم على الموضوع مباشرة فإذا كتب مقدمة له فتكون قصيرة ومتصلة مع صلب الموضوع .

فمدخل المقالة وعنصرها الأول المتداخلان يتحدث فيهما أحمد أمين عن أرسطو وأفلاطون وكيف أن من يتغلب عقله على عواطفه ومشاعره تسمى نزعته نزعة أرسططالية ومن تتغلب مشاعره فتسمى نزعته نزعة أفلاطونية وقياساً على هذا نجد أحمد أمين يشبه من يتصدى للاصلاح ويتحرى العدل المطلق بعلى بن أبي طالب ويشبه من يتصدى للإصلاح وهو يقول « إنا لا نصل إلى الحق إلا بالخوض فى كثير من الباطل ، بمعاوية بن أبي سفيان وقد ظهر الترابط بين هذا المدخل وبين العنصر الأول حين وجدنا أحمد أمين يشبه المترجم له بعلى بن أبي طالب ، ثم نجده يزيد الأمر تفصيلا فى العنصر الثانى من مقالته ويضرب أمثلة لعدله وهذه الأمثلة تختلف عن التى ضربها له فى المقالة الأولى عنه .

أما العنصر الثالث فقد وصف أحمد أمين المترجم له بوصف جديد هو نظافة العقل وقد بين معنى نظافة العقل فى قوله « لا يقبل عظة الفكرة إلا إذا كانت واضحة ولا يعبر عنها إلا إذا كانت ناضجة محددة » (١).

ولولا هذا التوضيح لظننا نظافة العقل بمعنى خلوه وفراغه .

وقد اشترك العنصر الرابع وهو تشبيه عاطف بركات بسقراط مع عنصر من عناصر المقالة الأولى حين ذكر عنه أن الطلبة والأساتذة كانوا يتحلقون حول عاطف بركات الذى كان يستغل موضوعاً تخلقه المناسبة ويكلمهم فيه .

فتكرار هذا العنصر فى مقالتين وإن كانت وحدة الموضوع تجمعهما يتنافى مع ما طبع عليه أحمد أمين من نبذ للتكرار وأن العناصر السابقة التى حلل بها أحمد أمين « للمترجم له تجده بعد التحليل يركب الخاتمة المتمثلة فى كون المترجم له أنموذجاً صالحاً لتولى نظام مدرسة القضاء الشرعى» فعاطف بركات لم يكن يصلح إلا ليكون أستاذاً ومديراً لمعهد علمى ولم يكن يصلح لمنصب إدارى آخر فيه الرجاوات والمجاملات أو لمنصب سياسى فيه المضايفة والمساومة .

والآن هل استطاع أحمد أمين فى منهجه فى مقالتيه عن محمد عاطف بركات أن ينير الطريق للمتلقى لاشك أن تشقيقه لموضوعه وتحليله ثم تركيبه مرة أخرى

---

(١) فيض الخاطر جـ ١٠ ص ١١٤ .

أوصلنا إلى نتائج ما كنا لنصل إليها لو سلك منهجاً آخر فيه تفصيل مستمر من المقدمة إلى الخاتمة أو فيه تركيب مستمر من المقدمة إلى الخاتمة .

على فوزى :

ونحن فى حديثنا عن هؤلاء الذين ترجم لهم أحمد أمين لا نتحدث عنهم على أساس الاتصال بمنهجه فى المقالة عامة « فحسب ولكنا نتصل بهم على أساس التعرف عليهم عن طريق الكيفية التى استخدمها المؤلف فى تعريفنا بهم أيضاً » .

وعلى هذا كان لنا أن نسلك طريقين لتحقيق الهدف ، الطريق الأول وهو الاتصال بالمنهج العام الذى استخدمه المؤلف فى كتابة مقاله والطريق الثانى الاتصال بالمنهج الخاص الممثل فى التشكيل والتصوير والتخطيط والتفكير لبناء الموضوع الخاص بالمترجم له .

ومن هنا لا نستطيع أن نحدد حدود المنهج العام للكاتب من المقالة الأولى لأنه فى المقالة الأولى لا يتاح المجال للمقارنة ، أما فى المقالة الأخرى وخاصة وأنها المقالة التى نختم بها ما كتبه عن أساتذته الذين اتصل بهم اتصالا مباشراً وعميقاً ، فإن مجال المقارنة المتاح يمكننا من رسم حدود منهجه العام ومنهجه الخاص فى المقالة التى يكتبها عمن يعرفهم معرفة مباشرة .

فمنهجه العام فى مقالته عن على فوزى والذى اتضح أيضاً فى مقالتيه عن عاطف بركات تبين فيه الخطوط الرئيسية التالية :—

أولا : الدخول إلى الموضوع مباشرة وإذا كان هناك مدخل فإنه أيضاً يتصل بالموضوع عن قرب .

ثانياً : ميل أحمد أمين الغرزى (من الغريزة) إلى التحليل والتفصيل والتوضيح بضرب الأمثلة وذلك لوضوح الفكرة عنده وعمقها وشمولها .

ثالثاً : مع كثرة التفصيلات فى ثنايا الموضوع إلا أنه يختمه بنتائج مركبه يلطمه بها وإن كانت هذه النتائج لا تغنى عن المقدمات فكما سبق أن وضحنا أن المقدمات هى الروح بالنسبة للباحث فالمقدمات والتحليلات لا تغنى عنها النتائج المركبة .

رابعاً : تقيد أحمد أمين بالزمان والمكان مما جعله ينهج نهجاً واقعياً فيه كثير من الصرامة والدقة التي يلتزم بها العلماء أكثر مما يلتزم بها الأدباء .

خامساً : ظهور شخصية أحمد أمين ظهوراً ملتزماً وذلك عن طريق تنظيمه لعناصر موضوعه تنظيماً عادلا فيه روح القاضي ووقاره وتقيده بالحيثيات .

أما عن المنهج الخاص فى مقالته عن على فوزى(١) فقد وضح فى التشكيل والتصوير والتخطيط والتفكير وكل هذا حواه منهجه العام ، أما من ناحية التفصيل فقد وجدنا أحمد أمين أيضاً يتجه إلى على فوزى مباشرة عن طريق مدخل قريب وحدثنا عن خلق التواضع عنده ويصفه وصفاً مفصلا متصلا بالمحسوسات والنفسيات وهو يستخدم بعض الألفاظ المستحدثة مثل « التصادم النفسى » حين تحدث عن الخصام الصامت بين « على فوزى » و « عاطف بركات » كما كان قد استخدم كلمة نظافة العقل من قبل فى مقالته عن « عاطف بركات » وحينما خطط أحمد أمين لمقالته هذه وجدناه يلجأ إلى تتبع المترجم له فى مختلف مراحل حياته الوظيفية ، فهو يتبعه وهو مدرس بمدرسة القضاء الشرعى يدرس له التاريخ ويستخلص بعض الظواهر الاجتماعية أو النفسية ويستفيض فى الحديث عنها ثم يسير معه وهو فى وظيفته الإدارية وكيف أنه ثار على هذه الوظيفة الإدارية كما ثار عاطف بركات من قبل ، وليس اتفاقاً أن يكون عاطف بركات وعلى فوزى ساخطين على الوظيفة الإدارية ومحبين لمهنة التدريس ولعل أحمد أمين قد أضفى على المترجم لهما من ذاته وجعلهما مثله فى حبه للتعليم والتدريس ، ومما يدل على أنه كان يأخذ من صفاته ويصبغ بها شخصيات من يترجم لهم أن هناك بعض الصفات المشتركة بينه وبينهم . مثال ذلك أنه كان يصف على فوزى بالحساسية المفرطة وهذه كانت صفة من صفاته ويمضى بنا أحمد أمين فى خطته المتتبعة لحياة على فوزى فيبين أنه قد ضاق بالوظيفة وضاق بمصر كلها ورضى بالمعاش القليل يأخذه بدلا من المرتب الكبير وذلك لكى يطوف بأوربا ويستقر به المقام أخيراً فى استانبول حيث ينفق معظم معاشه على الفقراء والمساكين ويكتفى بغذاء روحه وعواطفه ، فهو يؤمن بأن الحرية مع الفقر خير من الذل مع الغنى ويستخلص أحمد أمين بعض النتائج من معيشة على فوزى

(١) فيض الخاطر جـ ١ « على بك فوزى » .

وهذه النتائج وإن كانت مستخلصة من التفصيلات السابقة إلا أنها تصح أن تكون نتائج عامة مركبة فى هيئة حكمية تشبه الأمثلة فهو يبين أن للمال وظيفتين، وظيفة يسد بها المرء حاجاته الضرورية ووظيفة أخرى للمروءة والشهامة .

ويمضى بنا أحمد أمين ويظل متتبعاً لموصوفه حتى فى صفاته النفسية فهو يبين لنا أن على فوزى كان شديد الخجل وهذا الخجل الشديد جعله يطيل التفكير فى نفسه وهذا التفكير المتواصل فى نفسه جعله يتوهم أن الناس جميعاً ينظرون إليه ويعيبونه ومن ثم فإنه كان إذا جلس فى مقهى جلس وراء عامود حتى لا يراه الناس وإذا تنزه ليلا وفى الشوارع الخالية ويبين لنا أحمد أمين أن خلق الرحمة تغلغل فى نفسية المترجم له حتى رحم الناس فخرج لهم عن ماله ورحم المرأة فأبى أن يتزوجها ورحم الحيوان فعاش نباتياً ، بل وصلت به الرحمة بنفسه أن يخرج عن نفسه فمات لأنه ضعف أمامها فانسحب من الحياة جميعها .

وقد ظهر أحمد أمين كأديب فى هذه المقالة فكان أسلوبه شاعرياً يصور به ولا يصف ديلون به ولا يسطر ، هكذا كان أحمد أمين حينما ترجم للذات وحينما ترجم للغير وبان منهجه العام والخاص فى كتابة السيرة عن نفسه وعن أستاذيه اللذين تتلمذ عليهما فى مدرسة القضاء الشرعى . . .

رابعا ـ ترجمة احمد امين لزعماء الاصلاح

ظهرت ترجمة أحمد أمين لزعماء الإصلاح فى كتاب مستقبل تحت عنوان زعماء الاصلاح فى العصر الحديث » وزعماء الإصلاح كانوا عشرة هم محمد بن عبد الوهاب ومدحت باشا والسيد جمال الدين الأفغانى والسيد أحمد خان والسيد أمير على وخير الدين باشا التونسى وعلى باشا مبارك وعبد الله نديم والسيد عبد الرحمن الكواكبى والشيخ محمد عبده — وقد ظهرت ترجمة أربعة منهم فى كتابه هذا وفى فيض الخاطر فقد ظهرت ترجمة الدين جمال الأفغانى فى الجزء الرابع ص ٢١٦ وخير الدين باشا التونسى فى الجزء السادس ص ٢٠٣ وعبد الرحمن الكواكبى فى الجزء السادس ص ١٧٩ والشيخ محمد عبده فى الجزء السابع ص ١٥٥ .

ونحن لا ننظر إلى المنهج فى هذه التراجمات لزعماء الإصلاح على أساس ترجمة كل فرد ولكن ننظر إليها على أساس عام – فهذه التراجم للمصلحين العشرة نجد فى منهجها أفكاراً قيمها أحمد أمين وألح عليها ثم نجد نظاماً خاصا اتبعه فى التعبير عن هذه الأفكار – أى أننا كما قلنا من قبل نجد له منهجاً عاماً يتصل بالكيفية الشاملة يصوغ الباحث عن طريقها المقدمات والنتائج ونجد له منهجاً خاصاً يشمل الخطوط التى يصور بها أفكاره فى نطاق الكيفية الشاملة .

وأن الأفكار الأساسية التى برزت فى زعماء الإصلاح تتلخص فى النقاط الخمس التالية : –

– الدين والعلم هما الوسيلتان لإصلاح المجتمع الإسلامى الممتد من الهند شرقاً إلى المغرب غرباً – وليس هناك بديل لهما – ولذلك لم يترجم إلا لمن فهم هذه الحقيقة ودعا لها وأقام عليها قواعد إصلاحه بقوة ويقين – ولذلك لم نجده يترجم لأمثال مصطفى كامل وقاسم أمين فى مصر ومحمد المهدى فى السودان وعبد القادر الجزائرى والسنوسى الكبير فى ليبيا لأن هؤلاء وإن آمنوا بأن الدين والعلم هما الوسيلتان لإنقاذ المجتمع الإسلامى مما يتردى فيه إلا أن دعوتهم لم تقم فى معظمها إلا على اللمس الخفيف لهذه الحقيقة دون تعمق أو لم تقم إلا على غيبوبة وجدانية فيها كثير من الخيال والبعد عن الواقع .

فالدين يأمر أن يعم نور العلم فى كل الأرجاء – والذى يقوم بهذه الرسالة هم هؤلاء النفر من المصلحين الذين أعدوا إعداداً عقدياً وعلمياً لخدمة شعوبهم يرفعون قول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

فالقضاء على الجهل والفقر والاستعمار هو قضاء على المنكر وهو دعوة إلى الخير .

وإن الدين والعلم اللذين اتخذهما هؤلاء المصلحون جميعاً سنداً للدفاع عن حقوق الشعوب الإسلامية المهضومة قد استخدما استخداماً يتناسب مع طبيعة كل مصلح – فهذا جمال الدين الأفغانى قد فهم أن الواقع الذى تحيا فيه الشعوب الإسلامية يحتاج إلى جرأة وشجاعة فى مواجهة الأحداث وهذه الشجاعة لاتتقص

من عمر أحد فحارس المرء أجله — وأن جمال الدين الأفغانى كما صوره أحمد أمين كان يطلب من المرء أن يدير حواراً يكون موضوعه هل يتمتع الجبان بالحياة التى يحياها ؟ — كلا — إنه فى دنياه ذليل وفى أخراه غير عزيز — وحينما يصدق المرء الحديث مع ذاته يجد أن الحياة الحقيقية تكمن فى الشجاعة فالشجاعة تشبه عصا موسى على المرء أن يقبل ليأخذها بلا خوف من تحولها إلى ثعبان فهذا الثعبان وهم وليس حقيقة — وعلى هذا فالشجاع يفر منه الموت والجبان يتجرأ عليه الموت مراراً لأن الإنسان يحيا بميزان ويتحرك بإصبع الرحمن فلا يحيد قيد أنملة عن الخط المحدد له فالله تعالى خلق الإنسان حراً فى أن يفعل ما يشاء بقدرة خالقها فيه —ومن هذه الناحية نجد الإنسان مسئولا — ويحاسب حساباً عسيراً على عمره فيم أفناه؟ أأفناه بجبنه وتخاذله أم أنه قد أحيا عمره من جديد حين واجه المعارك ضد المستبدين ببأس وتدبر وشجاعة ؟ — الحقيقة — أن الإنسان بشجاعته لايموت وإن قتل — وأن الإنسان بجبنه لن يحيا ولو هرب من الموت «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا» وأن المحتج بقوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» ظنا أن التهلكة هى فى الفرار من مواجهة المستبد قد أخطأ لأن العز هو فى الإقدام على تدمير هذا العابث المستبد .

وظل جمال الدين الأفغانى كما صوره لنا أحمد أمين يحترم إنسانيته الشجاعة بتنزيه للخالق التنزيه اللائق فهو لا يعتمد حقاً إلا عليه « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين » — وهذه الاستجابة — قد تحققت عند الأفغانى حين عود ذاته بأنه لاشىء فى الوجود قادر على جلب النفع أو دفع الضرر إلا بإذن الله تعالى — وأن جمال الدين الأفغانى يصم أذنيه عن دعاوى التخاذل وعدم الأخذ بالأسباب فإن من يستجيب لله عليه أن يتمسك بأسبابه التى قدرها وخالقها وليس هناك تعارض بين دفع الأذى بالتى هى أحسن وبين اللجوء إلى الله بالتضرع والدعاء — فالإيمان والعمل ركنان لايغنى أحدهما عن الآخر والرسول عليه السلام يقول : « الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » — فكيف بالشعوب الإسلامية وهؤلاء أعداؤها يصلونها ناراً تقف غير مستعدة بل متقاعسة متخاذلة بحجة أن هذا قدر لايدفع ومصيبة لاترفع — يتناول جمال الدين الأفغانى

هذا القول بالتفنيد ويبين أن الله لايأمر بالفحشاء أبداً وأن من الفحشاء السكوت على المستبدين الذين يرمون الأمم والشعوب بنيران طغيانهم وجبروتهم فعلى الأمم ألا تسكت على هذا الهوان وعليها أن تدفع عن كاهلها عبء نير هؤلاء المفسدين الذين يفسدون فى الأرض ويقولون إنهم المصلحون — ولكنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون — وهذه المدافعة تتطلب شجاعة قبل أن تتطلب مرونة وسياسة — ومن هنا وجه الخلاف بينه وبين الشيخ محمد عبده تلميذه ثم صنوه بعد ذلك . محمد عبده يريد الإصلاح المبنى على الدين والعلم عن طريق التدرج والمرونة وكسب الخصم — بينما كان جمال الدين الأفغانى حار المزاج حاد التصرف يريد من الشعوب المغلوبة على أمرها أن تثور وتفور وتقضى على المستبدين الذين يريدون لها ألا تستجيب لعزة الدين أو لنور العلم . وقد عرض أحمد أمين منهجيا لهذه المقارنة حين تحدث عن جمال الدين الأفغانى ثم كرر هذه المقارنة حين تحدث عن محمد عبده .

وأن فكرة الإصلاح القائمة على الدين والعلم كما أظهرها أحمد أمين عن الأفغانى وعند محمد عبده قد أظهرها كذلك عن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن الكواكبي .

ومن المعروف أن محور الدين عند المسلمين كلمة « لا إله إلا الله » وقد تمسك بها محمد بن عبد الوهاب مجردة تجريداً كاملا بنفس التجريد الكامل الذى كان عليه الإسلام فى أوله يوم نقل الناس فيه من الشرك إلى الوحدانية فلا بد أن يكون هذا التجريد حاداً حتى لاينزلق العرب بصورة أو بأخرى إلى الشرك الظاهر أو الشرك الخفى — فلما مرت القرون على الإسلام ورأى محمد بن عبد الوهاب هذا المحور للدين الإسلامى وقد لحق به من الصدأ الشيء الكثير بسبب الجهل الذى طم والرين الذى غلف القلوب وجدناه يستند إلى القوة فى تحالفه مع ابن سعود ليعيد للمحور رونقه وللوحدانية تجريدها — وكان المسلمون فعلا فى هذا الوقت محتاجين لهذه الثورة العارمة ضد مظاهر التقديس للحجر والمدر والشجر والإنس والجن والسلطان والجاه حتى ولو لم يكونوا يقصدون هذه الأشياء لذواتها — أفلا يقصدونها لتقربهم إلى الله زلفى ويتصل بمحمد بن عبد الوهاب اتصالا مبنياً على إيمانه بالدين والعلم

كأساس للإصلاح وهو فى إظهاره لتشدده يعدد الأسباب لهذا التشديد ويلخصها فى قوله « كانت العقيدة الإسلامية فى أول عهدها صافية نقية من أى شرك وكانت لا إله إلا الله معناها السمو بالنفس من الأحجار والأوثان وعبادة العظماء وعدم الخوف من الموت فى سبيل الحق »(١) .

ويلح أحمد أمين فى إظهار الأعذار التى دفعت محمد بن عبد الوهاب إلى استخدام القوة فى إعلاء كلمة لا إله إلا الله ولكن أتباعه من بعد أصابهم التشنج فى العصبية التى لا حدود لها حين هدموا قبة الروضة الشريفة وحين حرموا على أنفسهم استخدام السيارات والطائرات والمصاعد الكهربية والهاتف وكل اختراع حديث بحجة أن هذا الاختراع بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار، ولكنهم الآن أقلعوا عن هذا التشنج وركبوا للدنيا كل مركب .

فحين عرض أحمد أمين لفكرته عن الدين والعلم وجدناه يبين أن الدين على علم هو الدين اليسر الذى حث عليه النبى صلى الله عليه وسلم أما الدين المبنى على الجهل فهو الدين الذى يكون صاحبه كالنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

وقد بان هذا واضحاً جلياً فيما كتبه عن مصلح آخر هو عبد الرحمن الكواكبى فى كتابين له هما « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » — فقد عرض أحمد أمين لكتابيه هذين وبين أهم ما فيهما وتعرض لفكرة الدين والعلم التى تقوم عليها مبادىء الإصلاح فمدح عبد الرحمن الكواكبى فى فهمه العميق للشهادة التى توحى بالضعف أمام الله والقوة أمام سواه ويتفق الكواكبى مع محمد بن عبد الوهاب فى أن كلمة لا إله إلا الله التى عز بها المسلمون فى غربتهم الأولى أصبحت الآن كلمة جوفاء لا روح فيها — غير أن الكواكبى يريد أن يعيد لهذه الكلمة قوتها لا فى تحطيم المزارات وهدم الأضرحة فهذه أمور شكلية وإنما يريد أن يعيد إليها روحها فى تمسك المسلم بها أمام استبداد الحاكم والرئيس والمال والنسب فالمسلم إذا قال « لا إله إلا الله » بحقها لم يهب سلطاناً ولا ذا جاه ولا إنسانا مستبداً فالذى يقول

(١) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث — أحمد أمين — مكتبة النهضة المصرية ص ١٦ الطبعة الثالثة .

لا إله إلا الله عليه أن يقولها بقلبه والقول بالقلب غير القول باللسان — فالكلمة من اللسان قد لا تتجاوز طرفه ولكنها فى القلب تهتز لها السموات وتنفطر بها الأرضون — فهؤلاء الذين كانوا يقولونها فى صدر الإسلام كانوا ألفاً يغلبوا ألفين وكانوا لايستعملون إلا الخيل فيهزمون بها الفيلة كانوا بصدورهم يحطمون الحصون ويقتلعون القلاع — كان عبد الرحمن الكواكبي يريد من المسلمين أن يكونوا متفهمين للدين هذا الفهم القائم على العلم حتى تعود إليهم عزتهم ويتمكنوا من القضاء على الاستبداد الذى جعل اللبن يجف فى الضرع والخصب يكف فى الأرض والمروءة تختفى فى الإنسان الذى تنقلب عنده الفضيلة إلى رذيلة والرذيلة إلى فضيلة .

ثانيا ـ الشورى :

وهذه الفكرة الديمقراطية التى يبنى عليها الإصلاح مستمدة أيضاً من الإسلام وقد حكى الله تعالى فى القرآن الكريم أن بلقيس كان لها مجلس شورى « ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون » وبلقيس وهى تحكم مملكة مزدهرة — إنما بنى ازدهارها على هذه الشورى وعلى هذا الأساس وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد للمسلمين أن تزدهر أحوالهم قد رباهم على هذه الروح — وهو الرسول الأمين مثال ذلك ما حدث فى غزوة بدر حين غير خطته التكتيكية بناء على مشورة أحد الصحابة وفى غير هذا الموقف نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه — وقد أدبه ربه فى هذا المجال مما كان له أثره فى قيام دولة الإسلام أولا ثم ازدهارها ثانياً نجد هذا واضحاً فى قوله تعالى « وشاورهم فى الأمر » «وأمرهم شورى بينهم » — فلما ترك المسلمون هذه الخطة خطة الشورى واستبد حكامهم بهم ولم يقل الشعب للظالم « لا » ولم يضربوا على يديه تفككت الدولة الإسلامية — وقد سار بنا أحمد أمين ووضع أيدينا على هذه الفكرة فيما كتبه عن زعماء الإصلاح وبين أن هؤلاء الزعماء أرادوا أن تستفيد الشعوب الإسلامية من مبدأ الشورى وعليها أن تطبقه وعلى الحاكم أن يؤسس مجالس الشورى المنتخبة من أفراد الشعب — ولن يقوم هذا الأمر إلا إذا تكون الرأى المستنير — وهنا ترتبط هذه الفكرة الثانية بالفكرة الأولى — فلن تقوم هذه الاستنارة إلا بالعلماء الذين لا يمالئون الحكام على حقوق الشعوب

وقد أظهر أحمد أمين هذا فى عهد المصلح خير الدين التونسى الذى وجدنا الباى فى عهده يعاونه بعض المتملقين فى مناهضة روح الشورى التى كان يدعو إليها هذا المصلح التونسى .

ومبدأ الشورى لايكتفى بترديده وذكره من غير تطبيق — وإلا كان كالطبل الأجوف يسمع دويه ولا يغنى هذا الدوى شيئاً .

فتطبيق الديمقراطية هو الغاية من الشورى التى يأمر بها الدين ويجليها العلم ويحرسها أولو الأمر وهم العلماء والحكام .

وأن الشورى تنبع من القاعدة كما تنبع من ولاة الأمور ولا أقول القمة والقاعدة إذ أن الناس فى الإسلام سواسية كأسنان المشط — وعلى هذا فاذا ذكرنا القاعدة فاننا نقصد القمة وإذا قلنا القمة فاننا نقصد القاعدة — وأعجب — من رحلة هؤلاء المصلحين إلى أوروبا ثم حينما يتحدثون عن شيء رأوه كأنه جديد عليهم .

ألا وهو رأوه الشورى ، فالشورى كما ذكرنا قديمة قد حث عليها الإسلام وبين القرآن أن الأمم المزدهرة كانت تدين بهذا المبدأ .

ذهب مدحت باشا إلى أوروبا فرأى مبدأ الشورى مطبقاً وحينما تولى رئاسة الوزراء وصار صدراً أعظم فى الدولة العثمانية رأى أن يطبق ما رآه فى أوروبا — فعارضه السلطان كما عارضته حاشية السلطان — ولو أن مدحت باشا قد ذكر الشورى على أساس أنها من الشرق أصلا وليست مبدأ مستورداً لما خاف السلطان ولما خافت حاشية السلطان فان داء هؤلاء السلاطين كان فى خوفهم من صدى الثورة الفرنسية التى تفجرت فى أواخر القرن الثامن عشر وظهرت آثارها سريعاً فى القرن التاسع عشر — فاذا كانت الشورى فى أوروبا قد تحدث عنها أصحاب الأقلام فى فرنسا كمونتسكيو وجان جاك روسو وفولتير كشيء ابتدعوه — فانها فى الشرق كانت موجودة كأساس وقاعدة ولكن أكلها الحكام باستبدادهم ونسيها أفراد الشعب بجهلهم ولذلك حينما ذهب مدحت باشا المصلح التركى وأمثاله إلى أوروبا وجدنا الدهش يستغرقهم كأنهم رأوا شيئاً جديداً مبتكراً لم يعرف فى الشرق من قبل بينما نجد أن هذه الشورى قد نبعت فى الشرق وشجع عليها الدين ورفع لواءها العلم .

وقد ألح أحمد أمين على هذه الفكرة كثيراً فبين أن زعماء الإصلاح طالبوا بها وقد تعرضوا من جرائها لألوان العذاب والتشريد فها هو سلطان فارس ينكل بالأفغاني وها هو الخديو توفيق ينكل بمحمد عبده — وها هو باى تونس سام خير الدين باشا الخسف وقد لاقى عبد الله النديم من الهوان على أيدى الحكام المستبدين فى مصر على طول فترة حياته القصيرة ولم ينج من هذا العذاب إلا على باشا مبارك الذى كان يدعو إلى الإصلاح فى هدوء وتؤدة كصنوه أحمد خان فى الهند .

وقد وضح أحمد أمين الحاكم الذى لا يأخذ بمبدأ الشورى إنما هو مستضعف نفسه كما هو مستضعف لشعبه فهو يخاف من نفسه التى ضعضعتها الأخطاء ولم يبق لها إلا كيان ممزق كذلك هو يخاف من الشعب الذى إذا حاسبه عزله — ومن ثم قام هؤلاء المصلحون بدعوة الحكام أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ويزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليهم كما أنهم وجهوا كلماتهم إلى الشعوب كى تقوم من غفوتها وتصحو من رقدتها ولا يمكن لمفكر مثل أحمد أمين أن يتحدث عن أفكار الإصلاح إلا وهى قائمة بذاته أيضاً ففكرة مثل فكرة الشورى لايدعو إليها كفكرة وقتية تنتهى مع المصلح الذى ينادى بها — ولو كانت دعوة المصلح الذى يكتب عنه أحمد أمين مقتصرة على حياته لما تكلم بهذه الحرارة التى نشعر بها شعوراً قوياً بين طيات السطور التى يخطها .

ثالثا — الاتحاد :

أشار أحمد أمين كثيراً إلى هذه الفكرة ، فكرة الاتحاد التى نادى بها هؤلاء المصلحون فى بيئاتهم ومجتمعاتهم ، وقد اختلفت فكرة الاتحاد عند المصلحين الذين كتب عنهم أحمد أمين حسب البيئات التى يعيشون فيها ، فأمير على وأحمد خان يعيشان فى الهند التى تتوزعها المعتقدات والمذاهب ، ماذا يفعلان ؟

رأى أحمد خان أنه يجب أن تكون الهند أمة واحدة وهى أم لكل من المسلم والهندوكى على السواء ، وقد عارض فكرة تقسيمها لا كرجل سياسى فهو من أبعد ما يكون عن السياسة وإنما هو قد دعا رجال السياسة إلى أن ينبذوا فكرة التقسيم وأن يعيش الجميع فى وئام يظللهم وطن واحد هو الهند .

ولم نجد عند أمير على أية فكرة تخالف ما دعا إليه أحمد خان من الاتحاد والوئام بين سكان الهند وكان من أهداف جريدة العروة الوثقى التى أسسها جمال الدين الأفغانى (وله الأفكار والمعانى) ومحمد عبده (وله التحرير والصياغة) ١٨٨٤ تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية وأن الاتحاد لا يكون بين الأفراد فى الأمة الواحدة فحسب ولكن أيضاً يجب أن يكون هناك اتحاد بين الدول الإسلامية فى السياسة الخارجية وفى تطبيق الشريعة الإسلامية وأن فكرة الجامعة الإسلامية التى أرادها جمال الدين الأفغانى إنما لكى تكون فى الحدود التى ذكرناها – اتفاق بين الدول الإسلامية فى السياسة الخارجية مع استقلال كل دولة تحت إمرة حاكم يخضع لرأى الشعب – وجعل القرآن الكريم المصدر الأصلى والأساسى للتشريع فى الدول الإسلامية .

وما من مصلح إلا وهو يقول إن اتحاد الدول الإسلامية لا يعنى نبذ الأقليات – بل إن الجميع ألحوا على الفكرة التى توضح أن سيطرة الإسلام على الأمور فى الدول الإسلامية إنما هى فى واقع الأمر رفع لشأن هذه الأقليات – وضربوا أمثلة لذلك من التاريخ القديم ومن المقارنات ومن الدراسة العميقة للإسلام وللأديان الأخرى .

فالإسلام دين ودنيا وغيره من الأديان يتصل بالعقيدة فحسب من حيث هى ارتباط بين العبد والرب – وعلى هذا فالإسلام ضد العصبية الدينية « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وضد العنصرية « خلقكم من نفس واحدة » وأسماء الله الحسنى فى الإسلام يتصل معظمها بالرحمة والمغفرة والكرم – وعلى هذا فان الاتحاد بين أهل الإسلام يجب أن تكون قوته الرحيمة لخدمة المثل العليا « تخلقوا بأخلاق الله » وإن رجال الدين الذين صدروا أنفسهم للإرشاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد أساءوا كثيراً حين كانت دعاويهم نذراً وليست بشريات فالمسلمون لكى يتحدوا عليهم أن يتحدوا والبشر يعلو رايتهم وحسن الظن بالله يحسن عملهم وعلى زعماء الإصلاح أن ينصحوا باللين والرفق وأن يزيلوا المنكر بصفاء القلب ونقاء الدعاء فالمسلمون حينما يتحدون للخير ولا يتحدون للشر « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ولن يتم تحقيق هذا

لزعماء الإصلاح عند أحمد أمين – إلا بأن يكون المصلح منشرح الصدر أو بمعنى آخر متسع النفس واتساع النفس لا يكون إلا بدوام الاطلاع والاستزادة من العلم – وهكذا تكون دعوة الاتحاد قائمة على الأسس التالية عند زعماء الإصلاح الذين ترجم لهم أحمد أمين :

أولا : الاتحاد لخير المسلمين العام وهذا لا يتنافى مع خير الغير .

ثانياً : قد لا يكون الاتحاد إدماجاً للحدود أو إزالة للفوارق ولكن يجب أن يكون توحيداً للسياسة الخارجية وسقيا من منبع واحد هو القرآن الكريم .

ثالثاً : القضاء على ما يتقول به محرضو الأقليات فى البلاد الإسلامية – فالإسلام هو أكبر قوة دينية يحتمى تحت ظله كل إنسان يحترم إنسانيته – بل ان كثيراً من الدول التى تدعى أنها تحترم حرية العقيدة إنما تقول بهذا فى الظاهر ولكنها فى حقيقة الأمر تضطهد المخالفين لهم فيما يعتقدون .

رابعاً : وحدة النظم التعليمية – فلم يكن هناك دواع فى مصر مثلا لإنشاء نظام مدنى بجانب النظام الدينى الممثل فى الكتاتيب والأزهر بل كان من الواجب أن يرتقى النظام التعليمى القديم ويتطور لا أن يخلق نظام جديد وأن الأوربيين حينما نهضوا لم يلغوا نظم تعليمهم القديمة بل ارتقوا بها وطوروها .

خامساً : اتحاد النظم الاجتماعية ويتمثل فى الوحدة بين أصغر مواطن وأكبر مواطن فى نظام الحياة الاجتماعية فكان من الواجب أن نرى الريفى يماثل ساكن المدينة فلا نأتى إلى ساكن المدينة مثلا ونطور حياته الاجتماعية ثم ننسى الفلاح .

وهكذا كان من الواجب أن نجد التوحيد أنسب رداء لمن دينه يقوم على التوحيد .

رابعا – التربية :

هذه الفكرة فكرة التربية قد عشقها زعماء الإسلام حتى أنهم لم يجعلوا دعوتهم للعلم لمجرد المعرفة والتثقيف فحسب – إنما جعلوا هذه الدعوة أيضاً للتربية – فالإنسان الذى يتثقف ويتعلم ولم يترب فليست له قيمة ، كما أن قدرته لخدمة المجتمع قدرة ضئيلة لأنه كأنموذج لايصلح أن يقود نفسه بله أن يقود غيره .

ومن هنا دعا أحمد خان المصلح الهندى المعروف بجعل التربية الأساس الأول فى نهضة الشعب المسلم وكثيراً ما كان يضرب الأمثلة المأخوذة من الأمم المتحضرة مثل إنجلترا وذكر أن السر فى رقيها ليس فى العلم فحسب ولكنه راجع أساساً إلى التربية .

وقد أعجب أحمد أمين كثيراً بهذه الفكرة التى تبناها زعماء الإصلاح — ولم يكن زعماء الإصلاح هؤلاء رجال حرب بل كانوا رجال سلم فلم يلجأوا إلى السيف فى إصلاحهم وإلا كان قد ترجم لأمثال الأمير عبد القادر الجزائرى أو لعمر المختار أو لأحمد عرابى — أو لمحمد على السنوسى أو لمحمد أحمد المهدى — فكل هؤلاء كانوا رجال إصلاح ولكنهم كانوا رجال حرب أيضاً ، والحرب من أبعد ما يكون عن التربية مهما كانت الأسباب والدوافع إليها . وعلى ذلك فقد اهتم كثيراً بأمثال أحمد خان وأمير على وعبد الله النديم بل أنه اهتم بأداء الأول فى التربية كأساس فى نهضة الشعب وأبرز هذا الاهتمام فيما قاله أحمد خان : « إن الطفل فى مدارس إنجلترا يتربى ويتثقف ، وأما فى مدارس الهند فيتعلم وشتان بين التربية والتعليم »(1) .

وقد جعل أحمد خان الأخلاق والآداب والدين أساساً لتربية المسلمين فى الهند وقد وافقه السيد أمير على فى هذه المبادىء كأسس للتربية إلا أنه أضاف إليها علاج الشئون السياسية ، بينما وجدنا عبد الله النديم فى مصر يدعو إلى تربية الشعب عن طريق الصحف والمجلات يدبج فيها المقالات والقصص ممارساً فيها الأمثال وعاقداً للمقارنات حتى ينشأ الشعب وهو على وعى بما قد يجره التقليد الأعمى — لأوربا من ويلات ومآس . أما عبد الرحمن الكواكبى فقد ظهرت فكرة التربية عنده واضحة فى كتابه « أم القرى » ، فهو قد أراد أن يربى الشعب المسلم بصفة عامة عن طريق معالجة الفتور الذى أصابه بسبب العقيدة الجبرية التى جعلت المسلمين أمواتاً قبل أن يموتوا ، وبسبب فقد العدل وتقريب الحكام للمدلسين المنافقين وبسبب انتشار الجهل .

---

(1) زعماء الاصلاح ص ١٣٩ .

وكان لمدرسة الشيخ محمد عبده فى مصر أثر كبير فى تقويم الأمة على أساس من العقل والتدبير والأناة والتدرج فى الإصلاح .

وقد وضح كثيراً أن التربية لا يقتصر غرسها على أثر البيئة المنزلية وإنما أيضاً نجد أن المدرسة ملزمة بغرس مبادىء التربية وكذلك فان الجامعة ملزمة بذلك كما وضح ذلك فى عمل أحمد خان المصلح الهندى حينما بين أن الجامعة عليها أن تربى النشىء كما أن عليها أن تعلمهم .

وأن من أصول التربية أن تطلق للأمة حريتان حرية الفرد وذلك بأن يتصرف فى نفسه وماله بأمان وبمساواة مع غيره من أبناء جنسه من غير أن يؤذى نفسه أو غيره — والحرية السياسية وذلك بأن يشارك الشعب فى الحكم والتشريع والقول .

وقد أضفى أحمد أمين من نفسه على هذه الفكرة فكرة التربية كأساس من أسس الإصلاح حقاً أنه يتكلم عن هذه الفكرة وينسبها إلى من يترجم لهم ولكن الفاحص المدقق يلمس تحمسه الشخصى لها فكأنه هو صاحبها .

خامسا — تطوير القديم لا هدمه :

إن أحمد أمين حاول أن يبرز أفكار زعماء الإصلاح على أساس أنهم متشبعون بالإسلام ومتحمسون له ، كما أنهم يؤمنون بأن الدين الحنيف خير ركن تقام عليه المدنية الحديثة وأن الذين يظنون أن المدنية تتنافى مع الدين مخطئون بل ومضلون فالإسلام فى الأساس دين الحضارة والرقى وأنى ليبين أن العقل هو أساس الحياة الإنسانية ومن ثم فانه جعل حياتنا التى نحياها حياة أسباب ولا يمكن لأحد أن يتقدم إلا إذا تحرك فالحركة بركة والجمود موت وعلى هذا فانه لا يصح لنا لكى نبنى حضارتنا الحديثة أن نهدم القديم المتمثل فى القيم التى ورثناها والحضارات التى عشناها .

ثم يكمل أحمد أمين هذه الفكرة ويبين من ثنايا السطور التى كتبها أن فصل الدين عن الدنيا فى تمدين التعليم كان من الواجب على أهل الحل والعقد فى الأمة الإسلامية أن ينظروا لأوروبا فى تمدنها الحديث وكيف أنها طورت التعليم عندها وكان لاهوتياً صرفاً ومزجت به التعليم المدنى الحديث ولكن فى الشرق الإسلامى وجدنا

نظامين للتعليم أحدهما النظام القديم الذى لم يتطور وهو نظام الكتاتيب ، ثم نشأ نظام آخر للتعليم الحديث المتمثل فى المدارس المختلفة المنفصلة عن الدين انفصالا كاملا ، فالذى أباه الأوروبيون على أنفسهم فى بلادهم من إقامة نظامين مختلفين للتعليم رموه للأمة الإسلامية حين أرادو أن يحاربوا الإسلام وذلك بأن يجعلوه يرتدى زياً مخالفاً لجوهره — ومن ثم فقد فصلوه عن الدنيا وجعلوا لها علماً وللآخرة علماً وهذا الفصل مخالف للإسلام فليس هناك تعليم مدنى إلا والإسلام يحث عليه ويبينه وليس هناك علوم للدنيا وعلوم للآخرة وعلى هذا فإن فصل التعليم الدينى فى مصر مثلا المتمثل فى كون الأزهر جامعة مستقلة بالتعليم الدينى وبعده عن الجامعات الأخرى أخر التعليم الدينى أولا وأخر الأشخاص الذين التزموا بهذا التعليم ثانياً — كان هذا فى أيام أحمد أمين — أما الآن فقد امتزج التعليمان الدينى والمدنى فى الأزهر وتحقق ما كان يدعو إليه زعماء الاصلاح من تطور القديم وعدم هدم وبناء قصر الحضارة الشامخ وفيه يمتزج القديم بالحديث من غير تنافر أو تضاد ولكن باتحاد وتلاؤم .

ولم يبد على الإطلاق من خلال عرض أحمد أمين لأفكار زعماء الإصلاح أن أحداً منهم رأى أن يهدم القديم ليبنى بدلا منه الجديد — بل إنهم جميعاً اتخذوا من القديم الصالح أساساً يبنون عليه بعد أن طوروه وأنشأوه خلقاً آخر .

هذه هى الأفكار الخمسة الأساسية التى بدت كأسس استخلصها أحمد أمين لكى يقيم عليها المبادىء التى نادى بها زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، وهى أفكار كما ترى لا تخرج عن جوهر الإسلام وقد عالجها أحمد أمين معالجة يبدو فيها نوع من التسلط لشخصيته على شخصية هؤلاء الزعماء ، وهذا التسلط ليس فيه من خروج إلا إذا كان هنا تغيير لمعالم الشخصية التى يتحدث عنها المؤلف ، والملاحظ أن أحمد أمين فى تحمسه لهذه الأفكار قد بين أن هناك التقاء فكرياً بينه وبين زعماء الإصلاح فليست المسألة إذن نتاج تسلط شخصية المؤلف فحسب ولكنها أيضاً نتاج امتزاج وتألف بين أحمد أمين والذين أعجبوه من شخصيات زعماء الإصلاح.

أما من ناحية المنهج الخاص والمتصل بالتعبير والتصوير والتخطيط والتفكير فقد وجدنا أحمد أمين فى أسلوبه يتسامى إلى درجة تخاله فيها قد ارتدى زى الشعراء

فى حديثه عن هؤلاء المصلحين ، ها هو يتحدث عن جمال الدين الأفغانى فيقول « ولكن أحياناً تنقشع عنه سحابة اليأس ويعود إلى أمله فى الشرق والمسلمين ويعود إلى ذكر الداء والدواء والأمل فى العلاج ككل النفوس البشرية تتردد بين الحزن والسرور واليأس والأمل وكالطبيعة تتردد بين الصحو والغيم والإرعاد والابراق ثم الإشراق »(١) .

فكما أن صوته فيه من الطبيعة هدوؤها ووقارها إذا سكنت وهدأت فكذلك فيه من الطبيعة جلجلتها ورعودها إذا زمجرت وعصفت إلا أن الهدوء أكثر التصاقاً به من العنف والثورة وهو فى هذا يشبه الأنموذج المصرى الخالص المتسم بالهدوء كطبع الحليم ولكن حذار من إغضابه واتق غضبة الحليم .

ونجد أحمد أمين فى بعض الأحيان لا يرتفع بالمستوى الفنى العالى فى أسلوبه ولكنا لا نستطيع أن نقول عنه أنه يسف .

مثال عدم الارتفاع بالمستوى الفنى العالى قوله عن تونس فى حديثه عن خير الدين باشا التونسى « وأما إدارة البلاد ففوضى ، أى فوضى الحاكم بأمره ، أحب الناس إليه من يجمع له المال حله وحرامه ولا ضبط فى دخل ولا خرج والعدل والظلم متروكان للمصادفات ، فان تولى بعض الأمور عادل عدل وكان العدل موقوتاً بحياته وقلما يكون » .

ونظام القضاء والجيش والإدارة والضرائب وجباية الأموال وانفاقه على النمط العتيق البالى وكثير من الأمور تنفذ بالأوامر الشفوية لا مرجع لها ولا يمكن الحساب عليها(٢) .

قد يقال أن الموضوع يفرض على الكاتب نهجاً معيناً فى أسلوبه فكيف يستطيع أحمد أمين أن يتلاعب بعواطف القراء ما دام يكتب عن موضوع يتصل بجباية الأموال والعدل والضرائب ؟ فأقول إن المطلوب من الكاتب الأديب ألا يتلاعب بالعواطف دائماً بل عليه أن يوقظها ويملك عليها أنظارها وأحمد أمين فى المثال

(١) زعماء الاصلاح ص ١١٠ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٤ .

الذى ذكرناه لم يلعب بالعواطف ولم يوقظها وتحدث بأسلوب تقريرى كأنه مؤرخ ومؤرخ فحسب .

كذلك فان أحمد أمين وقد تزاحمت الأفكار لم يعبر عنها بثوب فضفاض من الألفاظ بل إنه يستعمل اللفظ على قدر المعنى وهو أقرب إلى الإيجاز والمساواة منه إلى الاطناب ، فكان بعيداً عن الجاحظ فيما احتفل به من الاطناب والتكرار والفضفضة .

وهذا الأسلوب الذى يتميز به أحمد أمين يناسب العصر الحديث الذى نحياه فنحن فى عصر السرعة الذى لا يتحمل التعمل فى اللفظ أو التزيد فيه بل إن الأفكار التى يعبر عنها بالصور كادت أن تتغلب على الأفكار التى يعبر عنها بالكلمات وذلك أن الصورة لا تخفى على الأمى أو القارىء على حد سواء بينما الكلمة لا يتبينها إلا القارىء ولولا أن المصور فى هذا العصر يعتمد أساساً على الكلمة لما بقى للكلمة هذه المكانة التى لا تعلو عليها مكانة ويلجأ أحمد أمين كثيراً إلى أسلوب المقارنة فى زعماء الإصلاح فنجده يقارن بين أحمد خان وبين أمير على ويقارن بين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده كما أنه يعمد إلى أن يشير إلى ما بين الأفغانى وعبد الله النديم من مقارنات مثل ذلك قوله « إذا دعا السيد جمال الدين إلى الإصلاح شعر بأنه يخطب الناس من أعلى مكان يشرف عليهم وهو غضوب وقور ، وإذا دعا النديم شعر بأنه واقف فى وسطهم يضحك له ويضحك منهم ويصلحهم ولهذا كان جمال الدين جليلا يسمع لقوله فى رهبة وخشية وينصح الناس وكأنه يضربهم بالسياط وكان النديم محبوباً يقابل بالابتسام ويقبل قوله فى فرح ومرح ولذلك كان أسف الناس فى مصر على فراق النديم أكثر من أسفهم على فراق جمال الدين لأن سؤدد جمال الدين فى الخاصة وسؤدد النديم فى العامة »(١) .

وقد كشف أحمد أمين عن شعبيته بمثل هذه المقارنة وإن كان قد أسرف فى ذم وقار الأفغانى وتساميه كأن الشعبية لا تتم إلا بخلع ثوب الوقار والتسامى وارتداء ثياب التبهرج والخفة .

ومن المقارنات التى ظهرت فى زعماء الإصلاح وضغط عليها أحمد أمين

(١) زعماء الاصلاح ص ٢٦٠ .

ما وجدناه عنده من مفاضلة بين أديب إسحق وبين محمد عبده وقد قال عن أسلوب أديب إسحق إنه أقوى من أسلوب محمد عبده كما أنه كان أكثر جرأة منه فى الدعوة للحرية الشخصية بدون حدود بينما كان محمد عبده يطالب بالحرية الشخصية بقيود حتى لا يسقط ممارسها فى الخمر والقمار وهتك الحرمات .

وأن أديب إسحق مثالا للشخص الذى أسرت على نفسه فى هذه الحرية الشخصية التى مارسها وجنت عليه حين أتلف روحه بترديه فى مجالات الشهوات والشراب ، بينما كان محمد عبده مثالا لمن قصد فى الحرية الشخصية والتزم بحدود الدين والورع . وقد التزم أحمد أمين فى منهجه الخاص حين تناول زعماء الاحتلال بالنقد والتحليل جانب إبراز شخصيته إما من وراء ستار كما وضحنا ذلك فى دراستنا للأفكار التى بنى عليها زعماء الإصلاح إصلاحهم ، وإما أمام الستار حين تحدث عن عبد الله النديم فوجد سبيلا إلى التحدث عن عمره حين كان صبياً صغيراً . وحين تحدث عن الشيخ محمد عبده تكلم أيضاً عن أستاذ كان يخص النساء بدرس من دروسه فى الجامع الأزهر ومع أن هؤلاء النسوة كن عاميات أميات فان هذا الأستاذ كان يقول لهن أثناء تدفقه فى البيان والتبيين « لم حذف المسند إليه ؟ » ويقول أحمد أمين معلقاً « فيكون الكلام كتلاوة اللاتينية لمن لم يعرف كلمة لاتينية أو خطبة الجمعة بالعربية لأتراك لم يعرفوا شيئاً من العربية »(١) .

ومع إشفاق أحمد أمين على آراء هؤلاء المصلحين من أن تتهاوى تحت مطارق النقاد فانه إذا رأى أن بعض هؤلاء المصلحين قد أصابهم الخور أو أنهم قد التزموا الخور خوفاً من بطش الحكام فانه لم يقف بجانبهم ولم يرع لهم عذراً — كما فعل مع على مبارك حين اعتزل الثورة العرابية(٢)— ولم يقف بجانبها . وكذلك حين فعل مع محمد عبده حين تخلى عن أحمد عرابى بعد فشل الثورة العرابية فى القصيدة المشهورة التى بدأها بقوله :

مالى يعنف قلبى من تناغيه   دهر يبالغ فى عنف وفى تيه

---

(١) زعماء الاصلاح ص ٣٠٤ .

(٢) نصيحة أحمد العوام والعلاقة بين العرابية والمهدية « دراسة وتحقيق الدكتور محمد رشدى حسن » .

وكذلك فقد لام أحمد أمين الزعيم الهندى أحمد خان حين لم يشارك الشعب الهندى فى ثورته التى قام بها ضد الإنجليز المحتلين ١٨٥٧ .

وهكذا وضع أحمد أمين فى كتابه « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » منهجاً عاماً التزمه فى تحديد معالم شخصياته عن طريقة التأمل والتحليل واستخلاص النتائج ثم تركيبها مرة أخرى بحيث يتيح للمتتبع أن يصل بالمقدمات إلى النتائج ، أما من يحاول إلى الوصول إلى النتائج مباشرة دون الاعتبار بالمقدمات فانه يضل الطريـــق .

أما من ناحية المنهج الخاص الذى سلكه أحمد أمين وإن كان قد التزم التعبير التقريرى عن كثير من الأفكار إلا أن جودة التصوير لم تخطئه .

وهو فى ترجمته لزعماء الإصلاح قد حلل أكثر مما ركب وكرر أكثر مما يجب وذلك لرغبته فى تجلية الموضوع المتصل بالمبادىء العالية التى يحتاج المرء إلى تذكرها دائماً ولن يتاح له هذا إلا بالتكرار والتحليل .

كذلك فان المتتبع لكل ترجمة على حدة يجد أن أحمد أمين لا يستهلها الاستهلال العادى بأن يذكر تاريخ الولادة ثم الاسم والبيئة والمنشأ والتعليم وبعد ذلك يؤرخ لحياته وهو فى سن الصبا والشباب وبعد ذلك ينهيها بشيخوخته وتاريخ وفاته هذه المترجمات ترجمات ميتة لا يعنى بها أحمد أمين(١) ولا يسير على نهجها بل إنه يدخل كما أشرنا من قبل إلى الموضوع مباشرة فيحدثنا عن أهم فكرة فيه ويظل معها حتى يسلمنا إلى فكرة غيرها فهو ينتقل بنا ومعنا من فكرة إلى فكرة ، فإذا جاءت الأمور السابقة العادية فانها تأتى عرضاً فى سياق الحديث وإن جاءت عمداً فإنها لتخدم الموضوع ذاته وتخدم أفكاره ونختم هذا الفصل برأيه فى منهجه وطريقة تناوله للأفكار ، يقول «ومزاجى فلسفى أكثر منه أديباً حتى فى الأدب أكثر مايعجبنى منه ماغزر معناه ودق مرماه فيعجبنى الجاحظ وأبو حيان التوحيدى وابن خلدون أكثر مما يعجبنى الحريرى والقاضى الفاضل والصاحب بن عباد وطريقته والعماد الأصفهانى ومدرسته ويعجبنى

---

(١) فيض الخاطر جـ ٢ تراجم « الرجال فى الأدب العربى » .

المتنبي لولا إغرابه أحياناً والمعرى لولا تعالمه وأفضلهما على أبى تمام وتقعره ولا يعجبنى من البحترى إلا قصائد معدودة ولا يهتز قلبي لأكثر شعراء الطبيعة فى الأدب العربى لبنائه على الاستعارة والتشبيه لا على حرارة العاطفة ولهذا كان لى ذوق خاص فى تقدير الأدب فضلت اتباعه مجتهداً ، ولو كنت مخطئاً على تقليد غيرى فى تقديره ولو كان مصيباً » (١).

(٢) حياتى ص ٣٤١ .

المراجع والمصادر العربية

١ – فن السيرة . الدكتور إحسان عباس

٢ – أحمد أمين بقلمه وقلم اصدقائه .

٣ – إلى ولدى .

٤ – زعماء الإصلاح فى العصر الحديث .

٥ – حياتى . الدكتور أحمد أمين .

٦ – علمتنى الحياة .

٧ – فيض الخاطر .

٨ – مناهج بحث . الدكتورة بنت الشاطىء .

٩ – محاضرات عن أحمد أمين . الدكتور زكى المحاسنى

١٠ – مور وطريقة التحليل . الدكتور زكى نجيب محمود .

١١ – الترجمة الشخصية . الدكتور شوقى ضيف .

١٢ – فن السيرة الأدبية ترجمة صدقى خطاب المؤلف ليون أدل .

١٣ – شخصيات عربية . صديق شيبوب .

١٤ – الأيام . الدكتور طه حسين .

١٥ – تجديد التفكير الدينى فى الإسلام تأليف محمد إقبال ترجمة عباس محمود .

١٦ – بين الكتب والناس .

١٧ – ساعات بين الكتب . عباس محمود العقاد .

١٨ – النقد التاريخى . ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى .

١٩ – صور من وحدة الفكر العربى . الدكتور عبد المجيد عابدين .

٢٠ – المناهج .

٢١ – السيرة تاريخ وفن . الدكتور ماهر حسن فهمى .

٢٢ – نصيحة أحمد العوام . الدكتور محمد رشدى حسن .

٢٣ – منهج البحث فى الأدب واللغة تأليف لانسون ومابيه ترجمة الدكتور محمد مندور .

مصر وبريطانيا فى اوائل الحرب العالمية الثانية

(اغسطس ١٩٣٩ — يونيو ١٩٤٠)

(وزارة على ماهر)

دكتور محمد جمال الدين على المسدى

العلاقات بين على ماهر والجانب البريطانى :

إن خطر الحرب الذى بدأ قريباً عام ١٩٣٥ قد دفع الجانبين المصرى والبريطانى إلى عقد معاهدة ١٩٣٦ ، تلك المعاهدة التى قصد بها تسوية الخلافات بين البلدين ووضع أساس لعلاقات جديدة بينهما . وقد أقامت المعاهدة تلك العلاقات على أساس التحالف .

كان الغرض من التحالف بالنسبة للجانب المصرى الحصول على تعاون بريطانيا فى الدفاع عن مصر فى مواجهة خطر ماثل هو أطماع إيطاليا ، وكان بالنسبة إلى الجانب البريطانى إقامة قاعدة عسكرية بريطانية فى مصر وتأمين وجودها وفعاليتها بضمان مساعدة الجانب المصرى وتعاونه(١) .

وشهدت الفترة بين توقيع المعاهدة وقيام الحرب العالمية الثانية تطوراً وتبلوراً فى الأهداف . وبالتالى فى الالتزامات التى تترتب على التحالف . استقر الجانب البريطانى على أن مصر ملتزمة بدخول الحرب إلى جانب بريطانيا . وكان يرى أن يدخلها الجيش المصرى كحليف تحت القيادة البريطانية(٢) .

أما فى مصر فاختلف موقف القوى السياسية : اتفق الجميع على أن تقوم مصر

ملحوظة : .F. O تشير الى وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة فى دار الوثائق البريطانيــة فى لندن

(١) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٤١٤ .
محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ . أنظر النص الكامل للمعاهدة فى
Mahmud y. Zayid, Egypts struggle for independence, Beirut 1965, pp.189—228.

(٢) Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F. 0.407/222 .
Wilson, H.M., Eight years overseas, London 1950, p. 19.

بالدفاع عن نفسها . لكنهم اختلفوا فى التزامها تجاه بريطانيا فى حالة عدم وقوع هجوم عليها . رأى البعض عدم تورط مصر فى صراع لا يمس مصالحها . وتعديل المعاهدة بما يقلل من التزاماتها ، وعبر عن هذا الرأى إسماعيل صدقى باشا . ورأى فريق آخر أن تقتصر مصر على الوفاء بالتزامات المعاهدة لا تعدوها ، أى مساعدة الحليفة داخل مصر ، مع السعى إلى انتزاع باقى الأمانى الوطنية منها فى مقابل هذا . كان هذا رأى الإخوان المسلمين ، ويغلب أنه كان اتجاه الوفد ، وفريق من الأحرار الدستوريين والسعديين . وهناك فريق ثالث استقر رأيه بعد تردد على أن تشمل مساندة الحليفة دخول الحرب إلى جانبها . ومن هؤلاء أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ومنهم فريق من السعديين والأحرار الدستوريين على رأسهم أحمد ماهر ومحمد محمود ، وكانوا يذهبون بعيداً إلى حد قبول التزامات خارج مصر تحت لواء حلف سعد أباد(١) .

أما الملك فقد عبر لامبسون مراراً عن رضائه عن موقفه من التحالف ، لكنه لم يكف عن التعبير عن مخاوفه من وجود إيطاليين فى الحاشية وفى وظائف السراى وعلاقة فاروق الوثيقة بهم ، ومن ميول السراى اللاتينية(٢) .

شهدت تلك الفترة أيضاً قلق لامبسون وجهوده للحفاظ على سلامة الجبهة الداخلية وتعاون المصريين مع بريطانيا كضرورة لضمان سلامة وفاعلية قاعدة بريطانيا العسكرية فى مصر . كان يخشى — فى هذا المجال — الدعاية الإيطالية الألمانية ، وسياسة مصر الإسلامية والفلسطينية ، وسوء الحالة الاقتصادية وضعف الكفاءة الإدارية ، ومن أهم ما كان يراه علاجاً لذلك زيادة قوة بريطانيا العسكرية تقوية لنفوذها وتمكيناً لهيبتها ، والتدخل السياسى . يحكم التدخل السياسى ظروف ما بعد المعاهدة ومدى استعداد الحكومة البريطانية لمواصلة التدخل حتى يبلغ غايته ، بالإضافة إلى صلات السفير البريطانى مع مختلف أطراف اللعبة السياسية فى مصر .

---

(١) عبد العظيم رمضان ، الحركة الوطنية ، فى مصر بين ١٩٣٦ — ١٩٤٤ ، رسالة غير منشورة قدمت إلى جامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه ، ص ٢٩٥ — ٣٠٥ ، محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ١٤٤ — ١٥٠ . سيشار إلى هذا الجزء بعد ذلك باعتباره « المرجع المذكور » .

(٢) Lampson to Halifax, No 510 secret, 6 maj 1938, F.O. 407/222, and No. 560, 12 May 1939, F(O. 407/223.

حكمت سياسة التدخل فى الفترة السابقة لقيام الحرب وبعد إقالة وزارة النحاس تعليمات الحكومة البريطانية فى أوائل ١٩٣٨ بقصرها على ما يمس المصالح المباشرة لبريطانيا ، أى تضييق نطاق التدخل(١) .

أما صلات السفير ، وهى الوسيلة السياسية المساعدة للتدخل ، فانها قد تطورت وتغيرت ، لكن فى حدود الهدف الرئيسى للسياسة البريطانية ، وهو تنفيذ المعاهدة والحصول على تعاون المصريين لضمان سلامة وفاعلية القاعدة البريطانية فى مصر

بدأ لامبسون بمحاولة احتواء السراى بعد وفاة فؤاد ، والتعاون مع الوفد لتنفيذ المعاهدة . وعندما تولى فاروق سلطاته بدأت العلاقات تسوء بينه وبين الوفد ، وبينه وبين السفير البريطانى الذى أخذت علاقته تتوثق بالوفد . كان العامل المشكل لموقف السفارة حينئذ أن بريطانيا مدينة بالمعاهدة للوفد ، الحزب الشعبى القادر على تنفيذ المعاهدة ، والقائم بتنفيذها باخلاص . يضاف إلى ذلك التخوف من سيطرة القصر وما تأتى به إلى ساحة الحكم من نفوذ محورى متفوق فى القصر من جهة ، ووزارات أقلية تصاحبها المتاعب والمخاطر من جهة خرى . بلغ هذا التطور الذروة أثناء الأزمة الدستورية أواخر ١٩٣٧ . لكن بعدها بدأ أتطور فى اتجاه مضاد تماماً . ساءت العلاقات مع الوفد ، والعامل الأساسى فى ذلك اعتقاد الوفد ن السياسة البريطانية لم تكن جادة بشكل كاف فى مساعدته ضد القصر خلال الأزمة الدستورية. وهذا فى نظرللالوفه يعادل وقوفها إلى جانب القصر . وترتب على ذلك للمهاجة الوفد المتصلة للسياسة البريطانية . وربما كان من العوامل المساعدة على سوء العلاقات أن السفارة البريطانية كانت قد اعتقدت أن الوفد قد ضعف وانتهى أمره بما حدث فيه من انسلاخات وخلافات وضعفت شعبيته فى البلاد ، وأخذت تتطلع إلى قوة أخرى اعتقدت أنها فى سبيل الظهور لتحل محل الوفد . يقابل هذا أن العلاقات تحسنت بين لامبسون وفاروق ، واعتقد السفير فى سلامة موقف الملك من التحالف. يضاف إلى ذلك توثق العلاقات بين السفير ومحمد محمود باشا رئيس الوزراء نتيجة تعاون

(١) Killy to rder, No. 1227, 28 October 1937, and enclasure .F.O. 407/ 221; Eden to Lampson, No 166, 20 Febroary 1938, F(O. 407/222; Lampson to Halifax, No 41, 16 January 1939, F.O. 407/223.

الأخير مع السفارة وقيامه بتنفيذ المعاهدة باخلاص . وهكذا ضعفت كراهية السفارة لوزارات الأقلية(١) .

وقبيل اشتعال الحرب كان هذا التطور قد تبلور إلى الآتى :

فيما يختص بالملك استمرت علاقات لامبسون به طيبة ، واستمر يعتقد بسلامة موقف فاروق من التحالف . لكن مخاوفه من ميول القصر المحورية استقرت كما هى ، تماما عدم تمشى فاروق مع رغبات السفارة فى التخلص من الإيطاليين فى الحاشية وفى وظائف القصر . لذلك كان رأيه أن وجود قوة بريطانية كافية والتهديد بها هو وحده الضمان لاقناع فاروق وحاشيته والارستقراطية الحاكمة بوجه عام بالتمشى مع متطلبات السياسة البريطانية(٢) .

أما فيما يختص بالوفد فقد تبين للامبسون أن الوفد قد استرد نفوذه وشعبيته بسرعة ، وأنه لا يزال الحزب الشعبى القوى ، الذى تستجيب له البلاد ، وأن مهاجمته للسياسة البريطانية ممكن ، إذا واصلها خلال ما ينشأ من أزمات وخلال الحرب حين تنشب ، أن تلحق بالسياسة البريطانية أضراراً فادحة وتسبب لها ارتباكات خطيرة ، وأن الدلائل تشير إلى أن تلك قد تكون سياسة الوفد(٣) .

ومع ذلك فحين نشبت الحرب فى أول سبتمبر ١٩٣٩ كانت وزارة على ماهر فى الحكم منذ ١٨ أغسطس ، ووصول على ماهر إلى الحكم فى تلك الفترة يثير بعض التساؤلات .

كان من الواضح أن تلك يغلب أن تكون وزارة حرب . فمنذ أن زاد تشدد ألمانيا تجاه بولند فى ٢٨ أبريل ١٩٣٩(٤) أصبح واضحاً أن قيام الحرب مسألة وقت.

---

(١) Lampson to Eden, telegrams No. 28 and 29, 25 February 1937, F.O. 407/22x; Killy to Eden, No. x227, 28 October 1937, F.O. 407/221, Lampson to Hal fax, No. 510 secret, 6 May 1938, F.O. 407/222.

(٢) Lampson to Halipax, No. 110 confidential, 3 Februray 1939, F.O. 223/407 .

(٣) Lampson to Halifax, No. 510 secret, 6 May, 1938, No. 1197, 7 November 1938. F.O. 407/222, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

(٤) فى ذلك اليوم أعلن هتلر سقوط ميثاق عدم الاعتداء مع بولندا وطالب بجعل دانزيج دولة مستقلة أستقلالا ذاتيا فى إطار الرايخ ، وبسط السيادة الألمانية على الطريق الذى يعبر الممر البولندى ليصل أقليمى ألمانيا .

واتضح ذلك بشكل أكثر بعد قيام التحالف الإيطالى الألمانى المعروف بميثاق الفولاذ فى ٢٢ مايو ، وزاد وضوحاً فى آخر يونيو حين بدأت الاشتباكات بين أهالى دانزيج من الألمان وقوات الأمن البولندية . وأخيراً أصبح قيام الحرب متوقعاً فى أى وقت بعد توقيع ميثاق عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتى فى ٢٣ أغسطس .

ولا شك أن على ماهر حين شكل وزارته كان يدرك هذه الأوضاع ، فبعد أسبوع واحد من توليه الحكم بدأ يصدر القرارات والمراسيم اللازمة لتهيئة البلاد لأوضاع الحرب . فى ٢٥ أغسطس أصدر مرسوماً خاصاً بالتدابير الاستثنائية التى تتخذ لتأمين سلامة البلاد . وآخر باحصاء المؤن اللازمة للجيش وللسكان المدنيين . وفى ٢٧ أغسطس أصدر مرسوماً بحماية الأسرار العسكرية . وفى ٢٩ أغسطس أصدر مرسوماً بانشاء نظام لتفتيش السفن بميناء الاسكندرية لحماية الميناء ، وفى آخر أغسطس أصدر مرسوماً بانشاء القوات المرابطة من المجندين الزائدين عن حاجة الجيش العامل(١) .

أما عن الجانب البريطانى فيقول الجنرال ويلسن أنه عند مغادرته لندن فى ١٥ يونيو ١٩٣٩ لتولى قيادة القوات البريطانية فى مصر كانت تعليماته هى سرعة اتخاذ الاستعدادات للحرب ، وأن جميع القادة الذين قابلهم أكدوا ضرورة الاسرع فى إعداد الدفاع عن مصر وعن الصحراء الغربية ، كما نوقش موضوع إرسال تعزيزات إلى مصر ، بل وتم أيضاً الاتفاق على إشارة رمزية تصله حتى يقوم بتحريك قواته لمواجهة تهديد عاجل بقيام الحرب ، تلك الإشارة التى يقول إنها وصلته فعلا قبل نهاية أغسطس بحوالى ثمانية أيام(٢) . أى أن الجانب البريطانى كان يتوقع أيضاً ، فى أغلب الأحوال ، أن تكون وزارة على ماهر وزارة حرب .

---

(١) الحكومة المصرية ، وزارة العدل : مجموعة القوانين والمراسيم والأوامر الملكية فى الثلاثة أشهر الثالثة عام ١٩٣٩ ، ص ٥٣٤ – ٥٤٤ ، فى دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ٢٩٠ .

(٢) Wilson, op. Cit., pp. 16, 23.

هذا الوضع يثير عدداً من التساؤلات حين ننظر إليه فى ضوء تطور العلاقات بين الجانب البريطانى وعلى ماهر أثناء وزارته مما أدى إلى تدخلهم لطرده من الوزارة فى يونيو ١٩٤٠ . تلك التساؤلات هى : هل كان الجانب البريطانى حينئذ يثق فى على ماهر ويطمئن إلى توليه الوزارة ؟ أم أنهم لم يكونوا يثقون فيه لكن سياستهم لم تكن تتجه إلى التدخل فى موضوع تغيير الوزارات ؟ أم أنهم أخذو بعامل المفاجأة ولم يتح لهم وقت للتدخل ؟

يمكن أن نستبعد الاحتمال الأخير ، فقد ساءت حال محمد محمود الصحية مما اضطره إلى تقديم استقالته فى ٦ يوليو ١٩٣٩ . ومع أن الملك رفض قبول الاستقالة ونصحه بأن يعهد ببعض أعماله إلى زملائه الوزراء ، إلا أنه كان هناك إدراك عام بأنه لن يستطيع أن يستمر طويلا فى عمله . ويقول لامبسون أن الرأى الشائع حينئذ هو أن اختيار القصر سيقع على على ماهر ليخلف محمد محمود (١) . وفى تقريره بتاريخ ٢٥ أغسطس إلى لورد هاليفاكس عن تشكيل الوزارة الجديدة يقول مستر بتمان الوزير المفوض والقائم بعمل السفير « لقد أسند تشكيل الحكومة الجديدة إلى على باشا ماهر ، كما كان يتوقع الجميع . لكن المهمة لم تكن سهلة ، فقد توقفت الأداة الحكومية مدة أسبوع كامل ، بينما تجاهل رئيس الوزراء الجديد الوفد تجاهلا تاماً وسمح للسعديين والأحرار الدستوريين بالتصارع على مراكز الوزراء وهم يدركون تماماً أنهم إذا لم يقبلوا شروطه فقد يستغنى عن تأييدهم ويشكل وزارة ممن يرشحهم هو نفسه » (٢). والأسبوع الذى يشير إليه بتمان انقضى بين استقالة محمد محمود فى ١٢ أغسطس ، وتشكيل الوزارة الجديدة فى ١٨ أغسطس(٣) أى أن إسناد الوزارة إلى على ماهر كان متوقعاً ، وفرصة التدخل كانت موجودة .

لكى نجيب على التساؤلات الأخرى ينبغى أن نستعرض تطور العلاقات بين على ماهر والجانب البريطانى .

---

(1) Lampson to Halifax, No. 87x, 13 July 1939, F.O. 407/223 p. 2.

(2) Bateman to Halifax, No. 1166, 25 August 1939, F.O. 407/223 p. 93.

(٣) وزارة الثقافة ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، النظارات والوزارات المصرية الجزء الأول ، جمع فؤاد كرم ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٣٧٨ — ٣٨٣ .

مرت تلك العلاقات فى أدوار ثلاث - يشمل الدور الأول فترة وزارته الأولى بعد استقالة وزارة محمد توفيق نسيم باشا ، وحتى الأزمة الدستورية فى أواخر ١٩٣٧ والدور الثانى بعد تلك الأزمة . ما الدور الثالث فيشمل الفترة السابقة على وزارة على ماهر الثانية فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩ .

فى الدور الأول تقوم العلاقات بين المندوب السامى، الذى أصبح سفيراً بعد المعاهدة ، وبين على ماهر على التعاون والتقدير . تعاون بدأ من أيام سقوط وزارة توفيق نسيم وتولى على ماهر رياسة وزارة محايدة لإجراء الانتخابات وبدء المفاوضات بين مصر وبريطانيا . وتقدير من الجانب البريطانى مبنى على أساس ما بذل على ماهر من نشاط وما أظهر من كفاءة خلال فترة وزارته تلك ، وعلى أساس ما صار له من مانة ونفوذ فى القصر خلال تلك الفترة وبعدها . يصاحب ذلك إدراك واضح لنوايا على ماهر وأطماعه فى السلطة . ففى مارس ١٩٣٦ كتب لامبسون إلى أنتونى إيدن وزير الخارجية يذكر المشروعات الاصلاحية الكثيرة والاجراءات الادارية التى تقدم بها على ماهر . وأشار إلى أن كثرتها رغم طابع الحكومة المؤقت أدى ببعض الناس إلى الاعتقاد بان على ماهر يفكر فى البقاء فى السلطة مدة طول مما تدل عليه تصريحاته . وقال أنه حين سأل على ماهر فى ذلك أكد له بنفسه « أنه لا يرمى بنشاطه هذا كله إلا إلى أن يوجد لنفسه شهرة كرئيس وزراء كفء حتى يدعى إلى الحكم فى المستقبل لو سنحت الفرصة » . وعلق لامبسون على ذلك قائلا « أنه من الممكن أن يكون هذا هو التفسير الحقيقى لذلك . لكن من الممكن أيضاً أن رفعته يأمل فى أن يحدث ما يحول دون وصول الوفد إلى الحكم » (1)وفى فبراير ١٩٣٧ كتب لامبسون إلى إيدن يقول أن على ماهر هو الذى يحرك القصر (2)رغم أن على ماهر حينئذ كان خارج الحكم وخارج القصر . ولا شك أن الجانب البريطانى كان يدرك ما لعلى ماهر من نفوذ على الملك الشاب . وهو نفوذ كسبه نتيجة خدماته السابقة للعرش على أيام الملك فؤاد ، ونتيجة ما أداه من خدمات للملك الشاب بعد وفاة والده ، فقد كسب له الحق فى إدارة أملاكه قبل أن يستكمل السابعة عشرة

(1) Lampson to Eden, No. 333, 25 March 1936, F.O. 407/219 p. 57.

(2) Same to Same, No. 209 Confidential, I March 1936, F.O. 407/219.

من عمره ، كما ساهم مع الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر ، فى الحملة التى قامت لكسب محبة الشعب للملك الشاب(١) وكانت نصائح على ماهر وآراؤه تصل إلى الملك فاروق عن طريق عبد الوهاب طلعت باشا صديق على ماهر ومدير الإدارة العربية حينئذ(٢) .

لكن إلى جانب ذلك وجد ما يشوب هذا التقدير ، وقام ما يحد من التعاون . فنى مايو ١٩٣٦ كتب لامبسون إلى ايدن عن نشاط حزب مصر الفتاة ورئيسه أحمد حسين وقيامهم بجولات فى البلاد يبثون فيها دعايات ثورية معادية للإنجليز ، وأشار إلى اهتمام ممثلى إيطاليا فى مصر بذلك ، ثم قال أن التقارير تشير إلى أن أحمد حسين على اتصال بعلى ماهر ، وذكر أن الأخير كان يحاول الحصول على أموال من وزارة الداخلية ليعطيها لأحمد حسين ، وأن الدوائر المطلعة ترى أن على ماهر يريد أن يستخدم مصر الفتاة وقمصانها الخضر كعامل معادل للوفد وقمصانه الزرقاء(٣) . وعاد فى نوفمبر يؤكد خطر وجود القمصان الخضر ، وصلتها بدولة أخرى — يقصد إيطاليا — والخوف من تدخل تلك الدولة(٤) . وهكذا وجدت التربة الصالحة لكى تنمو لدى الجانب البريطانى بذور الشك فى ولاء على ماهر وميوله نحو المحور ، وكان لذلك أثره الخطير على العلاقات المصرية البريطانية فيما بعد .

أما التعاون بين الجانبين فقدحد منه ، بعد استقالة على ماهر ووصول النحاس إلى الحكم ، العداء بين على ماهر والوفد ، كان ذلك العداء يقوم على عاملين العامل الأول ماضى على ماهر مع الوفد ، فبعد انفصاله من الوفد عام ١٩٢١ أصبح خصما له والتصق بالعرش واشترك فى كل الانقلابات الدستورية ضد الوفد بل كان صاحب الفتوى فى إقالة النحاس الأولى عام ١٩٢٨ . أما العامل الثانى فكان

---

(١) محمد التابعى ، من أسرار الساسة والسياسة ، مصر ماقبل الثورة ، كتاب الهلال ٢٢٨ ، ص ١٧١ ، ١٧٤ .

د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧٢ — ١٧٥ .

(٢) محمد التابعى ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧٧ ، ١٨٠ .

(٣) Lampson to Eden, No. 491,2 May 1936, and No. 579 confidential, 22 Ma 1936, F(O. 407/219, pp 101—102, x22.

(٤) (4) Same to same, No. 1062, IONovember 1936. F(O. 407/219 p. 67.

السياسة المعادية للوفد والموالية لفاروق التى أتبعها فى فترة وزارة الوفد. فبعد استقالته نشط فى توجيه الضربات للوفد ، وعمل على أن يقلب الميزان لصالح الملك بعد أن كان أيام فؤاد لصالح الوفد ، وذلك عن طريق المساهمة فى تنفيذ ما أشرنا إليه من حملة دعائية واسعة لتغيير صورة الملك لدى الناس ورفعه فى أعين الشعب ، ولإظهار الوفد بمظهر المعتدى على حقوق الملك(١) . ولما كان لامبسون حريصاً على استمرار حكومة الوفد ضماناً لتنفيذ المعاهدة ، فانه أخذ يحث على ماهر على الحد من نشاطه واتباع طريق الحكمة ، فعندما أخبره أحمد حسانين أن النحاس يرتاب فى السراى وأن شكوكه تتركز حول نفوذ على ماهر على الملك فاروق ، قال له لامبسون أنه يأمل مخلصاً أن يواصل على ماهر سياسة التحفظ والابتعاد الحكيم عن الأضواء وتجنب إعطاء الفرصة للنحاس بأى شكل كان باتهام السراى بالتآمر لوجود على ماهر إلى جوار الملك . وقد تعهد أحمد حسانين بأن يحذر على ماهر ليلزم جانب الحكمة(٢) .

وكان على ماهر يتجاوب مع تلك النصائح أو التوجيهات ، فيقول لامبسون عن حديث طويل له مع على ماهر فى أول مارس ١٩٣٧ أن الأخير أكد له أنه « لا يعتزم إقرار أى عمل غير دستورى يقوم به الملك فى يوليو القادم ، ولا هو يعتقد أن الملك فاروق قد اعتزم أن يقوم بشىء من هذا القبيل . . . وقد أضاف على ماهر أنه قبل سفر حسانين إلى أوروبا أعرب عن أمله فى أن يكون دولته فى مصر فى يوليو فقد تدعو الحاجة إلى خدماته . وقد أوضح دولته أنه سيكون موجوداً فى مصر ومستعداً لأن يخلص النصح بعيداً عن الأضواء (وأعرب عن أمله فى تجنب الأخطاء) ، ومع كل فانه لن يخرج إلى الأضواء إلا إذا تطلبت إرادة الشعب من العرش أن يباشر حقوقه الخاصة . وهو بالفعل يرى أن الحكومة الحاضرة عندما تقدم استقالتها بصورة شكلية فى يوليو القادم فان من المؤكد أن يطلب الملك إليها استئناف أعمالها »(٣).

---

(١) د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧٢ – ١٧٨ .

(٢) Lampson to Eden, Telegram, No. 118 saving, 14 November 1936 F.O. 407/219 pp. 70—71.

(٣) Same to same, Telogram No. 31, 2 March 1937 F.O. 407.

الإشارة هنا إلى سفر أحمد محمد حسانين إلى أوروبا رائداً للملك فاروق فى الرحلة التى قام بها قبل أن يتولى سلطاته الدستورية فى يوليو ١٩٣٧ .

لذلك فعندما اجتمع لامبسون مع الأوصياء على العرش ومع أحمد حسانين فى ٢٥ فبراير ١٩٣٧ وأثير موضوع ضرورة اختيار أحد الساسة المجربين ليكون إلى جانب الملك عندما يبلغ سن الرشد ليرعى حقوق العرش الشرعية وليحول فى نفس الوقت دون نزعات الملك غير الدستورية ، أى اختيار رئيس للديوان وطرح اسم على ماهر ليشغل المنصب ، فان لامبسون رغم شكوكه التى أشرنا إليها فى نوايا على ماهر وصلاته - كان يرى أنه شخص مناسب جداً وإن كان ذلك مستحيلا فى ضوء شدة عداء الوفد له(١) .

يتضح من الحديث الذى أشرنا إليه بين لامبسون وعلى ماهر فى أول مارس أن السفير كان يستغل مايعرفه من نفوذ الأخير لدى الملك فى التأثير على سياسة القصر وتوجيهها . يبدو هذا أكثر وضوحاً فى أغسطس ١٩٣٧ حين أعاد النحاس تشكيل وزارته ، بعد تولى الملك سلطاته الدستورية ، وأخرج منها محمود فهمى النقراشى باشا ومحمد صفوت باشا وعلى فهمى باشا ومحمود غالب بك ، وانفجر على أثر ذلك النزاع داخل الوفد ، وخرج منه النقراشى وأنصاره . ترتب على ذلك ضعف الوفد واتجاه أعدائه واتجاه القصر إلى انتهاز الفرصة للتخلص من وزارة الوفد .

حينئذ كانت سياسة الجانب البريطانى هى التأثير على سياسة القصر عن طريق على ماهر والشيخ المراغى بهدف التهدئة وعدم التسرع حتى تمر الأزمة بسلام وتبقى حكومة الوفد . لذلك قابل مستر كيللى الشيخ المراغى فى ٢٨ أغسطس وانتهز الفرصة ليبين له :

(ا) الملاءمة الواضحة لتنفيذ المعاهدة مع النحاس باشا فى الوقت الحاضر .

(ب) الخطر على الملكية من أعمال التسرع .

وحين قابل كيللى على ماهر بعد ذلك بيومين كان هدفه أن يضغط عليه فى نفس هذا الاتجاه(٢) . فقد أظهر له أهتمام الجانب البريطانى الخاص بالعلاقات مع « الحكومة الحالية فى هذه المرحلة من أجل تنفيذ المعاهدة » ، كما صمم أساساً

(١) Lampson to Eden, elegram No. 28, 25 February 1937, F.O.407/221.

(٢) Kelly to Eden, telegram No. 481, 28 August 1937, F.O. 407/221.

«على وجوب الحماية الكاملة لملك غير مجرب من التورط فى مغامرات سياسية» وقد نصح « بمعاملة رئيس الوزراء معاملة مستقيمة »(١). وكان مستر إيدن، زير الخارجية ، يحث مستر كيلى على مواصلة التأثير على الملك فاروق أو مستشاريه بحكمة التأنى(٢).

لذلك فلا شك أن تعيين على ماهر رئيساً للديوان فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ لم يصادف إستياء من الجانب البريطانى ، بل قد يكون مبعث ارتياح، فإن تولى على ماهر المنصب يجعله يشغل رسمياً ما كان يشغله من وراء ستار ، أى منصب مستشار الملك، وبذلك يتحمل مسئولية مايشير به.. وقد اكتفى لامبسون فى تعليقه على تعيينه بأن طريقه التعيين كانت خطأ وتفتقر إلى الحكمة(٣)، وذلك لانفراد الملك بتعيينه دون التشاور مع مصطفى النحاس ، رئيس وزرائه ، فى ذلك والحصول على موافقته .

وقد أدى تعيين على ماهر فى رئاسه الديوان الملكى ، ثم ماتلى ذلك من أزمة بين القصر ووزارة الوفـــد ، إلى تزايد العــوامل المؤثرة فى العــلاقات بينه وبين الجانب البريطانى قوة : فتزايد تقدير الجانب البريطانى لنفوذ على ماهر فى القصر بعد أن أصبح فعلا مستشار الملك الأول هناك تزايدت الرغبة فى الحصول على تعاونه لتوجيه سياسة القصر بما يلائم السياسة البريطانية ، وأدى ذلك فى النهاية إلى تزايد عوامل الشك لدى الجانب البريطانى فى إخلاص على ماهر واتجاهاته وأطماعه وسلبياته ، وتزايد عوامل الاحتكاك بين سياسة كل من الطرفين .

ذلك أن الوصول إلى رئاسة الديوان الملكى لم يكن غاية بالنسبة لعلى ماهر ، بل كان خطوة إلى هدف أسمى هو العودة إلى رئاسة الوزارة (قد رأينا كيف عبر على ماهر عن هذا الاتجاه بصراحة فى حديثه مع لامبسون فى مارس ١٩٣٦ ، أيام وزارته الأولى) ، فعلى ماهر لم يكن يستند إلى تأييد حزب أو قوة عصبية ، لذلك لم يكن أمامه سوى الاستناد إلى القصر ، وهكذا عمل على تمكين نفوذه فى القصر والوصول إلى رئاسة الديوان . وفى هذا المنصب نشط على ماهر فى خدمة العرش

(١) Kelly to Rden telegram No. 483, 31 August 1937, FO. 407/221.

(٢) Eden to Kelly, telegram No. 389, 2 September 1937, F(O. 407(/221.

(٣) Lampson to Eden, telegram No. 608, 3 November 1937, F.O. 407/221.

وكسب حقوق له على حساب الشعب ، وهذا هو أساس الازمة الدستورية بين القصر ووزارة الوفد ، تلك الأزمة التي اشتدت واستعصت في ديسمبر ١٩٣٧ وانتهت بإقالة الوفد . لم تكن خدمة العرش والولاء له ، على أية حال ، غريبة على ابن محمد ماهر باشا ، رجل الخديو عباس حلمى الثانى الذى أقترن أسمه بأزمة الحدود المشهورة فى يناير ١٨٩٤ ، لكن الولاء للعرش كان واحداً فقط من العوامل التى دفعت على ماهر رئيس الديوان إلى توجيه سياسة القصر بما أدى إلى الأزمة الدستورية . أما العامل الآخر الهام فهو أن الوصول إلى الحكم لم يكن ليتحقق قبل إضعاف الوفد والتخلص من الوزارة الوفدية . رأينا كيف عمل على ماهر على إضعاف الوفد قبل رئاسته للديوان ، وقد عمل على إخراج الوفد من الحكم بعد أن أصبح رئيساً للديوان .

لسنا فى حاجة ، فى هذا المجال ، إلى متابعة باقى خطوات على ماهر للوصول إلى السلطة ، بالوقوف جانباً وترك الوزارة تسند إلى محمد باشا محمود ، ثم إشراك السعديين فى من الدستوريين الحكم ، ووضع العقبات أمام الوزارة لدفعها للاستقالة وإثبات فشل هؤلاء الساسة جميعاً ، وبذلك ينفتح أمامه الطريق إلى السلطة واسعاً ودون عقبات[1] الذى يهمنا هنا هو أن سياسة على ماهر فى التخلص من الوفد تعارضت جذرياً مع سياسة السفارة البريطانية فى استبقاء الوفد . وكان هذا مجال الاحتكاك .

كان مفروضاً أن لامبسون يدرك هذا التعارض فى سياسة الطرفين تجاه الوفد فقد عبر له على ماهر عن أمله فى العودة إلى تولى الوزارة كما أشرنا . كما كان يدرك أيضاً عداء على ماهر للوفد ، وعلى علم بما قال من أنه « من المحتمل أن يأتى بأعمال ضد الوفد خلال الخريف القادم (أى خريف ١٩٣٧) . ويقال ان على ماهر مقتنع بأنه من الممكن إجبار وزارة الوفد على الاستقالة فى الخريف القادم وإجراء انتخابات بواسطة حكومة محايدة ظاهرياً وضمان الحصول على أغلبية ضد الوفد دون الاستعانة بالوسائل والمناورات الانتخابية المتطرفة »[2] ومع بداية الأزمة الدستورية تحدث

---

(١) محمد التابعى ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧١ — ١٧٢ ، ١٩٦ — ٢٠٠ . د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧٧ ، ٢٣٨ .

(٢) Lampson to Eden, No. 209 secret, 16 February 1937, Fo. 407/221.

إلى السفير عن عدم ثقته فى علي ماهر ووجود « مؤامرة بالقصر لتجميع كل عناصر المعارضة لضمان إستقالته ، وقال انه لن يسمح للقصر بالاستمرار فى لعب هذا الدور الذى يتعارض مع الدستور على خط مستقيم... »(1). ورغم ذلك فأن لامبسون أتجه بعد عودته من أجازته فى آخر أكتوبر ١٩٣٧ إلى الاستعانة بعلى ماهر ليقوم بدور الوسيط بين الطرفين (الملك ورئيس الوزراء) لحل الأزمة عن طريق إيجاد نوع من التفاهم والتقارب فى وجهات النظر وتدبير مقابلة . فقابل على ماهر فى ٢ نوفبر وأوضح له خطورة قيام نزاع داخلى فى ظروف موقف دولى شديد التوتر ، وخطورة ، قيام ملك صغير السن باثارة أزمة دستورية مع رئيس وزرائه المنتخب دستورياً . وقد وافق على ماهر على التعاون عندما اقترح عليه لا مبسون أن « يقوم بدور الوسيط بين الملك والنحاس ، وأظهر على ماهر إستعداده للقيام بهذه المهمة.... (2). وسار لامبسون فى هذا الاتجاه إلى مداه ، فقابل الملك فى ٥ نوفبر ونصحه بأن يعهد إلى على ماهر بايجاد حل عملى للأزمة عن طريق « إيجاد مخرج للتفاوض مع رئيس الوزراء». وهكذا ، كما يقول لامبسون « أصبح الأمر متروكا لعلى ماهر لكى يقوم بواجبه»(3).

فى الفترة المبكرة من الأزمة كان لامبسون ، كما يقول فى يومياته ، واثقاً أن على ماهر سوف يبذل ما فى وسعه لحلها(4). لكنه من أواخر نوفبر بدأ يرتاب فى نوايا على ماهر واتجاهاته فيما يختص بالأزمة وموضوع الوساطة . فقد رأى أن ضغط على ماهر عليه فيما يختص بضرورة حل فرق القمصان الوفدية الزرقاء هى بلاجدال محاولة منه لكى يوقع السفير فى مشاكل مع النحاس بخصوص مسألة لاشك أن النحاس مخطىء فيها(5). وفى الأسبوع الثانى من ديسمبر تزايدت شكوك لامبسون وأخذ أمله يضعف فى حل الأزمة .

---

(1) Same to same, telegram No. 608, November 1937, F(O. 407/22x'.

(2) Lampson to Eden, telegram No. 610, 3 November 1937, F(O. 407/221.

(3) Same to seme, telegram No. 517, 5 November 1937, F(O. 407/221.

(4) Evans, T(E. (editor;, The killearn Diasies 1934—1946, London 1972, p. 89.

(5) Lampson to Eden, telegıam No. 666, 25 November 1937, F(O. 407/221.

فكتب يقول ، معلقاً على فشل المساعى لحل الأزمة حتى ذلك الوقت ، أنه لا يرى « أملا يذكر فى ضم هذه العناصر المتنافرة للعمل معاً » . ثم كتب عن حديث له مع أمين عثمان (همزة الوصل بينه وبين الوفد) فى مشروع لتسوية الأزمة يتضمن حل فرق القمصان الزرقاء ، وأشار إلى اعتقاد أمين عثمان أنه يمكنه أن يجعل النحاس يقبل ذلك بشرط وجود ضمان بحسن نية القصر ، لأن النحاس يشعر أنه إذا جرده القصر من السلطة فإن جميع أجهزة الدستور سوف يساء استعمالها ضده بما فى ذلك الجيش والشرطة ، وأنه ليس هناك إلا القمصان الزرقاء التى عليه أن يركن إليها . وقد وافق لامبسون على ما أشار إليه أمين عثمان من أن أضعف ما فى هذا المشروع هو الاعتماد الذى يفترضه مقدماً على حسن نية على ماهر(١) . وأخيراً فقد أخبره النحاس بعد أن أقيلت وزارته ، أن الموضوع كان من أول الأمر مؤامرة دبرها على ماهر(٢) . ولا شك أن ما وضعه على ماهر من عقبات فى وجه وزارة محمد محمود للتخلص منها وتحقيق أطماعه فى الوصول إلى الرئاسة قد أكد للامبسون صحة تهامات النحاس .

كان طبيعياً — على أية حال — أن تفشل الوساطة بين الطرفين ، لأن الوسيط — على ماهر — كان طرفاً فى الصراع . والسؤال الآن هو لماذا عهد إليه لامبسون بالوساطة ؟ إذا استبعدنا فكرة أن لامبسون يجهل أطماع على ماهر ، يتبقى لدينا عاملان أحدهما أن السفارة اعتادت على استجابة على ماهر لرغباتها ، مما جعل لامبسون يعتقد كما يقول ، أنه بالضغط عليه قد يصبح أكثر استعداداً لعمل ما فى وسعه لتخطى هوة النزاع بين القصر والوزارة(٣) . أما العامل الثانى فهو أنه لم يكن لدى لامبسون وسيلة أخرى للتأثير فى فاروق ، وهذا واضح من قوله فى يومياته معلقاً على عودة فاروق من رحلته فى الخارج عام ١٩٣٧ لتولى سلطاته الدستورية ، أنه يخشى أن يعتقد فاروق أنه يستطيع أن يلعب أية لعبة يريدها ، وإذا حدث هذا فسوف يكون خطأ قاتلا ، وهو يأمل أن يستطيع على ماهر أن يؤثر فيه ، وإلا فسوف

(1) Lampson to Eden, telegram No. 701, 9 Decmber 1937, and No. 706 13 Dece- mber 1937, F.O. 407/221.

(2) Same to same, telegram No. 158, 31 Decmber 1937 F.O. 407/221.

(3) Same to same, telegram No. 612, 3 November 1937, and No. 617, 5 November 1937 F.O. 407/221.

تكون هناك أيام عاصفة بيننا[١] .،، وقد ازدادت هذه الحاجة إلى الافادة من نفوذ على ماهر لدى فاروق بعد أن ولى رئاسة الديوان .

وقد قام ارتياب – فى بداية الأزمة – فى نفوذ على ماهر على فاروق ، وقدرته على التأثير عليه . عبر عن هذا الانياب كل من أمين عثمان والنحاس : فقال الأول أن على ماهر لا يستطيع السيطارة على الملك ، وكذلك لا يريد أغضابه بابداء رأى مخالف[٢] وقال الثانى أن فاروق غلام « عديم التجربة ناقص التعليم متغطرس ، وهو فى شك من أن حتى على ماهر نفسه قد يؤثر عليه »[٣]. بل أن لامبسون قد عبر عن أرتيابه فى أن على ماهر متأكد من وضعه من الملك ، فقد قال له على ماهر أنه محاصر بالمتاعب فى القصر[٤] .

لكنها كانت شكوك عابرة . فحمد التابعى ، وله حينئذ اتصالاته القوية فى القصر ، يؤكد أن نفوذ على ماهر أستمر قوياً على فاروق حتى تولى محمد محمود الحكم وبدأ على ماهر يدس له لدى الملك ، وأن السياسة التى أتبعت خلال الأزمة الدستورية بين الوفد والقصر حتى أقيلت وزارة النحاس وخلقتها وزارة محمد محمود هى سياسة على ماهر[٥] . وقد أدرك لامبسون هذا ونهاية الأزمة ، فكتب قبل إقالة النحاس بيوم واحد يقول أنه حين يتأمل ماحدث يشعر أنه « لم يكن هناك قط أدنى شك فى أن على ماهر كان مصمماً على طرد الوزارة الحالية . والحق أن الأمر يعود حتى إلى ماقبل ذلك (الأزمة الدستورية) ،إلى عودة الملك فى الصيف الماضى »[٦] . أى من رحلته إلى أوربا . كما أن سيطرة على ماهر فى القصر كانت كاملة فى الفترة الأولى من وزارة محمد محمود بحيث كتب لامبسون فى مايو ١٩٣٨ يقول إن « القصر اليوم معناه على ماهر »[٧] وهكذا ، فان ماحدث هو صدام

---

(1) Evans, T (editor), op. cit., p. 89.

(2) Kelly to Eden, telegram No. 599, 30 October 1937, F.O. 407/221.

(3) Lampson to Eden, telegram No. 567, 23 November 1937, F.O. 407/221.

(4) Same to same, telegram No. 610, 3 November 1937, F.O. 407/221.

(٥) محمد التابعى ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧١ – ١٧٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ – ٢٠٠ .

(6) Evans, op. cit., p. 91.

(7) Lampson to Eden, No. 510, 16 May 1938 F.O. 407/222.

بين سياسة كل من السفير ورئيس الديوان فيما يختص بوزارة الوفد . وقد خرج على ماهر منتصراً ، فساءت علاقته بلامبسون لفترة بعد الأزمة .

ليس هذا فقط ، بل ان لامبسون ، كما يقول فى يومياته ، بدأ يعتقد أن فاروق فى حقيقته ولد لطيف يمكن التعامل معه ، ويرتاب فى أن على ماهر هو السبب الحقيقى لما يلاقونه من متاعب مع فاروق(١) وقد لمس بهذا جانباً من الحقيقة ، لا كلها .

كان لعلى ماهر نفوذه القوى على فاروق كما رأينا ، وقد استغل هذا النفوذ فى تجنب وقوع فاروق تحت السيطرة البريطانية وهو لا يزال صبياً عديم التجربة . وقد عبر لامبسون عن سياسة على ماهر تلك حين تعمق فهمها بأنها « إبعاد فاروق عنا حتى يمكن للسراى أن تمارس سياستها الدكتاتورية فى المجال الداخلى والمستقلة فى المجال الدولى،دون أن تعوقها النصائح البريطانية . »(٢)أما خصوم على ماهر فكان بعضهم يصف سياسته بأنها « تحويل الملك فاروق عن بريطانيا » وكانوا يرون أنها خطيرة على كل من الأسرة المالكة والبلاد ، وقد تنتهى بسقوطه السريع فى حالة قيام الحرب(٣) .

وقد ترجع هذه السياسة لعدة أسباب : قد يكون دافعها الوطنية كما يفهم من حديث محمد كامل البندارى مع الدكتور عبد العظيم رمضان(٤). وقد يكون إبعاد فاروق عن الوقوع تحت السيطرة البريطانية ، كما يفهم من رأى لامبسون ، وهذا السبب مرتبط بالسبب الأول .وقد تكون أيضاً وسيلة للانفراد بالنفوذ على فاروق دون مزاحمة من النفوذ البريطانى .

هذا على أية حال جانب من الحقيقة . أما الجانب الآخر فهو أن فاروق ، عند عودته من بريطانيا ، كان مشبعاً بروح العداء للسيطرة والنفوذ البريطانى وكان يحاول

---

(1) Evans, op. cit., p.
(2) Lampson to Halifax, No. 110 Confidential, 3 February 1939 F(O. 407/223 p. 13.
(3) Same to same, No. 560, x2 May 1939, F(O. 407/223, p. 32.
(٤) د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤١ .

فى هذا الوقت المبكر تخليص نفسه والتحرر من النفوذ البريطانى ، كما يتضح من يوميات كيلرن[1] . وهكذا اتفق اتجاه فاروق مع اتجاه على ماهر .

وخلال الأزمة الدستورية بدأت تنكشف للجانب البريطانى نواحى من شخصية على ماهر بما أدى إلى سوء فكرتهم عنه . فقد كتب لامبسون فى أوائل الأزمة يقول أن « على ماهر إنسان مخادع ولا يمكن الوثوق به » [2] . وقبل نهاية الأزمة قال أنه كان مراوغاً[3] .وكانت فكرة مساعدى لامبسون عنه مثل فكرة لامبسون أو أسوأ. فستر كيللى ، الوزير المفوض بالسفارة ، كتب أثناء الأزمة يقول أنه لا يستطيع أن يخاطر حتى بمحادثة شخصية مع على ماهر لأنه يحتمل أن ينقل حديثه محرفاً إلى جريدة البلاغ فى اليوم التالى [4] . أما السكرتير الشرقى ، والتر سمارت ، فكان يرى « أن موقف فاروق مع على ماهر يعيد إلى الذاكرة ما سبق أن حدث بين الخديو الشاب عباس ومحمد باشا ماهر والد على ماهر ، تلك السابقة التى تنذر بالشر »[5] . ويشير سمارت بذلك إلى تعاون محمد باشا ماهر وكيل وزارة الحربية مع الخديوى عباس حلمى وتشجيعه على العمل ضد الاحتلال البريطانى بما أدى إلى الصدام بين الخديو وكتشنر ، ومن خلفه كرومر ، فى حادث الحدود المشهور فى يناير ١٨٩٤ .

وبوصول على ماهر إلى رئاسة الديوان أخذت تتأكد للجانب البريطانى علاقته بأحمد حسين ومصر الفتاة ، تلك العلاقات التى كانوا على علم بها من قبل . ذلك أن مصر الفتاة كانت من الأدوات التى استخدمت فى التخلص من وزارة الوفد فى أواخر ١٩٣٧ ، وكان عز الدين عبد القادر ، حفيد عرابى وعضو مصر الفتاة ، هو الذى أطلق الرصاص على النحاس قبل إقالة الوزارة . وقد عبر النحاس للسفير البريطانى عن اعتقاده أن على ماهر ضالع فى محاولة اغتياله[6] . ولما كان السفير البريطانى قد أدرك فى آخر الأزمة الدستورية أن سياسة التخلص من وزارة الوفد

(1) Evans, op. git., p. 69.

(2) Same to same, telegram No. 6x2, 3 Novemebr 1937, F.O. 407/221.

(3) Same to same, telegram No. 721, 19 December 1937, F.O. 407/221.

(4) Kelly to Eden, telegram No. 599, 30 October 1937, F.O. 407/221.

(5) Memorandum by W.A. Smart. enclosed in Kelly to Eden, No. 1227, 28 October 1937, F.O. 407/221.

(6) Lampson to Eden, telegram, No. 158, 31 December 1937, F.O. 407/222.

هى سياسة على ماهر ، فان هذا يؤكد لديه صلة مصر الفتاة بعلى ماهر . يضاف إلى ذلك أنه بعد أن خلف محمد محمود النحاس فى الوزارة قام الصراع على السلطة بينه وبين على ماهر . فى هذا الصراع اتخذ أحمد حسين جانب على ماهر (١) . لذلك فقد اعتبرت السفارة البريطانية على ماهر متواطئاً مع الفاشية المصرية ، ومسئولا عن تزايد النفوذ الفاشى فى السراى .

حقيقة أن أهمية مصر الفتاة فى الحياة السياسية المصرية أخذت تقل بالتدريج ، بعد خلافهم مع محمد محمود ثم مع على ماهر ، وبعد خروج محمد كامل البندارى ، نصيرها ووكيل الديوان الملكى ، من السراى . وتبعاً لذلك أخذ يتضح للامبسون بالتدريج قلة شأن مصر الفتاة فى الحياة السياسية المصرية . لكن مصدر الخطورة من وجهة النظر البريطانية كان ما هناك من شكوك حول صلة مصر الفتاة بايطاليا الفاشية بل واتهامها بالعمالة لها ، خاصة وأن شخصية لها وزنها السياسى كزعيم الوفد قد وجهت هذا الاتهام إلى مصر الفتاة فى مجلس النواب فى يونيو ١٩٣٦ ، وأعاد مصطفى النحاس توجيه هذا الاتهام بعد إقالته فى آخر ديسمبر ١٩٣٧(٢) .

كان طبيعياً أن تعلق هذه الشكوك أيضاً بعلى ماهر ، صديق مصر الفتاة . لذلك حينما كتب لامبسون فى فبراير ١٩٣٩ إلى هاليفاكس عن الدعاية الإيطالية الألمانية ، وعن توغل النفوذ الإيطالى — الألمانى فى السراى وبين رجال البلاط ، وفى الطبقات الاجتماعية العليا ، نجده يقول أن « صدقى باشا ، على سبيل المثال وهو على علاقة طيبة بالملك ، يقوم بنفس الدور الذى تلعبه الدعاية الإيطالية الألمانية ، وذلك بنشر الآراء التى تقول بضعف إنجلترا ، وبحياد مصر فى حالة قيام حرب لا تمس المصالح المصرية مباشرة . ولما كان صدقى فى معسكر على ماهر أيضاً ، فيغلب أن الأخير يشجعه على انتهاج هذا الطريق ، ولا شك أن إيطاليا وألمانيا لهما عملاء آخرون يعملون على الحط من مكانة إنجلترا فى نظر الملك فاروق ، ويعملون على توجيهه فى اتجاه معادى لها ، ربما دون أن يشعر هو بذلك »(٣) .

---

(١) د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ٢٢٤ — ٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(3) Lampson to Halifax, No. 110 Confidential, 3 February 1939, F.O. 407/223 pp. 13,14.

وقد كان لهذه الفكرة عن على ماهر أثرها الخطير فى موقف الجانب البريطانى منه فيما بعد ، ذلك الموقف الذى تطور إلى طلب إخراجه من الوزارة فى يونيو ١٩٤٠ ثم طلب اعتقاله بحجة انحيازه إلى المحور .

الخلاصة أن تولى على ماهر رئاسة الديوان ، وقيام الأزمة الدستورية ، وسياسة على ماهر خلالها ، قد أدت إلى سوء العلاقات بين على ماهر ولامبسون ، كما أخذ الجانب البريطانى يعتقد أن على ماهر شخص مراوغ مخادع متآمر لا يمكن الوثوق به وأنه أقرب إلى العداء لبريطانيا والميل إلى المحور بحكم صلاته بالفاشية المصرية المتهمة بالعمالة لإيطاليا .

بعد انتهاء الأزمة الدستورية باقالة مصطفى النحاس أخذت الحدة تزول بالتدريج عن سوء العلاقات بين على ماهر والسفير البريطانى ، لكن علاقاتهما لم تعد إلى ما كانت عليه . هناك عدة عوامل ساعدت على ذلك : انتهاء الأزمة الدستورية ، وانتهاء الاحتكاكات التى ترتبت عليها بانتقال مركز الثقل نسبياً فى العلاقات السياسية إلى رئيس وزراء (محمد محمود) يحاول أن يثبت أقدامه فى السلطة فى مواجهة رئيس الديوان ، استمرار وجود على ماهر رئيساً للديوان واستمرار نفوذه قوياً لدى الملك فاروق فترة بعد الأزمة ، ما وجده لامبسون لدى محمد محمود والسراى من تعاون واستعداد لتنفيذ معاهدة التحالف ، بحيث كتب فى مايو ١٩٣٨ يقول أن « القصر والحكومة الحاضرة لا يقلون ولاء عن حكومة النحاس باشا نحو تنفيذ المعاهدة »(١) .

فى الدور الثانى من العلاقات بين على ماهر ولامبسون ، نجد اهتمام الأخير يتركز على ثلاث نقاط أساسية هى : وضع على ماهر فى السراى ، صراع على ماهر للوصول إلى السلطة ، أى إلى رئاسة الوزارة ، والنفوذ الإيطالى الألمانى فى السراى .

فى مايو ١٩٣٨ كتب لامبسون يقول أن « القصر فى الوقت الحاضر هو الفيصل فى الموقف السياسى ، والقصر اليوم معناه على ماهر . . . على ماهر يمثل دور القصر السياسى فى الوقت الحاضر . . . » (٢) ، وذلك لما كان لعلى ماهر حينئذ من نفوذ

---

(1) Same to same, No. 510 Confidential, 6 May 1938, F.O. 407./222.

(2) Ibid.

قوى على الملك فاروق كما سبق أن أشرنا . لكن ذلك النفوذ أخذ يضعف لما اتضح من طمع على ماهر فى السلطة ومؤامراته للوصول إليها ، وعجزه عن التصدى للتدخل البريطانى ، ولتعيين محمد كامل البندارى باشا وكيلا للديوان الملكى وما أحرز من نفوذ لدى الملك انتقص من نفوذ على ماهر بل وتعارض معه ، رغم أن على ماهر صاحب الفضل فى تعيين البندارى . لكن يبدو أن لامبسون لم يفطن إلى ضعف نفوذ على ماهر فى السراى عن التآمر إلا بعد فترة . فحين لاحظ فى نوفبر هدوء على ماهر وتخليه ضد رئيس الوزراء اعتقد أن السبب هو هجوم الوفد عليه أو دقة الموقف الدولى[1] . لكنه فى أوائل ١٩٣٩ فطن إلى ضعف موقف على ماهر وعزاه إلى الدسائس ضده داخل السراى[2] . وهذا حقيقى ، فضعف موقف على ماهر حينئذ ناتج عن تزايد نفوذ البندارى فى السراى .

فى أبريل ١٩٣٨ كتب لامبسون يقول عن الأزمة الوزارية التى قامت فى نفس الشهر أن أساس الأزمة هو « النزاع بين الأحرار الدستوريين والقصر . فقد كان الأحرار يريدون السيطرة على الوزارة لتوطيد مركزهم عن طريق الحكومة ، بينما كان القصر ، بتوجيه على ماهر باشا ، يرغب فى وضع الأحرار تحت السيطرة من خلال حكومة ائتلافية . . . والفكرة الغالبة بين المصريين أن على ماهر باشا أو أحمد ماهر بتأييد حزب السعديين الكبير فى البرلمان سيحل محل محمد محمود باشا »[3]. ثم عاد فى مايو يقول عن على ماهر أن المظنون أنه « يسعى لرئاسة الوزارة معتمداً فى ذلك على مساعدة أخيه الدكتور أحمد ماهر والسعديين . . . ومن المتوقع أنه لا يمضى وقت طويل حتى ينشأ نزاع جديد يكون سبباً فى خروج محمود باشا . ولو كان على ماهر باشا حصيفاً لترك للوزارة الحالية الوقت الكافى والحبل الذى تشنق به نفسها كما هو الحال فى جميع الوزارات فى مصر . بيد أنه من سوء حظه أنه رجل قليل الصبر إلى أقصى حد »[4]. ومع أنه كتب فى نوفبر يقول أن على ماهر

---

(1) Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F(O. 507/222.
(2) Same to same, No. 41, 16 Januarj 1939, F.O. 407/223.
(3) Same to same, No. 486,29 April 1938, F.O. 407/222.
(4) Same to same, No. 510, Confidential, 6 May 1938, F.O. 407/222.

« قد تخلى مؤقتاً عن تدبير المؤامرات ضد رئيس الوزراء »[1] ، إلا أنه عاد فى يناير ١٩٣٩ يقول أن القصر ، أى على ماهر يواصل « إضعاف مركز محمد محمود باشا بتداخله فى الإدارة وبمساعدته للحركات والعناصر المعادية للحكومة »[2] .

وهكذا تأكد لدى لامبسون سعى على ماهر ونشاطه الملح للوصول إلى رئاسة الوزارة ، وتآمره ضد محمد محمود وعرقلته أعمال الوزارة حتى يتمكن من الوصول إلى هدفه .

هذا السعى الدؤوب من جانب على ماهر للتخلص من وزارة محمد محمود والوصول إلى السلطة كان عاملا من عوامل استياء لامبسون من على ماهر . ذلك أنه كان قد اطمأن إلى إخلاص محمد محمود وتعاونه فى سبيل تنفيذ المعاهدة والوفاء بالتزامات التحالف ، ولم يكن يشعر بنفس هذا الاطمئنان من جهة السراى . ولما كان على ماهر هو المسيطر فى السراى ، وهو بالتالى مسئول عن سياسة السراى ، فان تغييراً يأتى بعلى ماهر إلى الحكم لم يكن مما يرحب به لامبسون . لذلك نجده فى مايو ١٩٣٨ يقول إن « على ماهر يسعى لرئاسة الوزارة ، وأنه — أى لامبسون — سيأسف إلى اعتزال محمد محمود الحكم[3] ، ويقول عن محمد محمود فى مايو من العام التالى أنه لا يريد « رفيق عمل خيراً منه ولا أكثر ولاء ، وآمل كثيراً أن يظل فى عمله بعض الوقت »[4] .

أما عن النفوذ الإيطالى الألمانى فى السراى فقد كان مصدر قلق بالغ للسفير البريطانى . فكتب فى يناير ١٩٣٩ يقول أن « هناك تأثيرات قوية — وطنية وأجنبية — يبدو أنها تعمل لتوضح للملك الخطر الذى تتعرض له مصر من التزامات الحرب التى تنص عليها المعاهدة . والحق أنه مما يخشى منه أن عملاء إيطاليا وألمانيا — عن طريق أذنابهم داخل القصر وخارجه ، يقومون فعلا بالتأثير على الملك فاروق وتوجيهه الوجهة التى يريدها محور روما — برلين ، وهى حياد مصر فى حالة قيام الحرب . . .

---

(1) Lampson to Halifax, No. 1197,7| November 1938, F(O. 407/222.
(2) Same to same, No. 41,16 January 1939, F.O. 407/223 .
(3) Same to same, No. 510 Confidential 6 May 1938, F.O. 407/222.
(4) Same to same, No. 560,12 May 1939, F.O. 407:223 .

إن الدعاية الإيطالية الألمانية شاملة ، لكن من الواضح أن أحد ميادينها المفضلة فى مصر هو ما يقابل الطبقة الأرستقراطية ، أى البلاط والدائرين فى فلكه ، والأتراك والأتراك المتمصرين ، . . . » (١) .

كان السفير البريطانى يدرك صلة البندارى بمصر الفتاة ، وصلاته الودية مع المفوضية الإيطالية ، وأثر ذلك كله فى تزايد النفوذ الإيطالى الألمانى ونفوذ مصر الفتاة فى السراى ، وتزايد الاتجاهات الفاشية فى السراى وفى البلاد (٢) . إلا أنه مع ذلك كان يعتبر على ماهر مسئولا عن هذه الحالة لنفوذه القوى فى السراى ، ولصلاته بمصر الفتاة ، وقد وصل الأمر بلامبسون فى فبراير ١٩٣٩ إلى وضع على ماهر مع إسماعيل صدقى باشا فى الفريق المناصر لإيطاليا ، الذى يعمل على نشر الدعاية الإيطالية الألمانية المضادة لبريطانيا ، كما يتضح من خطاب لامبسون إلى هاليفاكس رقم ١١٠ فى ٣ فبراير الذى سبقت الإشارة إليه .

خلاصة الأمر أن الدور الثانى فى العلاقات بين على ماهر والسفير البريطانى قد أكد عدة انطباعات لدى السفير البريطانى : أكد قوة نفوذ على ماهر فى السراى ، ولو أن هذا النفوذ أخذ يضعف فى الربع الأخير من ١٩٣٨ وأكد سعى على ماهر لرئاسة الوزارة ، ومناوراته ومؤامراته ضد وزارة محمد محمود لتحقيق هذا الغرض وأن وجوده فى رئاسة الديوان الملكى وشهوته فى الاستحواذ على السلطة لا يعطى الوزارة القائمة الفرصة لممارسة الحكم . وهكذا استمر التعارض الذى كان قائماً من قبل بين سياسة على ماهر وسياسة السفير الذى كان يريد أن تستمر وزارة محمد محمود فى الحكم . يضاف إلى ذلك أن لامبسون استمر يعتقد فى عدم صداقة على ماهر لبريطانيا ، وفى مسئوليته عن تزايد الاتجاهات الفاشية وتزايد النفوذ الإيطالى فى السراى وفى البلاد . وأخيراً فعلى ماهر متآمر لا يمكن الوثوق به .

هناك عاملان فى هذا الدور من العلاقات دفعا إلى التغيير الذى أدى إلى تحسن العلاقات بين على ماهر والجانب البريطانى فى الدور التالى ، هما سعى على ماهر للوصول إلى رئاسة الوزارة وإدراكه لسوء علاقته بالجانب البريطانى .

---

(1) Lampkon to Halifar, No. 41,16 January 1939, F.O. 4071223 .

(٢) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٢٩ ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

بدأ على ماهر يدس لوزارة محمد محمود منذ أسابيعها الأولى كما يقول التابعى :
وبدأت الأزمات بين الوزارة والسراى بعد الانتخابات مباشرة وذلك بمناسبة إعادة تأليف الوزارة فى أبريل ١٩٣٨(١) . والحق أن ضعف الوزارة واعتمادها على تأييد السراى كان يتيح لعلى ماهر فرصة طيبة للتلاعب بها . ذلك أن الأحرار الدستوريين استمروا فى الحكم بعد انتخابات غير نزيهة بناء على أغلبية نسبية، ويقاربهم السعديون تقريباً فيما أحرزوا من مقاعد مجلس النواب ، بينما أخذ الوفد يسترد شعبيته فى البلاد بعد إقالته ، وكان ضعف الوزارة عاملا لإعادة تشكيلها بعد شهرين من تأليفها ليدخلها السعديون كوسيلة لتدعيمها . ومع ذلك فقد استمر ضعف الوزارة ، وزاده الخلاف بين الوزراء الدستوريين ، وبينهم وبين السعديين ، والمشاكل الإدارية والمالية الناتجة عن سوء الحالة الاقتصادية ، وفضيحة مزرعة الجبل الأصفر التى أدت إلى استقالة رشوان محفوظ وزير الزراعة ، وعمل على ماهر المتصل لإضعاف مركز الوزارة بتداخله فى الإدارة ومساعدته للحركات والعناصر المعادية للحكومة . وفى أوائل عام ١٩٣٩ كانت الوزارة قد وصلت درجة كبيرة من الضعف والسراى قد أحرزت قدراً كبيراً من السيطرة والتسلط يوضحه سفر على ماهر رئيس الديوان فى يناير لتمثيل مصر فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن لبحث المشكلة الفلسطينية دون رئيس الوزراء أو وزير الخارجية(٢) .

حينئذ اعتقد على ماهر أن الوقت قد حان للتخلص من وزارة محمد محمود والوصول إلى الحكم ، وانتهز فرصة حضوره المؤتمر للتمهيد لتحقيق هذا الهدف ، وذلك بازالة ما لدى الساسة البريطانيين عن شكوك نحوه . ولم يكن على ماهر أول من يلجأ إلى الاتصال رأساً بالحكومة البريطانية ، فقد سبقه إلى ذلك الخديو عباس

---

(١) محمد التابعى ، المرجع المذكور ، ص ١٧١ . محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ص ٨٧ — ٩١ .

(٢) محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ، ص ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ . عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤٣ — ٢٤٥ .

Lampson to Halifax, No. 486,29 April 1938, No. 510 Confidential, 6 May 1938, No. 1197,7 November 1938 F.O. 407/222, No. 41,16 January 1938, F.O. 407/223.

حلمى الثانى أثناء الصراع على السلطة بينه وبين لورد كرومر ، مع الفارق بطبيعة الحال بين الرجلين وبين الظروف المحيطة بكل من الحالتين .

يبدو أن على ماهر تمكن من تفسير تصرفاته وإزالة شكوك الحكومة البريطانية نحوه ، وإقناع وزير الخارجية البريطانية ، لورد هاليفاكس بحسن نيته وتعاونه ، وبذلك أزال أية عقبة من جانب الحكومة البريطانية فى سبيل وصوله إلى رئاسة الوزارة وقيام تعاون بينه وبين الجانب البريطانى حين يتم ذلك(١) . بقى تصفية الموقف مع السفير البريطانى ، وذلك ما سعى على ماهر إليه حين عاد إلى القاهرة .

حينئذ كانت قد استجدت عوامل هيأت المناخ الملائم لتصافى الرجلين . تتضح هذه العوامل فى تقرير لامبسون إلى لورد هاليفاكس عن الموقف السياسى فى الشهور الأربع الأولى من عام ١٩٣٩ ، حيث يقول فيه « أن أكثر ما يلفت النظر من معالم الفترة التى نستعرضها هو ما صار إليه مركز رئيس الوزراء من قوة نتيجة أفول نجم على ماهر بشكل غير متوقع ، إذ كانت فرصته منذ أربعة أشهر فى انتزاع الوزارة من محمد محمود باشا تعتبر بحق فرصة قوية . فخلال غيابه لحضور مؤتمر فلسطين الذى عقد فى لندن تمكن من تقويض مركزه فى السراى البندارى باشا ، الذى يدين لعلى ماهر باشا نفسه بتعيينه وكيلا للديوان الملكى . وقد ساعد البندارى باشا فى أعماله الخفية خصوم آخرون كثيرون لعلى ماهر باشا بينهم أفراد من الأسرة المالكة كانوا يرون — ولرأيهم ما يبرره — فى تأثير على ماهر باشا على الملك فاروق خطراً على كل من الأسرة والبلاد. وكان بعضهم يخشى بصفة خاصة أن ينتهى عمل على ماهر باشا فى تحويل الملك فاروق عن بريطانيا العظمى بسقوط جلالته فى حالة قيام الحرب وقد تحدث فى ذلك كثيراً كل من الأمير محمد على وشريف صبرى باشا .

« وقد حاول على ماهر باشا عند عودته إلى مصر أن يستعيد مركزه باجبار الملك فاروق على أن يختار بينه وبين البندارى باشا ، فقدم استقالته ، لكنه سحبها عندما قرر جلالته منح البندارى باشا أجازة لمدة شهر . وفى نهاية هذه المدة عين

---

(١) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

(2) Lampson to Halifax, No. 560,12 May 1939, F.O. 407/223 .

رئيس الوزراء البنداري باشا وزيراً مفوضاً فى بروكسل بناء على طلب الملك . ومع أن على ماهر باشا قد حصل بهذا على ترضية سريعة ، إلا أن رئيس الوزراء أخبرنى أنه إنما نال نصراً رخيصاً ، وأن نفوذه لدى الملك الآن قد ضعف ضعفاً بيناً على أية حال. ربما ساء الملك أن يتقدم إليه رئيس ديوانه بما يكاد أن يكون إنذاراً نهائياً بشأن البندارى باشا الذى عمل على أن يحظى برضاء الملك ، وكان يؤيده على الأقل بعض موظفى السراى . ولا يوجد أدنى شك فى أن على ماهر باشا يشعر لذلك بالضيق ، وأحد مظاهر ضيقه هو ما يبديه الآن من رغبة واضحة تتسم بالذلة فى الحصول على رضائى وعلى مساندة محمد محمود باشا ، وحتى فى إقامة علاقات مع الوفد»(١) .

وهكذا ، حين عاد على ماهر إلى مصر وجد من انهيار نفوذه فى السراى دافعاً جديداً زاد من رغبته فى تحسين علاقاته بالسفير البريطانى . وبالمثل ، كان غياب على ماهر عاملا أزال لفترة الضوابط التى كانت تكبح الجموح فى سياسة السراى ، وقد أدى هذا ، بالإضافة إلى قيام البندارى بعمل رئيس الديوان ، إلى تزايد النفوذ الفاشى فى السراى ، وإلى الاصطدام بالسفارة البريطانية .

وقع الصدام بمناسبة مظهرين من المظاهر المتخلفة منذ كان السفير البريطانى مندوباً سامياً ، فبعد أن أبرمت المعاهدة وأصبح المندوب السامى سفيراً تركت حكومة الوفد للامبسون أن يحتفظ بهذين المظهرين على سبيل المجاملة بصفة استثنائية نظراً لدوره فى التوصل إلى المعاهدة. أحد هذين المظهرين هو موكب راكبى الموتوسيكلات الذى يسبق سيارة السفير ، والآخر هو استقباله استقبالا رسمياً عند زيارته للأقاليم . فى غياب على ماهر أصرت السراى على إلغاء الموكب واضطر لامبسون إلى الموافقة ، وحين زار لامبسون أسوان واستقبله مديرها استقبالا رسمياً طلب البندارى توجيه إنذار إلى المدير وإخطار المديرين الآخرين بسبب الإنذار مع التحذير بتوقيع عقوبة شديدة لو تكرر ذلك(٢) .

لهذا فلا شك أن لامبسون قد رحب بعودة على ماهر ونجاحه فى طرد البندارى من السراى ، باعتبار على ماهر أهون الشرين .

---

(1) Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

(٢) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

أما مدى استجابته لمحاولات على ماهر تحسين العلاقات معه فتتضح من خطاب للامبسون إلى هاليفاكس يخبره فيه عن حديث دار بينه وبين رئيس الوزراء بشأن على ماهر :

قال إن على ماهر « كان حريصاً جداً على استعادة الثقة فيه . إنى لأرجو ألا تؤدى عودته إلى دائرة الرضاء الملكى إلى عودته إلى عادته القديمة فى التآمر . فقال رئيس الوزراء إنه يخشى أنها قد تؤدى إلى ذلك ، لكن لو حدث هذا فانه شخصياً سيعمل على أن يسير الملك فى الطريق الصحيح . . . وأنه يمكننى أن أعتمد عليه فى مواجهة أية مؤامرات يحيكها على ماهر ، الذى تلقى درساً قاسياً . . .

قلت لرئيس الوزراء إنه للأسف لا يوجد من يتحلون بالصفات اللازمة ليحلوا محل على ماهر والبندارى . لقد أجهدت فكرى لكنى لم أهتد إلى أى شخص ، وقد وافق رئيس الوزراء على أنه لا يوجد الأشخاص . لقد فكر مثلى ووصل إلى نفس النتيجة .

أنا متخوف من عودة على ماهر إلى السراى . لقد قابلته عدة مرات فى الفترة الأخيرة ، وقد أكد لى تصميمه على العمل معنا بولاء . لكن الرجل أثبت أنه متآمر مطبوع ، بحيث لم يعد أحد يثق فيه . على أية حال ، يحتمل أن يكون قد تعلم شيئاً من تجربته الحالية »(١) .

كانت هناك استجابة ، إذن ، من جانب السفير البريطانى لمحاولات على ماهر . لكنها استجابة بتحفظ ، استجابة من لا يجد بديلا ، وتحفظ المرتاب فى إمكان حدوث تغيير ، وهذا ينفى فكرة قيام تحالف بين السفير البريطانى وعلى ماهر للتخلص من البندارى .

هناك حقيقة أخرى تتضح من هذه الوثائق التى عرضنا لها ، هى أن على ماهر هو الذى سعى إلى تحسين العلاقات بينه وبين السفير البريطانى ، وليس العكس . وهذا يحسم نقطة ثار حولها الخلاف(٢) .

---

(1) Lampson to Halidfax, telegram No. 122 saving, 2 May 1939, F.O. 407/223.

(٢) أنظر عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

وهكذا ، نجح على ماهر فى تحسين العلاقات بينه وبين الجانب البريطانى ، لكن هذا لم يؤد إلى تحقيق الهدف الذى كان يرمى إليه من سعيه هذا وهو تمهيد الطريق إلى رئاسة الوزارة ، فان انهيار نفوذه لدى الملك نتيجة مساعى البندارى قد باعد بينه وبينها . وكان على على ماهر أن ينتظر بعض الوقت قبل أن يتحقق هدفه ، رغم أن الطريق كان ممهداً إليه . ذلك أن صحة محمد محمود ساءت بما اضطره إلى تقديم استقالته إلى الملك فى ٦ يوليو ، لكن فاروق رفضها ، فسحبها ليعود ويقدمها ثانية فى ١٢ أغسطس . فى هذه المرة قبل الملك الاستقالة وعهد إلى على ماهر بتأليف الوزارة .

توضح الوثائق أسباب رفض الاستقالة الأولى ، ففى يوليو كتب لامبسون يقول أن صحة محمد محمود قد تعرضت لسلسلة من الانتكاسات انتهت إلى « ارتفاع الضغط واضطرابات فى القلب. وخلال الشهر الماضى لم يتمكن رفعته من مزاولة العمل معظم الوقت ، وحالة الضعف التى يعانيها حالياً تجعل من المتعذر أن يزاول عملا جاداً كثيراً . وأخيراً اضطرته حالته الصحية السيئة إلى تقديم استقالته إلى الملك فاروق فى ٦ يوليو . وقد رفض جلالته قبولها واقترح عليه ، كما أخبرنى رفعته ، أن يعهد بالكثير من عمله إلى زملائه الوزراء. وقد سحب (محمد) محمود باشا استقالته،لكن من المؤكد أنه فى الوقت الحاضر ليس فى حالة صحية تمكنه من تحمل أعباء الدولة .

هناك إدراك سائد بأن محمد محمود باشا لن يمكنه أن يستمر طويلا فى عمله ، وقد فتح هذا الباب على مصراعيه للمضاربات والدسائس بشأن من يخلفه . وحتى وقت قريب كان الدكتور أحمد ماهر باشا هو المرشح المفضل ، لأن محمود باشا كان يؤيده بقوة ، كما أن الملك فاروق تقبل الفكرة فى النهاية حتى يتجنب ، فيما يبدو ، أية مشاكل دستورية . لكن الخلاف الذى يؤسف له على الإعانة المقترحة لشركة بواخر البوستة الفرعونية قد أضعفت مركز الدكتور أحمد ماهر[1] . . .

(١) كان الدكتور أحمد ماهر باشا وزير المالية قد عرض منح الشركة إعانة مالية واعترض بعض الوزراء على ذلك على أساس أن الشركة أنجليزية فعلا ومصرية أسما لذلك لا تستحق أن تعاونها المالية المصرية . وقد تأيد ذلك حين فحص وزير التجارة والصناعة الموضوع ، وحين تمسك أحمد ماهر بمنح الاعانة قدم ذلك الوزير استقالته فأوقف الموضوع . وقد أثار موضوع الإعانة الشبهات حول أحمد ماهر . أنظر محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ص ١٥٠ — ١٥٢ .

ويقال ، وإن كنت لا أدرى مبلغ صدق ما يقال ، ان موقف الملك فاروق تجاه الباشا قد تأثر بموضوع هذه الإعانة ، وأن جلالته لم يعد الآن موافقاً على إسناد رئاسة الوزارة إليه . وعلى ذلك ، فالرأى الشائع الآن هو أن على ماهر هو مختار السراى ليخلف محمود باشا .

لم يسترجع على ماهر باشا حتى الآن ما كان له من نفوذ عند الملك فاروق ، ومن الممكن أن يرى جلالته بثاقب رأيه خروجه من القصر لرياسة مجلس الوزراء حيث لا يطول بقاؤه فى هذا المنصب . وتسرى الإشاعات أيضاً بأن جلالته يميل إلى قيام حكومة تمثل مختلف الأحزاب بما فيها الوفد باستثناء النحاس باشا ومكرم باشا اللذين ظل غاضباً عليهما . ويبدو أن الفكرة أن يحاول على ماهر باشا أن يضم إلى وزارة من جميع الأحزاب وفديين معينين ، مثل عبد السلام فهمى جمعة باشا ، وزير التجارة فى وزارة الوفد الأخيرة ، ويوسف الجندى أفندى ، وكيل وزارة الداخلية السابق . . .

إذا اتضح عظم المصاعب التى تعترض تعيين على ماهر باشا أو أحمد ماهر باشا لرئاسة الوزارة ، فهناك رأى بأن السراى قد تلجأ إلى تعيين رئيس وزراء دمية مثل عبد الفتاح يحيى باشا أو محمود خليل بك »(١) .

حين قدم محمد محمود استقالته فى يوليو ، إذن ، وجدت السراى نفسها فى ورطة خرجت منها برفض الاستقالة ، فالشخص الذى كان عليه الاختيار ليخلف محمد محمود ــ أحمد ماهر ــ أحاطت باسمه شبهات تحول دون تعيينه ، والشخص الذى يسعى إلى الرئاسة ــ على ماهر ــ لم يكن قد استرد بعد من نفوذه لدى الملك قدراً يوصله إلى رئاسة الوزارة ، وان يكن قد استرد من النفوذ والسلطة فى رئاسة الديوان القدر الذى يدفع به محمد محمود فى طريق الاستقالة .

تمكن على ماهر من إخراج البندارى من السراى فى أوائل أبريل ١٩٣٩ ، ومنذئذ وهو يعمل جاهداً على استرداد نفوذه لدى الملك . كان موقفه ضعيفاً فى

---

(1) Lampson to Halifax, No. 781,13 July 1939, F.O. 407/223.

أول الأمر ، لذلك عمل على تحسين علاقاته مع محمد محمود ، وحتى مع الوفد ، ليكسب وقتاً يسترد فيه أنفاسه . وحين استرد قدراً من نفوذه لدى الملك عاد إلى سياسته القديمة فى مضايقته محمد محمود ووضع العقبات أمامه للتخلص منه . إن بصمات على ماهر واضحة فيما يرويه الدكتور محمد حسين هيكل من رفض السراى السماح لمحمد محمود بالسفر إلى أوروبا فى صيف ١٩٣٩ للاستجمام والاستشفاء ، رغم حاجته الشديدة إلى ذلك(١) . ذلك الرفض يخدم أغراض على ماهر ، فهو من جهة أحرج محمد محمود وأرهقه وهو يعرف عن سوء حالته الصحية ، وهو من جهة أخرى استبقى محمد محمود فى مصر لأن سفره سيطيل عمر الوزارة ، فالمسافر لا يستقيل .

لكن يبدو أن صحة محمد محمود دفعته إلى الاستقالة بأسرع مما قدر على ماهر ، وقبل أن يستكمل الشطر الآخر من خطته ، وهو استرداد نفوذه السابق لدى فاروق لذلك كان على رئيس الوزراء أن يسترد استقالته وينتظر فترة أخرى . وحين قدمها فى ١٢ أغسطس بعد ذلك ، قبلت وكلف على ماهر بتأليف وزارته الثانية .

اختلفت الآراء فى استقالة محمد محمود الثانية ، فقال الدكتور هيكل أنه علم أن كبير الأمناء « جاء إلى فندق وندسور حيث كان ينزل محمد باشا ، وأن رئيس الوزراء طلب إليه أن يبلغ الملك استقالته لأنه علم أن على باشا ماهر يتصل بأشخاص يعرض عليهم الاشتراك معه فى وزارة جديدة » . وقال رجال القصر أن الملك أوفد كبير الأمناء يطلب إليه أن يستقيل حرصاً على صحته(٢) .

أما مستر بتمان ، الوزير المفوض فى السفارة البريطانية والقائم بعمل لامبسون حينئذ ، فيقول أن محمد محمود قدم استقالته إلى الملك راجياً قبولها « على أساس أن حالته الصحية تمنعه من الاستمرار فى العمل أكثر من ذلك . وكان معروفاً من وقت مضى أن رئيس الوزراء كان رجلا عليلا ، ولكن قرار استقالته يبدو أنه قد اتخذ فجأة ، مما أثار الإشاعات المعتادة من أنه وراء الاستقالة أكثر مما يبدو

---

(١) محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ، ص ١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

فى الظاهر . لكنى على ثقة من أن تلك الإشاعات لا أساس لها من الصحة . فعندما زرت رفعته بعد مقابلته الأخيرة للملك مباشرة قال لى أنه وجد أن البقاء فى اجتماعات مجلس الوزراء حتى لمدة ربع ساعة يكلفه جهداً يفوق احتماله ، لذلك لم يكن يستطيع أن يستمر فى العمل أكثر من ذلك ، وقرر أن يأخذ الراحة الطويلة التى أصر أطباؤه أن يأخذها »(١) .

هناك شواهد تؤيد وجهة نظر بتمان فى سبب استقالة محمد محمود ، فقد كانت حالته الصحية سيئة بالفعل ، وسبق أن قدم استقالته بسببها فى ٦ يوليو كما رأينا . يضاف إلى ذلك أنه سافر بعد الاستقالة مباشرة للاستجمام فى مرسى مطروح ، وكان الأطباء قد منعوا أن يشغل ذهنه بأى أمر ذى بال حرصاً على صحته ، كما أنه قال لأعضاء حزبه أنه يرحب بعلى ماهر رئيساً للوزارة ، ويوافق تمام الموافقة على أن يشترك الأحرار الدستوريون معه ، بل وعهد إلى الدكتور أحمد ماهر باشا ليقوم مقامه فى مفاوضات تأليف الوزارة الجديدة(٢) .

تلك كانت الولادة العسرة لوزارة على ماهر الثانية . تعسرت فى وصولها إليه واحتاجت إلى استرضاء الحكومة البريطانية فى لندن حتى رضيت ، واسترضاء السفير البريطانى فى القاهرة حتى رضى بتمنع وتحفظ ، واسترضاء الملك فاروق حتى أعاد رئيس ديوانه إلى ما كان له من حظوة لديه . بل أنها تعسرت فى تأليفها الذى استغرق ستة أيام حتى تم فى ١٨ أغسطس بعد مفاوضات ومساومات انتهت باشتراك السعديين فى الوزارة ورفض الأحرار الدستوريين الاشتراك فيها(٣) .

يهمنا من ذلك موقف السفير البريطانى من على ماهر . وقد أشرنا إلى أنه استجاب إلى محاولات على ماهر تحسين العلاقات معه فى تحفظ وارتياب . كان لهذا التحفظ والارتياب أثره فى علاقات الرجلين وكان من عوامل سقوط وزارة على ماهر فى يونيو ١٩٤٠ .

---

(1) Bateman to Halifax, No. 1066,25 August 1939, F.O. 407/223 .

(٢) محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(٣) المرجعين أعلاه .

وزارة على ماهر الثانية :

تتبادر إلى الذهن عند التعرض لموضوع تلك الوزارة عدة أسئلة :

ما هى الظروف التى تشكلت فيها الوزارة ، وحكمت بالتالى تشكيلها ؟

ما هو تشكيل تلك الوزارة ، وما هى القوى التي تعتمد علي تأييدها للبقاء فى الحكم ؟

ما هى الأهداف التى تسعى الوزارة إلى تحقيقها ، والمشاكل التى واجهتها ؟

ما هي وسائلها لتحقيق الأهداف وحل المشاكل ، وما هو الإطار الذى يدور فيه هذا النشاط ؟

وأخيراً ما هى علاقتها بالجانب البريطانى ؟

سنعرض الانطباع الذى تكون لدى الجانب البريطانى فى أوائل أيام الوزارة ، ثم نناقش ما يحتاج منه إلى المناقشة ، ونخلص إلى ما يستقر عليه الرأي :

حين تشكلت الوزارة كان لامبسون يقضى أجازته فى بريطانيا ، ويقوم بعمله مستر تشارلى هارولد بتهان الوزير المفوض بالسفارة . وقد كتب إلى وزير الخارجية عن تشكيلها :

٢ ــ عهد إلى على ماهر باشا بتشكيل الوزارة الجديدة كما كان الجميع يتوقعون لكن المهمة لم تكن سهلة ، فقد توقفت الإدارة الحكومية مدة أسبوع كامل بينما كان رئيس الوزراء الجديد ــ الذي تجاهل الوفد تجاهلا تاماً ، قد ترك السعديين والأحرار الدستوريين يتصارعون على مراكز الوزراء مع يقينهم التام بأنهم إذا لم يقبلوا شروطه فقد يستغنى عن تأييدهم له ويشكل وزارة ممن يرشحهم هو نفسه . ومما يتمشى مع تصرفات الوفد فى هذه الأيام أنه فى اليوم التالى لاستقالة محمد محمود باشا نشرت صحفهم زعماً طائشاً بأن على ماهر باشا قد استشار السفارة قبل تقديم قائمة مرشحيه للملك . . . . وفى يوم ٢٣ أغسطس (ذكرى وفاة زغلول) أضاف النحاس نصيبه فى الحملة وذلك فى إحدى شطحاته الخطابية باتهام بريطانيا العظمى أنها تنشب مخالبها فى ثروة مصر ، وتعاون وزراء دمى لتتمكن من سلب أقوات الفلاحين وأجور الصناع . وفى هذا الخطاب وصف على ماهر بأنه (رجل

البريطانيين القوى الذى تعهد بأن يعطيهم كل ما يريدون) . وفى نفس الوقت نشرت جريدة الوفد المسائية تصريحاً مؤداه أنه على الرغم من كل ما قاسته مصر على أيدى بريطانيا فان الوفد لن يخذلها فى ساعة شدتها ، وأنه إذا نشبت الحرب يمكن لبريطانيا أن تعتمد على كل مساعدة ممكنة من الوفد الذى لن ينتهز الفرصة ليطعنها من الخلف . ويبدو أن الحقيقة هى أن النحاس باشا لا يعرف تماماً أين يقف فى الوقت الحاضر .

٣ ــ أثناء اختيار الأفراد الذين تتشكل منهم الوزارة كان من الطبيعى أن يطالب كل من الأحرار الدستوريين والسعديين بعدد من الوزراء يتناسب مع عدد مقاعدهم فى مجلس النواب ، وهو ٩٩ ؛ ٨٤ بنفس الترتيب فى مجلس عدد أعضائه جميعاً ٢٦٣ . لكن يبدو أن على ماهر باشا أوضح من أول الأمر أنه لن يعطى كل حزب أكثر من أربعة مراكز ، وأنه سيحتفظ بالمراكز الرئيسية لنفسه ولمرشحيه ، وأنه اعتزم أن تكون له الأغلبية حتى لو أدى الأمر إلى زيادة العدد الإجمالى للوزراء وقد كاد يتم الوصول إلى اتفاق رغم أن الحزبين لم يستسيغا هذه المقترحات ، لكنه انهار نتيجة إصرار على ماهر باشا على اختيار عبد القوى أحمد بك ــ وزير الأشغال العمومية المنتظر ــ على أساس أنه من الأحرار الدستوريين . وقد تبرأ منه الحزب وانسحب من المفاوضات ، رغم نصيحة محمد محمود باشا ، تاركاً رئيس الوزراء والسعديين يسوون الأمر فيما بينهم .

٤ ــ وتعتبر الوزارة الجديدة بوجه عام وزارة قوية ، على أساس أنه يرأسها رجل على جانب عظيم من الهمة والنشاط ، كما أن بقية الوزراء يعرفون ما يريدون ، إما لخبرتهم الإدارية الطويلة أو لأنهم فنيون يتولون أعمالهم التى تخصصوا فيها . لكنها ربما كانت تحمل بذور ضعفها لنفس السبب ، فحتى الآن لم تكن الوزارات المصرية تضم أكثر من إثنين أو ثلاثة من الرجال ذوى المقدرة البارزة ، ومع هذا فقد كان يصعب تجنب الصدام بين الشخصيات . ولما كانت وزارة على ماهر تضم تجميعة كفاءات فقد يجد من الصعوبة بمكان أن يحتفظ بوزرائه متحدين ، خاصة وقد تولى هو نفسه وزارتين (الداخلية والخارجية) .

٥ ــ أما تعيين صالح حرب باشا وزيراً للدفاع فقد أثار مخاوف ، نظراً لأهمية وجود وزير مناسب يشغل هذا المنصب الحيوى فى ظروف التوتر الدولى الحالى .

فهو واحد من المصريين الذين هربوا وانضموا إلى السنوسى أثناء الحرب ، وكان حينئذ يعمل فى خفر السواحل . وحين طرح اسمه لأول مرة كنت أميل إلى تحذير رئيس الوزراء من تعيينه ، وبخاصة لأنى كنت واثقاً أن هذا التعيين سوف يستلزم تعيين عزيز المصرى باشا رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصرى . ورغم أن عزيز المصرى باشا مصرى الجنسية فانه عملياً قد أمضى كل مدة خدمته العسكرية فى الجيش التركى . ومع أنه يعتبر واسع الاطلاع فى الشئون العسكرية ، فانى أصبحت أميل إلى عدم إقامة أى وزن لحكمه على الأمور (إن لم أقل لسلامة عقله) منذ أن حاول جاهداً من عدة أشهر مضت ، أن يثبت لى أن الألمان لم يهزموا فى معركة المارن . وزيادة على ذلك فقد كان لدى من الأسباب ما يدعونى إلى الاعتقاد بأن تعيينه سوف لا يقابل بالرضا التام سواء فى الجيش المصرى أو فى البعثة العسكرية البريطانية . والجمع فى وزارة الدفاع بين هارب سابق وبين شخص اعتبره ألمانى النزعة لا يبدو أمراً مثالياً . لكن حديثاً جرى بينى وبين الأميرال سيرج . ويلز مدير الموانى والمنائر ، الذى عمل فى اتصال وثيق مع صالح حرب باشا ، وقد أبدى فيه رأيا طيباً . بعد هذا الحديث رجحت لدى كفة السكوت ، خاصة وأنه كان معروفاً أن الملك وعلى ماهر باشا قد تأثرا إلى حد كبير بمعلومات هذين المرشحين عن الصحراء الغربية . وفى لقائى الأول مع رئيس الوزراء ، بعد أن تسلمت الوزارة مقاليد الأمور ، ذكرت مخاوفى فيما يختص بعزيز المصرى باشا . وقد زالت مخاوفى حين أكد لى أنه إذا اتضح عملياً أنه لا يصلح للمنصب الذى يشغله فانه سوف ينحى عن وظيفته . وقد رأيت حتى الآن من الوزارة الجديدة ما يكفى لكى أدرك أنه سوف لا تتخذ أية قرارات فى السياسة العسكرية دون مشورة وزير الأوقاف — عبد الرحمن عزام بك — الذى استدعى من أنقره ليتولى منصبه الجديد . إن معرفته بليبيا ، التى حارب فيها الإيطاليين لسنوات عدة هى معرفة لا يباريه فيها أحد . وهو صديق شخصى لى منذ عدة سنوات ، ولى فيه ثقة تامة .

٦ — ويبين كتاب رئيس الوزراء المرفوع إلى الملك بقبول تشكيل الوزارة موجزاً لسياسة الحكومة الجديدة . . . الجدير بالملاحظة هو الإشارة الخاصة إلى ضرورة الوحدة الوطنية وتقليل النفقات والخطوات التى ينبغى اتخاذها لرفع مستوى

معيشة الفلاح . . . إن الحديث عن الوحدة الوطنية يمكن ، طبعاً ، صرف النظر عنه فى الحال باعتبار أنه لا قيمة حقيقية له ، فمن المعترف به أنه يستحيل تحقيقها . لكن هذا لا يستتبعه بالضرورة أن العبارة لا أهمية لها ، بل إنه على العكس من ذلك ، فمن حديثى مع جلالته (الذى كتبت عنه فى برقيتى رقم ٤٥٨) قد تأكدت أنها تعنى أن على ماهر باشا ، بمساندة الملك ، يعتزم أن يدخل فى معركة مع الوفد ، وأن يقضى - إذا أمكن - قضاء نهائياً على سيطرته على الجماهير على أساس من إنجازاته . واختفاء الوفد الفعلى من على المسرح السياسى سيساعد على إزالة أحد عناصر الانقسام ، ومن هنا كان تصميمه على حق الفلاحين فى الاهتمام السريع . وقد لمح لى جلالته بوجه عام فى ٢٠ أغسطس أن هذا العمل فى الحقيقة أحد أهداف الوزارة الجديدة . وقد قال الملك أنه بينما لا تروق له الدكتاتوريات الأوروبية ، فانه من المستحيل القول بأن الديمقراطيات تحظى بالفضائل كلها . هناك بعض الخير فى كل من النظامين ، وفى وقت عصيب كالوقت الحالى من الخير لمصر التخلى عن بعض نواحى العمل الديمقراطى التى ثبت عدم فائدتها أو عدم إمكان تطبيقها ، وأن يستبدل بها ما يمكن أن يؤدى إلى دفعة إلى الأمام . إن البرلمان (لا شك أن جلالته يقصد بذلك مجلس الشيوخ ، ذى الأغلبية الوفدية) قد أصبح لا يزيد على جمعية مناظرات بها ميل واضح لإقامة العقبات ، وكثير من الموظفين الدائمين لا يعملون شيئاً سوى تقاضى مرتباتهم . وقد صمم على ماهر باشا على أن يعطيهم جرعة من شرابه وذلك بدفعهم جميعاً إلى بذل جهد أشد وأكثر فعالية ، فالحاجة ملحة والوقت يمر والسيطرة على الأمور عند القمة مطلوبة أكثر ما تكون فى هذا الوقت . إن الوزارة المستقيلة ، رغم أنها كانت تستحق الإعجاب فى نواح كثيرة ، كانت متراخية إلى حد كبير ، فالية البلاد كانت مرتبكة ، وحان الوقت لكى يقبض على ناصية الأمور رجل نشط خلاق وذى قدرة على العمل الشاق . . . إن ما يتضح أنه لازم بسرعة لمصلحة البلاد ينبغى عمله بدون تلكؤ . لكن جلالته طلب منى ألا أصدق الإشاعات التى ستثار بأن هناك دكتاتورية فى طريق التكوين ، فسيكون أمام البرلمان فرص كثيرة حين يعود إلى الانعقاد ، لكن على الأعضاء أن يتذكروا أن الوقت الذى تحت تصرفهم ليس بدون حدود . على أيه حال يمكن أن أطمئن إلى أن على ماهر باشا مقتنع بضرورة العمل بتعاون قلبى مع السفارة ،

وبخاصة فى أمور الدفاع ، وأنه مصمم على ذلك . وقبل ذلك فى نفس اليوم ، عبر لى رئيس الوزراء شخصياً عن مشاعر مماثلة . وإذا حكمنا بالحادثات اليومية التى دارت بينى وبينه منذ تولى الوزارة يمكن أن أقول أنه مخلص فى ذلك ، فالكثير من متطلبات دفاعنا قد تم إنجازه بطريقة مرضية فى ساعات قليلة ، والاجتماعات مع ممثلى الأسلحة تركت انطباعاً طيباً .

٧ – يبقى بعد ذلك بحث احتمالات المستقبل . لقد بدأت الوزارة الجديدة عملها بعدد من التغييرات الشاملة فى نظام الموظفين ، بعضها مضطرب بشكل يثير القلق ، وبعضها يجافى الحكمة . سأكتب فى ذلك بتفصيل أكثر حين تكتمل التغييرات ، لكن حتى يتم ذلك يمكن أن أقول بحق أن معظم المفكرين تدركهم الحيرة حين يحاولون أن يتبينوا جدوى التخلص من شخص فى مثل مستوى أمين عثمان باشا . تلك حركة من القصر بلا جدال ، وفى مقابلتى الأولى لرئيس الوزراء لم أترك له مجالا للشك فى أنى أرى أن هذا عمل طائش . مثل هذه الأعمال تخلق بسهولة وبلا ضرورة جبهة من المعارضة داخل البرلمان وخارجه ستسبب للوزارة متاعب جسيمة فى الخريف . ومن الواضح أن اتخاذ مجلس الشيوخ جانب المعارضة وموقف مجلس النواب المشكوك فيه يجعلان رئيس الوزراء – إذا أراد أن يكسب الشعور العام – يعتمد على ما تكسبه إنجازاته الفعلية خلال الشهور الثلاثة القادمة من رضاء الناس .

وقد ذكر بتمان فى خطابه بعض الوزراء الآخرين غير صالح حرب وعبد الرحمن عزام . فأشار إلى مقدرة عبد السلام الشاذلى باشا وزير الشئون الاجتماعية وأن رئيس الوزراء يأمل عن طريقه فى تحقيق جانب كبير من برنامجه لتحسين حال الفلاحين . وأشار إلى فنيين آخرين تولوا وزارات تتفق مع اختصاصهم مثل عبد القوى أحمد بك وزير الأشغال العمومية ، ومحمود توفيق الحفناوى بك وزير الزراعة . أما إبراهيم عبد الهادى ومحمد على علوبة باشا فقد عينا وزيرى دولة للشئون البرلمانية للدفاع عن سياسة الحكومة فى مجلسى البرلمان(١) .

إن القوى التى تعتمد عليها الوزارة ، وظروف تشكيلها ، هى التى حكمت ذلك التشكيل .

---

(1) Batman to Halifax, No. 1066,25 August 1939, F.O. 407/223.

حين تشكلت الوزارة كان على ماهر قد فقد نفوذه على فاروق ، ثم عمل جاهداً لاسترداد هذا النفوذ أو جانب منه ، وحقق فى ذلك نجاحاً هو الذى أوصله إلى رئاسة الوزارة . لذلك كان من الطبيعى أن يحرص على ماهر فى تشكيل الوزارة ورسم سياستها على إرضاء الملك لتثبيت ما استرد من نفوذ واستدامته . وسنعود إلى تناول هذا الموضوع .

وفى نفس الوقت كان على ماهر حريصاً على إرضاء الجانب البريطانى وكسب تأييده . وقد رأينا الجهد الذى بذله فى لندن وفى القاهرة لتنقية جو العلاقات بينهما . ويكفى دليلا على نجاحه أن السفير البريطانى حين عاد من أجازته فى أول سبتمبر كان يحمل له خطاباً بالتأييد من الحكومة البريطانية بمناسبة توليه منصبه(1) . ولما كانت نار الحرب الوشيكة واضحة فى الأفق عندما تولى الوزارة فان إرضاء الجانب البريطانى كان يعنى تنفيذ معاهدة التحالف وتقبل التزاماتها بما يرضيه وتنفيذ مطالبه فيما يختص بأمور الدفاع . ويشهد بتمان فى خطابه أن على ماهر مخلص فى تعبيره عن استعداده للعمل فى تعاون قلبى مع السفارة ، وبخاصة فى أمور الدفاع . كما أن على ماهر وعده بالتخلص من عزيز المصرى لو ثبت عدم صلاحيته لمنصب رئيس الأركان .

جاءت وزارة على ماهر بعد أن تزايد ضعف وزارة محمد محمود وآذنت بالسقوط ، وتزايدت شعبية الوفد فى البلاد . ولما كانت نار الحرب واضحة ، فقد كان الوضع الطبيعى حتى بمقاييس السياسة المصرية فى الفترات السابقة ، هو أن تخلف وزارة محايدة وزارة محمد محمود لتجرى انتخابات يتولى بعدها الوفد الحكم . لذلك فوزارة على ماهر حينئذ هى البديل السيء لوزارة الوفد . لذلك ، ولموقف كل من على ماهر والملك من الوفد ، اتخذت وزارة على ماهر سياسة العداء للوفد . وكانت سياسة العداء للوفد واقتراب الحرب تعنى تشكيل وزارة قوية ذات برنامج يحظى بتأييد الشعب . وسنعرض لذلك بتفصيل .

يضاف إلى ذلك أن المسألة الفلسطينية كانت حينئذ الشغل الشاغل للبلاد العربية ، ومنها مصر ، ولبريطانيا . وكان على ماهر وهو فى رئاسة الديوان يدفع فاروق إلى

(1) Evans, op. cit., p. 109.

انتهاج سياسة إسلامية حتى تشغل مصر ، بعد استقلالها ، وضعها الطبيعي فى العالمين العربى والإسلامى . وكان ذلك يعنى الاهتمام بالمسألة الفلسطينية . وكان على ماهر هو الذى مثل مصر فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن عام ١٩٣٩ كما أشرنا . وقد اصطحب معه مستشاراً هو عبد الرحمن عزام بك . لذلك كان منتظراً أن يبرز ذلك الاتجاه سواء فى تشكيل الوزارة أو فى سياستها وقد ضمت الوزارة ثلاثة من المهتمين بالقضايا العربية هم محمد على علوبة باشا ومحمد صالح حرب باشا وعبد الرحمن عزام بك .

هذا عن الظروف المحيطة بتشكيل الوزارة . أما عن القوى التى تعتمد عليها فان على ماهر لم يكن له حزب يعتمد على تأييده ، لذلك فان اعتماده الأساسى كان على الملك فى المقام الأول ، ثم على ما يمكن الحصول عليه من تأييد الأحزاب ، وعلى تأييد المستقلين فى البرلمان . والحصول على تأييد المستقلين يكفله تأييد السراى إلى حد كبير ، لما يمكن أن تمارسه من ضغط عليهم ، وبخاصة التهديد بحل البرلمان . وهكذا نعود ثانية إلى تأييد الملك كعامل أساسى . وتأييد الملك كان يعنى فى المقام الأول ضمن ما يعنى ، استبعاد الوفد . هذا بالإضافة إلى أن الوفد نفسه كانت سياسته عدم الموافقة على أية وزارة إلا إذا كانت وزارة وفدية ، أو وزارة محايدة لإجراء انتخابات تأتى بالوفد ، بطبيعة الحال ، إلى الحكم . ولم تكن تلك هى وزارة على ماهر . لذلك فان على ماهر عند تشكيل الوزارة تجاهل الوفد تماماً. كما يقول بتمان.

ويغلب أن سياسة على ماهر كانت ترمى أيضاً إلى استبعاد الأحرار الدستوريين . فعلى ماهر ، بمناوراته ومضايقاته وهو فى رئاسة الديوان ، كان العامل الأساسى فى دفع محمد محمود إلى الاستقالة ليحل محله . ولا شك أن الأحرار كانوا سيحفظون له هذه اليد المسيئة . لذلك لم يكن يأمن معاكساتهم لو اشتركوا فى الوزارة ، بل ربما محاولة تخريبها من الداخل . والوزارات القومية التى شارك فيها الوفد تقدم أمثلة لإمكان حدوث ذلك ، نقصد بذلك وزارة النحاس عام ١٩٢٨ . لهذا السبب طالت — كما يقول بتمان — المفاوضات لتشكيل الوزارة وأخذ على ماهر يضع شروطاً ويتقدم بترشيحات يتعذر على الدستوريين قبولها : مثل ترشيح أحمد خشبه باشا لوزارة الصحة بدلا من وزارة العدل التى كان يشغلها فى الوزارة المستقيلة رغم أنه

من رجال القانون ، وترشيح عبد القوى أحمد باشا لوزارة الأشغال العمومية واحتسابه من العدد الذى يخصصه للدستوريين رغم أنهم رفضوا اعتباره منهم . وهكذا دفعهم فى النهاية إلى تقرير عدم الاشتراك فى الوزارة . ويبدو أنه كان قد رسم خطته على إشراك السعديين فقط . ووصل معهم فعلا إلى اتفاق على ذلك ، لأنه رغم أن الدستوريين والسعديين اتفقوا على اتخاذ سياسة موحدة فى موضوع الاشتراك فى الوزارة أو عدم الاشتراك فيها فبمجرد أن قرر الدستوريون عدم الاشتراك فى الوزارة شكل على ماهر وزارته ، وأعطى السعديين خمسة مناصب بدلا من أربع(١) . وهكذا اكتفى على ماهر فى البرلمان بضمان تأييد السعديين وما يمكن الحصول عليه من أصوات المستقلين . تلك بلا جدال نقطة ضعف فى وزارة على ماهر ، ويغلب أنها كانت من أسباب عدم قبول استقالة محمد محمود فى ٦ يوليو ، حتى لا يكون على ماهر مضطراً إلى مواجهة البرلمان فى أيام الأولى لوزارته، وتأجلت بذلك الاستقالة وتشكيل الوزارة إلى أغسطس ، حتى يفيد على ماهر من فرصة العطلة البرلمانية لدعم مركز وزارته .

وهكذا ، كون على ماهر وزارته من المستقلين والسعديين ، واعتمد أساساً على تأييد الملك ، وسعى إلى تأييد الجانب البريطانى ، وحصل عليه . وكون وزارة قوية ذات برنامج إصلاحى ، اتجهت إلى إرضاء الملك ومناوأة الوفد . وقد استبقينا النقاط الأخيرة لمناقشة أكثر تفصيلا .

تلك النقاط تمثل حلقات متصلة : فارضاء الملك حينئذ يعنى ، ضمن ما يعنى ، مناوأة الوفد . ومناوأة الوفد تستدعى قيام وزارة قوية تنفذ برنامجاً جاداً للاصلاح ، وبخاصة الاصلاح الاجتماعى ، وبذلك ، كما يقول بتمان ، تنتزع من الوفد سيطرته على الجماهير على أساس من انجازاتها . لهذا ركز برنامج الوزارة الذى أوضحه على ماهر فى خطابه إلى الملك على العناية بالفلاح وأنشئت لأول مرة وزارة الشئون الاجتماعية . ذلك أنه كانت توجد حينئذ آراء بأن الوفد ركز كل جهوده فى القضية الوطنية ، ولم يكون لنفسه برنامجاً شاملا للاصلاح ، بحيث أصبح بعد معاهدة ١٩٣٦ وقد استنفد الغرض من وجوده . ووجدت خلال فترة وزارته الأخيرة فكرة أن

(١) محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ، ص ١٦٤ – ١٦٦ .

حكم الوفد يتميز بالفساد وبنقص الكفاءة الإدارية . عبر عن ذلك لامبسون فى كثير من تقاريره أيام تلك الوزارة .

هى إذن خطة تم الاتفاق عليها بين على ماهر والملك للقضاء على الوفد كحزب شعبي يكاد يحتكر تأييد الجماهير . ويغلب أنها هى الخطة التى أقنع فاروق على أساسها بإسناد الوزارة إليه ، وهى أخيراً تتفق مع ما يحاول على ماهر أن يكونه لنفسه من شهرة من أيام وزارته الأولى بأنه رئيس وزراء كفء نشط ذو قدرة خلاقة وقادر على دفع الأداة الحكومية إلى العمل والانتاج .

النقطة الأخيرة الواضحة أيضاً فى خطاب بتمان هى نقطة السلطة ، والإطار الذى تزاول فيه الوزارة شئون الحكم . ذلك أن فاروق كان قد تخلص لتوه من البندارى وإن لم يكن قد تخلص من تأثيره ومن أفكاره المتشبعة بالاتجاهات الفاشية ، تلك الاتجاهات التى لم تكن ، على أية حال ، غريبة عن روح العصر فى مصر ، فقد كانت هى الاتجاهات والمبادىء التى قامت على أساسها عظمة دولتين ، كانتا لا تزالان عظيمتين ، بل ومتفوقتين فى مواجهة معسكر الديمقراطية المتخاذل . تلك الاتجاهات هى التى قسمت القصر أيام وجود البندارى إلى معسكر الفاشية ومعسكر الديمقراطية الذى يمثله على ماهر (١) . وقد انتهت المعركة بين المعسكرين بانتصار على ماهر ، وإن لم تنته آثار الفاشية فى القصر ، ولا تأثيرها على فاروق . ولم يكن وقوف على ماهر إلى جانب الديمقراطية عن حب أصيل لها ، فقد كان طبعه الاوتوقراطى أميل إلى الدكتاتورية ، بل لأن مصلحته لم تكن إلى جانب قيام فاشية فعلية ، كما أن مصلحته كانت تتعارض مع قيام ديمقراطية حقيقية يستأثر فيها الوفد بالسلطة . وهكذا كان مما يتفق مع اتجاهات على ماهر ومما يرضى فاروق أن يبقى البرلمان قائماً ، وأن يعين وزيران للشئون البرلمانية هما : محمد على علوبة باشا وإبراهيم عبد الهادى ، كل ذلك كما يقول فاروق فى حدود « السيطرة على الأمور عند القمة » وفى حدود « أن من الخير لمصر التخلى عن بعض نواحى العمل الديمقراطى التى ثبت عدم فائدتها أو عدم إمكانية تطبيقها » وفى حدود « أن على الأعضاء أن يتذكروا أن الوقت الذى تحت تصرفهم ليس بدون حدود » وأن « ما يتضح أنه لازم بسرعة

(١) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ — ٢٥٣ .

لمصلحة البلاد ينبغي عمله بدون تلكؤ » . أي أن الإطار هو دكتاتورية مغلفة بغلاف ديمقراطي ، يجلس على القمة فيها على ماهر لينفذ ما تستقر عليه السراى . هى إذن دكتاتورية السراى . ولعل مما يوضح ذلك فى الفترة المبكرة من حياة الوزارة هو فصل أمين عثمان[1] ، الوسيط بين السفارة البريطانية والوفد ، والذى كان محمد محمود فى فترة مرضه فى يوليو يفكر فى تعيينه وكيلا فى رئاسة الوزراء ليقوم عنه بتصريف الأمور الروتينية للوزارة ، ولم ينجح فى ذلك لما يكنه فاروق من كراهية لأمين عثمان. هى إذن ، كما يقول بتمان بحق ، حركة من السراى ، وليست من على ماهر ، الذى يغلب أنه كان يتجنب صداماً خطيراً كهذا مع السفارة فى أيام وزارته الأولى او ترك الأمر له .

ولهذا فان الوفد ، على إدراك منه بطبيعة نظام الحكم القادم ، وبخطورة الموقف الدولى ، قد حسم موقفه فى الحال ، فصفق الباب بعنف فى وجه على ماهر ، وفتحه – كما يوضح بتمان – فى وجه الجانب البريطانى . والوفد فى ذلك كان مدركاً أن قيام الحرب سيدفع بريطانيا ، إن عاجلا أو آجلا ، إلى الضغط لإسناد الحكم إلى الحزب الشعبى الذى يمكنه وحده أن يكتل المصريين إلى جانب التحالف المصرى البريطانى وإلى جانب الديمقراطية . وهكذا مهد الوفد لتدخل بريطانيا لإسناد الحكم إليه فى ٤ فبراير ١٩٤٢ .

موقف على ماهر والخطوط الرئيسية لسياسته :

حين نتعرض لسياسة على ماهر فى وزارته ، ولعلاقاته بالجانب البريطانى ، ينبغي أن يكون فى بالنا تلك النقاط التى اتضحت لنا ؛ موقف التحفظ الذى اتخذه السفير البريطانى من على ماهر ، ومخاوفه من النفوذ الفاشى فى السراى ، واتجاهاتها المحورية ، وقيام دكتاتورية السراى . هذه النقاط تجسم لنا المشكلتين الأساسيتين اللتين واجهتا على ماهر وأثرتا فى الطريقة التى واجه بها غيرهما من مشاكل الحكم ، هاتان المشكلتان هما المشكلة الخارجية ، أو علاقاته بالجانب البريطانى فى ظروف قيام الحرب ، والمشكلة الداخلية ، أو المشكلة الدستورية .

سنتعرض للمشكلة الأولى حين نتناول موضوع قيام الحرب والعلاقات المصرية

البريطانية . أما المشكلة الثانية فترتبت على الأوضاع التى كانت قائمة حين شكل على ماهر وزارته ، وعلى طبيعة تكوين تلك الوزارة .

كان الوضع فى البرلمان كالآتى : فى مجلس الشيوخ كان الوفد يحظى بما يقرب من نصف الأعضاء مما كفل لمعارضته للوزارة به قوة فعالة . أما مجلس النواب الذى جرت انتخاباته فى مارس ١٩٣٨ فلم يكن للوفد به سوى ١٢ مقعداً بينما أحرز الدستوريون ٩٩ مقعداً والسعديون ٨٤ مقعداً ، والباقون من المستقلين . وكانت العلاقات بين الوفد وعلى ماهر يشوبها العداء . ولم يتحول الوفد عن موقفه هذا حتى بعد أن أخذ على ماهر ، حين تبين ضعف موقفه ، يتقرب إلى الوفد . أما الأحرار الدستوريون فلم ينسوا مناورات على ماهر رئيس الديوان ومعاكساته أيام وزارة محمد محمود ، لذلك فرغم أن موقفهم المعلن من البداية كان التعاون مع الوزارة ، إلا أنهم اتخذوا بوجه عام موقف المعارضة من وزارته وأخذ محمد محمود يسعى لإسقاطها ، بل إنه سعى إلى التقارب من الوفد وإقامة تعاون بين الحزبين لتحقيق هذا الغرض . ومع أن الوفد استجاب مبدئياً لهذه المساعى ، إلا أنه أصر على التمسك بمبدأ رئيسى فى سياسته الحزبية ، وهو رفض الوزارات الائتلافية والمطالبة بحكومة محايدة تجرى انتخابات برلمانية حرة حين تسمح الظروف[1] . أما السعديين فمع أنهم كانوا شركاء على ماهر فى الوزارة ، إلا أن تأييدهم له لم يكن مطلقاً ، كما سنرى ، كذلك لم يكن تأييد المستقلين له قضية مسلماً بها . حقيقة أنهم بوجه عام كانوا يخضعون لضغط السراى ، المؤيدة لعلى ماهر ، لكن الأمر فى النهاية كان خاضعاً أيضاً للمناورات البرلمانية .

هذا الاستعراض يوضح ضعف موقف على ماهر فى البرلمان ، وهو أمر مفروغ منه منذ تخلى الأحرار الدستوريون عن الاشتراك فى الوزارة . لم يكن أمام على ماهر سوى طريقين لمواجهة هذا الموقف ، أحدهما أن يحل البرلمان ويقيم دكتاتورية سافرة ، بدلا من دكتاتورية السراى المقنعة التى يعتزم إقامتها . أما الطريق الثانى فكان مواجهة البرلمان ودخول حلبة الصراع داخله :

(1) Lampson to Halifax, No. 13762, 8 November 1939, F.O. 407/223; No. 144, 7 February 1940, F.O. 407/224.

الطريق الأول سبقته تجربة فاشلة وتحيط به الأخطار . كانت هناك تجربة إسماعيل صدقى فى حل البرلمان وإلغاء الدستور والحكم بدونهما . وكانت هناك تجربة على ماهر نفسه خلال الأزمة الدستورية والانقلاب الدستورى فى آخر يناير ١٩٣٧ وما أدى إليه من توتر حاد فى العلاقات بين لامبسون وكل من على ماهر والسراى . يضاف إلى ذلك الظروف التى استجدت بقيام الحرب مع وجود القوات البريطانية وقيام تحالف بين مصر وبريطانيا ، مما يجعل القيام بمغامرات دستورية أمراً محفوفاً بالمخاطر . يضاف إلى ذلك أيضاً أن وجود البرلمان ، فى تلك الظروف الجديدة ، يعتبر غطاء لازماً للسراى وللوزارة القائمة فى مواجهة قوة بريطانيا السياسية والعسكرية الغالبة . وأخيراً فان السعديين ، شركاء على ماهر فى الوزارة ما كانوا ليقبلوا انقلاباً دستورياً وهم فى الحكم .

ويبدو أن على ماهر قد اختار الطريق الثانى من البداية ، فقد ضمت وزارته وزيرى دولة للشئون البرلمانية هما محمد على علوبة باشا لشئون مجلس الشيوخ ، وإبراهيم عبد الهادى(١) لشئون مجلس النواب . لكن يبدو أيضاً أن قيام الحرب كان فرصة أسرع على ماهر إلى اقتناصها لمحاولة الحصول على سلطات دكتاتورية تساعده على تحسين وضعه الضعيف وتتفق مع طبعه الأوتوقراطى ، فأعلن الأحكام العرفية ، وعين نفسه حاكماً عسكرياً ، وقرر عدم دعوة البرلمان إلى دور انعقاد غير عادى لعرض الأحكام العرفية عليه ، كما يقضى الدستور ، بحجة أن إعلانها يتضمنه القانون رقم ٨٠ لعام ١٩٣٦ الصادر بمعاهدة ١٩٣٦ ، والذى وافق عليه البرلمان .

بل إنه حين اضطر تحت ضغط المعارضة القوية إلى عرض الموضوع على البرلمان عرضه على أساس أنه « إبلاغ » وليس « عرضاً » ، أى أن مرسوم الأحكام العرفية معروض للعلم وليس للحصول على الموافقة ، وذلك ليسلب البرلمان حقه فى أن يقرر استمرار الأحكام العرفية أو إلغائها . لكنه اضطر فى النهاية إلى الموافقة على أن مرسوم الأحكام العرفية « معروض » ليقرر المجلس استمرارها أو إلغائها(٢) .

---

(١) الوزرات والنظارات المصرية ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(١) مضابط جلسات مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد غير العادى ، ٢ – ١٧ اكتوبر ١٩٣٩ ، تقرير لجنة الأحكام العرفية ، ص ٣٢ . أنظر أيضاً عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ص ٢٩٠ – ٢٩١ .

وهكذا عدل على ماهر عن محاولته وعاد إلى السير فى الطريق الثانى . وقد علق لامبسون على مسلك على ماهر بقوله أنه ليس « من الخامة التى يصاغ منها الدكتاتوريون وهو وإن يكن استبدادياً فى وسائله إلا أنه تنقصه الشجاعة والعزيمة . وعندما تصل المسائل إلى النقطة الحاسمة ، فانه يبدو كما لو كان يرتجف خوفاً من القرارات الخطيرة »[1] .

كان الإبقاء على الدستور والبرلمان يعنى قبول التحدى داخل البرلمان ومحاولة الحصول على تأييد داخله يكفل للحكومة أن تنفذ مشروعاتها وذلك رغم ضعف نصيبه من التأييد الحزبى . سنتعرض فيما بعد إلى المناورات الحزبية والبرلمانية التى لجأ إليها لتقوية مركزه ، لكن ينبغى أن نشير هنا إلى أنه اضطر إلى اتخاذ سياسة يراعى فيها الرأى العام كى يحصل على قدر من الشعبية يوازن به ضعف نصيبه من التأييد الحزبى . هذه السياسة كانت تتعارض مع سياسة أخرى جاء بها على ماهر إلى الوزارة ، واستدعتها ظروف الحرب فى نفس الوقت ، وهى تحسين علاقاته بالجانب البريطانى . وكان موقف على ماهر بالغ الصعوبة وهو يحاول الجمع بين هاتين السياستين .

والآن لنر كيف عالج على ماهر مشاكل الحكم وهو يسير بحذر على هذا الحبل المشدد .

تنفيذ المعاهدة فى ظروف الحرب :

حين أصبح خطر الحرب داهماً قابل مستر بتمان ، القائم بعمل لامبسون ، رئيس الوزراء فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ وأشار إلى أن الحكومة البريطانية ترى أنه قد قامت حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها بالمعنى الذى نصت عليه المادة السابعة من معاهدة التحالف بين الدولتين ، ثم عزز ذلك بمذكرة فى اليوم التالى . وفى تلك المذكرة طلب بتمان باسم حكومته بأن تقدم الحكومة المصرية إلى الحكومة البريطانية ما تنص عليه المادة السابعة من المعاهدة من تسهيلات ومساعدات . ومع أنه لم يطلب إعلان حالة الطوارىء التى تشير إليها تلك المادة ، إلا أنه طلب اتخاذ الاجراءات التمهيدية

(1) Lampson to Halifax, No. 1362, 8 November 1939, F.O. 407/223.

التى تكفل إعلانها فى أقصر وقت إذا دعت الحاجة إلى ذلك . وبناء على ذلك اتخذ على ماهر ما أشرنا إليه من إجراءات فى الفترة بين ٢٥ و ٣١ أغسطس .

وحين قامت الحرب فعلا قابل لامبسون ، وكان قد عاد من إجازته فى نفس اليوم ، على ماهر وطلب إليه إعلان حالة الطوارىء . وقد استجاب على ماهر لهذا الطلب وأعلن حالة الطوارىء وفرض الأحكام العرفية وعين نفسه حاكماً عسكرياً يوم ١ سبتمبر. وفى يوم ٣ سبتمبر أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا ، فأعلن على ماهر فى نفس اليوم قطع العلاقات مع ألمانيا ، وأصدر قرارات بمنع التعامل التجارى مع الرعايا الألمان ، وباعتقالهم — فيما عدا النساء والأطفال — تمهيداً لترحيلهم إلى بلادهم ، وبوضع الممتلكات الألمانية تحت الحراسة . وتبع إعلان الأحكام العرفية وقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا اتخاذ إجراءات أخرى مكملة لفرض الأحكام العرفية ، ولتأمين سلامة البلاد . ففرضت الرقابة على البريد والصحافة والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وأنشئت لهذا الغرض مصلحة للرقابة لها لجنة استشارية تضم عضويتها سيسل كامبل عضو مجلس الإدارة المنتدب لشركة ماركونى ، كما تولى مستر ويب تنفيذها فى مصلحة التلغرافات والتليفونات ، وأنشئت لجنة من مصلحة الجمارك برئاسة مستر كاسل المفتش فيها للنظر فى طلبات الترخيص باصدار البضائع والمحصولات المصرية . وبدأ اللواء ويلز باشا مدير مصلحة الموانى والمنائر ، الذى عهد إليه باتخاذ التدابير لحماية ميناء الاسكندرية ، بتنفيذ إجراءات تفتيش السفن الداخلة فيه وإغلاقه بالشباك بين الغروب والشروق . وأنشئت نقطة بحرية لمراقبة السفن بميناء بور سعيد ووضع نظام لإغلاق الميناء وعدم فتحه إلا لمرور السفن ، كما وضع نظام لتفتيش السفن الداخلة إلى القناة ، ووضعت السكك الحديدية فى حالة استعداد ، فجهزت عربات للمستشفيات وأعدت قطارات لنقل الجند والعتاد . وتقرر إيقاف خطوط الطيران مع الخارج ، والاستيلاء على طائرات وحظائر شركة مصر للطيران ، بالإضافة إلى الاستيلاء على عدد من سيارات النقل ، يضاف إلى ذلك أنه تقرر إنشاء أربع مناطق عسكرية فى محافظات القاهرة والإسكندرية والصحراء الغربية والقنال ، وعين محافظو المحافظات الثلاث الأول حكاماً عسكريين ، كما عين أحمد محمود عزمى بك حاكماً عسكرياً لمنطقة القنال ، واستدعى ضباط الاحتياط

للالتحاق بالجيش العامل ، كما استدعى الرديف لحراسة المرافق ، وخول وزير المالية سلطة التصرف فى الاحتياطى العام . وأخيراً صدر قانون بتسعير المواد الغذائية والحاجيات الأولية ، وبدأت تجارب الغارات الجوية ، وبدأ إنشاء المخابىء»(١) .

يتضح مما سبق أن على ماهر وضع مصر فى حالة الاستعداد للحرب ، وقدم للحليفة كل ما يمكن من مساعدة وتسهيلات ، فأعلن الأحكام العرفية ، ووضع تحت تصرف السلطات البريطانية موانى البلاد وطرق ووسائل مواصلاتها ، وأشركها فى الرقابة على الموانى والمواصلات ، بل وفى مراقبة تجارة مصر الخارجية والسيطرة عليها ، وزاد على ذلك أن سمح لها أن تراقب ، باسم مصر ، التجارة المارة بقناة السويس(٢) . وهكذا أوفى على ماهر بالتزامات مصر بمقتضى المعاهدة كاملة . بل أنه تعدى تلك الالتزامات . فالمادة السابعة فى حقيقة الأمر لا تلزم مصر بإعلان الأحكام العرفية ، بل تترك ذلك لحكمة الحكومة المصرية ، وذلك وفقاً لنص المادة نفسه الذى يقول :

"It will accordingly be for the Egyptian Goverment to take all the administrative and legislative measures, encluding the establishment of martial law,. "

وهى لا تلزم مصر لا بتيسير استخدام بريطانيا للموانى المصرية ، بينما أتاح على ماهر لبريطانيا سيطرة كاملة على الموانى المصرية وقناة السويس عن طريق اللواء ويلز باشا البريطانى مدير عام الموانى والمنائر والقوات البحرية البريطانية التى اتخذت الاسكندرية قاعدة لها وعينت الأميرال اليوت قائداً للميناء(٣) . وعن طريق هيئة تفتيش السفن الداخلة فى الميناء والتى سيطر عليها ويلز باشا ، وعن طريق نظام تفتيش السفن المارة بالقناة . بل إن على ماهر سمح لبريطانيا بالسيطرة على تجارة مصر الخارجية

---

(١) الأهرام ٢-٧ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٢) كانت الرقابة البريطانية على تجارة مصر الخارجية والسيطرة عليها تم عن طريق اللجنة التى سبقت الاشارة إليها وتضم عضويتها مفتش جمارك انجليزى ، وعن طريق ممثل لوزارة الحرب الاقتصادية البريطانية كان يتحتم الحصول على موافقته على تصاريح التصدير . أنظر :
Halifax, to Lampson, telegram No. 711,25 September 1939; Lampson to Halifax, telegram No. 644,28 September 1939 F.O. 407/223.

(3) Wilson, op. cit., p. 19.

ومراقبة التجارة المارة بقناة السويس عن طريق موظفين يتلقون تعليماتهم من وزارة الحرب الاقتصادية في بريطانيا ، وهذا ما تخلو منه معاهدة التحالف . تلك كلها تدابير تجاوزت التزامات مصر بمقتضى المعاهدة . ويبدو أنه قد منح الجانب البريطاني في الأيام الأولى من الحرب كل ما طلبه تقريباً ، فيما عدا إعلان الحرب على ألمانيا وتعيين حكام عسكريين بريطانيين يطبقون القانون العسكرى البريطاني ، وبخاصة في مناطق القاهرة والإسكندرية والقنال والصحراء الغربية(١) . وقد أشارت الأهرام في حينه إلى أن ما تقدمه مصر قد تجاوز التزاماتها بمقتضى المعاهدة ، كما أشارت تلك الجريدة أيضاً ، وبحق ، إلى أن ما اتخذته مصر من إجراءات في الداخل وتجاه ألمانيا جعلها في مركز وسط بين الحرب والحياد(٢) .

لكن على ماهر سرعان ما اصطدم في الداخل بمشكلة إعلان الأحكام العرفية ، كما اصطدم بمشكلة رغبة بريطانيا في أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا ، وبمواجهة هاتين المشكلتين في ظروف وضع الوزارة ، والأوضاع البرلمانية القائمة ، واتجاهات الرأى العام ، ورغبة على ماهر في إرضاء بريطانيا .

مشكلة الاحكام العرفية :

صدر مرسوم إعلان الأحكام العرفية أثناء العطلة البرلمانية مستنداً إلى أحكام القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الخاص بنظام الأحكام العرفية . لكن على ماهر لم يتقيد بحدود هذا القانون ولا بالمادة ٤٥ من الدستور الخاصة بالأحكام العرفية أيضاً . ذلك أن المرسوم الصادر باعلان الأحكام العرفية خول الحاكم العسكرى ، وهو هنا على ماهر نفسه ، السلطات الواسعة التى تتضمنها المادة الثانية من القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ ، وزاد عليها الترخيص له باتخاذ أى إجراء آخر لازم للمحافظة على النظام أو الأمن العام ، وبهذا جعل له في البلاد سلطاناً مطلقاً غير محدود . أما المادة ٤٥ من الدستور فكانت تقضى بعرض إعلان الأحكام العرفية فوراً على البرلمان ليقرر استمرارها أو إلغاؤها . فاذا وقع ذلك الإعلان في غير دور الانعقاد وجبت

(١) لطفى عثمان ، المحاكمة الكبرى فى قضية الأغتيالات السياسية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٣٤ . Wilson, op. cit., 23.

(٢) الأهرام ١٣ و ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩ .

دعوة البرلمان للاجتماع على وجه السرعة . لكن على ماهر لم يستصدر المرسوم بدعوة البرلمان إلى الانعقاد إلا فى ٢٣ سبتمبر ، أى بعد إثنين وعشرين يوماً من إعلان الأحكام العرفية وحدد للاجتماع يوم ٢ أكتوبر ١٩٣٩ . بل إن المرسوم الصادر بدعوة البرلمان إلى الاجتماع فرق بين إعلان الأحكام العرفية والمراسيم الأخرى ، وذلك بالإشارة إلى الأول بكلمة « إبلاغ » وإلى المراسيم الأخرى بكلمة « عرض » ، مما يعنى محاولة على ماهر تجريد البرلمان من حقه فى إلغاء الأحكام العرفية(١). يضاف إلى ذلك أنه حتى هذه الدعوة المتراخية لم تتم إلا بعد إلحاح من أخيه أحمد ماهر ، شريكه فى الحكم . وقد استند فى عدم دعوة البرلمان إلى فتوى من الدكتور عبد الحميد بدوى رئيس لجنة قضايا الحكومة بأن إعلان الأحكام العرفية فى هذه الحالة مترتب على القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ الذى صدرت به معاهدة ١٩٣٦ والذى وافق عليه البرلمان ، وبأنه لذلك فلا حاجة إلى الحصول على موافقة البرلمان (٢).

ليس من الصعب أن نعرف الدوافع التى حدت بعلى ماهر إلى انتهاج هذه السياسة . فلا شك أنه كان عازفاً عن مواجهة البرلمان فى تلك الفترة المبكرة من وزارته ، وفى هذا الموضوع بالذات ، خوفاً من رفض الموافقة على استمرار الأحكام العرفية مما يعرض وزارته للخطر . أنه كان حريصاً حينئذ على إرضاء الجانب البريطانى ، بل وعلى استرضائه بعد أن خيب ظنهم فيما طلبوه من إعلان الحرب على ألمانيا . يضاف إلى ذلك رغبته فى الحصول على سلطات دكتاتورية يستغلها فى تحسين مركز وزارته وإضعاف خصومه .

وقد كتب لامبسون عن ذلك إلى هاليفاكس فى تقاريره قائلا إن على ماهر « لما اقتنع أخيراً بوجهة نظر أخيه أحمد ماهر باشا بأن لا بد من دعوة البرلمان ، ظل شهراً كاملا دون أن يفعل ، مما أتاح الوقت لنمو مختلف ألوان المعارضة ، كما اتضحت الطريقة التى يتبعها لتطبيق حالة الطوارىء . وقد أثارت تلك الطريقة

---

(١) مضابط جلسات مجلس الشيوخ ، دور الأنعقاد غير العادى ٢ – ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ، تقرير لجنة الأحكام العرفية ص ٣٢ .

(٢) الدستور ، ١٢ سبتمبر ١٩٣٩

Lampson to Halifax, No. 1362,
8 November 1939, F.O. 407/223.

مخاوف خصومه السياسيين الذين شعروا أنه يتخذ من حالة الطوارىء ذريعة لكتم أنفاسهم . أضف إلى ذلك مشاكل الحرب ، مثل مشكلة القطن وغيرها ، تلك المشاكل التي تطورت وأثارت شعوراً قوياً كان من الطبيعي أن يستغله المعارضون السياسيون ضد رئيس الوزراء ».(١)

وعاد بعد ذلك يقول « أن رئيس الوزراء تردد كثيراً فى دعوة البرلمان لإقرار مرسوم حالة الطوارىء ، كما ينص الدستور . لكنه ، على أية حال ، اضطر فى النهاية إلى دعوته لأن الرأى العام أخذ يبدى قلقاً متزايداً فى هذا الموضوع ، وشعر أن رئيس الوزراء كان يستغل السلطات الخاصة التى يخولها له المنشور فى تحقيق أهدافه السياسية . وقد انصب النقد بالذات على استخدام ، وعلى سوء استخدام ، الرقابة لهذا الغرض » (٢). وقد انتقد فريق الأغلبية من لجنة الأحكام العرفية بمجلس الشيوخ تطبيق الوزارة للأحكام العرفية وقالوا أن حرية الرأى أصبحت معدومة وحرية النقد لا وجود لها وأن الشكاوى كثيرة من الأحكام العرفية(٣).

على أية حال ، فقد اجتماع البرلمان فى دورة غير عادية فى ٢ أكتوبر لنظر ذلك المرسوم وغيره من المراسيم التى صدرت فى غيبته . وقد تمت الموافقة على المرسوم بأغلبية كبيرة فى مجلس النواب . ويرجع ذلك إلى معاونة محمد محمود بالإضافة إلى السعديين شركاء على ماهر فى الحكم . ولضآلة عدد النواب الوفديين فيه . لكن المعركة كانت حامية فى مجلس الشيوخ ، حيث يتمتع الوفد بعدد يقرب من نصف الأعضاء . وانتهى الأمر بموافقة مجلس الشيوخ بأغلبية ضئيلة على المرسوم .

تكونت فى مجلس الشيوخ لجنة خاصة لدراسة الموضوع والتقدم للمجلس بنتيجة هذه الدراسة . وقد تشكلت بنفس نسبة تشكيل المجلس تقريباً . أربعة من الوفديين وواحد لكل من الدستوريين والسعديين ، وإثنان من المستقلين بالإضافة إلى رئيسها عبد الفتاح باشا يحيى .

(1) Ibid.

(2) Lampson to Halifax, No. 145, 8 February 1940, F(O. 407/223.

(٣) مضابط جلسات مجلس الشيوخ ، دور الأنعقاد غير العادى ٢ – ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ، تقرير لجنة الأحكام العرفية ، ص ٣٤ .

رأت اللجنة أن مرسوم إعلان الأحكام العرفية صدر مستنداً إلى القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ ، وأن رئيس الوزراء قد صرح بأن إعلانها كان أيضاً بناء على طلب بريطانيا وذلك تنفيذاً للمعاهدة . ورأت اللجنة بالإجماع « أن الدستور صريح فى أن إعلان الأحكام العرفية ، سواء أكان تنفيذاً للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ أم لقانون المعاهدة ، لا بد من عرضه على البرلمان لإعطاء رأى قاطع إما باستمرار الأحكام العرفية أو بالغائها » . وباتصال اللجنة برئيس الوزراء أرسل مندوباً عنه وزيرى الشئون البرلمانية إلى اللجنة حيث صرح إبراهيم عبد الهادى بأن « الموضوع المطروح هو عرض مرسوم الأحكام العرفية ليقرر المجلس استمراره أوعدم استمراره » .

بحسم هذه النقطة تفرغت اللجنة إلى التداول فى شأن ما تشير به على المجلس فى شأن الأحكام العرفية ، فرأى خمسة من أعضائها عدم استمرار الأحكام العرفية . ورأى ثلاثة استمرارها ، وامتنع رئيس اللجنة عن إبداء رأيه .

استندت الأغلبية فى رأيها على أسباب عدة . فقد قامت بمقارنة بين قانون الأحكام العرفية المصرى ونظيره فى بعض البلاد الأخرى . فأشارت إلى أن فى فرنسا لا يصح للبرلمان أن يفوض السلطة التنفيذية بتفويض عام اتخاذ أى إجراء تشريعى لمواجهة حالات الطوارىء إلا بقانون يحدد الموضوع والزمن يصدره البرلمان . أما فى إنجلترا فقد جعلوا للبرلمان حق تفويض السلطة التنفيذية فى التشريع ، ولكن ما تتخذه من ذلك يجب عرضه على البرلمان ليقول كلمته فيه . وفوق هذا فان إجراءات السلطة التنفيذية فى ذلك فضلا عن مراقبتها بالبرلمان تقع تحت سلطان المحاكم العادية . أما قانون الأحكام العرفية المصرى فهو فى رأى أغلبية اللجنة قانون متشددقد تناول موضوعات شتى وضع لها أحكاماً استثنائية تخالف الدستور وتقلب القواعد العامة للتشريع ، ففى نصوصه ما يحرم الأفراد من حرياتهم الشخصية وما ينتهك حرمة الملك ، وغير ذلك . والمخالفات التى ترتكب لما يفرض من إجراءات بمقتضى الأحكام العرفية تنظرها محاكم عسكرية أحكامها نهائية ولا يصح للفرد أن يلجأ إلى أية سلطة للتعويض عما تكون هذه الاجراءات قد أصابته به من أضرار .

خرجت الأغلبية فى رأيها من ذلك إلى أن إعلان الأحكام العرفية كان بناء على

طلب الدولة الحليفة بينما الأمر والنظام مستتبين فى البلاد ، لذلك كان ينبغى إذا ما أعلنت الأحكام العرفية أن تكون مقصورة على التدابير التى تقتضيها حماية المصالح العسكرية . وقد حاولت اللجنة استطلاع رأى رئيس الوزراء فى ذلك ، كما عرضت عليه استمرار انعقاد البرلمان كضمان لحصر الأحكام العرفية فى هذا النطاق . لكن على ماهر لم يوافق على هذا الرأى محتجاً بأنه لا يمكنه فصل الاجراءات العسكرية عن غيرها ، وعرض على اللجنة استعداده لإعطاء بيان بالظروف التى تستدعى اتخاذ أى إجراء . كما صرح باستعداده لعقد البرلمان فى دورة غير عادية كلما اقتضت الظروف ذلك .

ويبدو أن هذا كان حلا وسطاً ، وكان من جانب الأغلبية اختباراً لنوايا على ماهر ، وأنه برفضه رأى اللجنة قد سقط فى هذا الاختبار . لذلك رأت أن الحالة الدولية قد تتطلب إعلان الأحكام العرفية فى حدود ما تقتضيه حماية المصالح العسكرية فقط . لكن رئيس الوزراء رفض ما عرضته اللجنة . يضاف إلى ذلك أن قانون الأحكام العرفية المصرى يمنح القائم على تنفيذها سلطات واسعة جداً . زاد منها المرسوم المعروض أنه رخص للحاكم العسكرى اتخاذ أى إجراء آخر لازم للمحافظة على النظام أو الأمن العام . وبهذا جعل له فى البلاد سلطاناً مطلقاً غير محدود ، بينما الأمن والنظام مستتبان . فاذا أضيف إلى ذلك أيضاً أن المادة ١٥٥ من الدستور تجيز تعطيل أحكامه أثناء قيام الأحكام العرفية ظهر ما فى الاستئثار بهذه السلطات الواسعة النطاق من الخطر الجسيم .

بهذا أوضحت الأغلبية مخاوفها من أن يقوم الحاكم العسكرى (على ماهر) بتعطيل الدستور وحل البرلمان وإقامة دكتاتورية سافرة . ثم لمحت إلى أنها لا تأمن أن يقوم على ماهر بذلك فقالت، ان « البلاد فوق ذلك لا تطمئن إطلاقاً أن تجعل تنفيذ الأحكام العرفية فى يد ليست موضع الرضاء منها » وأشارت إلى أن اللجنة قد استعرضت بعض الصور التى طبقت فيها الأحكام ، ولفت نظرها بصفة خاصة الطريقة التى روقبت بها الصحف وعوملت بها حرية النقد ، فتبين لها أن حرية الرأى أصبحت معدومة وأن حرية النقد لا وجود لها ، فضلا عن أنه حصل تمييز بين صحف وأخرى فى مراقبة الأخبار والآراء التى تنشر . ولا شك أن حرية الصحافة

وبصفة خاصة حرية النقد فى الظروف القائمة هى من الضمانات الجوهرية لحسن سير العدالة والمحافظة على مصالح البلاد .

وخلصت أغلبية اللجنة من ذلك إلى أنها ترفض استمرار الأحكام العرفية كما أعلنت بالمرسوم المعروض(١).

أما الأقلية فقد عرضت رأيها من الناحية الدستورية والقانونية وخلصت إلى أن إعلان الأحكام العرفية قد استند إلى القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ الصادر بمعاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا . وقد اشتبكت بريطانيا فى حرب مع دولة أخرى ولا تزال مشتبكة « ولهذه الدولة الأخرى فى مصر رعايا ولها فيها مصالح فهل يستطاع تحت ظل الأحكام العادية الآن الموجودة فى مصر ، والحال هكذا ، أن تقوم مصر بالوفاء بعهدها الذى قطعته لانجلترا والذى قررته المادة السابعة من المعاهدة ، فاذا كان ذلك مستطاعاً وجب ألا تكون الأحكام العرفية . أما إذا لم يكن ذلك مستطاعاً وجب أن تكون الأحكام العرفية . على ألا تتجاوز الغاية المقصودة من إعلانها وهى تسهيل السبيل لقيام مصر بتعهداتها التى قطعتها لانجلترا » . وقالت الأقلية أنه لا يتيسر لمصر أن تفى بتعهداتها التى قطعتها لبريطانيا فى ظل القوانين العادية . وأنه لا مندوحة عن الاتجاه إلى النظم الاستثنائية السريعة التى يجيزها إعلان الأحكام العرفية ، « فاستمرار الأحكام العرفية التى أعلنت بمرسوم أول سبتمبر ١٩٣٩ واجب كوسيلة فعالة لجعل التسهيلات والمساعدة التى تعاون بها مصر حليفتها بريطانيا العظمى فعالة ».

وأضافت الأقلية إلى ذلك أنها توجه نظر الحكومة إلى الأمور الآتية :

١ ــ العمل على حصر هذه الأحكام جهد الطاقة عند الضرورات العسكرية التى تقتضيها سلامة البلاد وتقضى بها المعاهدة .

٢ ــ الرجوع إلى البرلمان فى الشئون الخطيرة مراعاة لحرج الموقف .

٣ ــ تخفيف الرقابة على الصحف بحيث تقتصر على الأنباء التى يترتب على نشرها إضرار بسلامة البلاد وبالقوات المصرية وبالقوات الحليفة والصديقة .

---

(١) مضابط جلسات مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد غير العادية ٢ - ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ، تقرير لجنة الأحكام العرفية ص ٣٣ ، ٣٤ .

لكن رأى الأغلبية هو الذى كان يشكل الرأى الذى تتقدم به اللجنة إلى المجلس فى النهاية ، فطلبت اللجنة إلى المجلس أن يقرر عدم استمرار الأحكام العرفية(١).

زاد هذا التقرير من صعوبة موقف على ماهر فى مجلس الشيوخ فى مواجهة معارضة الوفد لإعلان الأحكام العرفية وتمثيله القوى فى المجلس. وقد استند معارضو الأحكام العرفية فى المجلس ، بالإضافة إلى ما ذكرته أغلبية اللجنة ، إلى أن مصر لم تعلن الحرب وأنها بعيدة كل البعد عن ميادنها وإلى أن الأحكام العرفية لم تعلن فى بريطانيا نفسها ، بالإضافة إلى أن المعاهدة لا تلزم مصر بإعلانها(٢) واضطر على ماهر إلى أن يخوض معركة حامية فى مجلس الشيوخ حتى حصل على موافقته على استمرار الأحكام العرفية بأغلبية بسيطة .

أدت معركة الأحكام العرفية فى البرلمان إلى عدة نتائج . فقد أتاحت الفرصة للرأى العام لكى يعبر عن نفسه ، سواء داخل البرلمان أو خارجه ، تجاه سياسة على ماهر . وقد رأينا أنه حتى المؤيدين لاستمرار الأحكام العرفية فى اللجنة فى مجلس الشيوخ كانوا يرون أن تطبق هذه الأحكام فى أضيق نطاق وأنه يجب الرجوع إلى البرلمان فى المسائل الهامة . وقد اضطر على ماهر إلى التمشى مع هذه الرغبة ، وحين عقدت الدورة العادية للبرلمان فى نوفمبر بدأ يتبع تقليداً جديداً هو الاجتماع بأعضاء لجنتى الأحكام العرفية ، كذلك الاجتماع بأعضاء اللجنة المختصة ومناقشتهم فيما يريد أن يتقدم به إلى البرلمان . وهكذا اضطر على ماهر إلى التخلى عن أية خطط دكتاتورية كان يعتزمها . يضاف إلى ذلك أن محمد محمود انتهز فرصة الدورة غير العادية فتقدم هو وآخرون إلى مجلس النواب بطلب اضطرت الحكومة أن تتبناه وهو أن تشترى بريطانيا جميع محصول القطن المصرى . وكان هدفه من ذلك أن يكسب لحزبه مزيداً من الشعبية ، لأن تصريف محصول القطن كان مشكلة الساعة حينئذ . وكان يرمى أيضاً إلى إحراج الحكومة تمهيداً لإسقاطها . وهكذا بدأت معاكسات الأحرار الدستوريين لوزارة على ماهر(٣).

---

(١) مضابط جلسات مجلس الشيوخ دور الانعقاد غير العادى ٢ — ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ تقرير لجنة الأحكام العرفية ، ص ٣٥ — ٣٦ .

(٢) هيكل ، المرجع المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ .

(3) Lampson to Halifax, No. 1362, 8 November 1939, F.O. 407/223.

مشكلة اعلان مصر حالة الحرب مع المانيا :

ثارت هذه المشكلة فى نفس الوقت الذى ثارت فيه مشكلة الأحكام العرفية لكنها اختلفت عنها فى أنها كانت أساساً بين الحكومة المصرية وبريطانيا ، وأنها بلغت الذروة من البداية ، بينما كانت مشكلة الأحكام العرفية أساساً بين أطراف داخلية ، كما أنها لم تبلغ ذروتها إلا عندما اجتمع البرلمان فى دورته الاستثنائية فى أوائل أكتوبر .

وقد أشرنا فيما سبق إلى موقف الأطراف المختلفة من التزامات مصر بمقتضى المعاهدة ، وأن البعض رأى أن تتخذ مصر موقف الحياد فى نزاع دولى لا يعنيها وأن تعمل على الحد من التزامات المعاهدة ، عبر عن ذلك إسماعيل صدقى . ورأى البعض الآخر أن تنى مصر بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة وأن يتضمن ذلك دخولها الحرب إلى جانب بريطانيا ، وكان هذا موقف أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ، وموقف فريق من الأحرار الدستوريين والسعديين . ورأى فريق ثالث أن تنى مصر بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة ، لا تزيد عليها ، وأشرنا إلى أن هذا كان موقف الإخوان المسلمين وفريق من الدستوريين والسعديين . ويغلب أنه كان موقف الوفد . بل إن الإخوان المسلمين زادوا على هذا ضرورة السعى إلى استكمال تحقيق الأمانى الوطنية فى مقابل مساعدة مصر لحليفتها ، وهو ما تطور إليه موقف الوفد أيضاً فى أبريل عام ١٩٤٠ كما يتضح من مذكرته إلى السفير البريطانى حينئذ(١).

والحق أن موقف الوفد كان حاسماً فى موضوع دفاع مصر عن نفسها والتزامها بتقديم المساعدة لبريطانيا داخل حدودها ، لكنه يخلو من الوضوح والحسم فى موضوع دخول مصر الحرب إلى جانب بريطانيا . فقد تساءلت جريدة المصرى فى ٢٩ مارس ١٩٣٩ «كيف يمكن أن ندخل الحرب إذا كان حلفاؤنا ينقضون العهد نقضاً ويستخفون بالمعاهدة بنداً بنداً ؟ أنحارب للدفاع عن الديمقراطية التى يحارب حلفاؤنا من أجلها ، والديمقراطية فى بلادنا شوهت وجنى عليها ؟ ألا يصح للمصريين أن يعودوا إلى ضمائرهم فيسألوها هذا السؤال الخطير ؟ » لكنها عادت فى ٤ سبتمبر بعد قيام الحرب تقول « لسنا فى حاجة إلى القول أن مصر ستكون مع حليفتها فى

---

(١) انظر عاليه ، ص ٥١ ، ٥٢ .

هذا الموقف الدقيق قلباً وقالباً ، وأنها ستكون وفية لعهدها ، مؤيدة بكل قوتها الديمقراطية ضد الدكتاتورية ، مدافعة عن كيانها ووطنها المقدس » .

ولا شك أن موقف الوفد كان يحدده ضعف أو قوة كل عامل من العوامل المؤثرة فى سياسته : الحالة الدولية القائمة وبخاصة موقف إيطاليا ، رغبة الوفد فى العودة إلى الحكم رغم معارضة السراى ، واتجاهات الرأى العام فى مصر . ويغلب أن الرأى العام فى مصر كان يتجاذبه عاملان : الخوف من إيطاليا وأطماعها الواضحة فى مصر ، والرغبة فى الابتعاد بمصر عن نزاع عالمى لا يهمها بشكل مباشر . وقد أشار السفير البريطانى قبيل الحرب إلى أن هذا يمثل شعوراً كبيراً فى البلاد(١) . وبذلك اتخذ موقف إيطاليا من الحرب ، ومن مصر ، أهمية خاصة فى تحديد موقف جانب كبير من الرأى العام وفريق كبير من الساسة ، ذلك الفريق الذى كان يرى أن تقف مصر عند حدود الوفاء بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة داخل الأراضى المصرية فقط .

أما عن السراى فقد تكررت إشارات السفير البريطانى إلى سلامة موقف الملك من التحالف ، كما تكرر تعبيره عن مخاوفه من النفوذ الإيطالى فى السراى وميولها المحورية(٢) . تلك المخاوف كانت فعلا ترتكز على قدر كبير من الحقيقة . ففى ٢٣ فبراير ١٩٣٩ كتب كونت شيانو وزير خارجية إيطاليا فى يومياته أن السفير الإيطالى فى برلين أرسل يخبره عن حديث دار بينه وبين وزير مصر المفوض هناك ، مراد سيد أحمد باشا . فى هذا الحديث كان الوزير يتحدث بلسان مليكه قائلا أنه يكره الإنجليز ، ومتسائلا عما إذا كان المحور على استعداد لمساندته إذا ما أعلنت مصر حيادها وحاولت بريطانيا العظمى نتيجة لذلك أن تتدخل مباشرة أو عن طريق غير مباشر . وقال شيانو أنه ، بعد اتفاقه مع الدوتشى ، أرسل إلى السفير يفوضه فى مواصلة محادثاته مع الوزير المصرى ، وأن يوضح له أن إيطاليا تؤيد أى جهد يؤدى إلى إضعاف الروابط بين مصر ولندن(٣) وفى ٩ مايو ١٩٣٩ زار القاهرة المارشال

---

(1) Lampson to Halifax, No. 871,13 July 1939, F.O. 407/223.

(٢) انظر عالية ص ٥٢ .

(3) Ciano, Count Galeazzo, The Ciano diaries 1939—1943, ed. Hugh Gibson, New York, 1946, p. 32.

بالبو حاكم ليبيا . وقد أقام له رئيس الوزراء مأدبة ، كما استقبله الملك فاروق . وتردد حينئذ أن إيطاليا ترمى إلى عقد ميثاق عدم اعتداء مع مصر وأن الفكرة تجد صدى فى بعض المقامات(١).

وأخيراً ، فنى ٣٠ مايو ١٨٤٠ كتب شيانو فى يومياته يقول إن مراد سيد أحمد الذى كان حينئذ وزير مصر المفوض فى روما تحدث على مسئوليته عن اعتزام حكومته إعلان حيادها فى النهاية . وقال شيانو إنه شجعه على ذلك(٢) . يضاف إلى تلك الحقائق احتفاظ فاروق بما تضمه السراى من موظفين إيطاليين وما تضمه حاشيته من الإيطاليين ، رغم أن لامبسون حاول بالحاح أن يدفعه إلى التخلص منهم .

تلك عوامل كان لها أثرها فى موقف الحكومة المصرية ، والمصريين بوجه عام ، من موضوع إعلان قيام حالة الحرب بين مصر وألمانيا . يضاف إليها عامل آخر له أثره الكبير فى ذلك الموقف . وهو قوة كل من الفريقين المتنازعين : القوات البريطانية فى مصر وما يقابلها من قوات إيطالية فى ليبيا ، وقوة كل من المحور وبريطانيا وفرنسا بوجه عام . لقد تأثر المصريون بضآلة عدد القوات البريطانية فى مصر وما يقابلها من حشود إيطالية كبيرة فى ليبيا . كما تأثروا بالسياسة القوية التى اتبعتها دولتا المحور ونجاحهما فى تحقيق أهدافهما ، وآخرها استيلاء ألمانيا على باقى تشيكوسلوفاكيا فى مارس ١٩٣٩ واستيلاء إيطاليا على ألبانيا فى أبريل ، بينما واجهت بريطانيا وفرنسا ذلك بسياسة التهدئة .

تتضح مخاوف الجانب المصرى فى طلبه الملح بزيادة القوات البريطانية فى مصر حين تبين أن قيام الحرب أمر يكاد أن يكون مفروغاً منه ، بعد أزمة مارس—أبريل. فبعد الغزو الإيطالى لألبانيا تحدث رئيس الوزراء — محمد محمود — إلى لامبسون عن عدم كفاية القوات البريطانية فى مصر فقال « إن قلة عدد هذه القوات أصبح من الأحاديث الشائعة ، وأن الأمة المصرية جميعها تشعر بالقلق فى قدرتنا على أن نقدم لمصر الحماية التى تضمنها لها معاهدة التحالف ، إلا إذا تلقت قواتنا تعزيزات كبيرة ......

---

(١) الأهرام ١٠ — ١٣ مايو ١٩٣٩ ، عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤٦ .
Kirk, G, The Middle East in the war, New York, 1952, p. 33.
(2) Ciano, op. cit., p. 257; Kirk, op. cit., p.37.

٣ ـ وقد تساءل سعادته عن عدد قواتنا الآن فى مصر ، وحين أخبرته أن عدد الحامية جميعها حوالى ١٣ ألفاً قال أن هذا لا يكفى لتهدئة مخاوف الناس ، وأنه يريد أن يكون لنا ما بين ٢٥ إلى ٣٠ ألفاً ، وأن نجعل الناس يرونهم حتى تتبدد مخاوفهم من هجوم مفاجىء من ناحية ليبيا »(١) ، وكرر الأمير محمد على هذا الطلب إلى السكرتير الشرقى فى مايو التالى(٢) وحين أصبحت الحرب متوقعة فى أيه لحظة فى أغسطس ١٩٣٩ طلب الملك من بتهان ، القائم بعمل لامبسون ، زيادة عدد القوات البريطانية فى مصر ، وأكد أهمية هذه الزيادة وأهمية أثرها النفسى للامبسون حين عاد الأخير من إجازته ، وقابله فى أول أغسطس حين اشتعلت الحرب(٣) .

وكان لامبسون يدرك مخاوف المصريين وأثرها على موقفهم من التحالف ، لذلك تكرر تحذيره لحكومته من نتائج قلة عدد القوات البريطانية فى مصر ، وطلب زيادتها . فى يناير ١٩٣٩ كتب إلى وزارة الخارجية يقول « لو اعتقدت مصر أن لدى بريطانيا من القوة ما يكفى لحمايتها من نشاط العدو العسكرى والجوى المدمر فلا جدال فى أن الكلام سيقل عن حياد مصر . أما إذا لم نتمكن من خلق هذا الشعور ، عن طريق حجم قواتنا العسكرية واستعادة صداقتنا مع البلاد العربية المجاورة ، فان مصر ستطلب إلينا عاجلا أو آجلا الحد من التزاماتها الحربية بمقتضى المعاهدة المصرية البريطانية »(٤) . وعاد لامبسون إلى هذا الموضوع فى الشهر التالى فكتب إلى هاليفاكس يقول « علينا أن نعمل على تقوية وضعنا فى شرق البحر المتوسط بحيث لا يبقى لدى الملك أو حاشيته أدنى شك فى قدرتنا على حماية مصر ، وعلى إجبار حكامها على الاستجابة لرغباتنا لو لزم ذلك . . . » .

« سنجد ملك مصر والفئة (الارستقراطية) الحاكمة يحاولون باستمرار أن يتخذوا موقفاً مستقلا عن بريطانيا طالما بقى فى مصر شعور بأن نهضة ألمانيا وإيطاليا قد أضعفت موقفنا فى العالم بوجه عام وفى شرق البحر المتوسط بوجه خاص بحيث أنه لم يعد من الأسلم لمصر أن تنشد ود أصدقاء آخرين فقط ، بل إن ذلك أصبح

(1) Lampson to Halifax; No. 117 saving, 27 April 1939, F.O. 407/223.
(2) Same to same, No. 575,17 May 1939, F.O. 407/223.
(3) Same to same, telegram No. 507,1 September 1939, F.O. 407/223.
(4) Samn to sam, No. 4x,16 January 1939, F.O. 407/223.

من الحكمة »(١) . وبعد أن طلب محمد محمود فى أبريل زيادة القوات البريطانية كتب لامبسون يقول « لقد عبر الرسميون وغير الرسميين فى مصر عن رغبتهم فى وجود قوات بريطانية أكثر فى مصر . . إنى لأرجو جاداً أن نتمكن فى القريب العاجل من أن نحقق للمصريين رغبتهم تلك ، ولهم الحق فى ذلك . إنهم يدركون عدم كفاية قواتنا الحالية لحماية مصر من هجوم إيطالى ألمانى ، ومستقبل وضعنا فى الشرق الأدنى يتوقف على أن توجد فى مصر قوات بريطانية كبيرة إلى الحد الذى يقنع المصريين وغيرهم من شعوب الشرق الأوسط بقدرتنا على أن ندافع بكفاءة عن البلاد التى تعهدنا بالدفاع عنها بمقتضى المعاهدات »(٢) .

والآن لنر كيف تطورت مشكلة إعلان مصر قيام حالة الحرب مع ألمانيا متأثرة بهذه العوامل .

لم تعد بنا حاجة إلى مناقشة موضوع طلب الجانب البريطانى أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا ، وهل ذلك صحيح ، كما صرح بذلك على ماهر فى أكثر من مناسبة ، أم أنه غير صحيح ، كما صرح بذلك مصدر رسمى بريطانى(٣) . ذلك أن الوثائق البريطانية حاسمة فى أن الجانب البريطانى طلب إلى على ماهر إعلان حالة الحرب . ويغلب أن مستر بتمان ، وهو يقوم بعمل لامبسون ، أول من اتصل بعلى ماهر فى هذا الشأن وذلك يوم ٢٣ أغسطس (قبل قيام الحرب) ، حين أخبره أن الحكومة البريطانية ترى أنه قد قامت حالة دولية مفاجئة نخشى خطرها ، وطلب إليه باسم حكومته أن تقوم الحكومة المصرية بتقديم ما تنص عليه المادة السابعة من معاهدة التحالف من مساعدات وتسهيلات . نخرج بهذا من مذكرة بعث بها على ماهر إلى لامبسون فى ٩ سبتمبر يقول فيها : « إن تعهدات مصر المبكرة قبل اشتعال الحرب بالقيام باعلان الحرب رسمياً كانت على أساس أن إيطاليا ستدخل الحرب وأنها ستهاجم القوات البريطانية هنا (أى فى مصر) »(٤) . يضاف إلى ذلك أن

(1) Lampson toHalifax, No. 100 confidential, 3 February 1939, 407/223.

(2) Same to same, No. 560,12 May 1939, F.O. 407/223.

(٣) انظر مناقشة الدكتور عبد العظيم رمضان ومصادره عن ذلك فى رسالته المشار إليها الدكتوراه ص ٢٩٣ .

(4) Bateman to Halifax, No. 1060,24 August 1939, and enclosure; Lampson to Halifax, telegraph No. 575,10 September 1939, F.O. 407/223.

لامبسون يقول فى يومياته عن يوم أول سبتمبر ١٩٣٩ أنه ذهب فى المساء لمقابلة على ماهر ليتأكد من أن إعلان مصر حالة الحرب سيحدث فى نفس الوقت الذى تعلن فيه بريطانيا الحرب ، وأنه وجد أن على ماهر رجع فى كل ما كان قد قاله لبتمان قبل عودة لامبسون من بريطانيا مباشرة(١) . يؤيد هذا أيضاً ما نشرته مجلة آخر ساعة بعددها الصادر فى ٢٨ مارس ١٩٧٣ لعبد الرحمن عزام وزير الأوقاف فى وزارة على ماهر عام ١٩٣٩ . قال سيادته أن بتمان « القائم بأعمال السفير البريطانى قام بمقابلة رئيس الوزراء عدة مرات للتشاور فى موقف مصر فى حالة إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا » . وأضاف أنه حين عاد السفير البريطانى قابل على ماهر وقال له أن الحكومة البريطانية يهمها أن تبادر مصر باعلان الحرب رسمياً على ألمانيا بمجرد أن تعلنها الحكومة البريطانية تنفيذاً لبنود المعاهدة ، وأن طلب السفير البريطانى لم يكن مفاجأة لرئيس الوزراء « فقد سبق له أن تلقى تبليغاً مشابهاً من القائم بأعمال السفير قبل عودة السير مايلز لامبسون من لندن ، وكان من رأى على ماهر ، وفى رأى غالبية وزراء حكومته أن تقوم الحكومة المصرية باعلان الحرب على ألمانيا بمجرد اشتراك الإنجليز فى الحرب ضدها » .

يتضح من هذا أن المصادر المصرية والوثائق البريطانية تتفق على أن لامبسون عند قيام الحرب فى أول سبتمبر طلب إلى على ماهر أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا حيث تعلنها بريطانيا ، لكن الفريقين يختلفان فيما عدا ذلك من تفاصيل .

المصدر المصرى الرئيسى فى هذا الموضوع هو على ماهر نفسه . فى شهادته فى قضية مقتل أمين عثمان باشا قال على ماهر رداً على سؤال عن الخلافات التى نشبت بينه كرئيس للحكومة وبين الحكومة البريطانية أن الخلاف بدأ « بمجرد إعلان ألمانيا الحرب ، كانوا يتوقعون أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا ثم حصل أن رأينا لمصلحة مصر ، ونحن مصريون ، ألا تدخل مصر الحرب ، وكان تقدير ذلك متعلقاً بما يقضى به الصالح ، ولأن الدخول أو عدم الدخول يتعلق بالاستعداد ،

---

(١) يلاحظ فى هذا المجال أن الجانب المصرى كان يستعمل اصطلاح إعلان الحرب ، بينما كان الجانب البريطانى يستعمل اصطلاح إعلان حالة الحرب .

(2) Evans, op. cit., p. 110.

خصوصاً وأن السفير سئل : ما هو موقف مصر فى نهاية الحرب ، هل تستكمل كل استقلالها ؟ فأجاب بأنهم لا يمكنهم أن يعدوا بشىء وكفاهم وعد بلفور . . . وقد عملنا ما توجبه المعاهدة للحليفة وما يزيد عليه ما دام لا يتعارض مع مصالح مصر . . . » وقال أيضاً فى الكلام عن عدم دخول مصر الحرب حين أعلنتها إيطاليا « وكان وقتها الجنود البريطانية ضعيفة جداً ، وكان ما عندهم ٢٨ مدفعاً ضد الطائرات ، منها ٢٠ فى الإسكندرية لحماية الأسطول ، ٨ لحماية الورش بتاعتهم ، وباقى القطر لا يوجد به شىء يحميه »(١) أى أن عدم إعلان مصر الحرب يرجع إلى اقتناع الحكومة المصرية حينئذ بعدم وجود القوات الكافية فى مصر لذلك ، سواء على الجانب المصرى أو على الجانب البريطانى ، وبخاصة عدم وجود دفاع جوى كافى . يضاف إلى ذلك أن دخول الحرب ليس فى صالح مصر ، ولا يحقق لها مصلحة خاصة بعد أن رفض الجانب البريطانى أن يعد باستكمال استقلال مصر إذا دخلت الحرب .

أما محمد صبيح فيأتى لنا بوثيقة من محفوظات قصر القبة ، وهى مذكرة سرية رفعها إلى الملك عبد الوهاب طلعت باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة حينئذ ، وتتضمن ما علمه من سكرتير عام مجلس الوزراء عن مداولات المجلس يوم ٧ سبتمبر فى موضوع إعلان مصر حالة الحرب . وقد أشارت المذكرة إلى أن الوزراء انقسموا فى هذا الشأن بين آراء ثلاث : رأى ضد إعلان حالة الحرب ، ويقول به مصطفى الشوربجى بك وزير العدل الذى « يرى أن ما تم فوق الكفاية وأن المعاهدة لا تلزمنا بشىء أكثر من ذلك وليس لمصر شأن فى الخلاف القائم الآن » . ورأى وسط انفرد به عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف ورئيس القوات المرابطة وكان يوافق على رأى مصطفى الشوربجى لكنه لا يمانع فى إعلان حالة الحرب مع « الانتظار على الأقل حتى يعود كل المصريين من الخارج ، وكذلك البواخر المصرية ، لأن فى رفعها العلم المصرى حماية لها من كل سوء ما دامت ليست فى حالة حرب مع أية دولة أخرى » . أما الرأى الثالث فهو إعلان حالة الحرب ، وقال به بقية

---

(١) لطفى عثمان ، المحاكمة الكبرى فى قضية الأغتيالات السياسية ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .

الوزراء ، وأشارت المذكرة من هذا الفريق إلى محمد صالح حرب باشا ، وحسين سرى باشا ومحمد على علوبة باشا وغيرهما » . وكان من رأى هذا الفريق « أنه ما دامت مصر قد قطعت العلاقات مع ألمانيا وتكدر صفو هذه العلاقات فليس هناك داع للانتظار ويجب إعلان حالة الحرب لأن مصر أصبح مصيرها معلق بمصير إنجلترا » ، ورد هذا الفريق على آراء عبد الرحمن عزام بأن إنجلترا تحمى البواخر المصرية بأسطولها كما تحمى بواخرها سواء بسواء . وتقول المذكرة أن على ماهر انضم إلى هذا الفريق الأخير « بتحفظ وهو أنه إذا جاءه كتاب من السفير البريطانى باسم حكومته بأن إعلان حالة الحرب ضرورى جداً لسلامة القوات البريطانية والمصرية وأنه لا يمكن الدفاع عن مصر بغير ذلك فعندئذ تقرر حالة الحرب » .

من الجلى أن هذا كان قرار مجلس الوزراء ، فعلى ماهر كلف سكرتير عام المجلس بالتوجه فى نفس الليلة إلى السفير البريطانى لإحاطته علماً به « وبمختلف وجهات النظر فى هذا الموضوع » ، والسفير البريطانى سر لذلك وقال للسكرتير العام أنه « يرجح كثير أن يرد إليه الجواب المطلوب الليلة وعندئذ تعلن حالة الحرب بين مصر وألمانيا منذ صباح الغد » .

وقد نفى كل من على ماهر وصالح حرب لمحمد صبيح البيانات التى تضمنتها الوثيقة « نفياً قاطعاً » ، والتمسا لعدم صحتها أن تلك المناقشات لم تلون عنها محاضر ، وأن سكرتير عام المجلس لم يكن يحضر المداولات وأنه استقى معلوماته من بعض الوزراء الذين لم يعطوه صورة صحيحة . ويضع محمد صبيح مما استقاه منهما من معلومات — وبخاصة من على ماهر كما هو واضح — صورة أخرى عن الموقف . تتضمن تلك الصورة أن رجال القانون كانوا يرون التزام مصر باعلان الحرب بمقتضى المعاهدة ، وأن على ماهر رأى من البداية أن يحتفظ برأيه فى موضوع إعلان الحرب إلى النهاية لا يبديه للمجلس ، وأن يلاحظ جميع التيارات . وقد سأل على ماهر السفير البريطانى عما إذا كانت بريطانيا مستعدة لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وعقد معاهدة جديدة تتضمن قيام علاقات جديدة غير مقيدة بأى قيد والتعاون تعاون الأنداد . لكن السفير أجاب بالنفى . وقال محمد صبيح أيضاً أنه اتضح

لعلى ماهر وجود ثلاث تيارات داخل مجلس الوزراء ، تيار ضد الحرب يتزعمه الوزيران صالح حرب ومصطفى الشوربجي ، وتيار مع الحرب يتزعمه محمود فهمى النقراشي وحسين سري ، وتيار متردد يتساءل عما يمكن كسبه من إنجلترا مقابل دخول الحرب ،، وكان عبد الرحمن عزام هو الذى يرى التفاهم للحصول على مكاسب من الإنجليز .

ويقول محمد صبيح ايضاً أن على ماهر استخدم رد السفير البريطانى فى موضوع قيام علاقات حرة بين مصر وبريطانيا فى إقناع فريق المترددين بفكرة عدم دخول الحرب . وأقنع بها أيضاً الفريق المحبذ لدخول الحرب ، الذى رأى أن ينتهز فرصة فى المستقبل لتجديد المسعى لدى الإنجليز عسى أن يحققوا لمصر مطالبها إذا رأوا مصلحة فى دخول الحرب . وهكذا صدر قرار مجلس الوزراء بالإجماع بأن تلتزم مصر الحياد ، وحين أبلغ إلى السراى كان ردها أن الملك مع الوزارة فى هذا القرار(١).

تلك ، على أية حال ، معلومات طرفين مشتركين فى مشكلة تضاربت بشأنها الآراء .

هناك طرف ثالث أدلى برأيه أيضاً هو عبد الرحمن عزام . وقد أشرنا إلى طرف مما نشر من ذكرياته فى آخر ساعة . أما باقيها فيتناول موقف مجلس الوزراء من موضوع إعلان حالة الحرب مع ألمانيا . قال سيادته ان السفير البريطانى فى مقابلته لعلى ماهر يوم أول سبتمبر طلب أن تعلن مصر حالة الحرب مع ألمانيا بمجرد إشتراك إنجلترا فى الحرب ، واعتقال الرعايا الألمان واحتجازهم كأسرى حرب . وكان الرأى حينئذ أن تعلن مصر حالة الحرب مع ألمانيا فى الوقت الذى تدخل فيه بريطانيا الحرب ضدها . وقد عقدت جلسة طارئة لمجلس الوزراء لبحث الموضوع حضرها الدكتور عبد الحميد بدوى رئيس لجنة قضايا الحكومة .

كان رأى عبد الحميد بدوى أن المعاهدة تلزم مصر بدخول الحرب إلى جانب إنجلترا ، وكان رأى السعديين دخول الحرب فوراً إلى جانب إنجلترا ، وأيد صالح

(١) محمد صبيح ، صفحات مطوية من الحرب العالمية الثانية ، الكتاب الثانى، طريق الحرية (كتاب الشهر ، سلسلة التاريخ الحديث) ص ٢٧ ، ٣٢ .

حرب وزير الحربية اتجاه إعلان الحرب . ويقول عبد الرحمن عزام أيضاً أنه عارض هذا الاتجاه على أساس أن المعاهدة لا تلزم مصر بدخول الحرب ، وأن إعلانها على عدو عدوة مصر غير معقول قبل أن يعلنها أصدقاؤه الإيطاليون ، وأن إعلانها سيلحق كثيراً من الدمار والخراب بالجيش والشعب ، وأضاف أن هذا قد يكون مقبولا لو كان هناك مقابل له ، كوعد بالجلاء وتعويض عن الخسائر ، لكنه لا يوافق على إعلان الحرب دون مقابل ، وقال سيادته أن على ماهر لم يشارك فى المناقشة ، بل وامتنع عن التصويت حين أخذت الأصوات على القرار ، فوافق الوزراء جميعاً على إعلان الحرب إلى جانب بريطانيا . حينئذ قدم عبد الرحمن عزام استقالته مما اضطر على ماهر إلى أن يفض الاجتماع ويقرر عدم إذاعة القرار أو إبلاغه إلى الإنجليز .

أدت المناقشات بين على ماهر وعبد الرحمن عزام إلى أن يتخلى الأخير عن الاستقالة ويقوم ، بناء على طلب على ماهر ، الذى أبدى اقتناعاً بوجهة نظره ، بالاتصال بالجانب البريطانى لإقناعه بعدم الإصرار على طلبه . لكن هذه الاتصالات لم تسفر عن شيء سوى إصرار الجانب البريطانى على عدم تقديم أى تنازلات لمصر فى مقابل إعلان الحرب . ويختم عبد الرحمن عزام ذكرياته عن هذا الموضوع بقوله إن على ماهر اقتنع تماماً بأن لا فائدة لمصر من إعلان الحرب على ألمانيا ، وأنه تقرر ألا تعلن مصر الحرب إلا فى حالة واحدة ، وهى أن يكون الهجوم عليها لذاتها لا لارتباطها بالإنجليز . وفى ٩ سبتمبر بعث على ماهر إلى السفير البريطانى بمذكرة تراجع فيها عن قرار إعلان الحرب على ألمانيا بحجة أن إيطاليا لم تعلن الحرب على مصر ، وأن تطورات الموقف لم تعد تستدعى اتخاذ هذا القرار .

أما الوثائق البريطانية فتقدم لنا صورة تختلف فى ملامحها ، كما أنها أكثر تفصيلا . سنعرض هذه الصورة ، ثم نقوم بتقييم وتحليل هذه المصادر جميعاً ونخرج من ذلك بصورة أقرب إلى الحقيقة فى موقف كل من مصر وبريطانيا من مشكلة إعلان الحرب مع ألمانيا .

يقول لامبسون فى يومياته أنه قابل على ماهر مساء يوم أول سبتمبر ليتأكد من أن إعلان مصر حالة الحرب سيحدث فى نفس الوقت الذى تعلن فيه بريطانيا الحرب ،

وأنه وجد أن على ماهر رجع فى كل ما كان قد قاله لبمان قبل عودة لامبسون من بريطانيا مباشرة ، فقد أخذ يقول أنه ليس من اللازم أن تدخل مصر الحرب ، وأنهم سيفعلون كل ما تطلب بريطانيا دون أن تعلن مصر الحرب ، وأنه يريد أن يحصل على إجماع زملائه الوزراء(١) . وفى اليوم التالى أخبر على ماهر لامبسون فى خطاب رسمى أن حكومته مستعدة لإعلان الحرب(٢) . لكن يبدو أن مجلس الوزراء رجع عن هذا الرأى فى اليوم التالى ، لأن لامبسون عاد وقابل على ماهر صباح يوم ٤ سبتمبر وحذره بشدة من الآثار المحزنة التى تركها فى لندن القرار الذى اتخذه مجلس الوزراء فى الليلة السابقة ، وأكد له خطورة العوامل السياسية التى تدعو إلى عدم اتخاذ هذا الاتجاه والمضار التى تترتب عليه . وأشار لامبسون إلى أن الوضع الوسط بين الحياد والحرب ما هو إلا سراب خادع . وحثه على إقناع زملائه الأربعة المترددين بذلك . وقد رد على ماهر على ذلك بأنه شخصياً مستعد لإعلان حالة الحرب ، لكنه حريص على أن يحصل على إجماع الوزراء على ذلك . وقال أن زملاءه غير مقتنعين بأن مصر قادرة على مقاومة هجوم إيطالى بالعدد الموجود من القوات البريطانية . وقد وافق على أن يطلب إلى عزام باشا بأن يناقش اعتراضاته مع مستر بتمان ، وأن يطلب إلى وزير الحربية أن يتصل بالقائد العام للقوات البريطانية بشأن عدد القوات والنواحى الاستراتيجية . وقد ألح على ماهر على سرعة إرسال تعزيزات بريطانية ، وأشار إلى مخاوف الدوائر المصرية من أن تفكر الحكومة البريطانية فى التضحية بمصر كما قد يحدث فى حالة المستعمرات النائية ، وقال ان مصر تتوقع أن تدافع عنها بريطانيا بمقتضى المعاهدة . وحث على ماهر على تزويد الجيش المصرى بمدافع أخرى ، وطالب ببنادق لتسليح عشرة آلاف جندى بالجيش المرابط حتى يتفرغ الجيش العامل للجبهة(٣) .

وفى يوم ٦ سبتمبر قابل السفير على ماهر وحثه على إعلان قيام حالة الحرب

---

(١) هذا يتفق مع معلومات عبد الوهاب طلعت فى أهرام ١٦ مارس ١٩٧٣ .

Evans, op. cit., p. 110.

(2) Lampson to Hal fax, telegram No. 570,9 September 1939, F.O.407/223.

هذا يتفق أيضاً مع مانشره عبد الوهاب طلعت فى الأهرام ١٦ مارس ١٩٧٣ .

(3) Lampson to Halifax, telegram No.527,4 September 1939; F.O.407/223.

مع ألمانيا ، فرد على ماهر بأن ذلك سيتم بمجرد أن يخرج المصريون من ألمانيا .
وقال لامبسون فى تقريره إلى هاليفاكس عن هذه المقابلة أنه نظراً لهذا التردد المستمر من جانب رئيس الوزراء فى إعلان حالة الحرب ، ذلك التردد الذى كان له أثر سيء على العراق ، فانه يميل كثيراً إلى أن يقول لرئيس الوزراء أن الحكومة البريطانية تصر على أن يقوم بهذا الإعلان فى الحال . ويعود لامبسون ليوضح عوامل تدعو إلى التأنى وعدم تعجل هذه الخطوة . وتلك العوامل هى أن عبد الحميد بدوى أشار على الحكومة المصرية بأن إعلان حالة الحرب لن يزيد شيئاً على السلطات التى أحرزتها الحكومة باعلان الأحكام العرفية . كما أن الإصرار على ما يعتبره الجانب البريطانى نتيجة منطقية لمعاهدة ١٩٣٦ ، يغلب أن يؤدى إلى صدور الإعلان المطلوب ، لكن الحكومة فى هذه الحالة ستكون قد أصدرته وهى مكرهة ، وقد يحدث انقسام داخل الوزارة ، وعودة إلى حالة الإذعان الكاره التى اتسم بها موقف مصر فى فترة الحرب العالمية الأولى وبعدها ، وأضاف أنه من الواضح أنه يحسن تجنب ذلك إذا كان الجانب البريطانى يريد أن يقف المصريون خلفه بصلابة .
ومع أن لامبسون يعرض هذه العوامل حتى يتدبرها هاليفاكس ، إلا أنه يعود فى نهاية تقريره ليرجح عامل الضغط واستعجال إعلان حالة الحرب ، فيقول ان كل يوم يزيد من تخوف المصريين والأعذار التى يقدمونها لعدم إعلان الحرب ، وبخاصة مع الأخبار السيئة التى تصل من بولندا . لذلك فان شعوره الشخصى هو أنه بعد أن يتلقى رد هاليفاكس على هذا التلغراف يخبر رئيس الوزراء أنهم لا يمكنهم أن ينتظروا أكثر من ٢٤ ساعة . ويضيف إلى ذلك أنهم لو أصروا على طلبهم فان هناك احتمال ، ولو أنه لا يعتبره كبيراً ، فى أن تسقط الحكومة « حينئذ سيكون علينا أن نواجه الملك بأن يختار بين قبول مطلبنا أو مواجهة النتائج التى تترتب على انهيار ثقتنا فيه »(١).

ومع أنه كان مفروضاً أن ينتظر لامبسون حتى يتلقى رد هاليفاكس متضمناً تعليماته ، فانه تعجل الأمر وعاد إلى الضغط على رئيس الوزراء لإعلان حالة الحرب . فقابله لهذا الغرض فى صباح يوم ٧ سبتمبر ، وهو نفس اليوم الذى أرسل فيه

(1) Lampson to Halifax, telegram No. 553, 7 September 1939, F.O.407/223.

تلغرافه عن مقابلة ٦ سبتمبر ، وربما كان سبب هذه العجلة إدراكه أن مجلس الوزراء سيجتمع فى مساء نفس اليوم لمناقشة موضوع إعلان حالة الحرب .

قال لامبسون فى تقريره عن هذه المقابلة أنه رأى من العدل أن يحذر رئيس الوزراء من أنه ، بعد أن تأخرت مصر ثلاثة أيام بعد دخول بريطانيا الحرب ، فإنه يتوقع أن يتلقى من حكومته تعليمات قاطعة بالإصرار على أن تعلن مصر حالة الحرب . وقد رد رئيس الوزراء على ذلك بأن هذا الأمر قد أصبح معقداً بعد أن قام الألمان باحتجاز المصريين وموظفى المفوضية ، وسيتم إعلان حالة الحرب فى الحال بعد أن يصحح هذا الوضع .

وقد رد لامبسون على ذلك بأن الموضوعين منفصلان وأن إعلان حالة الحرب لن يؤثر فى موضوع احتجاز الرعايا ، حيث أن كلا من الطرفين قد قام فعلا بذلك . لكن على ماهر طلب المساعدة فى هذا الموضوع ، وإلا فانه سيتعرض للهجوم من جانب شعبه ، واقترح لذلك إطلاق سراح رجال المفوضية الألمانية فى يوم السبت ٩ سبتمبر بشرط أن يسمح لرجال المفوضية المصرية بمغادرة ألمانيا فى مقابل ذلك . وهو يرجو أيضاً أن يوافق الجانب البريطانى على إطلاق سراح عدد آخر من الألمان فى مصر يكفى لإقناع الحكومة الألمانية بالسماح للمصريين الآخرين (غير موظفى المفوضية) بمغادرة ألمانيا . ورد لامبسون على ذلك بأنهم حريصون على مساعدته ، لكنه لن يتمكن من إجابته بشأن هذه الطلبات قبل الساعة السابعة مساء ، وهو الوقت المحدد لاجتماع مجلس الوزراء لمناقشة موضوع إعلان حالة الحرب . لذلك عاد لامبسون ، كما يقول ، إلى الضغط على رئيس الوزراء بشدة ليعمل على التغلب على معارضة زملائه لسرعة إعلان حالة الحرب ، وقال أن مصر بموقفها قد تخلت عن أن تضرب مثالا يحتذيه العالم العربى فى هذا السبيل ، وصدت العراق عن اتخاذ الخطوة السليمة ، وفقدت كثيراً مما كان يمكن أن تحرزه من فضل ، وزعزعت إلى حد كبير ثقة الحكومة البريطانية فيها . وحين رد على ماهر على ذلك بحرصه على إجماع الوزراء على القرار المطلوب ، قال له لامبسون أنه – كرجل قوى – ينبغى أن يجبر زملاءه فى هذا المساء على التزام الخط السياسى الذى يراه ، وأضاف إلى ذلك – مهدداً – أنه يفضل أن يكتب إلى لندن بأن الموضوع سوى بطريقة مرضية ، على أن يعمل بمقتضى تعليمات قاطعة يتوقع أ

أن يتلقاها من لندن فى أية لحظة(١).

أثمر هذا الضغط نتيجته المرجوة ، كما يقرر لامبسون . فقد زاره فى وقت متأخر من ليلة ٨/٧ سبتمبر سكرتير عام مجلس الوزراء يحمل إليه قرار ذلك المجلس بتكليف من رئيس الوزراء . وكانت الرسالة التى حملها من على ماهر ، كما يقول لامبسون ، هى أن مجلس الوزراء قرر بالإجماع الموافقة على إعلان حالة الحرب مع ألمانيا ، وأن وصول إخطار بهذا القرار إلى السفارة يتوقف على أن يرسل السفير خطاباً إلى رئيس الوزراء يقول فيه ان الخطوات التى اتخذت حتى ذلك الوقت ، وهى إعلان الأحكام العرفية وقطع العلاقات مع ألمانيا ، لا تكفى كأساس للاجراءات اللازمة لتأمين البلاد وسلامة القوات البريطانية ، وأن المطلوب هو إعلان حالة الحرب . وقد فسر السكرتير العام لمجلس الوزراء ذلك بأن إعلان الحرب الهجومية يستلزم دعوة البرلمان ، والأمر يختلف تماماً إذا كان إعلان حالة الحرب بناء على طلب الحليفة بمقتضى التزامات المعاهدة .

وقد أضاف السكرتير العام إلى ذلك أن هناك ثلاث مسائل تقلق الوزراء المصريين هى : (١) المراكب المصرية فى البحر المتوسط . وهم يطلبون أن تقدم لها الأميرالية البريطانية ما تقدمه للمراكب البريطانية . (٢) وهم يرجون أن تقدم الحكومة البريطانية فى سبيل إعادة المصريين الموجودين فى الخارج مساعدة كالمساعدة التى تقدمها لرعاياها البريطانيين فى نفس الظروف . (٣) هناك بواخر مصرية فى الطريق إلى الإسكندرية وأخرى غادرتها إلى مرسيليا ، دون أن تعلم شيئاً عن احتمال قيام حالة الحرب . وهم يطلبون العمل على إخطارها باللجوء إلى أقرب ميناء أو العودة إلى مصر ، حسب الحالة . وقد أجاب السفير على رسالة رئيس الوزراء بأنه سيعمل على الحصول على الخطاب المطلوب ، وأن الحكومة البريطانية ستبذل جهدها ، بالتأكيد ، لإجابة المطالب الأخرى(٢).

---

(1) Lampson to Halifax, telegram No. 555,7 September 1939, F.O. 407/223.

(2) Lampson to Halifax, telegram No. 557 A,8 Septermber 1939, F.O. 407/223.

وقد خول هاليفاكس سفيره أن يوجه إلى الحكومة المصرية الخطاب المطلوب(١). لكنه حين توجه فى مساء ٨ سبتمبر لمقابلة على ماهر وتسليمه رد حكومته فوجىء بتراجع رئيس الوزراء عن موقفه . ذلك أنه تلقى تلغرافياً من حسن نشأت باشا ، السفير المصرى فى لندن ، عن مقابلة تمت بينه وبين مستر بتلر فى وزارة الخارجية فى يوم ٦ سبتمبر . وقد تضمن التلغراف قول السفير أنه اقترح على مستر بتلر « شراء المواد الحربية من الولايات المتحدة عن طريق مصر التى يمكنها أن تقوم بذلك بسهولة باعتبارها غير محاربة . وقد استخف السرور مستر بتلر لهذا الاقتراح ، وقال انه سيتقدم به إلى لورد هاليفاكس .

وقد علق رئيس الوزراء على هذا الخبر بأنه يغير الوضع : فزملاؤه مصرون على أنه يوثر بشكل أساسى على قرار المجلس فى الليلة السابقة بشأن إعلان حالة الحرب ، كما أن الملك فاروق بعث إليه بمذكرة عاجلة بنفس المعنى فقال السفير بغضب أنه يرجو ألا ينساق الملك إلى اتخاذ موقف تترتب عليه نتائج يوسف لها ، وعبر عن استيائه لموقف رئيس الوزراء ، وقال ان السفير المصرى ربما أساء فهم مستر بتلر ، وأن المقابلة تمت من يومين وتعليمات لورد هاليفاكس جبت ما قبلها . لكن ذلك لم يقنع على ماهر بتغيير موقفه ، وقال انه « إزاء رسالة الملك وموقف زملائه ، لا يملك عمل شىء حتى يسوى التعارض بين تعليمات لامبسون وتقرير حسن نشأت » .

وعلق لامبسون على ذلك بأن ما أذاعه الراديو الفرنسى من أن الألمان فى وارسو ربما يكون هو الذى غير الموقف(٢) . وقد عاد إلى الضغط على رئيس الوزراء فى اليوم التالى ، لكن دون جدوى ، ذلك أن موقف الملك ، فيما يبدو ، قد حسم الأمر ، خاصة وقد أرسل إلى على ماهر فتوى من عبد الحميد بدوى بأن إعلان حالة الحرب يستلزم دعوة البرلمان ، وكان على ماهر يخشى قوة الوفد فى مجلس الشيوخ(٣) .

---

(1) Halifax to Lampson, telegram No. 618.8 Septermber 1939, F.O.407/223.

(2) Lampson to Halifax, telegram No. 562,8 Septermber 1939, F.O.407/223.

(3) telegram No. 570,9 Septermber 1939, F.O. 407/223.

وجد على ماهر نفسه فى وضع سىء ، فتحرك فى ثلاثة اتجاهات : دعا مجلس الوزراء إلى الانعقاد فى ٩ سبتمبر لمناقشة موضوع إعلان حالة الحرب ، وأرسل فى نفس اليوم إلى لامبسون مذكرة يوضح موقفه من هذه الموضوع ، وأرسل إلى حسن نشأت ليتصل بالخارجية البريطانية يشكو ضغط السفير عليه . وقد رجع مجلس الوزراء فى قراره السابق باعلان حالة الحرب ، وقرر أنه يجب دعوة البرلمان إلى الانعقاد قبل إعلان الحرب أيا كانت طبيعة إعلانها . وهكذا ، حسم المجلس الموقف(١).

أما مذكرة على ماهر إلى السفير فقد تضمنت ست نقاط رئيسية هى : (أ) لا يمكن إعلان الحرب الهجومية دون موافقة البرلمان ، والحالة القائمة هى حالة حرب هجومية غير مباشرة ضد بريطانيا ، مما يثير الشكوك فى اعتبار إعلان مصر الحرب يمكن أن يعتبر حرباً غير هجومية . (ب) حين تعهدت مصر قبل قيام الحرب باعلان الحرب رسمياً كان ذلك على أساس أن إيطاليا ستدخل الحرب وتهاجم القوات البريطانية فى مصر . ويستدل رئيس الوزراء على ذلك بطلبه المتكررة للأسلحة والتعزيزات . (جـ) اتخذت مصر بالفعل جميع الاجراءات التى طلبت الحكومة البريطانية اتخاذها . وقد أعلنت السلطات العسكرية البريطانية فى مصر رضاءها عن هذه الاجراءات التى يعتبرونها كافية. (د) إعلان حالة الحرب رسمياً لن يضيف شيئاً إلى السلطات التى تتمتع بها الحكومة ، وستتخذ الحكومة جميع الاجراءات اللازمة . (هـ) أن مصر ، باعتبارها محايدة من الوجهة الفنية ، يمكن أن تكون أكثر فائدة لبريطانيا ، إذ ستحتفظ بعلاقاتها التجارية مع الدول المحايدة . (و) لو نشأت حالة تستدعى اتخاذ إجراءات جديدة وضرورية لا يمكن اتخاذها دون إعلان حالة الحرب رسمياً ، فان رئيس الوزراء سينظر فى اتخاذ أية خطوات دستورية لتحقيق ذلك(٢) . وقد كتب لامبسون إلى هاليفاكس فى ١٢ سبتمبر

---

(١) محمد صبيح ، طريق الحرية ، ص ٣٢ . يقول محمد صبيح أن مجلس الوزراء قرر عدم دخول الحرب ضد ألمانيا . لكنه لايوضح تاريخ القرار .

Lampson to Halifax, telegram No. 582,12 Septermber 1939, F.O. 407/223.

(2) Lampson to Halifax, telegram No. 575,10September 1939, F.O. 407/223.

أنظر نصاً عربياً لخطاب برقم ٤-١/٩ بتاريخ ٩ سبتمبر يقول عبد الوهاب طلعت أن على ماهر=

معلقاً على هذه المذكرة وما تضمنته من نقاط فقال ان النقطة الثانية صحيحة ، والنقطتان الثالثة والرابعة صحيحتان فيما عدا عدم إعلان مصر حالة الحرب ، كما أن السلطات العسكرية البريطانية ترى أن عدم إعلان حالة الحرب قد أدى إلى بعض العقبات . وقد يؤدى فى المستقبل إلى قيام عقبات أخرى . وخلص من ذلك إلى أن موقف الجانب البريطانى يتوقف على المقارنة بين المضار التى تترتب على هذه العقبات وتلك التى تترتب على فقدان تعاون مصر قلبياً وعن طيب خاطر ، ودفعها إلى إعلان الحرب كارهة . وانتهى إلى أن تقديره للموقف ككل هو أنه يحس بالجانب البريطانى أن يسلم بأن الحكومة المصرية ليست على استعداد لإعلان الحرب فى هذا الوقت(١).

وقد انتهى هاليفاكس إلى نفس النتيجة ، وبخاصة بعد أن قابله حسن نشأت يوم ١٢ سبتمبر وأبلغه شكوى على ماهر من ضغط السفارة ، فكتب إلى لامبسون فى اليوم التالى يقول انه يبدو أن فرصة الحصول على إجماع الوزراء على إعلان حالة الحرب قد ولت ، وأن هذا الإعلان لن يتم إلا بعد أن يعرض على البرلمان ، وقد ينتهى الأمر بالرفض . لهذا فانه لا جدوى من إعادة الضغط على الحكومة المصرية فى هذا الموضوع(٢) .

يمكن أن نستخلص الحقائق التالية من استعراض هذه الوثائق وأقوال المختصين المصريين :

فى يوم أول سبتمبر طلب لامبسون من على ماهر أن يفى بتعهداته لبنان وبالتزامات مصر بمقتضى المعاهدة ، وذلك بأن تعلن مصر حالة الحرب حين تدخل بريطانيا الحرب فعلا . كان ذلك فى المقابلة الثانية بين الرجلين التى تمت فى ذلك اليوم فى المساء . وفى الاجتماع الثانى لمجلس الوزراء الذى عقد فى مساء ذلك اليوم

=أرسله إلى السفير البريطانى وقد نشره فى اهرام ١٦ مارس ١٩٧٣ ، والخطاب يتضمن تلك المعانى مع تفصيلات واختلافات بسيطة لا تخل بها .

(1)Lampscx to Halifax telegram No. 585,x2 Septermber 1939, F.O. 407/223.

(2) Halifax to Lampson, telegram No. 651,13 Septermber 1939, F.O. 407 '223.

أيضاً(١) ، عرض على ماهر الموضوع على زملائه . في هذا الاجتماع التزم على ماهر الصمت واكتفى بأن يعرض عبد الحميد بدوى ومؤيدو الحرب من السعديين وغيرهم وجهة النظر المؤيدة للحرب . ولا شك أن هذا الموقف أملته وعوده للجانب البريطاني ورغبته في الاحتفاظ بعلاقات ودية معه من جهة ، وإدراكه لاتجاهات السراى من جهة أخرى . انتهى الأمر على أية حال بموافقة مجلس الوزراء على إعلان حالة الحرب بالأغلبية ، وهى الموافقة التى دفعت عبد الرحمن عزام إلى تقديم استقالته ، لكن على ماهر أقنعه بسحبها ، فقد كان يدرك خطورة ذلك على مركزه في وقت لا يتمتع فيه في البرلمان بأغلبية تمكنه من مواجهة العاصفة التى تتلوا استقالة كهذه . هذا الاجتماع ، وهذا القرار ، لا يظهر فيما لدينا من وثائق بريطانية . لكنه واضح في تعهد على ماهر رسمياً وكتابه للسفير البريطاني في اليوم التالى ، كما تقول الوثائق البريطانية ، بأن الحكومة المصرية مستعدة لإعلان حالة الحرب . ذلك أن على ماهر ما كان ليعطى هذا التعهد دون قرار من مجلس الوزراء(١) .

كان هذا في اليوم الأول للحرب ، وكان التساؤل عاماً عن موقف إيطاليا والخوف من هجوم تقوم به على مصر ، مع ضعف وسائل الدفاع عنها ، منتشراً . وقد بدأ سفر الجنود المصرية إلى الحدود لتتخذ المواقع المحددة لها في حالة الطوارىء ، وبدأ وعظهم البذل النفس للدفاع عن بلدهم . وبدأ أيضاً كثير من رجال مصر وشبانها يتقدمون للتطوع في صفوف الجيش المصرى ، بينهم كثير من المهندسين والأطباء وخريجى المعاهد العليا وعلماء الأزهر(٢) . كل هذا توقعاً لدخول إيطاليا الحرب . لكن الأخبار أتت متأخرة عن قرار إيطاليا بعدم اتخاذ أى إجراء حربى . ولا شك أن الملك فاروق كان يعبر عن رأى الكثيرين عندما قال للامبسون حين قابله في أصيل ذلك اليوم الأول للحرب أنه لا شك أن إيطاليا تريد أن تبقى على الحياد ، وأن تظل على أطراف الصراع الدائر ترقب الحالة حتى تحين اللحظة المناسبة فتدخل فيه(٣).

---

(١) الأهرام ٢ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٢) المصرى ، أول سبتمبر ، الأهرام ٥ و ٨ سبتمبر ، المقطم ٥ سبتمبر ١٩٣٩ .

(3) Lampson to Halifax, telegram No. 507,1 September 1939, F.O. 407/223.

فى اليوم التالى اتضح موقف إيطاليا بشكل أكثر ، وبخاصة بعد أن قابل ماتزوليني وزيرها المفوض فى مصر على ماهر ، وأكد له ما تكنه إيطاليا لمصر من صداقة ومودة ، وأنها قد اعتزمت الاحتفاظ بحيدتها فلن تبدأ الهجوم على أية دولة أخرى[1] . وبدأت الجرائد المصرية تكتب عن حياد إيطاليا وكيف أنه يبعد عن مصر شبح دخولها الحرب ، فيوفر عليها ملايين الجنيهات وعشرات الأرواح من زهرة شبابها ، ورجحت بعض الجرائد استمرار موقف الحياد هذا[2] . ساعد هذا على بلورة الرأى العام واتجاهه إلى عدم دخول الحرب . وصرح عبد الرحمن عزام أن مصر ستكون « على حدود المعاهدة الإنجليزية »[3] ، أى أنها لن تزيد على التزاماتها بمقتضى المعاهدة شيئاً .

كان هذا هو الجو العام فى مصر حين أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا فى الثالث من سبتمبر ، وقابل لامبسون رئيس الوزراء[4] ، ولا شك أنه طالبه بالوفاء بتعهداته وإعلان حالة الحرب . وهكذا أصبح على مصر أن تحدد موقفها ، فجمع على ماهر مجلس الوزراء فى مساء ذلك اليوم ليناقش الأمر من جديد . كان طبيعياً فى هذه الظروف أن يتغلب المعارضون لإعلان الحرب ، وأن يرجع مجلس الوزراء عن قراره السابق ، وألا تعلن مصر حالة الحرب مع ألمانيا . واكتفى مجلس الوزراء بقطع العلاقات الدبلوماسية واعتقال الرعايا الألمان من الرجال . إلى هذا القرار يشير لامبسون حين يقول انه قابل على ماهر صباح اليوم التالى ، وحذره بشدة من الآثار المحزنة التى تركها فى لندن القرار الذى اتخذه مجلس الوزراء فى الليلة السابقة ، وحثه على إقناع زملائه الأربعة المترددين بالموافقة على إعلان حالة الحرب[5] .

تلك كانت بداية تصاعد الضغط على رئيس الوزراء لإعلان حالة الحرب . وقد أخذ هذا الضغط يتزايد ، فقابل لامبسون على ماهر يوم ٦ سبتمبر وحثه ثانية

---

(١) الأهرام ، ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .
(٢) الأهرام ، ٢ و ٤ سبتمبر ، البلاغ ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .
(٣) المقطم ، ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .
(٤) الأهرام ، ٤ سبتمبر ١٩٣٩ .
(٥) أنظر عاليه ص ١١٣ .

على إعلان حالة الحرب . وعاد فى صباح اليوم التالى ليزاول ضغطاً شديداً عليه للتغلب على معارضة زملائه – باعتباره رجلا قوياً – وإعلان حالة الحرب . بل إنه تجاوز الضغط إلى التهديد بأنه من الأفضل أن يستجيب على أن يرغم على الاستجابة (أو الاستقالة) نتيجة تعليمات قاطعة يتوقع لامبسون أن يتلقاها من لندن فى أية لحظة[1] .

أثمر هذا الضغط الشديد والتهديد قرار مجلس الوزراء الذى بلغ إلى لامبسون قبيل صباح ٨ سبتمبر . وكان قراراً إجماعياً بالموافقة على إعلان حالة الحرب . لكنها كانت موافقة مقيدة بتحفظ ومصحوبة بمطالب . أما التحفظ فهو الحصول على خطاب من الحكومة البريطانية بعدم كفاية ما اتخذ من إجراءات ، وبضرورة إعلان حالة الحرب . هو القشة التى أراد أن يتعلق بها على ماهر ليصفو بعيداً عن الخطر الذى يخشاه من دعوة البرلمان للموافقة على الإعلان . وهو يعتمد فى ذلك على منطق عبد الحميد بدوى الذى بدأت به مشكلة إعلان الأحكام العرفية ، ويقضى بإمكان إصدار القرارات والقوانين المنفذة لالتزامات مصر بمقتضى المعاهدة دون الحاجة إلى موافقة البرلمان ، لأن البرلمان سبق أن وافق على القانون الذى صدرت به المعاهدة ، كما أنه اعتمد أيضاً على فتوى عبد الحميد بدوى التى قال بها فى إجتماع مجلس الوزراء يوم أول سبتمبر بأن مصر ملتزمة بدخول الحرب إلى جانب بريطانيا بمقتضى المعاهدة . أما المطالب فكانت الثمن الذى قدم إلى الوزراء المعارضين للحصول على موافقتهم ، ولإرضاء الرأى العام ، وتتضمن المساعدة فى عودة المصريين من الخارج ، وتأمين البواخر المصرية الموجودة حينئذ فى البحر المتوسط[2] .

إن أى طرف يتخذ قراراً تحت ضغط يتلمس الفرص للرجوع فى هذا القرار ، خاصة إذا تغيرت الظروف بما يظهر الضرر منه . وهذا ما حدث ، فنى نفس اليوم الذى بلغ فيه لامبسون بالقرار وصل تلغراف من السفير المصرى فى لندن عن مقابلة تمت بينه وبين مستر بتلر فى وزارة الخارجية البريطانية يوم ٦ سبتمبر . وكان مضمون جانب من الحديث فيها ترحيب مستر بتلر بفكرة استفادة بريطانيا من وضع

---

(١) أنظر عاليه ص ١١٣ – ١١٥ .

(٢) أنظر عالية ص ١١٦ .

مصر كدولة غير محاربة فى شراء المواد الحربية من الولايات المتحدة عن طريقها ، وقوله أنه سيعرض ذلك على لورد هاليفاكس. يضاف إلى ذلك الأخبار التى وصلت عن انتصارات الألمان الكاسحة فى بولندا ووصول قواتهم إلى ضواحى وارسو ، وقد قوى ذلك من موقف الفريق من الوزراء الذى كان معارضاً لإعلان حالة الحرب ، فرجع فى موافقته على الإعلان . أما الفريق الموافق على الإعلان فقد آثر أن يتأنى . لكن الجديد فى الموضوع أن الملك أسفر عن موقفه فرمى بثقله إلى جانب المعارضين ، واستخلص فتوى من عبد الحميد بدوى بأن إعلان حالة الحرب يستدعى دعوة البرلمان . هذه الخطوة من الملك ، وفتوى عبد الحميد بدوى حسمت موقف على ماهر الذى كان يخشى عرض الموضوع على البرلمان (١) ، وما كان يمكنه أن يتغاضى عن موقف الملك ووزارته وزارة القصر .

يقول لامبسون فى إيضاح مخاوف على ماهر تلك أنه متخوف من مجلس الشيوخ بالذات . لكن حسن نشأت ، فى حديثه مع هاليفاكس ، حين أبلغه شكوى على ماهر من ضغط السفارة عليه ، يزيد هذا الأمر إيضاحاً فيقول ، معلقاً على الموقف من إعلان حالة الحرب ، بأنه لا يمكن ضمان الموافقة على الإعلان فى البرلمان بالإجماع ، وأن الاعتراض عليه — حتى لو كان من ١٠ ٪ من الأعضاء — سيكون أمراً يؤسف له . ولا شك أن حسن نشأت يقصد بذلك أن قرار إعلان حالة الحرب إلى جانب بريطانيا ، عدوة الوطنية المصرية حتى معاهدة ١٩٣٦ ، يجب أن يكون بالإجماع ليكون ملزماً للجميع ، فلا تقوم ضده معارضة تضعف موقف الحكومة وتحول دون قيام وحدة وطنية خلفها وإلى جانب بريطانيا . وقد أضاف حسن نشأت إلى قوله هذا أن الحقيقة هى أنه لا يمكن ضمان الموافقة عليه ، حتى بالأغلبية ، لأنه ليس لعلى ماهر نفوذ على المستقلين ، وهم فى حقيقة الأمر وفديين لا يكشفون عن وفديتهم(٢) . تلك هى الأسباب التى جعلت المجلس فى ٩ سبتمبر يرجع فى القرار الذى اتخذه قبل ذلك بيومين بإعلان حالة الحرب ، وذلك بموافقة مختلف الأطراف فى المجلس .

---

(١) أنظر عالية ص ١١٧ .

(2) Halifax to Lampson, No. 1038,12 September 1939, F.O. 407/223.

هذه القرارات الأربع المتعارضة بين أيام ١ و ٩ سبتمبر ، والتى بدأت بالموافقة على إعلان حالة الحرب وانتهت برفض ذلك الإعلان ، توضح صراعاً داخل المجلس بين مؤيدى إعلان حالة الحرب والمعارضين . وكانت النتيجة المتغيرة لهذا الصراع هى محصلة تفاعل عوامل ثلاث أساسية هى الموقف الدولى ، وبخاصة الموقف العسكرى ، وقوة الضغط البريطانى . أما العامل الثالث فهو الموقف الداخلى وأثر العاملين السابقين عليه .

حين كان خطر الهجوم الإيطالى ماثلا لم يكن أمام مصر ، بضعفها العسكرى ، سوى أن تقف مع بريطانيا . وهكذا صدر قرار باعلان حالة الحرب حين تعلنها بريطانيا . وحين وضح أن الخطر الإيطالى ليس داهماً ، وأن الأمر سيصبح زجاً بمصر فى حرب لا شأن لها بها بين ألمانيا وبريطانيا ، العدو الحقيقى لأمانى مصر القومية ، رجع المجلس عن قراره وأصبح الوضع ، كما قال عبد الرحمن عزام ، الوقوف « عند حد المعاهدة » . حينئذ أخذت انتصارات الألمان فى بولندا تضغط على كل من الجانبين فى اتجاه مضاد للاتجاه الذى تضغط به على الجانب الآخر . فالجانب البريطانى رأى ضرورة إدخال مصر بسرعة فى الحرب إلى جانبه ، لأن أى تأخير فى ذلك سيؤدى إلى زيادة ترددها وعدم دخولها فى النهاية . أما الجانب المصرى فانه إزاء هذه الانتصارات ، وإزاء التضحيات والمشكلات التى ستترتب على الحرب ومنها مشكلة المصريين المحتجزين فى ألمانيا التى أصبح يخشى أن تؤثر على الرأى العام فى مصر ، قد رأى أن تبقى مصر بعيداً عن الحرب خاصة وأنه سيكون من الصعب إقناع البرلمان والرأى العام بدخولها . وهكذا وقع على على ماهر ضغط بريطانى عنيف ، بلغ حد التهديد ، بضرورة إعلان حالة الحرب ، فخضع مجلس الوزراء للضغط وصدر قراره بالموافقة على الإعلان ، لكن ذلك كان إلى حين ، فان وصول الألمان إلى ضواحى وارسو قوى من المعارضة فى مجلس الوزراء ، ورمى فاروق بثقله إلى جانبها ، فعدل المجلس عن قراره نهائياً .

واضح من هذه الصورة لمشكلة إعلان حالة الحرب أن الاعتماد الأساسى فى تكوينها على الوثائق البريطانية وأخبار الجرائد الصادرة ، مع الاستعانة بالمصادر المصرية الثلاث (على ماهر ومحمد صبيح وعبد الرحمن عزام) بتحفظ . ونلاحظ

أن المصدر الثانى يروى عن المصدر الأول وعن محمد صالح حرب . والحقيقة أن كلا من هذه المصادر الثلاث لا يصور سوى وضعاً واحداً ، هو الوضع الذى يناسبه ، من موقف متطور متغير . فعلى ماهر فى شهادته فى قضية أمين عثمان ، وفيما أدلى به إلى محمد صبيح من معلومات ، ينسب لنفسه فضلين ، هما تجنب مصر الدخول فى الحرب ، ومحاولة مساومة بريطانيا لاستكمال استقلال مصر مقابل دخولها الحرب . الوثيقة التى نشرها محمد صبيح – وسنرى أن الوثائق البريطانية تؤكد صحتها ، وما نشره عبد الوهاب طلعت فى الأهرام ، والوثائق البريطانية التى أشرنا إليها . توضح أن على ماهر ليس له نصيب كبير من الفضل الأول ، وأن السبق فى هذا كان لغيره . فتلك المصادر تثبت أنه أرسل فى يوم ٢ سبتمبر إلى السفير البريطانى رسمياً يوضح استعداده لإعلان حالة الحرب ، كما أنه وافق على إعلان حالة الحرب فى اجتماع مجلس الوزراء يوم ٧ سبتمبر ، كما أنه عبر للامبسون عدة مرات عن استعداده شخصياً لإعلان حالة الحرب ، وأن ما يعوقه هو حاجته إلى إجماع زملائه الوزراء . والحق أن على ماهر . كرئيس للوزراء ، قد اتخذ هذا الفضل لنفسه ، واستغله كرصيد سياسى يرتكن عليه ويباهى به فيما بعد حين تبلور الرأى العام واستقر على تجنيب مصر أن تساق إلى دخول الحرب ، أما موضوع مساومة بريطانيا لاستكمال استقلال مصر فيغلب أنها لم تكن فكرة على ماهر ، بل فكرة عبد الرحمن عزام . يبدو هذا مما يقوله محمد صبيح ، بناء على معلوماته من على ماهر نفسه ، من أن عبد الرحمن عزام كان « يرى التفاهم للحصول على مكاسب من الإنجليز »[1] . يضاف إلى ذلك أن ما تحت يدنا من وثائق بريطانية يخلو من أية إشارة لمحاولة على ماهر القيام بهذه المساومة بنفسه ، وكل ما تتضمنه هو ما قاله لامبسون عن مقابلته لعلى ماهر يوم ٤ سبتمبر من أن رئيس الوزراء « وافق على أن يطلب إلى عزام باشا [كان عزام حينئذ حائزاً على لقب بك فقط] أن يناقش فى الحال اعتراضاته [على إعلان حالة الحرب] مع مستر بتمان »[2] .

---

(١) محمد صبيح ، طريق الحرية ، ص ٢٨ .

(2) Lampson to Halifax, telegram No. 527,4 September 1939, F.O. 407/223.

وهذا يعزز رواية عبد الرحمن عزام فى مجلة آخر ساعة من أنه كان معارضاً لإعلان الحرب ،ولو أنه كان من رأيه أن ذلك قد يكون مقبولا لو كان هناك مقابل له، كوعد بالجلاء وتعويض عن الخسائر ، وأنه قام بناء على طلب على ماهر بالاتصال بالجانب البريطانى لإقناعه بعدم الإصرار على طلبه،وأن الاتصالات أسفرت عن إصرار الجانب البريطانى على عدم تقديم أى تنازلات مقابل إعلان الحرب(١) . أى أن محاولة المساومة تمت، لكن عن غير طريق رئيس الوزراء ولو أنها بعلمه ، وكانت ضمن جملة اعتراضات أثارها عبد الرحمن عزام . وربما كان هذا هو السبب فى إهمال ذكرها تفصيلا فى الوثائق البريطانية ، فى عدم أخذها مأخذ الجد باعتبارها وجهة نظر فردية . هذا الموقف المتخاذل من على ماهر يرجع إلى ضعف موقف وزارته ، وحساسية العلاقات بينه وبين الجانب البريطانى .

لقد ركز على ماهر فى أقواله فى قضية مقتل أمين عثمان ، وفى معلوماته التى أدلى بها إلى محمد صبيح على قرار مجلس الوزراء يوم ٩ سبتمبر بعدم إعلان حالة الحرب ، واتخذ لنفسه الفضل فى الوصول إلى هذا القرار ، وتجاهل تماماً قرارى الأول والسابع من سبتمبر باعلان حالة الحرب ، بل أنه نفى صحة ما ورد فى الوثيقة التى نشرها محمد صبيح عن إجتماع مجلس الوزراء فى ٧ سبتمبر وما تضمنته من قرار ومن مواقف الوزراء المختلفين من موضوع الإعلان(٢) .

تلك الوثيقة صحيحة رغم تكذيب على ماهر وصالح حرب ما تضمنته من بيانات. يؤكد صحتها تلغراف لامبسون إلى هاليفاكس فى ٨ سبتمبر متضمناً أخبار زيارة محمد كامل سليم سكرتير عام مجلس الوزراء وما أبلغه به من قرار مجلس الوزراء فى مساء ٧ سبتمبر(٣) .

يتضح من هذا أنه لا يمكن الأخذ بما روى نقلا عن على ماهر وصالح حرب دون الاستناد إلى مصادر أخرى تؤيده .

---

(١) أنظر عاليه ، ص ١١٢ .

(٢) محمد صبيح ، طريق الحرية ، ص ٣٠ .

(٣) انظر عاليه ص ١١٦ .

Lampson to Halifax, telegram No. 557 A,8 September 1939, F(O. 407/223

أما المصدر الثالث ، عبد الرحمن عزام ، فان ما يرويه عن اعتراضه على إعلان حالة الحرب دون الحصول على مكاسب من بريطانيا تؤكده رواية محمد صبيح والوثائق البريطانية، كما سبق أن أوضحنا . لكنه بدوره يركز في كلامه على إجتماعي مجلس الوزراء أيام الأول والتاسع من سبتمبر ، ويتجاهل إجتماع السابع من سبتمبر الذى صدر فيه قرار المجلس بالإجماع باعلان حالة الحرب . كما أنه يقرر أنه وحده الذى اعترض على الإعلان ، بينما تثبت الوثيقة التى نشرها محمد صبيح ، وتثبت الوثائق البريطانية ، أنه كان هناك آخرون معارضون . وهذا يسوقنا إلى المعارضين والمؤيدين من الوزراء لإعلان حالة الحرب .

ناقشنا موقف على ماهر من موضوع الإعلان ، ويبقى موقف باقى الوزراء . عبد الرحمن عزام يشير إلى معارضته وحده للإعلان فى إجتماع أول سبتمبر ؛ والى استمرار معارضته له. تقرير عبد الوهاب طلعت الذى نشره محمد صبيح عن إجتماع ٧ سبتمبر يشير إلى معارضة مصطفى الشوربجى بك وزير العدل للإعلان على أساس « أن ما تم فوق الكفاية وأن المعاهدة لا تلزمنا بشيء أكثر من ذلك . وليس لمصر شأن فى الخلاف القائم الآن » . ويشير أيضاً إلى أن عبد الرحمن عزام مع موافقته لرأى الشوربجى ، يرى الانتظار على الأقل حتى يعود كل المصريين من الخارج ، وكذلك البواخر المصرية . كما يشير إلى وجود فريق يوافق على الإعلان ويتكون من حسين باشا سرى ومحمد على علوبة باشا وآخرين . أما الوثائق البريطانية فتشير إلى معارضة أربعة وزراء للإعلان ، ذكر منهم لامبسون عبد الرحمن عزام ومحمد صالح حرب(١) ، وأشار إلى أنه يقال أن عدم إعلان حالة الحرب يرجع إلى نفوذ عزام إلى حد كبير (٢) . ويذكر حسين سرى باشا وزير المالية للامبسون أن المعارضين هم عزام وغالب ، أى محمود غالب باشا وزير المواصلات . أما الموافقون على الإعلان فتذكر منهم تلك الوثائق حسين سرى ومحمود فهمى النقراشى وزير الأشغال(٣) .

(1) Lampson to Halifax, telegram No. 527,4 September 1939, F.O. 407/223.

(2) Same to same, No. 145, 8 February 1940, F.O. 407/224.

(3) Sam to seame, telegram No. 559, 16 Septermber 1939 F.O. 407/223.

يتضح من هذا أن المعارضة الأساسية النشطة كانت من عبد الرحمن عزام ومصطفى الشوربجى ، والأخير أصلا حزب وطنى ، وأن المعارضين الآخرين هم صالح حرب ومحمود غالب . أما الموافقين فأبرزهم حسين سرى والنقراشى وعلوبه لكن ينبغى أن نلاحظ أن المعارضة اضطرت إلى التخلى عن موقفها تحت التهديد البريطانى ، وذلك فى إجتماع يوم ٧ سبتمبر الذى صدر فيه قرار الإعلان بالإجماع ، والملاحظة الأخيرة فى هذا الموضوع هى استمرار ما أشرنا إليه من انقسام السعديين فيما يختص بالحرب ، يوضح ذلك موقف كل من النقراشى ومحمود غالب .

(يتبع)

الوثائق القـانونية المشطورة

للدكتور حسن على حسن الحلوه

استاذ الوثائق المساعد ــ قسم المكتبات والوثائق

كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

جاءتنا من العصر الوسيط أمثلة كثيرة من لون من الوثائق القانونية يعرف باسم « الوثائق القانونية المشطورة (بالفرنسية chirographe أو charte partie) [١] .

(أولا) شكلها : المثل (الأصول) والشاطر والقطع[٢] :

تتميز هذه الوثائق المشطورة عن غيرها من الوثائق بسمة من سمات الشكل الخارجى اختصت بها ، فحق لها هذا الاسم الذى صار علماً عليها : فقد كانوا يكتبون على ورقة واحدة من الرق عدة أصول من الفعل القانونى المراد توثيقه ، ويتركون بينها بياضاً يفصلها عن بعضها ، ويشغلون هذا البياض بشاطر[٣] يتمثل فى كتابة (légende ، devise) يكتبونها بحروف كبيرة ، أو مونوجرام (mongoramme)[٤] يخطونه ، أو رسم يرسمونه ، ويقصون هذا الشاطر بالمقص قصا طولياً فى منتصفه ، ليفصلوا هذه الأصول عن بعضها واحدة واحدة ، ويعطوا لكل صاحب شأن أصلا منها . ومن هنا كانت تسميتها بالوثائق المشطورة . وهى ، من هذا الوجه ، تشبه السجلات ذات القسائم (registres à souche) المنتشرة اليوم ، حيث يفصلون الصك (titre) عن قسيمته (souche) .

(أ) المثل (الأصول) :

وعندما يكون عرض ورقة الرق أكبر من ارتفاعها ، كانوا يكتبون الأصول عليها جنباً إلى جنب . وعندما يكون ارتفاعها أكبر من عرضها ، كانوا يكتبونها الواحدة تلو الأخرى . وعندما تكون ورقة الرق مربعة ، كانوا يكتبونها فى الأركان.

(ب) الشاطر :

ويغلب على الشاطر أن يكون كتابة (légende ، devise)[٥] . وتتنوع الكتابات الشاطرة تنوعاً لا حد له ، لكنه لا يسمح ، مع ذلك ، بأن نصنفها تبعاً للزمان والمكان تصنيفاً يفيد النقد الدبلوماتيقى [٦] . ويغلب على الكتابات الشاطرة كتابتان ، هما : لفظة chirographum (أ) ، وسلسلة الحروف الأفرنجية الأبجدية الأولى (ب) ، وتزاحمها كتابات أخرى كثيرة متنوعة لا تخضع لقاعدة وتظهر اتفاقاً تبعاً لهوى الكاتب وإلهامه (جـ) .

« لفظ chirographum

كان يطلق هذا اللفظ فى العصر القديم الرومانى على الوثيقة القانونية المكتوبة بخط يد الفاعل (auteur) أو بخط يد وكيله (mandataire) ، التى كانت تستمد موثوقيتها (oredibilite) من هذه الأوتو جرافية . والكيروجرافات الإيطالية فى العصر الوسيط التزامات متبادلة كتبها كل متعاقد على ورقة واحدة من الرق تقسم بعد ذلك ليأخذ كل متعاقد المثال (الأصل) الخاص به[٧] . وهى بذلك حلقة اتصال واضحة بين الكيروجراف الرومانى والوثائق القانونية المشطورة فى العصر الوسيط .

وكانت الوثيقة القانونية الخاصة تسمى فى خلال النصف الأول من العصر الوسيط testamentum و chirographum . وقد ظل مفهوم اللفظ الأخير عاماً جداً حتى نهاية القرن الحادى عشر ، ثم أخذ يضيق إلى أن أصبح يطلق اللفظ على نوع خاص من الوثائق القانونية وهو الوثائق المشطورة التى نحن بصددها .

وكان لفظ chirographum فى الوثائق المشطورة يكتب وحده ، أو مصحوباً بصفة مثل هذه الصفات : chirographum pactum و chirographum memorile و [٨] chirographum manuscriptum, chirograpahum comune . أو مصحوباً بمضاف إليه (génitif) يحدد طبيعة الوثيقة القانونية ، مثل chirographum venditionis و chirographum recognitionis ، أو يعين الطرف صاحب الشأن ، مثل chirographum Sancti Deodati . أو مصحوباً بمفعول ظرفى (ablatif)

يعين موضوع العقد ، مثل chirographum de molendino. وقد ترتب على هذا أن لفظة cirographum التى كانت تعبر فى بداية الأمر عن جميع أنواع العقود أخذت تتخذ شيئاً فشيئاًمفهوماً أضيق ، ولم تعد تعنى سوى الوثائق القانونية التى أنشئت فى مثل(أصول) كثيرة. وصارت كلمة cirographum نفسها هى الكتابة الشاطرة فى هذه الوثائق . وفى هذا المعنى يستخدمها كثير من مصنفى العصر الوسيط منذ نهاية القرن الثانى عشر . وفى هذا المعنى أيضاً نجدها فى عدد كبير من وثائق صحيحة(٩) . وإن كانوا يفضلون أن يقولوا فى إنجلترا charta cyrographata .

سلسلة الحروف الأبجدية الأولى :

كانت هذه السلسلة الشاطرة شائعة شيوع لفظ cirographum ، وبخاصة فى جنوب فرنسا . ومن هنا جاء اسم littera per alphabetum divisa فى اللغة اللاتينية ، واسم carta partida per ABC فى اللغة البروفانصالية ، الذى كثيراً ما كان يطلق على هذه الوثائق القانونية .

كتابات شاطرة أخرى :

وهناك كتابات كثيرة مختلفة لاتخضع لقاعدة وتظهر اتفاقاً تبعاً لهوى الكاتب وإلهامه ، ومنها أسماء الفاعلين (auteurs) أو الأطراف المتعاقدة أو الحروف الأولى (initiales) من أسمائهم ، والإشارة إلى طريقة التوثيق(١٠) clavis) (cyrographi ، والبسملات(١١) (invocations) ، والصيغ الدينية(١٢) ، وأسماء القديسين وخاصة شفعاء الكنائس(١٣) ، وكلمة « قطع » (sectio)(١٤) .

وقد يتفنن الكاتب فى تركيب الكتابة الشاطرة ، ليجعل منها لغزاً طريفاً يعطينا مفتاحه فى الوثيقة نفسها(١٥) .

الرسم :

وقد يكون الشاطر رسماً ، مثل الصليب(١٦) والأسنان التى تشبه أسنان المنشار

مكان الشاطر :

وتشغل الكتابات الشاطرة ، والرسومات ، الحافة العليا أحياناً ، أو الحافة

السفلى أو الحافتين العليا والسفلى أحياناً ، أو إحدى الحافتين الجانبيتين أو كليهما معاً أحياناً ، أو إحدى الحافتين العليا والسفلى وإحدى الحافتين الجانبيتين أحياناً ، وذلك تبعاً لتنظيم المثل على ورقة الرق ، وتبعاً لمكان كل منها فيها ، وتبعاً لعددها .

(ج) القطع :

قد يكون القطع الذى يقسم الشاطر فى منتصفه خطاً مستقيماً . وقد يكون خطاً منكسراً يحدث سلسلة من الأسنان تشبه أسنان المنشار . ويلاحظ هذا منذ القرن الثالث عشر ، فى إنجلترة على وجه الخصوص ، حيث سميت الوثائق المشطورة لهذا السبب باسم « الوثائق المسننة » (chartae indentatae) أو « المسننات » (indenturae) باللاتينية و (endentures) بالفرنسية [١٧] . وقد يكون خطاً متموجاً ، ومن هنا سميت الوثائق المشطورة باسم « وثيقة قانونية متموجة » (charta undulata) فى بعض الأحيان [١٨] . والأسلوبان الأخيران من أحدث الأساليب ، وكانا يحققان ضماناً أكبر . وهما يظهران فى « فلاندر » (Plandre) فى بداية القرن الثانى عشر . بينما غلب القطع المستقيم فى فرنسا بوجه عام .

(ثانياً) وظيفتها [١٩] :

الوثيقة المشطورة طريقة من طرق التوثيق فى العصر الوسيط — مثل الأختام والتوقيعات وشهادات الشهود — لها قوة إثباتية كبيرة جداً : إذ كانوا عند الحاجة يثبتون صحة كل أصل من أصول الوثائق القانونية المشطورة بتقريب هذه الأصول بعضها من بعض ، فيكتمل بذلك الشاطر — كتابة كان أو رسماً — الذى كان يشغل الفاصل بين الأصول المدونة على ورقة الرق ، وتعود إليه صورته الأولى التى كان عليها قبل أن يقص بالمقص من منتصفه ، وتثبت بذلك صحة الأصول التى ضمت إلى بعضها على هذا النحو .

(ثالثاً) نشأتها [٢٠] :

لسنا نعرف على وجه التحديد متى ظهرت هذه الطريقة من طرق التوثيق . وهناك شك فى أن تكون ظهرت فى العصر الميروفنجى ، على الرغم من وجود

إشارات إلى أصول عدة، ونسخ وثائق قانونية لها نص واحد chartae paricolae) ، ومثل تعطى لكل طرف من الأطراف صاحبة eodem tenore conscriptae) الشأن . وعلى الرغم مما يشير إليه ويشى (Richer) فى قصته (Historiarum lib. IV, 29) عن تنصيب أرنو (Arnould) رئيساً لأساقفة رانس (Reins) عام ٩٨٩ م، من أنه أنشئت وثيقة مقسومة أى مشطورة (cirographum bipertitum) تحتوى على التزاماته نحو ملك فرنسا، لأن كل هذه الإشارات تخلو من الإشارة إلى وجود «كتابة شا ره» (devise) ، كما أنه لا يوجد لدينا من هذه الفترة أصل واحد له هيئة الوثيقة القانونية المشطورة .

وعلى كل حال ، يمكن القول ، على وجه العموم ، أن هذه الطريقة ظهرت عندما شاع الجهل بالكتابة، وأمحت بالتالى من الأذهان كل قيمة للتوقيع بخط اليد ، وقبل أن يفرض الختم نفسه على جميع الأوساط .

أقدم الأمثلة

ومن أقدم الأمثلة على الوثائق القانونية المشطورة ، وثيقة من فرنسا ، من عام ١٠١٣ م ، تشتمل على كتابة شاطرة تتألف من كلمة (signum) أى علامة، يحيط بها صليبان(٢١) . ودبلوم لا يحمل تاريخاً صادر عن ملك فرنسا، هنرى الأول (Henri I) (١٠٣١ — ١٠٦٠ م) إلى دير سانت جنفييف (abbaye de Sainte—Geneviève) ، يوجد فى أسفله ، فى المثال الذى وصل إلينا(٢٢) ، القسم الأسفل من حروف أبجدية كبيرة فى كتابة شاطرة تتكون من ثلاثة أسماء ، هى : GENOVEFA ، PAULUS ، PETRUS . واتفاق من نفس العصر تقريباً بين أسقف جيرون (évèque de Gérône) وروجى الأول (Roger 1) ، كومت فوا (comte de Foix) ، حيث تتألف الكتابة الشاطرة من حروف الأبجدية، من حرف A إلى حرف R ، ولم يحفظ المثال منها سوى القسم العلوى(٢٣).

آراء مختلفة فى أصل الطريقة :

وقد اختلفت الآراء فى أصل هذه الطريقة من طرق التوثيق والإثبات . فالبعض(٢٤) يجعلها بدعة أنجلوساكسونية ، ابتدعها الأنجلوساكسون ، الذين كانوا

لا يعرفون نظام الموثقين ، لتوثيق وثائقهم القانونية . والبعض(٢٥) يلحقها بالـ Syngraphae الرومانية ، وهو رأي يثير من حوله جدلا شديداً (٢٦) ، كما أنه ليس بجديد ، فقد سبق أن ناقشه البندكتيون فى القرن الثامن عشر(٢٧). والحقيقة أنه ليس هناك ما يثبت أن المثل المتعددة التى كان ينشؤها الرومان لتكون مستندات لأكثر من مكتوب إليه — تشتمل على الشاطر الذى يضفى على وثائق العصر الوسيط المشطورة قوتها الإثباتية(٢٨). والبعض(٢٩) يلحقها بالرمز الجرمانى القديم festuca notata ، مرجعاً بذلك أصلها إلى العصر الوسيط . والبعض (٣٠) يسلم بأن القدماء عرفوا طريقة الإثبات القائمة على التقريب بين عدة أجزاء مفصولة من قطعة واحدة(٣١) وأن هذه الطريقة ، عندما طبقت على الوثائق المكتوبة أنتجت الوثيقة القانونية المشطورة .

(رابعاً) انتشارها (٣٢) واضمحلالها(٣٣) :

انتشرت الوثائق القانونية المشطورة فى عصر كانت فيه ذاكرة الشهود الأحياء هى وحدها السبيل إلى إثبات صحة عدد كبير من التصرفات القانونية . فمنذ القرن الثانى عشر اتخذها السادة العلمانيون والأساقفة والملوك(٣٤) وسيلة للتوثيق ، وكانت تعتبر حينئذ فى نظر الناس أفضل مستند يمكن الاعتماد عليه فى فض المنازعات(٣٥). ووثقوا بها أنواع مختلفة من التصرفات القانونية مثل الامتيازات (priviléges) والهبات (donations) ووثائق الكوميونات (chartes de communes) ووثائق الاعتراف الاقطاعى (chartes d'aveu) ، وغيرها ، وعلى وجه الخصوص التصرفات القانونية التى تقتضى أن ينشأ عدد من الأصول بقدر ما هناك من أطراف ، مثل الاتفاقات (accords) ، والمواثيق (conventions) والاستبدالات (échanges) ، ولا سيما العقود التى يحفظون منها أصلا فى مقر الهيئة القضائية التى عملتها .

قصورها :

ويعيب هذه الطريقة من طرق الإثبات أن صاحب الوثيقة المشطورة لا يستطيع أن يثبت صحتها ، أى صحة المثال الذى بين يديه إلا إذا وجد المثال المقابل . ولم يرفض

صاحبه تقديمه . أما إذا لم يوجد المثال المقابل ، أو وجد ورفض صاحبه أن يقدمه ، ضاعت كل قيمة إثباتية للوثيقة المشطورة .

علاج القصور :

وكى يتجنبوا الأضرار التى تترتب على هذا القصور ،لجأوا إلى الختم (٣٦) ، فختموا معظم الوثائق المشطورة ، وكانت لهم فى ختمها طريقتان : أن يختموا المثل (الأصول) كلها بختم واحد معتمد ، أو أن يختم كل من المتعاقدين بختمه الخاص مثل المتعاقدين الآخرين(٣٧) .

الإضمحلال :

وكان استعمال الختم فى الوثائق القانونية المشطورة إيذاناً بتدهورها ، بما هى طريقة من طرق التوثيق والإثبات . فقد أخذت تتراجع ، منذ القرن الثانى عشر ، تدريجياً ،أمام تعاظم سلطان الختم ، واشتد تراجعها فى بداية القرن الثالث عشر(٣٨) ، وأصبحت فى النصف الثانى من نفس القرن مجرد وسيلة عديمة القيمة(٣٩). ولم يكن هذا التراجع قاصراً على فرنسا(٤٠) وحدها ، بل امتد أيضاً إلى ألمانيا منذ القرن الرابع عشر ، حيث أخذ يغفل الوثيقة القانونيةالمشطورة كل شخص أو كل هيئة يملك ختماً أو يستطيع أن يحصل على وثيقة قانونية مختومة ، إلا فى الريف ولتوثيق مسائل قليلة الأهمية . أما إنجلترة ، التى ظلت محرومة من نظام الموثقين فترة طويلة من الزمن ، فقد احتفظت باستخدام « المسننات » ، وهى كثيرة فى الـ Ancient Deeds فى الـ Public Record Office.

(خامساً) تسميتها :

كانت الوثائق القانونية المشطورة تسمى فى العصر الوسيط بأسماء مختلفة تبعاً لظروف كل وثيقة ، وتبعاً للمكان الذى أنشئت فيه ، دون أن نستطيع أن نستخلص قاعدة محددة تماماً فى هذا الشأن . وهذه الأسماء هى :

(٤١) chartae chirographatae أو charta cyrographata . cirographum

أو chirographa أو cyrographa أو cyrographi . chartae partitae أو

وبالفرنسية(٤٢) chartae divisae littera per alphabetum divisa . chartes parties
وباللغة البروفانصالية carta partida per ABC . indenturae أو charta indentatae
وبالفرنسيــة endentures . charta undulata . charates per cyrographum
divisiae أو chartae per cyrographum partitae .

وقد بينا مفاهيم هذه الأسماء فى صلب المقال .

الحواشى

(١) أنظر على سبيل المثال لا الحصر الأمثلة التى أوردها دى بوار ، ١ ص ٣٦٥ – ٣٧١ ، جيرى ، ص ٥١٠ – ٥١٣ ، برسلاو ، ١ ، ص ٦٦٨ – ٦٧٧ ، لوباج .

(٢) دى بوار ، ١ ص ٣٦٥ – ٣٦٨ ، جيرى ، ص ٥١٠ – ٥١١ .

(٣) شطر الشئ يشطره شطراً فهو شاطر ، أى جعله نصفين .

(٤) شكل يشتمل على الحروف الرئيسية فى اسم من الأسماء .

(٥) وقد يكون مونوجراما ، أو رسما مثل أسنان المنشار ، أو صورة صليب ، أو مجرد شكل من الأشكال الهندسية . (أنظر Album belge, pl.XXX^{B}) .

(٦) غاية ما أمكن ملاحظته ، فى ألمانيا مثلا ، فى هذا الشأن ، هو أن الكتابات الشاطرة الأولى (القرن العاشر) فى غرب ألمانيا تتألف من أسم الفاعل (auteurs) ، أو من اسم الموظف المسئول عن الاستنساخ . وأنه قد حدث أنتقال من كتابه الاسم إلى رسم المونوجرام (القرن الحادى عشر)–يوجد مونوجرام مزدوج للأطراف المتعاقدة يقوم مقام الكتابة المشطورة فى وثيقة مشطورة من عام ١٠٣٠م Bibl. nat., ms. lat. 17715 no 58 أنظر لوحة ٢ . وان هذه العلاقة بين الكتابة الشاطرة والتوقيع (souscription) تتبين على نحو أوضح فى كلمة signum (علامة) المحاطة بصليبين ، التى استخدمت بمثابة كتابة شاطرة فى وثيقة مشطورة من عام ١٠١٣ ، وهى من أقدم الوثائق المشطورة المعروفة فى فرنسا (أنظر Archives de la Vienne, Fonds de Nouaillé, cart. 9 no. 77) أنظر لوحة ١ .

(٧) باولى ، ص ٣٥ .

(٨) منح كومت فلاندر (comte de Flandre) ، جيوم كليتون (Guillaume Cliton) وثيقة مدينة (charte de commune) فى صورة وثيقة مشطورة ، كتابتها الشاطرة هى : CIROGRAPHUM ET CONCESTATIO PRESENTIS KARTAE (أنظر الأصل فى Arch. mun. de St-Omer) .

(٩) انظر معنى كلمة Chirographum فى قاموس دو كانج .

(١٠) انظر برلان .

(١١) In nomine Domini nostri فى وثيقة مشطورة من عام ١١٣١ – ١١٤٠ . وهى عبارة عن اتفاق بين رئيس دير Toussaint-en-l'Isle وأحد الفرسان (أنظر Mus. des arch. dép., no. 36, pl. XXIII) .

(١٢) Pax hominibus bone voluntatis او Pacem habet inter vos . ونجد فى هبة من عام ١١٣٤ م وهبها جيوم التاسع ، دوق أكيتين (Guillaume IX, duc d'Aquitaine) إلى دير فونتفرو (abbaye de Fontevraud) الكتابة الشاطرة: Datum optimum et omne bonum (أنظر مارشجى ، ص ٣٢٢) . ونجد فى غالب الأحيان الكتابة الشاطرة Testimonium او Testimonium veritatis .

(١٣) توجد وثيقة أشتراك فى الدعوات بين دير ابينال (abbaye d'Epinal) ، من عام ١١٧٣ م ، تحمل الكتابة الشاطرة Sanctus Georricus episcopus (أنظر Mus. des arch. dép., no. 47, pl. XXVII) . ويوجد اتفاق من عام ١١٠٧ م أو ١١٠٨ م بين دير سان ليون (abbaye de ST-Léon) وشخص يدعى شارل (Charles) يحمل الكتابة الشاطرة (Sanctus Leo pp (papa) حيث يدخل الحرفان p فى الحرف o (أنظر لوباج ، ص ١٦٥) .

(١٤) وهكذا تقوم هذه الكلمة بدور الكتابة الشاطرة كما أنها تبين للمقص مكان القص فى نفس الوقت (انظر الوثيقة التى تحمل هذه الكلمة فى فيليب ، ص ١٨٥ ، رقم ١٧) .

(١٥) من الأمثلة على ذلك وثيقة من وثائق Archives de la Meurthe (أنظر لوباج ، ص ١٧٤). وهى عبارة عن تسوية من عام ١١٧٤ م للنزاع بين جماعة الـ prémontrés de Flabémont وجماعة الـ cistérciens de Beaupré . وتشتمل على كتابة شاطرة تتألف من حروف حمراء وأخرى سوداء بالتناوب ، بحيث تكون الحروف الحمراء الكلمة الأولى من اللغز : AUGUSTINUS وتكون الحروف السوداء الكلمة الثانية من اللغز : BENEDICTUS . ونحن نقدم هنا السلسلتين من الحروف مع وضع خط أحمر تحت الحروف الحمراء :

A B V E G N V E S D T I I C N T V V S S K A R T A M C O N F I R M A N T

وتبين الفقرة الختامية فى الوثيقة مفتاح هذا اللغو فتقول :

Et ut ista compositio rata teneatur, cyrographum fieri decrevimus cujus partes, sigillis nostris premunite, in eisdem ecclesiis coserventur in testimonium, ut si quando ceperit oboriri redivina contentio, presentis cyrographi conjunctio totam controversiam deleat reddatque sopitam, sed et *patrum utriusque ordinis confirmatio, Augustini scilicet et Benedicti, in eodem conscripta* faciat pacem que tanta auctoritate roborata, firmiter teneatur a modo usque in sempiternam."

« ولكى توثق هذه التسوية ، أمرنا بانشاء وثيقة مشطورة ، أجزاءها (أى أصولها) مختومة بأختامنا ، ومحفوظة فى هذه الكنائس ، شهادة على ماتم ، فاذا ماثار النزاع مرة أخرى ، قضت هذه الوثيقة المشطورة ، بضم اجزاءها بعضها إلى بعض ، على كل خلاف واخمدته ، ونرجو أن تقيم تزكية صاحبى هاتين الرهبانيتين، أقصد أوغوسطينوس وبندكتوس، المدون أسماؤهما فى هذا الكتاب ، سلاماً يدوم قويا من اليوم إلى أبد الابدين لأنه مدعم بهذه السلطة الكبيرة» (انظر جيرى، ص ٥١٢ ، حاشية ٢) .

(١٦) هناك وثيقة أستبدال عقدت بين ماتيو ، كومت بومون (Mathieu, comte de Beaumont) ودير سان مارتان دى بونتواز (abbaye de St-Martin de Pontoise)

تشتمل على صليب بين قسمى كلمة ciro + graphum (أنظر الأصل فى Archibves natio-
nales, J 168, no. 2) (وانظر نسخة من الأصل فى Fac-sim. lithor. de l'Éc. des char-
tes, no. 347) . وهناك فقرة ختامية فى وثيقة قانونية (cartul. de St-Jean-d'Angely)
لا تحمل تاريخاً ، ولكنها ترجع إلى السنوات الأولى من القرن الثانى عشر ، يبدو أنها تشير إلى رسم
أستخدم شاطراً فهى تقول :

"Sciant posteri nostri quod similis charta data est Constantino molendinario continens simila huic, unde scissa est pictura quae jungebat utramque, et partita est utrique" (Bibl. nat., ms. lat. 5451, fol. 171).

« لتعلم أجيالنا القادمة أن وثيقة مماثلة أعطيت إلى كونستا نتينوس الطحان ، تحتوى على نفس النص الذى فى تلك الوثيقة التى قصت فيها تصورة كانت تضم الوثيقتين إلى بعضهما ، ووزع قسماها عليهما ».

(١٧) انظر كلمة Indentura فى قاموس دوكانج . ومن الأمثله على « المسننات » وثيقة اقطاع من عام ١٢١٤م ، أنشأها موثق فلماج (Villemage) (أنظر Rec. de fac-sim. à l'us. de l'Éc. des chartes, no. 174) ، وإجاره ممتلكاتلدير Trinité de Caen ، عام ١٢٩٩ (Fac sim. lith. de l'Ec. des chartes, no. 271) ووعد بدعاء من رئيس دير سمبرنجهام (Sempringham) لأسرة مارميون (Marmion) ، ويحتمل أن تكون هذه الوثيقة قد أنشئت من أربعة مثل ، وهى مسننة على اليسار فى حافتها العليا فى نفس الوقت (Palaeogr. Society, lère série,) . ووثيقة تبعية (hommage) حصن أورتى (château d'Orthez) لكونتس فوا (comtesse de Foix Pl. 256.) (أنظر Rec. de fac-sim. à l'usage de l'Ec. dcs chartes, no. 212) .

وعندما ابتدعت الأسنان ، أصبحت الكتابة الشاطرة عديمة الفائدة . وإننا لنجد فى الواقع كثيراً من الوثائق القانونية المشطورة خالية منها. ولكن فى العادة لم يهملوا هذا الضمان المساعد . ولهذا فإننا نجد أن الوثيقة المشطورة ، وإن كانت احياناً العنصر الوحيد للتوثيق (فيليب ، ص ١٦١ ، رقم ٢) ، إلا أنها لاتستبعد صيغ اللعنات (imprécations) ، او صيغ النصوص الجزائية (stipulations pénales) ، أو قوائم الشهود . ومن الأمثلة على ذلك ، وثيقة رئيس دير سانت آمان آن بيفيل (abbé de S.-Amand en Pévéle) ، بعد عام ١١٢٣ م ، التى تشتمل على صيغة التدعيم (formule de corroboration) التالية :

"Quoniam igitur funiculus triplex difficile rumpitur, ad confirmandam hujus nostre concessionis paginam *cyrographum* scripsimus, *testes* notavimus, sigillum Beati Amandi apposuimus "(Chartes de S.—Martin de Tournai, éd. d'Herbomez, I, no. 39 (Coll. des chron. belges inédites).

« حيث أن الحبل الثلاثى يصعب قطعه ، فإننا ، لتدعيم وثيقتنا هذه ، كتبنا وثيقة مشطورة ، ودونا أسماء شهود ، ووضعنا ختم الطوباوى اماندوس » .

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ، وثيقة هبة وهبها أحد الأشخاص إلى دير شال (Chaalis) ، ومختومة بختم أسقف بوفى (Beauvais) ، وهى من عام ١١٥٦ م :

"Hoc igitur ne possint vel oblivione deleri aliquando, vel quoquomodo perturbari, hoc inde fieri *cyrographum* volui et *sigilli* nostri auctoritate muniri, *testiumque* prescriptorum astipulatione corroboravi" (Archives de Chalais, fonds de Tranloy, I, no. 9).

« وحتى لا تضيع هذه الوثيقة فى طى النسيان ، أو يطعن فيها على أى نحو من الأنحاء ، أردنا ان نعمل وثيقة مشطورة ، وان تزود بسلطة ختمنا ، ودعمّها بتوقيعات الشهود » .

والوثائق المزودة بهذا التوثيق الثلاثى كثيرة فى بداية القرن الثانى عشر (دى بوار ، ١ ، ص ٣٥٨) .

(١٨) من الأمثلة على ذلك ، وثيقة إستبدال بين دير بتسدن (abb. de Bittesden) وروجى فوليو (Roger Foliot) ، من عام ١٢٥١م (أنظر Palaeogr. Society, 2e série, no. 118).

(١٩) جيرى ، ص ٥١٠ . دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٥ .

(٢٠) جيرى ، ص ٥١٠ . دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٢١) لوحة ١ (Arch. de la Vienne, Fonds de Nouaillé, cart. 9 no. 77.)

(٢٢) Rec. de Fac-sim. à l'us. de l'Ec. des chartes, no. 39.

(٢٣) Musée des archives départementales, no. 24, pl. XVII

(٢٤) كان هذا هو الرأى السائد الذى دعا إليه أصحاب «مقال جديد فى الدبلوماتيقا». (Nouveau traité de diplomatique, I, p. 332) . أنظر برسلاو ، ١ ، ص ٦٦٨ وما بعدها.

(٢٥) أنظر فوسكو .

(٢٦) أنظر (1919) Revue hist. de droit francais et étranger, XLIII حيث ينقد دى بوار (ص ١١٤ وما بعدها) مقال « فوسكو » المشار إليه فى الحاشية ٢٥ . قارن برسلاو ، ١ ، ص ٧٤٥ .

(٢٧) Nouveau traité, I.p. 356 et suiv.

(٢٨) دى بوار ، ص ٣٧١ .

(٢٩) برسلاو ، ١ ، ص ٦٧٧ .

(٣٠) دى بوار ، ١ ، ص ٣٧١ .

(٣١) جاء فى Istidore, Orig., V, 24, 30. ، ما يأتى :

"Stipulatio est promissio vel sponsio, unde et promissores stipulatores vocantur; dicta autem stipulatio a stipula : veteres enim, quando aliquid sibi promittebant, stipulam tenentes frangebant, quam iterum jungentes sponsiones suaas agnoscebant "(*Bruns, Fontes juris romani*, II, *Scriptores*, Tubingen, 1909, in-8, p. 81).

« الالتزام (stipulatio) وعد (promissio) أو تعهد (sponsio) ، ومن هنا يسمى

الواعدون (promissores) ملتزمين (stipulatores) . ولفظة الالتزام (stipulatio) مشتقة من لفظة قشة (stipula) ، ذلك أن القدماء كانوا عندما يعدون بشئ يكسرون قشة (stipula) يمسكونها ، ثم يصلونها مرة أخرى ويقرون بتعهداتهم وهم واصلوها » .

(٣٢) دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ . جيرى ، ص ٥١١ .

(٣٣) دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٩ — ٣٧٠ . جيرى ، ص ٥١٢ — ٥١٣ .

(٣٤) توجد وثيقة قانونية مشطورة صادرة عن هنرى الأول ، ملك فرنسا ، سبقت الإشارة إليها فى الكلام عن اقدم الأمثلة (أنظر جيرى ، ص ١٥٠ . وجيار ، ص ٢٠١ وما بعدها .

(٣٥) تشهد على ذلك بعض الصيغ الواردة فى الوثائق المشطورة من القرن الثانى عشر مثل هذه الصيغة الواردة فى وثيقة من عام ١١٧٤ م :

"Et ut ista compositio ratateneatur,cyrographum fieridecrevimus..., ut si quando ceperit oboriri rediviva contentio, presentis cyrographi conjunctio totam controversiam deleat reddatque sopitam".

أنظر ترجمتنا لهذا النص إلى العربية فى حاشية رقم ١٥ :

ومثل هذه الصيغة الواردة فى وثيقة من عام ١١٧٨ م :

"Et ne deinceps per alicujus improvidentiam rediviva contentio pullularet, hec omnia scripto notari et cirografo insigniri, sibique partem illius custodi-endam ad cautelam futurorum tradi voluit" (Fac-sim. à l'us. de l'Ec. des chartes, Héliogr., no. 128).

« وحتى لا ينشب نزاع من جديد ، بسبب غفلة أحد ، اراد (المنشئ) ان يدون كل هذا كتابة ويسجل فى وثيقة مشطورة ، ويأخذ منها مثالا ، ليحفظه تحوطاً للمستقبل » .

(٣٦) لم يكن وضع الختم سهلا عندما تشغل الكتابة الشاطرة الحافة العليا من الرق . وكانوا يحتالون لذلك ، فيثنون الثنية ، التى سيدلى منها الختم ، فى جانب من الهامش الأسفل ، ويجعلون طولها بضعة سنتيمترات فقط ، وكانوا لهذا الغرض يحدثون عند القطع بروزا فتكون الكتابة الشاطرة التى تشغل وسط الهامش محاطة بهذا البروز من جانب ، وبتجويف يقابل البروز فى المثال المقابل من جانب آخر (أنظر لوحة ٣ ، شكل ٢) . أو كانوا يتخلون عن الثنية تماماً ، ويحدثون الشق ، الذى سيتدلى منه شريط الرق ، فوق الكتابة الشاطرة ، ويتركون وسطها فراغاً يساوى عرض ذيل الرق حتى تبقى الكتابة الشاطرة كلها ظاهرة (نظر لوحة ٣ ، شكل ١) .

(٣٧) "Vel possunt sigilla authenticorum virorum appendi, vel, si habent sigilla, unus appendat sigillum suum in cirographo alterius" (J. Langlois, Poetria, dans Rockinger, Briefsteller, p. 508).

(وانظر فى نسبة الـ Poetria إلى Jean de Garlande بدلا من نسبتها إلى J. Langlois ماجاء فى فارال ، ص ٤٠ .

« ويمكن أن تدلى أختام أشخاص معتمدين ، أو إذا كان لديهم (المتعاقدين) اختام ، فعلى كل منهم أن يدلى ختمه من مثال الآخر » .

(٣٨) يتبين من إحصاء الوثائق المشطورة المحفوظة فى أرشيف مورت (Archives de la Meurthe) ، وهو من أغنى المستودعات الأرشيفية بالأصول ، أنه يشتمل على ٣١ وثيقة مشطورة أصلية ، ٢٦ منها من القرن الثانى عشر ، وخمسة فقط من القرن الثالث عشر (أنظر لوباج ، ص ١٦٥ ومابعدها) . كذلك يتبين من أحصاء الوثائق المشطورة المحفوظة فى ارشيف فوج (Archives des Vosges) ، وهو أيضاً من أغنى المستودعات الأرشيفية بالأصول ، أنه يشتمل على ٣٠ وثيقة مشطورة مابين أصل ونسخة ، واحدة منها ترجع إلى القرن الحادى عشر ،و ١٩ منها إلى القرن الثانى عشر ، و ١٠ منها فقط إلى القرن الثالث عشر (أنظر فيليب ص ١٦١) .

(٣٩) كتب كونرا دى مور (Conrad de Mure) فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر يقول :

"Privilegia seu instrumenta supeı contractibus aliquibus duplicata in unam cartam solebant *olim* scribi, et in medio ipsorum instrumentorum alique litere capitales linealiter ordinate, que litere per medium dividebantur, ut neutrum privilegium posset falsificari et unum esset probatio alterius," (Rockingeı, Brifsteller, p. 457).

« جرت العادة فى الماضى ان تكتب وثائق الامتيازات أو بعض العقود من مثالين فى صحيفة واحدة ، وترتب بعض حروف الأبجدية الكبيرة فى خط مستقيم بين هذين المثالين ، وتقص الحروف من منتصفها ، حتى يتعذر تزوير أى مثال منهما ، وليكون كل مثال برهان على الآخر » .

والذى يلفت ينظر هنا هو عبارة « فى الماضى » .

(٤٠) ظلت الوثائق المشطورة ، حتى وقت متقدم جداً ، أى حتى عصر نشأة الموثقين الملكيين ، الشكل المعتاد للعقود المبرمة أمام ال colléges d'échevins فى شمال فرنسا ، لأنها كانت تمثل وحدها وسيلة للإثبات كاملة (دى بوار ، ١ ، ص ٣٧٠) . وظلت موجودة فى الأقاليم التى كانت تؤلف جزءاً من الأراضى المنخفضة الأسبانية حتى عصر الغزو الفرنسى (أنظر جيرى ، ص ٥١٢) ، وفى أرض ألو (pays de l'Alloeu) حتى نهاية العهد القديم . (أنظر درامار ، ص ٢٩٩) .

(٤١) كانوا يفضلون هذه التسمية فى أنجلترة .

(٤٢) يفضل جيرى هذه اللفظة ويتخذها عنواناً (جيرى ، ص ٥١٠ — ٥١٣) ، لأنها اضبط واقل مدعاة للبس . فى حين يستخدم دى بوار كلمتى « كيروجراف » charte partie, chirographe عنواناً (دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٤ — ٣٧١) ، ويتحدث برسلاو عن ال chirographierung ، ويتخذها عنواناً (برسلاو ، ١ ، ص ٦٦٨ — ٦٧٧) .

المراجع

1. Berland (J.), Une devise inédite de chirographe (extr. des Mémoires de la Soc. d'agriculture, commerce, sciences et arts du département de la Marne), Châlons-sur-Marne, 1923, in—8.
2. Bouard (A. de), Manuel de diplomatique fracaise et pontificale. I. Diplomatique générale. II. L'acte privé, Paris, 1929—1948, 2 vol. in—8 et 2 albums de LII et XXXIV planches.
3. Bresslau (Harry), Handbuch der Urkundenlehre für Deutschland und Italien, 2e éd., Leipzig, 1912—1931, 2 vol. in—8.
4. Dramard, Charte-partie passé devant les échevins du pays de l'Alloeu (2 janvier 1664), dans Bulletin du comité des travaux historiques, sec. d'hist. (1884).
5. Du Cange, Glossarium mediae et infimae latinitatis (éd. Didot en 7 vol. in-4, Paris, 1840—1850, éd. Favre, en 10 vol. in-4, Niort, 1883—1887).
6. Faral, Les arts poétiques du XII et XIII siécle.
7. Fosco (C.), La pluralità degli esemplari ed il valore giuridico della singrafa nel medioevo (estr. dal Circolo giuridico, XLI, Palermo, 1910. in—8).
8. Giard, dans la Bibl. de l'Ec. des chartes, LXI, .
9. Giry (A.) Manuel de diplomatique, Paris, 1893, in —8. Nouveau tirage, sans aucune modification Paris, 1925, in—8.
10. Ilgen (Th.), Sphragistik (Grundriss d'A Meister, I,4).
11. Langlois (J.), Poetria, dans Rockinger, Briefsteller und Formelbücher des XI bis XIV Jahrhunderts (Quellen und Erörterungen zur bayerischen und deutschen Geschichte, IX, 1863-1864).
12. Lepage (H.) , Sur des cyrographes conservés aux archives de la Meurthe (XII et XIII s.), dans Journal de la Soc. d'archéol. et du comité du Musée Lorrain, 21el'année (1972) et 28é année (1978).
13. Nouveau traiét de diplomatique ... par deux religieus bénédictins Paris 1750-1765, 6vol. in-4.
14. Paoli (Ces.), Programma di paleografia latina e di diplomatica, Florence, 1883, in -8.
15. **Philippe (A.), Les chartes parties des Archives départementales des Vosges, dans le Bulletin philologique et historique, année 1921, Paris, 1923, in-8.**

اللوحات

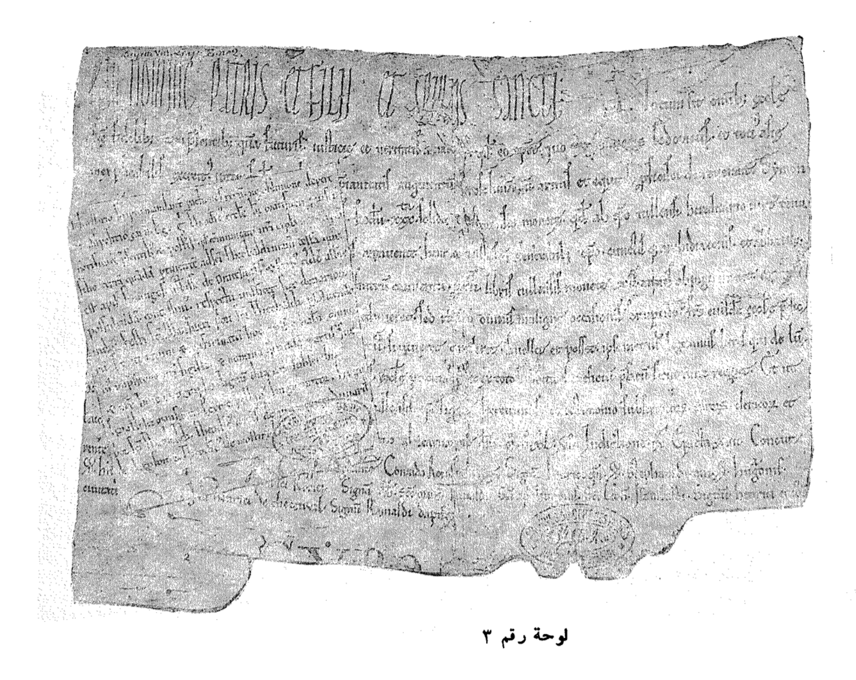
هذه اللوحات مأخوذة من ا. دى بوار ، كتاب فى الدبلوماتيقا الفرنسية والبابوية ، جـ ١ (مرجع رقم ٢) .

رقم اللوحة فى المقال	رقم اللوحة فى ا. دى بوار
١	٥٠
٢	٥١
٣	٥٢
٤	٥٠ مكرر

لوحة رقم ١

NOTUM SIT OMNIBUS FIDELIBUS

لوحة رقم ٢



لوحة رقم ٣

لوحة رقم ٤

« دراســـة فى أكلوجيـــة النوبة المصرية »
« كبيئة فى طــور الــتكوين » (*)

فاروق عبد الجواد شويقه (**)

الكلمات الدالة : الاكلوجيا البشرية ، النوبة المصرية !!

AN ECOLOGICAL STUDY OF THE EGYPTIAN NUBIA. AS AN ENVIRONMENT IN THE MAKING

Abstract :

This paper deals primarily within the scop of the historical ecology of the Egyptian Nubia, and its potentislites in the future. The subject accordingly enters the scope of geographical and anthropological studies. The Egyptian Nubia lies in the southern part of the Nile valley in Egypt, in the region extending southwards from Aswanci ty till the southern Egyptian boundaries. The study suggests a second Nile course on the west bank river. The old land of Egyptian Nubia must be rehabitated by the Nubians. A number of pıoductive economical and tourist projects must take place in it.

F.A. Shewika Gawad,

(*) رقم تصنيف موضوع المقال :

L.C.C. Class G (3rd. ed.) — GF 711.S45

D.D.C. (18th. ed.) — 301. S45

أعدت هذه الدراسة فى نهاية عام ١٩٧٤ حيث قبلت للنشر ، ثم أضيفت لها بعض الإضافات الطفيفة فى عام ١٩٧٦ .

(**) فاروق عبد الجواد شويقه Shuwayqah, F.A.G. مدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بمعهد البحوث والدرسات الأفريقية جامعة القاهرة . ولد بالقاهرة عام ١٩٣٣ ودرس بجامعة القاهرة حتى حصل منها على درجة دكتوراه الفلسفة فى الدراسات الأفريقية عام ١٩٧٤ ، يتركز أهتمامه فى مجال بحوث الأكلوجيا البشرية والأنثروبولوجيا الاكلوجية .

مدخل

يدخل موضوع هذا المقال فى نطاق دراسة الاكلوجية البشرية التى تهتم بدراسة تفاعل الإنسان والبيئة ، ويدخل الموضوع بذلك فى نطاق الدراسات الجغرافية والانثروبولوجية . وقد اتخذ المنهج الجغرافى التاريخى أساساً للدراسة باعتبار أن أفضل من يدرس موضوع الاكلوجيا البشرية هو الجغرافى التاريخى (١) ، وخاصة إذا كان ذا اهتمام بالدراسات الانثروبولوجية ، باعتبار أن الاكلوجيا تدرس الأرض ، والانثروبولوجيا تدرس الإنسان .

ولقد قيل أن الجغرافى الجيد فيلسوف (٢) ، والحق أقول أنه مخطط إقليمى من الدرجة الأولى ، ذلك أن الجغرافيا لها أكبر الأثر فى تحديد أسلوب التخطيط الإقليمى ومعالجة مشاكله (٣) ، والمثل يمكن أن يقال أيضاً على الانثروبولوجيا .

وتهدف الدراسات الاكلوجية إلى التوصل إلى حل المعادلة الأساسية — ولا أقول الصعبة — فى الاستعمال الأفضل للبيئة ، بغرض إعطاء أكبر عائد بأقل جهد فى أسرع وقت ، وبالتطبيق اتضح أن التكنولوجيا تمثل الطاقة الموجهة للموارد الطبيعية بل إنها صانعة التنمية الاقتصادية والتقدم المادى (٤). وعلى ذلك فان الرخاء يرتبط بالطاقة وبالموهبة الإنسانية بنفس الدرجة — وربما أكثر — من ارتباطه بالموارد الطبيعية.

وفى مصر حيث الأرض المنتجة والمسكونة محدودة لأقصى حد ، يجب أن يكون تخطيط الأرض هو أساس التخطيط الإقليمى ، بهدف الوصول إلى الاستعمال الأنسب والمتعدد والأقصى (٥) .

---

(١) فيفر ، لوسيان : الأرض والتطور البشرى ، ترجمة محمد السيد غلاب . ط ٢ . الأسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣ ، ص ١١ .

(٢) Coon, C.S.:Caravan;The Study of Middle East. New York, Henry Holt & co., 1951, p. 10

(٣) فؤاد محمد الصقار : التخطيط الأقليمى . الأسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٩ ، ص١٧

(٤) Cole, John P.:Geography of World Affairs. 2nd. ed.Baltimre, Penguin Books, 1959, pp. 66—70

(٥) Stamp, L.Dudley : "Land Use Surveys with Special Referce to Britain". In : Taylor, G. (ed.) : Geography in the Twentieth Century. London, Methuen, 1962, p. 373

وتعتمد المقترحات والأفكار التى يحتويها هذا المقال على جزء من المادة العلمية التى تضمنتها رسالة فى الاكلوجية البشرية (١)، ثم أضيفت لها وربطتها بعض الأفكار الجديدة التى ظهرت أخيراً عند مناقشة تصور خلق مصر عام ألفين .

ولا تخرج المقترحات المقدمة عن حيز الممكن فكلها أفكار ممكنة التنفيذ ، ولا تنتظر إلا المال والعزيمة والأمل وهى أمور باتت فى متناول اليد أو تكاد .

أن التفاعل السليم المنتج بين الإنسان والبيئة يكمن فى الاستعمال الأنسب للعلم والتكنولوجيا ، لاستخلاص أقصى الإمكانيات الطبيعية المتاحة . وتزخر النوبة بتلك الإمكانيات فأمامها التوسع الزراعى الأفقى فى أرض بكر جديدة ، والرأسى فى محصولات وغلات ونباتات أيضاً جديدة ، يمكن أن تسد حاجات الصناعة الحالية والمتوسعة لأغراض التصدير ، ويساعد على ذلك إمكانات الطاقة المتدفقة بغزارة وبكرم لا ينفد من مياه النيل والإشعاع الشمسى .

* * *

تتكون النوبة المصرية من البلاد التى يقطنها النوبيون فى مصر ، وهى التى كانت تمتد قبل التهجير الأخير فى وادى النيل الضيق الصخرى مسافة ٣٢٠ كيلومتر من شمال مدينة أسوان حتى قرية أدندان فى الجنوب ، أما الآن فقد أصبح وطن النوبيين فى مصر يشغل الأراضى التى تحف وتحيط بوادى كوم أمبو الذى يقع شمالى مدينة أسوان بنحو ٦٠ كيلومتر .

وكان يسكن النوبة المصرية القديمة ثلاث مجموعات أثنوجرافية ، هم الكنوز فى ١٧ قرية فى المنطقة الممتدة من أسوان حتى نهاية عمدية المضيق ، يليهم العرب الذين كانوا يقطنون خمس قرى هى : المالكى ، وادى العرب ، السبوع ، شاترمه ، السنقارى ، أما الفديجة فكانوا يقطنون ١٨ قرية فى المنطقة الجنوبية حتى أدندان التى كانت آخر القرى المصرية على الحدود بين مصر والسودان .

وتمثل النوبة بيئة مثالية لدراسة التفاعل المتغير بين الأرض والإنسان وبين الأرض والتكنولوجيا عبر العصور المختلفة .

---

(١) فاروق عبد الجواد شويقه : النوبة المصرية ؛ دراسة فى تفاعل الأنسان والبيئة . رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، قدمت إلى قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة . القاهرة ، ١٩٧٤ . ٢ مج . مص ، ٣٦ سم ، بيبليوجرافية ، مج ١ ، ص ٤٤٤ — ٤٧١

ولم تكن أو النوبة مجرد محجر أو منجم لمصر كما يقول البعض(١)، بل أنها ساهمت فى إعطاء مصر النمو الاقتصادى وما تبعه من تضخم سكانى وتزايد وتعاظم فى القيمة والوزن السياسى ، يتضح ذلك من المعادلة التالية :

مصـــر = النيـــل

النيـــل = التخـزين

التخـزين = النوبـــة .

وعلى هذا يتضح وزن النوبة ومكانتها التى يجب أن تحتلها فى تخطيط المستقبل لبناء مصر القرن الحادى والعشرين .

النوبة القديمة

المدخل الجنوبى لمصر :

تقوم النوبة بدور المدخل الجنوبى لمصر ، وكما يقوم الشريط الساحلى الشمالى من سيناء بدور البوابة والمدخل الشرقى لمصر ، يقوم وادى النيل فى جنوب مصر وهو المكون لبلاد النوبة بنفس الوظيفة ، وتلك حقيقة تصدق من حيث الموقع والعلاقات إلى درجة ملموسة ، ومع ذلك فانه يختلف عنه فى أنه يؤدى — شأنه شأن حدود مصر الغربية — إلى بلاد كانت قليلة الموارد الطبيعية ومحدودة الأعداد البشرية وبالتالى القوة والخطر .

وترتبط النوبة فى فكر المصرى بأنها بداية ونهاية الوطن ، فقد سميت أثناء الحكم الفرعونى بالإقليم الأول إذ كانت تبدأ الجهات الأصلية عندهم بالجنوب حيث كان يأتى حابى العظيم ، وأطلق عليها أيضاً الإقليم الثانى عشر أثناء الحكم الرومانى (دوديكاشينوس) باعتبارها آخر أقاليم مصر ، وقد استمر هذا الشعور إلى عهد قريب لدى المصريين .

وكانت النوبة المصرية فى العصور القديمة تشمل جميع الأراضى الجنوبية التى تبدأ من سينى (أسوان) موغلة فى حوض النيل الأوسط حتى قرب موضع التقاء

---

(١) جمال حمدان : شخصية مصر . الطبعة المزيدة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٠

النيل الأزرق بالنيل الأبيض بل شملت كل الأقاليم المتاخمة لمصر من ناحية الجنوب بما فيها بلاد بنت والنوبة وجنوب ليبيا(١) .

وكانت النوبة (السفلى) تعتبر جزءاً من مصر فقد كان النوبيون باعتبارهم مواطنين مصريين يتقلدون أعلى المناصب ، حيث ما كان يشغل وظيفة « رئيس رماه كوش » وهو المنصب التالى مباشرة لنائب الملك فى النوبة إلا مواطناً نوبياً(٢) . وفى هذا دليل على خطأ الرأى القائل بأن الحكم المصرى للنوبة إبان الدولة الحديثة الفرعونية كان حكماً عسكرياً(٣).

وقد قامت النوبة بدور حلقة الوصل بين مصر ووسط أفريقيا منذ أقدم العصور وذلك عن طريق درب الأربعين الذى كان وما يزال يدعم صلة مصر بالسودان(٤) ، هذا الطريق الذى يمر بأطراف النوبة حيث تعتبر واحة سليمة محطة مرحلية هامة فمنها تخرج عدة طرق فرعية إلى النوبة فى مصر والسودان .

وتمثل النوبة منطقة حدود بما تحمله هذه الدلالة من معنى ، فهى على طرف المسكون المصرى ، بل إنها عقب إخلائها الكامل بعد إنشاء السد العالى أخرجت من المعمور المصرى ، رغم ما فى ذلك من عدم التوافق من النواحى الجغرافية والاقتصادية والسياسية ، وهى عوامل تفرض إعادة النظر فى الموضوع ، بحيث تعود النوبة المصرية إلى نطاق دراسة الانثروبولوجيا والجغرافيا البشرية بعد أن كانت قد دخلت المجال التاريخى لكل منهما منذ أكثر من عشر سنوات .

الكيان والشخصية :

كان وما زال التفاعل قوياً ودائماً بين النيل والمصريين منذ أقدم العصور حيث

---

(١) Reisner, G.A. : "Outline of the Hisry of the Sudan ; Part I, Early Trding Caravans 4000—2000 B.C. "In : S.N.R., Vol. 1, 1918, p. 3

(٢) سليم حسن : مصر القديمة . جـ ٥ . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٤٨ ، ص ١٧٦ .

(٣) Kees, H. :Ancient Egypt ; a cultural Topography. Londn, Faber, 1951, p. 337

(٤) محمد محمود الصياد ، محمد عبد الغنى سعودى : السودان . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤٦٤

كان له أكبر الأثر على أوضاعهم ليس فقط السياسية(١) بل والاجتماعية والاقتصادية أيضاً ، وكما يعتبر النيل العمود الفقارى للكيان المصرى ، إذ أنه مصدر الحياة والوجود ، وعليه تقوم كل الخطط والمشروعات ، فانه والموقع يقومان أيضاً بتوجيه التاريخ ، وبالمثل يقال عن النوبة المصرية فقد حدد شخصيتها ، الموقع والنيل، حيث بلورها فى العزلة والهامشية ومحدودية الانتاج .

وتظهر درجة الترابط العضوى بين النوبة ومصر فى اهتمام حكام مصر المتزايد بالنوبة منذ الدولة الوسطى الفرعونية وأيضاً الحديثة (٢) ، إذ كانوا يعتبرونها خط الدفاع الأول — وهو فى الحقيقة الأخير — من الجنوب .

ورغم التقارب الحضارى بين النوبة ومصر ، إلا أن حضارة كرمة كانت تعد نسيجاً مستقلا فى حد ذاته بعد أن أخذت بذورها الأولى من الحضارة المصرية ، ويتضح ذلك من التتابع الحضارى (٣) ، فى كل من النوبة ومصر .

وعن طريق النوبة المصرية عبرت النجدات والمساعدات جنوباً إلى السودان وشمالا إلى مصر ، تعبيراً عن الترابط الدائم بين الأرضين والشعبين ، وقد أخذ هذا التعاون أكثر من صورة ، فمن مساعدات عسكرية صورها البعض على أنها حملات وفتوحات ، إلى تبادل تجارى ولجوء سياسى وفكرى ، ثم أخيراً تعاون إقتصادى وفنى وعلمى وتكنيكى .

والجدير بالذكر أن هذا التعاون كان يتبادل الاتجاه مصدراً وهدفاً ، وفى هذا رد كاف على أية استنتاجات تاريخية غير صادقة ، ولعل فى معاونات السودان التى قدمت لمصر منذ الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية (النوبية الأصل السلالى) والتى عاونت فى طرد الحكم الآشورى من مصر ، إلى محاولة عبد الله التعايشى مساعدة مصر على طرد الاحتلال البريطانى ، ثم أخيراً المعاونات العملية التى قدمت أثناء الاشتباكات المصرية — الإسرائيلية فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، كل هذا دليل على

---

(١) عبد العزيز كامل : فى أرض النيل . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠ ، ص ٥٣

(٢) Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sennar. Gloucester, John Bellows, 1951, p. 2

(٣) Emery, W.B. : Egypt in Nubia. London, Hutchinson, 1965, p. 44

ذلك،وعلى الضرورة الملحة لإعادة كتابة جميع مراحل تاريخ وادى النيل فى ضوء الوثائق والأدلة الاكلوجية الصحيحة .

وقد تجلت هامشية وعزلة النوبة فى استمرار وجود المسيحية فيها مدة طويلة بعد الفتح العربى الإسلامى لمصر(*) ، بل وأيضاً فى اختلاف المذاهب المسيحية ذاتها فيها ، حيث كانت تتبع كل من مملكة نوباتيا فى النوبة السفلى وعلوة فى النوبة العليا المذهب اليعقوبى ، بينما كانت تتبع مقره فى النوبة الوسطى المذهب الملكانى ، ويرجع هذا مع ما يرجع إلى العزلة الاكلوجية السائدة فى داخل هذه البيئة .

وقد تجلت هذه العزلة أيضاً فى أنه كان فى النوبة المصرية آخر معاقل الوثنية فى جزيرة أنس، الوجود حيث استمرت القبائل البليمية على عبادة إيزيس وأوزوريس حتى بداية القرن السادس الميلادى(١) .

وتظهر عزلة النوبة كذلك منذ أحداث التاريخ الوسيط عندما استقر فيها بعض الجنود الغزاة من الأتراك العثمانيين الذين أرسلهم السلطان سليم سنة ١٥٢٠ م بقيادة حسن قوسى لفتحها(٢) ، حيث استقروا فى منطقة أبريم والدر وجزيرة صاى وعرفوا باسم الكشاف(٣) ، وكان لهم مع بعض العناصر النوردية المهاجرة أو الفارة إلى النوبة تأثير واضح فى بعض السمات الطبيعية للأهالى خاصة القديمة (٤) ، كما كان لهم أيضاً دور بارز فى الحكم واستقرار الأوضاع فى البلاد إلى عهد قريب .

وقد هرب إلى النوبة بعد ذلك بقية المماليك الذين فروا من محمد على ، بعد

(*) فتح العرب لمصر كان عام ٦٤٠ م ، اما أتمام فتح النوبة فكان عام ٦٤٢ م ، وفتحت بمعاهدة البقط التى حافظت على أستمرار وجود المسيحية بها .

(١) مصطفى مسعد : الأسلام والنوبة فى العصور الوسطى . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠ ، ص ٣٨

(٢) Holt, P.M. : "Sultan Selim and the Sudan". In : Journal of African History. Vol. 8, 1967, p. 20

(٣) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافية . ج ١ . القاهرة ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٠٣ ، ص ٦٦ .

(٤) فاروق عبد الجواد شويقه : النوبة المصرية ؛ دراسة فى تفاعل الأنسان والبيئة ، ص ٢٤٢

مذبحة القلعة سنة ١٨١١ م ، حيث دخلوا فى حرب وصراع مع الأهالى ، ثم استقروا هناك أخيراً بعد نجاحهم فى التفوق عليهم(١) .

وكانت النوبة بحكم موقعها المتطرف هى المأمن لإقامة المشروعات ذات الطابع العسكرى عرف هذا عنها منذ مدة طويلة ، فقد أنشئت فى أسوان أول مدرسة حربية فى عهد إسماعيل وكان معظم مدرسوها من الفرنسيين والأمريكان ، وحدث هذا أيضاً منذ عهد قريب عندما انتقلت معظم المعاهد العسكرية إلى أسوان .

وبالتغيرات الاكلوجية الحديثة ، أصبحت النوبة إقليم وصل وربط بين شمال وجنوب حوض النيل ، بعد أن كانت إقليم فصل وعزل ، ذلك أن مشروعات التخزين قد أفادت الملاحة فى النيل ، حيث رفعت منسوب المياه إلى المستوى الملاحى الملائم لحركة السفن الكبيرة طوال العام ، تلك الحركة التى تتزايد باستمرار مع تزايد حركة التجارة ، يضاف إلى ذلك الاستفادة المزدوجة من مشروعات التخزين لكل من مصر والسودان (نصيب مصر من مخزون السد العالى ٥ر٧ مليار متر مكعب سنوياً ونصيب السودان ٥ر١٤ مليار متر مكعب سنوياً)(*) .

الهجرة والتهجير

خزان أسوان وهجرة النوبيين :

كان فقر البيئة وتطرفها وهامشيتها ، هى العناصر الرئيسية التى فرضت على النوبيين بمجموعاتهم الاثنولوجية الثلاث الهجرة خارج الوطن ، وقد تزايدت هذه الهجرة بعد إقامة مشروعات التخزين التى عملت على إغراق النوبة تدريجياً .

وصحب بناء سد أسوان فى بداية القرن الحالى (١٨٩٧ — ١٩٠٢) تغيراً كبيراً فى جغرافية مصر وبخاصة فى بلاد النوبة ، حيث تزايد طرد البيئة للعناصر النشطة من السكان . نظراً لغمر أجزاء كبيرة من الأراضى الزراعية القليلة بطبيعتها حتى منسوب ١٠٦ متراً ، وقد تزايد هذا الطرد مع إتمام التعلية الأولى (١٩١٣) ، وهى التى بلغ الغمر بعدها حتى منسوب ١١٣ متراً ، ثم بلغ مداه عام ١٩٣٣ ، مع إتمام التعلية الثانية التى وصل منسوب الغمر بعدها إلى ١٢٢ متراً .

(١) Robinson, A.E. : "The Mamelukes in the Sudan." In : S.N.R. Vol. 5, 1922, p. 93

(*) أتفاقية مياه النيل عام ١٩٥٩ بين مصر واالسودان .

ومع أن النوبة المصرية كانت تتكون من مجموعة من البيئات الزراعية الصغيرة ، إلا أنها فى جملتها أقرب إلى التماثل والتشابه ، مما ظهر أثره على المجتمع وتركيبه ، فجعله وحدة متجانسة إجتماعياً وثقافياً إلى حد ما ، وبيولوجياً إلى حد كبير(١) .

وقد كانت الأراضى تتركز فى الوطن القديم قبل بناء السد العالى فى الجزر التى كانت تمتد أمام بعض القرى ، وفى السهل الفيضى الذى كان يتسع ويضيق من موضع إلى آخر تبعاً للظروف الطبوجرافية المحلية .

فقد بلغت مساحة الأراضى التى زودت بمشروعات الرى والصرف ببلاد النوبة منذ التعلية الثانية لسد أسوان مساحة ١١٥٣٠ فداناً ، يضاف إليها نحو ٢٠٠٠ فدان كان يرويها الأهالى بالطرق الأولية البدائية .

جدول ١ — مساحة المشروعات الزراعية فى النوبة المصرية ١٩٦٠ (٢)

المشروعات والمنطقة	المساحة بالفدان	المشروعات والمنطقة	المساحة بالفدان
مشروعات الرى المستديم :		مشروعات الرى النيلى:	
الدكا القديمة	٦٠٠	(بعد تفريغ الخزان)	
أبو سمبل	٦٠٠		
بلانة	٢٢٠٠	قورته السفلى	٦٠٠
جملة	٣٤٠٠	توماس	٦٠٠
مشروعات التوسع الزراعى:		عنيبة السفلى	١٢٠٠
الدكا الجديدة	٦٠٠	توشكى شرق	٥٠٠
العلاقى (تحويل للرى الدائم)	٧٣٠	توشكى غرب	٧٠٠
أبريم	١٢٠٠	أرمنا السفلى	٥٠٠
عنيبة	٨٠٠		
أرمنا العليا	٧٠٠		
جملة	٤٠٣٠	جملة	٤١٠٠

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : النوبة المصرية ؛ دراسة فى تفاعل الأنسان والبيئة . ص ٢٤١ ، ص ٣٠٥

(١) وثائق وزارة السد العالى .

ولما كان المجتمع النوبي يعتمد على الزراعة فى حياته الاقتصادية ، مما عكس أنماطها وعاداتها على حياة الأهالى الاجتماعية ، فقد كان نحو ٨٠٫٣٪ من السكان يزاولون الزراعة فى النوبة القديمة ، كانت تمثل الإناث منهم ٥٤٪(١) ، وفى هذا دليل على أن هذا المجتمع كان مجتمعاً طارداً للذكور ، وتلك سمة قديمة ظاهرة فيه منذ ما قبل مشروعات التخزين ، مما يدل على التأثير الكبير للظروف الايكولوجية التى تعكس فقر البيئة .

وقد حاولت كل جماعة من الجماعات النوبية المصرية الثلاث أن تمايز عن الجماعتين الأخريين، حيث كان يعتقد النوبيون (الفديجة)،أنهم أكثر غنى وأعلى مكانة إقتصادية ، وما ذلك إلا نتيجة الغنى النسبي لبيئتهم (القديمة) ، خاصة بعد التعلية الثانية لسد أسوان ، أما الكنوز والعرب فان تمايزهم كان يرتكز إلى أساس قرابى ، وهو الذى يدعمه الأساس الدينى(٢) .

السد العالى والوطن الجديد

يهدف التخطيط الزراعى فى مصر إلى زيادة الرقعة الزراعية أفقياً إلى نحو ٧٫٧ مليون فدان،ولم يكن أمام مصر بعد إقامة سد أسوان وتعليتيه الأولى والثانية؛ إلا بناء السد العالى الذى يحقق لمصر فوائد التخزين القرنى ، وهو بذلك يقوم بدور البنك المركزى المائى لمصر بل وللسودان أيضاً .

وكان لبناء السد العالى آثاراً جغرافية واسعة المدى فى مصر ، وتظهر هذه الآثار بصورة ملموسة فى بلاد النوبة تلك التى شهدت إعادة تشكيل الفيزيوجرافيا المحلية من أساسها(٣) .

وبالشروع فى إقامة السد العالى (١٩٦٠) ، بدء فى دراسة مكان الوطن الجديد للنوبيين حيث تقرر تهجيرهم عن أوطانهم القديمة التى أغرقتها مياه التخزين ، حيث

---

(١) وزارة الشئون الإجتماعية : تهجير أهالى النوبة . القاهرة ، الوزارة ، ١٩٦٤ ، ص ٥١

(٢) السيد أحمد حامد : النوبة الجديدة ؛ دراسة فى الأنثربولوجيا الإجتماعية . الأسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩

(٣) Abou El-Ezz, M.S. : "The Evolution of Landscape in Lower Nubia" Extrait du Bulletin de la Société de Géographie d'Egypte. Tom. 38, 1965, p. 5

أخذ يتزايد منسوبها عاماً بعد آخر ، حيث تصل إلى أقصى منسوب لها وهو ١٨٠ متراً(*) ، عند اكتمال ملء الخزان .

ولقد بلغ عدد النوبيين المصريين فى عام ١٩٦٠ ، ٩٨٦٠٩ نسمة منهم ٤٨٠٢٨ نسمة مقيمة بالوطن النوبى يكونون ١٦٨٦١ أسرة(**)[١] .

وقد اتضح من الحصر العام الذى أجرى قبل التهجير أن مساحة الأرض المنزرعة كانت تبلغ نحو ١١٢٨٥ فداناً ، كان يوجد بها ١٠١٧٩٥٢ نخلة وشجرة تتركز بخاصة فى نواحى عنيبة ، وتوماس وعافية ، وبلانة ، وأرمنا ، وأبريم [٢] .

والجدير بالذكر أن الظروف الاكلوجية كانت لها تأثير ملموس من موضع لآخر ويظهر ذلك من تأثير الطبوجرافية ومنسوب التخزين ، فقد أصاب التحسن المنطقة التى كانت تحيط بتوشكى القديمة ، بسبب ارتفاع مياه الخزان وتقليل مدى الرفع ، بينما لم يواجه منطقة عنيبة تحسن واضح بسبب اتساعها ، ووجود حدب عال من الرمال السافية مجاوراً للنيل ، لذا فقد ظلت معظم أراضيها بوراً ، إلا ما تيسر زراعته على الآبار [٣]، وهى التى كانت تنتشر فى كل النجوع تقريباً ، نظراً لأنها كانت تبتعد عن النهر ابتعاداً كبيراً وعن مناطق السكن إلى ما بين ١٥٠ — ٤٠٠ متراً ، ولقد كانت توجد ١٥ بئراً فى قرية سياله يبلغ متوسط عمقها من ٢٠ — ٢٨ متراً موزعة على النجوع مما يسهل للسكان الحصول على الماء فى فصل انحسار مياه الخزان على وجه الخصوص [٤].

(*) ثم نزع ملكية الأراضى حتى منسوب ١٨٢ مترا .

(**) اما النوبيين فى أنحاء الوطن المصرى فقد بلغوا فى عام (١٩٦٠) ٥٠٥٨١ نسمة يكونون ٨٤٦٧ أسرة .

(١) وزارة الشئون الإجتماعية : تهجير أهالى النوبة . القاهرة ، الوزارة ، ١٩٦٤ ، ص ٢١

(٢) وزارة الرى : مصلحة الرى ، يوليو ١٩٦٦ ، ص ٤

(٣) محمد فاتح عقيل : « بعض الظاهرات الجرافية فى بلاد النوبة المصرية ». فى : الموسم الثقافى، ١٩٥٩ ، الجمعية الجغرافية المصرية . القاهرة ، الجمعية ١٩٥٩ ، ص ١١٥

(٤) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : « سيالة ، مساهمة فى دراسة أيكولوجية النوبة المصرية » فى : حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، مج ٧ ، ١٩٦٢ القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٦٢، ص ٧٠

وقد ظهر أثر هذه الظروف أيضاً فى تزايد فرص زراعة أراضى واسعة فى المنطقة التى كانت تلى توماس وعافية جنوباً حتى حدود السودان حيث كانت تتمتع بزراعة صيفية ونيلية كاملة نتيجة للمشروعات التى أقيمت ، خاصة الجسور الحاجزة (١).

وكانت هناك عدة مناطق كبدائل لتهجير النوبيين إلى إحداها : كلابشة (٦٦ ألف فدان) ، السيالة (١٠٥ ألف فدان) ، توشكى (١٢٠ ألف فدان) ، ولكن أمام بعد هذه المناطق عن النيل مما كان يفرض إتمام التهجير على مرحلتين الأولى يكون توطيناً مؤقتاً على منسوب ١٥٠ – ١٦٠ متراً حتى يرتفع منسوب التخزين ليتم بعد ذلك التهجير إلى منطقة التهجير الدائم على منسوب ١٨٥ متراً ، فقد رؤى تفضيل إتمام التهجير إلى منطقة أطراف وهوامش وادى كوم أمبو فى الأراضى المستصلحة (٥٢٥٥٠ فداناً) .

حيث أقيمت مشروعات الرى التالية :—

١ — منطقة جنابية كاسل .

٢ — منطقة طلمبات العباسية لرى جنابيات بلانة بصفة مؤقتة لحين ريها من منطقة الطويسة .

٣ — منطقة طلمبات العطمور لرى مناطق أبريم والجزيرة .

وهذه المناطق الثلاث مخصصة لتوطين القديمة .

٤ — منطقة طلمبات البيارة الجديدة وتغذيها ترعة كاسل .

٥ — منطقة طلمبات السلسلة وفروعها .

وهاتان المنطقتان لخدمة كل من الكنوز والعرب .

كما أقيمت مشروعات صرف لخدمة هذه المناطق تخدمها مصارف فطيرة وفروعه ، وخور السيل وفروعه . ودراو وفروعه . بالإضافة إلى مصارف صغيرة متنوعة بالمنطقة الوسطى والقبلية .

---

(٣) محمد فاتح عقيل : المصدر السابق ، ص ١١٦

وقد شملت أراضى النوبيين فى الوطن الجديد عدة مشروعات زراعية أقيمت فى أراضى الاستصلاح المحيطة بوادى كوم أمبو وهى التى خصص لها منها نحواً من ٢٠ ألف فدان(١) .

وقد بلغت قيمة التعويضات المستحقة أكثر من ستة ملايين جنيه (جدول ٢) .

جدول ٢ – بيان بالممتلكات فى النوبة القديمة وقيمة التعويضات المستحقة(٢)

النوع	عدد الممتلكات		قيمة التعويضات بالجنيه
الأطيان	١٥٩٥٧	فداناً	٢ ١٥٥ ٧٢٠
النخيل	١٠٤٤٣٨٠	نخلة	١ ٩٧٣ ٤٧٨
السواقى	١٠٦٤	ساقية	٢٠ ٩٢٠
المبانى	٣٥٩٦٦	مبنى	١ ٨٨٦ ٧٠٠
			٦ ٠٣٦ ٨١٨

وقد بدء تهجير النوبيين إلى الوطن الجديد فى كوم أمبو(*) يوم ١٨–١٠–١٩٦٣ (قرية دابود) وانتهى يوم ٢١–٦–١٩٦٤ (بلانة وأبو حنضل) وتم خلال هذه الفترة نقل ١٤٦٧٣ أسرة تضم ٤٧٠٨٤ فرداً .

وقد روعى فى عملية التوطين فى كوم أمبو المحافظة على العلاقات المكانية بين المجموعات الاثنولوجية الثلاث ، بحيث تم توطين الكنوز فى الجزء الشمالى بجوار المزرعة البحرية ، أما الفديجة فكان نصيبهم الجزء الجنوبى حيث خصصت لهم المزرعة القبلية ، وكان توطين العرب فى المنطقة الوسطى بين المجموعتين . كما روعى المحافظة على أسماء القرى القديمة بل حوفظ على العلاقات المكانية بين قرى كل مجموعة خاصة الفديجة (جدول رقم ٣) (خريطة ١) .

---

(١) رياض على سليمان : « مشروعات الرى المترتبة على السد العالى » . المجمع المصرى للثقافة العلمية . ك ١٩ . القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٧

(٢) وزارة الشئون الإجتماعية : تهجير أهالى النوبة . القاهرة ، الوزارة ، ١٩٦٤ ، ص ٧٠

(*) فضل معظم أهالى توماس وعافية بعد اجراء أستفتاء بينهم أن يكون تهجيرهم إلى الإراضى المستصلحة فى أسنا .

جدول رقم ٣ — مقارنة بين تجمعات سكن الفديجة فى الوطن القديم والوطن الجديد

ترتيب المناطق من الشمال إلى الجنوب	فى الوطن القديم	فى الوطن الجديد بكوم أمبو
الأولى	أبو حنضل — الديوان — الدروتنقالة — توماس وعافية	مجموعة الديوان — الجنينة الشباك — أبريم والجزيرة
الثانية	قته — أبريم والجزيرة — عنيبة الجنينة والشباك — مصمص — توشكى شرق — توشكى غرب — أرمنا .	مصمص — عنيبة — أرمنا
الثالثة	أبو سمبل — قسطل — بلانة — أدندان .	توشكى شرق وغرب — أبوسمبل ١ و ٢ — توماس وعافية — قسطل — أدندان ١ و ٢ — بلانة ١ — بلانة ٢ و ٣ .

ويبلغ منسوب أراضى الوطن الجديد ١٢٠ متراً فى الجنوب حيث أراضى الفديجة و٥ر١١٠ متراً فى الشمال حيث أراضى الكنوز . ولما كان منسوب النيل أمام كل منهما هو ٨١ و ٧ر٧٨ متراً على التوالى ، فقد أقيمت محطات لرفع مياه الرى بمقدار ٣٩ متراً لخدمة مناطق ترعة الطويسة(*) فى المنطقة الجنوبية . ومحطات أخرى لرفع المياه بمقدار ٣٢ متراً لخدمة مناطق ترعة السلسلة(**) فى المنطقة الشمالية .

لذلك فان أراضى النوبة الجديدة فى كوم أمبو تعتمد فى زراعتها على الرى بالرفع ونظراً لكثرة تكلفته فيجب أن تتجه هذه الأراضى ، وما يستصلح حولها نحو إنتاج المحاصيل النقدية المربحة . ولذلك فان توجيه هذه الأراضى لزراعة قصب

(*) هذه المحطات هى : ادندان ، بلانة ، ابريم ، قسطل ، الخرتيت السفلى ، الخرتيت العليا وهى تروى ما يقرب من ٣٠ ألف فدان .

(**) وهذه المحطات هى : الدكة ، قورته ، وادى العرب ، عنيبة . وهى تروى مايقرب من ٢٠ ألف فدان .

السكر باعتباره المحصول المناسب اكلوجياً فيه تحقيق كبير لأهداف الخطة الاقتصادية والاجتماعية .

وقد كان من نصيب الكنوز طبقاً للاسكان المخطط أن يوطنوا فى شمال منطقة التهجير ، وهى منطقة تعرف حالياً بالمزرعة البحرية ، وتقوم على خدمة الأهالى أربع جمعيات زراعية تتبع مؤسسة استزراع وتنمية الأراضى .

جدول ٤ — زمام الجمعيات الزراعية فى منطقة تهجير الكنوز عام ١٩٧٣

رقم	الجمعية	الزمام بالفدان
١	دكـــا	١٦١٢
٢	دابـــود	١٣٦٨
٣	كلابشة	٩١٦
٤	قورتة	١٢٥٠

وتلك المساحات هى التى ملكت للنوبيين ، وقد بلغت هذه المزرعة أقصى توسع زراعى ممكن فى المنطقة حيث بلغت جملة مساحتها ٥٧٧٤ فداناً ، ملكت منها مساحة ٥١٤٨ فداناً وجارى حالياً إتمام إجراءات تمليك الباقى .

أما العليقات فقد كان نصيبهم جزءاً كبيراً من مزرعة نصر التى كانت تشرف فى عام ١٩٧٣ على مساحة ٦٣٤٤ فداناً منها ٢٣٤٧ فداناً سلمت للأهالى كاعاشة وتأجير ، وينتظر أن تصل مساحة هذه المزرعة بعد التوسعات المنتظرة إلى ٨٨٤٩ فداناً .

جدول ٥ — زمام الجمعيات الزراعية فى منطقة تهجير العليقات عام ١٩٧٣

رقم	الجمعية	الزمام بالفدان
١	وادى العرب	٣٢٠
٢	السبـــوع	١١١
٣	المالـــكى	٢٠٠
٤	السنقارى	١٤٤
٥	شاترمة	١٢٨

وبلغت مساحة الأراضى التى كان يزرعها القديمة عام ١٩٧٣ كل أراضى المزرعة القبلية (٦٤٨٧ فداناً) وكل أراضى منطقة عنيبة (٧٤٩٩ فداناً) ومعظم أراضى مزرعة نصر (٦٣٤٤ فداناً وبعد التوسع ٨٨٤٩ فداناً يؤخذ منها جزء للعليقات) ثم مزرعة وادى خريط (٧٠٢ فداناً وتوسعات المستقبل تصل إلى ٥٠٢٠ فداناً) وتقوم حالياً على خدمة أهالى القديمة عدة جمعيات زراعية (جدول ٦)

جدول ٦ – زمام الجمعيات الزراعية فى منطقة تهجير القديمة عام ١٩٧٣

المزرعة	الجمعية	الزمام بالفدان
نصر (جزء منها تحت التوسع)	كروسكو	١٢٤
	نصر	٨٣٢
	أبريم	٥٥٦
	الجنينة والشباك	٣٢٦
عنيبة	أرمنا	١٠٥٨
	عنيبة	٨٥٧
القبلية	توشكى غرب	١١٩٧
	بلانة	٢٣٨٥
	أدندان	٨٤٨
	قسطل	٦٧٩
	أبوسمبل	١١٣٩
وادى خريط (تحت التوسع)	توشكى شرق	٧٠٢

وكان للتربة الزراعية الغنية السهلة فى الوطن القديم أثرها فى جعل الزراعة «بالنقرة» ، مما سهل على الإناث مزاولتها ، مما خلق توافقاً كاملا مع تركيب المجتمع . أما فى الوطن الجديد وحيث الأرض الزراعية تحتاج إلى مجهود أكبر لاستصلاحها ، فقد فرض على المجتمع النوبى الاعتماد على سواعد العمال الزراعيين

النازحين من ريف الصعيد ، وكان لهذا آثاره الاجتماعية البعيدة المدى على تركيب المجتمع وعاداته وتقاليده التى كانت مستقرة ومسالمة وهادئة .

وقد ساعد احتفاظ المنطقة النوبية فى الوطن الجديد بالتقسيم الإقليمى الذى كان سائداً فى بلاد النوبة القديمة على استمرار شعور كل من الكنوز والفديجة بوحدة الجماعة وانفصالها وتباعدها اجتماعياً عن كل من الجماعتين الأخريين . وقد ساعد هذا على تزايد الشعور بالانتماء لدى أفراد كل جماعة ، وبالتالى ازدادت الجماعة تماسكاً عما كانت عليه فى الوطن القديم(1) .

ورغم وجود التقارب المكانى فى الوطن الجديد بين كل جماعة وأخرى ، وسهولة الاتصال فيما بينها ، إلا أن العلاقات ما زالت ضعيفة بين كل من المجموعات الثلاث ، فما يزال التبادل الاقتصادى منعدماً بين سكان كل قرية وأخرى نتيجة عدم استكمال استصلاح الأراضى الزراعية ، ولقلة إنتاجية الأراضى التى وزعت فضلا عن زراعة نصف مساحة الأراضى الزراعية بصفة عامة قصباً ، مما ظهر أثره فى وجود مصالح اقتصادية مشتركة تساعد على ربط الجماعات (2) .

ومع أن النوبيين يحظون باهتمام كبير فى العمالة والتشغيل فى مشروعات الوطن الجديد ، ويتساوى فى ذلك إلى حد كبير الذكور والإناث ، وهى أمور جديدة لم تكن متوافرة فى الوطن القديم ، إلا أن الملاحظ حتى الآن كثرة إحجام النوبيين المثقفين عن المعيشة فى وطنهم الجديد تماماً كما كان يحدث فى الوطن القديم إذ يفضلون العمل خارجه فى أول فرصة متاحة .

ورغم الإنجازات والتسهيلات التى قدمن للنوبيين المهجرين إلى الوطن الجديد ، إلا أنهم ما زالوا وبعد مرور أكثر من عشر سنوات غير مستقرين وغير راضين عن حياتهم الجديدة . وقد اتضح من الدراسة الميدانية التى قام بها الباحث خلال ربيع ١٩٧٣ ،أن سبب هذا الإحساس يرجع إلى عدة عوامل منها صعوبة الأرض الزراعية واحتياجها لجهود مضاعفة إذا ما قورنت بمثيلتها فى الوطن القديم ، ويزيد

---

(1) السيد أحمد حامد : النوبة الجديدة ؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، ص ٤٣

(2) نفس المصدر ، ص ٤١

من صعوبة الحياة أيضاً بعد الأرض الزراعية عن قرى التوطين مما يكبد الأهالى الكثير من المشاق خاصة مع عدم توافر وسائل المواصلات السهلة السريعة .

ويزيد من الآلام أنهم دائماً ما يجرون مقارنة بين حياتهم القديمة وحياتهم الحالية مما خلق لديهم حالة من عدم الاستقرار والرضى ، ولكن يبدو أنه بمرور الزمن وتزايد ارتباطهم بالأراضى الجديدة سيبدأ تأقلمهم الكامل مع الوطن الجديد .

النوبة الجديدة المقترحة

اعادة التعمير

ساهمت النوبة المصرية فى تجديد شباب مصر الحديثة ، وعلى ذلك فمن الواجب دراسة خير السبل لتحقيق رغبة غالبية أهلها بالعودة للوطن القديم (١)، ويتزايد هذا الواجب بالحاجة القومية لهذا التعمير ، تلك الحاجة التى تفرضها الظروف الجغرافية والاستراتيجية والتخطيطية .

ولقد ساهم السد العالى فى زيادة كثافة الرقعة الزراعية فى مصر أفقياً ورأسياً كماً وكيفاً ، ولكن صحب إقامته إخراج النوبة من المزروع والمعمور المصرى ، وكان ذلك نتيجة عدم وضع خطة للاستغلال الزراعى لمناطق حوض التخزين ، شأنها شأن مناطق أحواض التخزين البحرية التى ينشؤها الإنسان(٢) .

ويمكن أن تمتد مناطق الزراعة على شواطىء بحيرة السد العالى فيما بين خطى كنتور ١٥٠ — ١٨٣ ، حيث تترك ذبذبة المياه مساحات كبيرة من الأراضى تشبه أراضى الحياض ، كما يمكن زراعة الأراضى المرتفعة فيما بين منسوبى ١٨٢ — ٢٠٠ بالرفع الاقتصادى (٣) .

---

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : المصدر السابق ، ص ٣٧٢

(٢) Man-Made Lakes as modieified Ecosystems.Scop Report 2. International Council of Scientific Unions Scientific Committee on Problems of the Environment. Paris, 1972, p. 31

(٣) Rizkana. I. & Abou El-Ezz, M.S. : "The High Dam Lake in Aswn a new environment in the making".In : Belletin de la Société de Géographie d' Egypte Tom 37, 1964, p. 107

ومع صلاحية كل أراضي شواطىء بحيرة السد العالى للزراعة ، إلا أن هناك مناطق أخرى متسعة تصلح لتكون مناطق استقرار رئيسية تلك هى[1] :—

١ — وادى كركر : حيث تصله مياه البحيرة ذات المنسوب العالى .

٢ — وادى كلابشة : حيث تغمر مياه البحيرة مسافة ١٤ كم ، وبعرض ١—٣ كم ، وتترك مساحة ١٢ ألف فدان صالحة للزراعة الدائمة ، بالإضافة إلى مساحة ٩٦ ألف فدان صالحة للزراعة الحوضية .

٣ — وادى العلاقى : حيث يصلح جانبيه الشرقى والغربى للزراعة الدائمة فى مساحة ٥٢ ألف فدان ، تنحسر عنها المياه تدريجياً عند نهاية الوادى [٣] ، كما توجد مساحة ٤٥ ألف فدان يمكن زراعتها حوضياً .

٤ — وادى توشكا : حيث يمكن زراعة أراضى شاسعة يبلغ مساحتها ٧٥ ألف فدان فوق كنتور ١٨٢ متراً .

وبذلك تصل مساحة الأراضى الصالحة للزراعة حول البحيرة إلى أكثر من ٣٠٠ ألف فدان موزعة على منطقتين : الأولى فوق كنتور ١٨٢ متراً وهى تحتاج إلى رفع المياه ، وفى هذه المنطقة يمكن أن تزرع الأشجار المستديمة الكبيرة كأشجار البساتين والأشجار الخشبية . والمنطقة الثانية هى المحصورة فيما بين خطى ١٨٢—١٦٥ متراً أو أدنى من ذلك ، حيث تنحصر عنها المياه تدريجياً سنوياً [٣] .

وأن فى خلق وفى قامة قرى ومناطق سكنية جديدة فى النوبة القديمة ، وإعادة تعميرها ، يحقق كثير من آمال النوبيين ، كما أنه يحقق الكثير من خطط التنمية القومية ، بالإضافة إلى أن الظروف الاستراتيجية تفرض إعادة تعمير المنطقة ، بعد أن ظلت خالية من الحياة الإنسانية أكثر من عشر سنوات .

---

(١) عبد المنعم المهدى : « الغلات الحارة على شواطى بحيرة ناصر » . فى : محاضرات الجمعية الجغرافية المصرية موسم عام ١٩٦٤ . القاهرة ، ص ٤٠

(٢) محمد رياض : « النوبة المصرية — كروسكو » . فى : حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، مج ٩ ، ١٩٦٤ ، ص ص ٢٢٥ — ١١٦

(٣) أحمد عبد العظيم : « الزراعة حول بحيرة ناصر » . فى : الصحيفة الزراعية . القاهرة ، مصلحة الثقافة الزراعية ، مايو ١٩٦٤ ، ص ص ٤٧ — ١٨

ومما يساعد على إعادة التعمير توافر مصادر الثروة المعدنية ، وأيضاً توافر مصادر الطاقة ممثلة في كهرباء خزان أسوان والسد العالى وغيرها من مصادر الطاقة الأخرى .

وباستصلاح الأراضى القابلة للزراعة حول بحيرة السد العالى ، حيث التربة الصفراء الصالحة والأراضى اقتصادية الرى بالرفع الآلى ، يمكن أن يخلق مجتمع زراعى مستقر جديد يعتمد فى حياته على زراعة محاصيل غذائية ونقدية مناسبة ، بل إن هذا المجتمع يمكن أن يعمل على خلق بيئة جديدة فى النوبة القديمة تعتمد على المشروعات الصناعية والسياحية بقدر اعتمادها على المشروعات الزراعية .

ويمكن الاعتماد فى إعادة التعمير والتوطين على المناطق الزراعية فى كلابشة وسيالة وتوشكى ، وهى التى كانت محل دراسة لإتمام التهجير إليها بدلا من التهجير إلى كوم أمبو ، خاصة وأن منسوب تخزين بحيرة السد العالى قد استقر الآن ، مما يسمح بالتوطين المستقر على منسوب ١٨٥ متراً .

وقد بدء التخطيط لإعادة تعمير النوبة القديمة بأن خطط لقرية أبو سمبل الجديدة ، وهى التى ستشمل المنطقة السكنية المحيطة بفندق أبو سمبل وتلك المنطقة يعطيها الموقع والمناخ والهدوء ، كما يعطيها المعبدين الأثريين بعد رفعهما مميزات كثيرة تفرض خلق مثل هذه المنطقة العمرانية السياحية ، ومن ذلك يتضح مدى دور الجغرافيا بعناصرها المتعددة فى تحقيق هدف التخطيط ، الذى يهدف على كافة المستويات ، وعلى امتداد كل المحاور ، خدمة للإنسان(١) .

مشروعات المستقبل :

دخلت دراسة المستقبل والتخطيط لمشروعاته فى مجال علم المستقبل Futuroloqy ، وهو أحد علوم ومجالات التخطيط . فلقد أصبح التنبؤ بالمستقبل والتخطيط له ، علم تهتم به كل الدول المتقدمة اهتماماً كبيراً ، بل لقد وضعت الدراسات التفصيلية كى يخدم العلم وتطبيقاته الإنسان(٢) .

---

(١) صلاح الدين الشامى : الجغرافيا دعامة التخطيط . الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧١ ، ص ٥٠

(٢) Ferkiss,V.C.:Technological man. New York,Mentor, 1971,p. 232

وتعتمد مشروعات المستقبل على التخطيط الإقليمى، الذى يعتبر بدوره التوزيع الجغرافى لخطة التنمية القومية . ومن مشروعات المستقبل فى النوبة الجديدة المقترحة، تعمير شواطىء بحيرة السد العالى بالزراعة الدائمة والحوضية طبقاً لما تفرضه خطوط الكنتور وذنات التخزين .

ولقد شهدت الاكلوجية المصرية فى مجال الرى ثلاث مراحل من الرى النهرى، فقد بدأت بالرى الحوضى الذى بدأ منذ اكتشاف الزراعة ولم ينتهى إلا منذ سنين قليلة ، ثم تلاه الرى الدائم الانسيابى (بالراحة ، الذى بدأ منذ نهضة مصر الحديثة، وما زال سائداً فى الدلتا والصعيد ، وأخيراً ظهر الرى الدائم بالرفع وهو الذى تعتمد عليه خطة التوسع الزراعى على أطراف الدلتا والصعيد وعليه أيضاً تعتمد خطة التوسع الزراعى فى النوبة بالإضافة إلى النوعين الأخريين .

ويمكن زيادة الأراضى الزراعية فى النوبة إذا ما نفذ مشروع الدكتور أباتا(١) ، الذى يرمى إلى مد زراع من النيل يشمل وادى الشيخ الذى يصب فى وادى النيل شمال أبو حمد ، ثم وادى قبقبة ووادى العلاقى ، ليصب فى بحيرة السد العالى عند موضع المحرقة القديمة .

ومن فوائد هذا المشروع أنه يعمل على زيادة المخزون من المياه بالتخزين المعادل(×) ، مع السد العالى ، حيث يصل التخزين فى جزئه الأدنى إلى منسوب ٢٥٠ متراً ، بما يسمح بقدرة تخزينية تصل إلى نحو ١٧ مليار متر مكعب سنوياً (٢) ،

---

(١) Abbate, O. :"Dongola et la Nubie". *In* :Bulletion de la Société Khediviale de Géographie. T. IV, Le Coire, 1897, pp. 745—765

(×) التخزين المعادل يعنى خصم جز من الحصة التى تصرف من المياه فى حوض التخزين المستمر معادلة لبعض المياه التى تصل عن طريق روافد أخرى ، ويمكن التخزين المعادل من السيطرة والتحكم فى إيراد النهر بطريقة معادلة ، كما يمكن معه من رفع منسوب المخزون فى حوض التخزين المستمر ، وضمان كيات إضافية فى السنين شحيحة الإيراد .

(صلاح الشامى : مياه النيل ؛ دراسة موضوعية ، ص ٩٥) .

(٢) صلاح الدين الشامى : « مجرى جديد للنيل فى المطمور ؛ مشروع مقترح للتخزين السنوى المعادل » فى : مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . مج ٢٣ ، حـ ٢ ، ديسمبر ١٩٦١ . القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠٣

كما يعمل هذا المشروع على تقليل الاطماء فى حوض تخزين السد العالى بمقدار ما يخص هذه الكمية من طمى المياه الحبشية ، مما يعطى الفرصة لخزان السد العالى لأن يمتلىء بمياه من الهضبة الاستوائية التى تتميز بقلة رواسبها .

ويعطى هذا المشروع أيضاً الفرصة لمصر والسودان بأن تخلق منطقة عمرانية واسعة تعتمد على الأراضى المستصلحة حول حوض تخزينه ، وفى تزايد العمل فى مناجم النوبة(١) .

ومن المشروعات المكملة — أيضاً — للسد العالى فى بلاد النوبة والتى تساهم فى إضافة تغيير كبير على اللاندسكيب(×) ، مشروع خزان مروى وهو المشروع الذى لقى عناية كبيرة فى عام ١٩٤٢ ، حيث جرى البحث عن موقع له على النيل فيما بين وادى حلفا والخرطوم شمالى اتصال العطبرة بالنيل ، وقد دلت الأبحاث على وجود موقعين صالحين للتخزين السنوى : الأول يقع على مسافة ٢٧ كيلو متر أمام حلفا(٢)، والموقع الثانى على مسافة ٣٠ متراً أمام مروى . وكلا الموقعين صالحين من حيث طبيعة تكوين قاع النيل ، ولكن يفضل الموقع الأول عن الثانى نظراً لقلة عدد السكان المطلوب تعويضهم ، وفى هذا الموقع يسع الخزان ثمانية مليارات من الأمتار المكعبة خلال فترة الفيضان تزاد إلى تسعة مليارات مدة الصيف(٣) .

ومع إقامة السد العالى بتخزينه القرنى المستمر . يمكن أيضاً الاستفادة من إقامة مثل هذا المشروع الذى يحقق بالإضافة إلى التخزين السنوى للنوبة السودانية ، يحقق التخزين المعادل للسد العالى ولمشروع خزان العطمور (مشروع خزان أباتا باشا) ويعمل على إمكانية تنفيذه وزيادة كفاءته .

ويمكن للسد العالى وخزان مروى وخزان العطمور أن يكونوا رؤوس مثلث التنمية الاقتصادية فى حوض النيل الأوسط خاصة بلاد النوبة فى كل من مصر والسودان .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠٩ .

(×) مما سيكون له أثر وانعكاس على المانسكيب Manscape (إن صح هذا الاشتقاق) .

(٢) Hurst, H.E. : The Nile Basin, Vol. 7, p. 101

(٣) صلاح الدين الشامى : مياه النيل ؛ دراسة موضوعية . القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٨ ، ص ١٦٤

ولعل أهم ما يقدم هنا هو الاقتراح الخاص بمجرى تحويل النيل فى النوبة المصرية ، بواسطة قناة تكون مكشوفة فى بعض أجزائها ومنحوتة فى الصخر على هيئة نفق فى بعضها الآخر . ويفضل أن يبدأ من منطقة بعيدة عن السد ومتعمقة فى الخزان صوب الجنوب . حتى يكون منسوب بدايته أو مخرجه مرتفعاً مما يسمح ويسهل الانحدار الطبيعى للمياه . ويقترح موضع على الضفة الغربية أمام بلدة توشكى القديمة حيث سيتكون فى هذه المنطقة خليج كبير متتبعاً خطوط الكنتور .

ويمكن إنشاء نفق أو أنفاق تحويل فى الصخر لمسافة لا تزيد عن ٤٠ كيلو متر حيث تنتهى إلى منخفض الواحات الداخلة . ومما يسهل إنجاز هذا العمل أن تكوينات الصخور من الحجر الرملى النوبى وليست من الجرانيت . لذلك يجب تكسية الأنفاق بطبقة خرسانية ومواد عازلة حتى يقل التسرب إلى أدنى قدر ممكن . ومما يسهل العملية الإنشائية أيضاً أن تلك المنطقة لا يبلغ ارتفاعها أكثر من ٢٥٠ متراً فى المتوسط(١) ولا يوجد بها جبال سوى جبل العصر (٢٦٤ متراً)(×) مما يقلل جهد محطات الرفع التى ستقام فى بعض النقط على مسار قناة التحويل .

هذا وقد قدم إقتراح مشابه (المهندس الزناتى) فى الندوة العلمية التى عقدها المركز القومى للبحوث بالقاهرة خلال المدة من ٢ – ٥ مارس ١٩٧٦ لدراسة الآثار المترتبة على بناء السد العالى ، وإن كان الاهتمام يتركز الآن على حفر مفيض للمياه الزائدة عن السعة الحية لخزان السد العالى .

بعد ذلك يمكن حفر قناة تسير فى منخفض الواحات صوب الشمال ثم الشمال الشرقى ، كما يمكن أيضاً شق قناة أخرى تتجه صوب الجنوب الغربى ثم نحو الشمال لتغذى كل منخفض الواحات الداخلة بمياه النيل مما يسمح بقيام زراعة دائمة ومستقرة ذات نمط اقتصادى متقدم مما يتيح فرصة حقيقية لخلق واد جديد أخضر .

أما مجرى التحويل الجديد المقترح فيمكن أن يمتد بعد اتجاهه صوب الشمال

---

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : النوبة المصرية ، ص ٣٥٦

(×) هذا فى الخرائط القديمة ، أما بعد العمليات المساحية الحديثة فقد اتضح عدم وجود هذا الجبل مما يدل على خطأ الرفع الأول (من مناقشات ندوة المركز القومى للبحوث فى مارس ١٩٧٦) وهذا يسهل تنفيذ الاقتراح المقدم فى هذا البحث .

الشرقى وعند نهاية الطرف الشرقى لمنخفض الواحات الداخلة حيث يدخل المجرى منطقة مرتفعة(١) يضطر فيها إلى الاتجاه نحو الشرق بانحراف قليل نحو الشمال لمسافة نحو ٦٠ كيلو متر حتى يصل إلى أعالى وادى كلابشة ، ثم يتجه نحو الشمال بانحراف قليل نحو الشرق لمسافة نحو ٧٠ كيلو متر إلى أن يصل إلى وادى الحميزة حيث ينساب فيه حتى مصبه فى النيل أمام بلدة الخطارة شمال مدينة أسوان بنحو ١٧ كيلو متر . ويمكن توصيل أعالى وادى الحميزة بواسطة قناة مكشوفة أخرى أو بنفق فنجعل بذلك لمجرى التحويل المقترح مخرجين ، الأول والرئيسى أمام بلدة الخطارة والثانى بجوار بلدة السبخاية أمام مدينة دراو . (خريطة ٢) .

هذا ويجب أن نتحكم فى مياه هذا المجرى مجموعة من القناطر التى تنظم التصريف وتوجهه خاصة فى الجزء الأوسط من المجرى أثناء سيره فى منخفض الواحات الداخلة

ويشجع نجاح مصر فى عبور المراحل الحرجة فى التصنيع من مرحلة ما قبل الصناعة إلى مرحلة الاتجاه إلى الصناعة فمرحلة شبه الصناعة ثم مرحلة الصناعة (١) ، أن يأمل معه اكلوجى التخطيط فى خلق بيئة صناعية كبيرة فى المدخل الجنوبى لمصر ، تخلق توازناً كاملا مع أخوتها فى منطقة القاهرة وشرق الدلتا ووسطها وغربها .

والمعتقد أنه يجب وضع مشروعات لإقامة صناعات كبرى فى منطقة أسوان مستفيدة من الطاقة الكهربائية الهائلة المتوافرة من محطتى السد العالى وخزان أسوان ، فيمكن إضافة صناعة الألمنيوم وصناعة النحاس خاصة وإن خاماتهما قريبة ، هذا بالإضافة إلى التوسعات الواجب تنفيذها على صناعة الأسمدة الأزوتية .

ويضاف إلى ذلك توافر خام الحديد الهيماتيتى فى مناجم أسوان حيث يبلغ ٤٦٠ ألف طن عام ٦٨–١٩٦٩ بعد أن كان ٢٤٠ ألفاً فى عام ٦٠–١٩٦١ أى وصل معدل الزيادة إلى ١٩١,٧٪ ، مما يعطى الفرصة لخلق صناعة جديدة للحديد والصلب بمصانعها ومجمعاتها الكاملة فى أسوان(٢) بحيث يخصص إنتاجها أو الجزء الأكبر

(x) فى هذا الموضع تقام محطة رفع كهربائية .

(١) جمال حمدان : شخصية مصر ، ١٩٧٠ ، ص ص ١٠٦ – ٣٠٧

(٢) وفى هذه الحالة يمكن تخصيص مناجم الواحات البحرية بما فيها من خام الحديد بأنواعه الثلاث لتغذية مصانع ومجمع الحديد والصلب فى حلوان والذى يمكن تخصيص إنتاجه كله للاستهلاك الداخلى

منه ومن غيره من المعادن ، والمنتجات الصناعية والزراعية الأخرى للتصدير عن طريق ميناء برنيس الحديد المقترح إنشاؤه ، والذى يجب أن تخدمه شبكة من الطرق البرية والحديدية لربطه باقليم وادى النيل وباقليم البحر الأحمر .

ويجب أن تتميز وتتمايز منطقة النوبة الصناعية باعتمادها على الحاصلات الزراعية والسمكية المحلية (قصب السكر — النخيل : البلح والزيت ومنتجاتها — والفواكه والخضروات المدارية والإستوائية) ، وعلى المواد المستوردة من الدول الإفريقية المجاورة (الأخشاب—المطاط— الزيوت—اللحوم) ، بحيث تخلق صناعات جديدة(السكر والحلوى—الماكولات المعلبة—الأثاث—المصنوعات المطاطية)للاستهلاك المحلى وللتصدير .

ولتنشأ ميناء حديثة فى برنيس تخدم الجزء الجنوبى من مصر وليبيا ، بحيث تصبح منفذ الأخيرة السرقى على البحر الأحمر ، ونافذتها على عالم آسيا الموسمى ، ولتمتد خطوط أنابيب البترول إليها لتصديره إلى أسواق اليابان واستراليا وشرق أفريقيا ، ويمكن إنشاء منطقة حرة فيها ولتكن برنيس هونج كونج أفريقيا الجديدة .

ومن أهم مشروعات التخطيط للمستقبل إستغلال مصادر الطاقة المتوافرة فى هذه البيئة الفريدة ، حيث تعتبر النوبة من أنسب المناطق فى مصر لإقامة محطات توليد الطاقة الكهربائية من الأشعة الشمسية(×) ، التى يجب أن نلجأ إليها للحصول على مصادر الطاقة والغذاء ومستلزمات الحياة (١) ، ومما يساعد على ذلك طول ساعات سطوع الشمس فى مصر إذ تبلغ ثلاث آلاف ساعة سنوياً (٢) . بينما هى فى أوديللو على البرانس الفرنسية حيث يوجد أكبر فرن شمسى فى العالم(××) نحو ألف ساعة فقط .

(×) من المعروف أن توليد الطاقة الكهربائية من الإشعاع الشمسى يمثل ارخص واسهل طريقة لتوليد الطاقة بما فى ذلك الكهرباء المائية وكهرباء الطاقة النووية .

(١) Kenneth, F. Weaver : "The Search for Tomorrow's Power". *In* : National Geographic Magazine. November 1972, p. 677

(٢) ابرهيم حلمى عبد الرحمن : « الشمس كمصدر للطاقة فى البقاع الصحراوية » . المجمع المصرى للثقافة العلمية ، مؤتمر الصحارى ، ١٩٥٠ . القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ ، ص ص ١٧٩ — ١٨٦

(××) انشى عام ١٩٦٩ ويصل درجة الحرارة المولدة فيه إلى ٣٥٠٠ م ، كما توجد فى طشقند مرآة قطرها ١٠ أمتار من الزجاج فى بؤرتها غلاية تنتج ٦٠ كيلو بخار — ساعة تحت ضغط ٧ جو وكفاءتها=

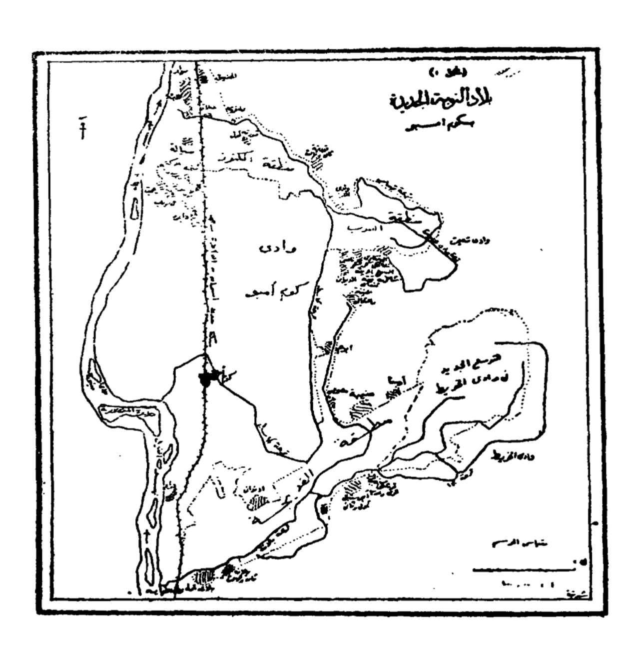
أما مجال السياحة فيمكن لمصر أن تجعل منه مصدراً تمويلياً ضخماً ، فبما تملكه النوبة من كنوز أثرية ممثلة فى المعابد القديمة ، التى أنقذت بعمليات هندسية حديثة ، يمكن أن تجذب الأفواج السياحية لزيارتها ، لمشاهدة معجزات الآثار القديمة والإنجازات الهندسية المتقدمة ، ولكى يتم هذا العمل يجب التوسع فى إنشاء شبكة من المواصلات البرية والنهرية والجوية تربط أجزاء النوبة بعضها ببعض وبالقاهرة وبالعالم الخارجى.

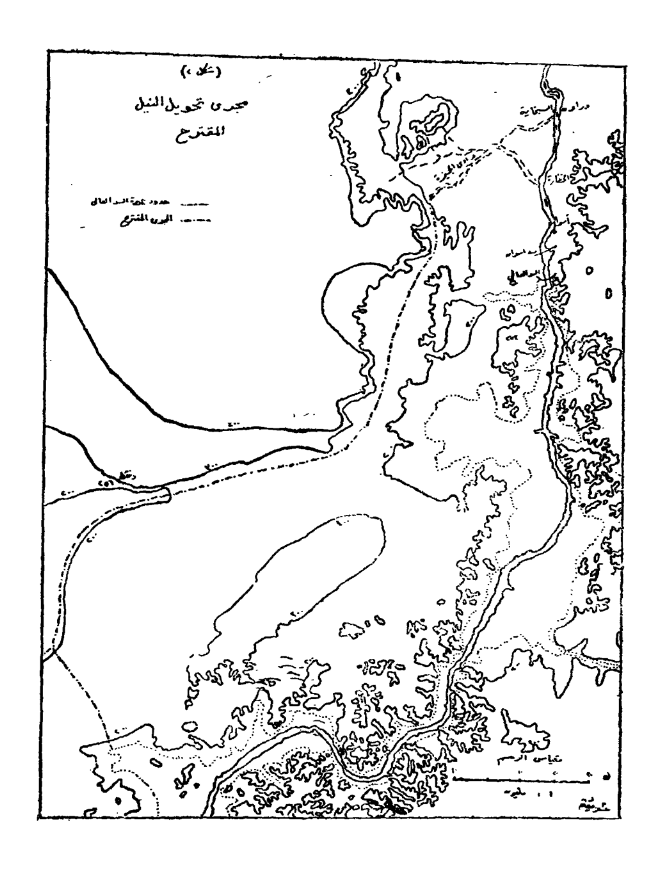
وبكل هذا يمكن أن تخلق بيئة جديدة متكاملة من حيث الإنتاج الزراعى والتعدينى والصناعى والسياحى ، وتقوم على خدمتها شبكة من المواصلات والموانى البحرية والجوية، تربطها بكافة أجزاء العالم الخارجى خاصة فى آسيا وأفريقيا .

وفى الحقيقة ، أنه بمثل هذه الدراسات وتطبيقاتها التفصيلية المتعمقة الدقيقة ، على المجتمعات الجديدة التى تمر فى طور التكوين ، يمكن أن يظهر مجال جديد من مجالات إهتمام الأنثروبولوجيا ، هو : « أنثروبولوجية التخطيط » . مثلما ظهرت أخيراً أنثروبولوجية المدن . وبذلك — وفى هذا المجال — تلحق الأنثروبولوجيا بالجغرافيا .

---

٦٠ ٪ ، وهى تتجه نحو الشمس اوتوماتيكياً وتستخدم الطاقة المستخرجة منها فى مختلف الأغراض ، وفى استراليا الآن تنتج المياه العذبة فى بعض مناطقها باستعمال اشعة الشمس .


بلاد النوبة الجديدة
بكوم امبو
منطقة الكنوز
وادى
كوم امبو
التوسع الجديد
لوادى الخريط
وادى الخريط
مقياس الرسم


(شكل ١٠)
مجرى تحويل النيل
المقترح
حدود بحيرة السد العالي
المجرى المقترح
السد العالي
مقياس الرسم

ببليوجرافيه بأهم المصادر

1. AKYL, M.F. « بعض الظاهرات الجغرافية فى بلاد النوبة المصرية » .
فى : الموسم الثقافى ١٩٥٩ ، الجمعية الجغرافية المصرية .
القاهرة ، الجمعية ، ١٩٥٩

2. ABBATE, O. : "Dongola et la Nabie". *In :* Bulletin de la Société Khediviale de Géographie. Tom IV. Le Caire, 1897

3. ABOU EL-EZZ, M.S. : "The Evolution of Landscape in LowerNubia'. Extrait du Bulletin de la Société de Géographie d'Egypte. Tom 38, 1938

4. AL SAGAR, F.M. : التخطيط الإقليمى . الاسكندرية ، منشاة المعارف ، ١٩٦٩

5. AL-SAYAD, M.M. ; S'UDY, M. : السودان. القاهرة . مكتبة الأنجلوالمصرية، ١٩٦٦

6. AL-SHAMY, S.A. : : مجرى جديد للنيل فى العطمور ، مشروع مقترح للتخزين السنوى
المعادل » . فى : مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . مج ٢٣ ،
حـ ٢ ، ديسمبر ١٩٦١ . القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٦ .

7. الجغرافيا دعامة التخطيط . الاسكندرية ، منشاة المعارف ، ١٩٧١

8. COLE, JOHN P.: Géography of World Affairs. 2d ed. Baltimore, Penguin Books,1959

9. CRAWFORD, O.G.S. : "The Fung Kingdom of Sennar". Gloucester, John Bellows, 1951

10. EMERY, W.B. : 'Egypt in Nubia. London, Hutchinson, 1965.

11. FERKISS, V.C. :Technological Man. New York, Mentor, 1971

12. HAMDAN, G. :: شخصية مصر . طبعة مزيدة منقحة . القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٧٠

13. HAMED, S.A. : النوبة الجديدة ؛ دراسة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية .
الاسكندرية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣

14. HASSAN, S. : مصر القديمة . حـ ٥ . القاهرة ، دارالكتب ، ١٩٤٨

15. KAMEL, A. : فى أرض النيل . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠

16. KEES, H. : Ancient Egypt ; a cultural Topography.London, Faber and Faber, 1951

17. MAHDY, : « الغلات الحارة على شواطى بحيرة ناصر » . فى : المحاضرات
العامة موسم سنة ١٩٦٤ . الجمعية الجغرافية المصرية . القاهرة ،
الجمعية ، ١٩٦٤

18. Man-Made Lakes as modified Ecosystems. Scope Report 2. International Council of Scientific Committee on Problems of the Environment. Paris, 1972.

19. MUS'D, M. : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠

20. REISNER, G.A. : "Outline of the history of the Sudan ; part I, Early Trading Caravans 4000—2000 B.C." *In :* S.N.R., Vol. 1, 1918

21. RIZKANA, I ; ABOU EL-EZZ, M.S. :"The High Dam Lake in Aswn; a new environment in the making". Bulletin de la Société de Géog. d'Egypte. Tom 37, 1964.

22. RY'D, M. : «النوبة المصرية – كروسكو » . فى : حوليات كلية الآداب . جامعة عين شمس . المجلد التاسع ، ١٩٦٤ . القاهرة ، الجامعة ، ١٩٦٤

23. ABD AL-RASUL, K. : « سيالة ؛ مساهمة فى دراسة ايكولوجية النوبة المصرية » فى : حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس . المجلد السابع . ١٩٦٢ . القاهر ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٦٢

24. SHUWAYQAH, F.A.G. : النوبة المصرية ؛ دراسة فى تفاعل الإنسان والبيئة . رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، قدمت إلى قسم الانثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة القاهرة ، ١٩٧٤

25. VIVER, L. : الأرض والتطور البشرى ، ترجمة محمد السيد غلاب . ط ٢ . الاسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣

الفروق الجنسية فى التوتر

للدكتورة/سلوى الملا

مدرسة علم النفس بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة

لاقت بحوث الفروق بين الجنسين فيما مضى قــدرا ضئيلا من الاهتمام من السيكولوجيين الذين أغفلوها وذهبوا الى اعتبارها أى الفروق بين الجنسين نوعا من الخطأ المنهجى مما يتعين اجتنابه وهو ما كان يتجه اليه بعض التجريبين الاوائل أمثال قونت وتلامذته .

ولعل البداية المناسبة للاهتمام بالفروق الجنسية نجدها تقوم فى دراســات جالتون R.B. Galton فى بريطانيا وكاتل R. Cattle وجاسترو Gastrow وجيلبرت Gilbirth فى الولايات المتحــدة الامريكية الذين أخــذوا على عاتقهم اجراء العديد من الدراسات والبحوث التى تناولت الفروق بين الجنسين وبالرغم مما نراه الآن من نمو الاهتمام بهذا المجال الذى اكتسب أهميته نتيجة لبحوث الفروق الفردية بوجه عام الا أنه لم ينمو بقدر كاف وخاصــة فى ميدان دراسات علم النفس الاجتماعى والشخصية . ويتضح ذلك من خــلال الحقائق الآتيــة :

(أولا) نلاحظ ذلك القدر من عدم التوازن فى اختيار عينات البحوث اذ تتجه أغلب الدراسات لتفضيل عينات ذكرية .

(ثانيا) عدم الاهتمام بتصميم اختبارات جديدة تهدف للكشف بوضوح عن الفروق الجنسية .

(ثالثا) اغفال اجراء تحليل للنتائج الخاصة بكل جنس على حده فى العينات المشتركة (ناهد رمزى ١٩٧١) •

وقد تعددت الدراسات العلمية فى موضوع الفروق بين الجنسين وتنوعت فشملت الفروق فى الذكاء والقدرات الخاصة والتحصيل والميول والاتجاهات والقيم والوظائف الحسية الحركية والتوافق الاجتماعى والوجدانى ، فضلا عن الدراسات الفسيولوجية والفروق فى معدل النضج •

الا أن الكثير من هذه الدراسات يوجه اليه نقد منهجى من عدة جوانب منها تأثير العوامل الانتقائية فى اختيار العينات من الجنسين التى تجرى المقارنة بينها وكذلك غدم التأكد من الدلالة الاحصائية للفروق • وتجاهل التداخل الكبير بين منحنيات توزيع الدرجات فى الجنسين ، وقصور الأدوات المستخدمة فى قياس مختلف السمات •

وينقسم الباحثون فى تفسيرهم لنتائج البحوث ، وبخاصة فيما يتصل بالفروق بين الجنسين فى التوافق الوجدانى الى فئتين :

تفسر الفئة الأولى النتائج على أساس العوامل التكوينية ، وتفسر الفئة الثانية النتائج على أساس العوامل الحضارية • ويستند أفراد الفئة الأولى فى تأكيد تفسيرهم الى أن العادات (العصبية) تظهر بدرجة أكبر فى الاناث عنها فى الذكور فى مرحلة مبكرة من السن وأن الفروق فى درجة العصابية لا زالت قائمة بالرغم من تزايد الاتجاه نحو المساواة بين الجنسين ، كما أن الفروق فى الانفعالية بين الجنسين توجد بنفس القدر بين الأطفال المكفوفين والأيتام المقيمين فى ملاجىء بالرغم من تساوى الظروف البيئية بين الجنسين ، وأخيرا فانهم يستندون الى أن أغلب مظاهر السلوك العصبى تتفق غالبا مع التغيرات الفسيولوجية وسن اليأس• الا أن أفراد الفئة الثانية يشككون فى قيمة هذه الأدلة ، ففترات البلوغ وسن اليأس هى نفسها أزمات اجتماعية حادة والمساواة بين الجنسين لا تساوى بين الجنسين فعلا ما دامت هناك مصادر أخرى للتحيز والاحباط

ولا يوجد ما يؤيـد هـذا الزعم بأن البيئـة فى المـلاجىء وبالنسبة للمكفوفين واحـدة بالنسبة للجنسين ، والعـادات العصبية وحـدها ليست دليلا على الانفعـالية (ل. كامل ١٩٦٣) .

ومن الجلى أن بحوث الفروق بين الجنسين توضح لنا أن شخصية كل من الذكر والأنثى لا يمكن فهمها الا فى ضوء تفاعل عدد من العوامل المحددة ، هى العوامل التكوينية وعضوية الجماعات المختلفة التى ينتمى اليها الفرد بما فيهـا أنماط التنشئة الاجتماعية والأدوار المختلفـة التى يقوم بها الفرد بما فيها دور الذكر والأنثى .

ومهما يكن النقد الذى يوجه الى دراسات الفروق بين الجنسين فان تكرار هذه الدراسات فى مجتمعات مختلفة سوف يسهم ولا شـك فى القاء مزيد من الضوء على طبيعة ومصدر هذه الفروق ومن الناحية العملية فانه يصعب فى وصف أى جماعة بشرية أن تتجاهل دور الفروق بين الجنسين سواء كانت هذه الفروق تحددها عوامل تكوينية أو حضارية .

تاريخ البحث وأهدافه

قامت الباحثة عام ١٩٧١ ببحث للحصول على درجـة الدكتوراه بعنوان (الابداع والتوتر النفسى) وقد شملت عينة البحث ١٠٠ ذكر و ١٠٠ أنثى وقد كان الهدف الأساسى للبحث كشف طبيعة العلاقة بين الابداع والتوتر النفسى ، وقد تبين لنا أن قدرا أمثل من التوتر النفسى لازم للأداء الابداعى وأنه اذا زاد التوتر عن هذا القدر وكذلك اذا قل عنه أصبح معطلا لنمو وخصوبة القدرات الابداعية .

ثم أسفر البحث عن نتيجة جانبية استحقت أن نوليها جهدا واهتماما خاصا ، وهى مشكلة الفروق الجنسية فى التوتر . ذلك أنه قد تبين من نتائج البحث أن تنظيم سمة التوتر لدى الاناث تختلف عنها بالنسبة للذكور ... فقـد ارتبط

التوتر بالابداع لدى الاناث فى اتجاه التصلب أو الجمود بينما ارتبط لدى الذكور فى اتجاه الدافعية أو حالة النشاط العامة للفرد • وقد كان من المتوقع بناء على كثير من الدراسات السابقة أن يختلف التوتر بين الاناث والذكور نتيجة للكثير من الأسباب البيئية والنفسية التى يمر بها كل منهم • الا أن الأمر كان محتاجا لمحاولة التأكد من طبيعة الاختلاف فى التوتر بين الجنسين فربما كان الاختلاف فى طبيعة التوتر وليس فى وجوده أى أن الجنسين يخبران شعورا بالتوتر الدافع ولكن طبيعته تختلف فى الاناث عنها فى الذكور ولهذا فقد حاولنا من خلال البحث أن تتبين هذا الاختلاف وان كانت الاجابة على هذه الأسئلة تحتاج الى بحث خاص ليبرزها ويوضح طبيعة هذه الاختلافات (س • الملا ١٩٧١) •

الاختبارات التى استخدمت :

استخدمنا مجموعة من الاختبارات لقياس مستوى التوتر النفسى العام فى الشخصية كان بعض منها يقيس التوتر عن طريق الاستجابات المتطرفة • ويجدر بنا فى هذا المقام وقبل أن نعرض لاختبارات التوتر النفسى أن نشير الى أن هناك عددا من الدراسات التى أجريت سواء فى البيئة المحلية أو الخارجية قد استخدمت بالفعل مفهوم التطرف كمقياس لمستوى التوتر النفسى ــ نعرض الآن لبعض منها بايجاز على سبيل المثال •

أجرى البحث الأول الدكتور سويف وكان ذلك سنة ١٩٥٢ (م • سويف ١٩٦٨) واهتم فيه ببيان أثر عضوية الفرد فى فئة اجتماعية معينة على مقدار توتره النفسى مقدرا بعدد الاستجابات المتطرفة التى تصدر عنه فى موقف الاختبار • وقد اتخذ من مفهوم النفور من الغموض جسرا يصل بين التوتر وبين تطرف الاستجابة وكان الفرض العام للبحث هو أن « الفئات الاجتماعية المتفاوتة من حيث مستوى توترها العام تختلف بحيث أنه اذا تساوت سائر الشروط فان الفئة الاجتماعية ذات المستوى المرتفع من التوتر تميل الى اصدار عدد من الاستجابات المتطرفة أكبر مما تميل الى اصداره فئة أخرى ذات مستوى منخفض من التوتر » •

وللتحقق من هذا الفرض طبق مقياس الاستجابات المتطرفة على ١٠٢٨ مواطنة ومواطنة من المصريين تتراوح أعمارهم بين ١٢ الى ٤٦ سنة بوسيط قدره ١٧ سنة وانحراف ربيعى ١٦ر٢ وقد تحققت فروض البحث فى معظمها بحيث أظهرت النتائج ارتباطا واضحا بين انتماء الفرد الى فئة اجتماعية معينة وبين مقدار توتره النفسى مقدار باستجاباته المتطرفة •

وعلى ضوء نتائج هذا البحث أجرت صفاء الأعسر دراسة حـول أثر البيئة الدراسية على رفع مستوى التوتر النفسى (المرجع السابق ص ٥٥) وكان الفرض الأساسى على النحو الآتى : « هناك عـلاقة بين درجـة التوتر النفسى وعضوية مجتمعات تربوية مختلفة يسود كلا منها نظم ، اجتماعية وتربوية خاصة ، وذلك عندما تميل البيئة التربوية الى الأخذ بالاتجاه المحافظ فى مجتمع توجد فيه نماذج أخرى لبيئات تربوية أكثر تحررا يزيد من مستوى التوتر لدى الأفراد » فاذا صح أن كلية البنات تعتبر بيئة تربوية مقيدة لحرية الحركة اذا ماقورنت بكلية الآداب • فقد يكون هـذا التقييد هو السبب الرئيسى لارتفاع مستوى التوتر عنـد طالبات كلية البنات •

وللتحقق من هذا الفرض قامت الباحثة بتطبيق اختبار الاستجابات المتطرفة على مجموعتين من طالبات السنة الاولى بكلية الآداب وكلية البنات ومجموعتين من السنة الرابعة من طالبات كلية الآداب وكلية البنات وقـد تبين من البحث أن الفرق بين الاستجابات المتطرفة فى عينتى السنة الاولى لم يكن جوهريا فى حين كان الفرق بين الاستجابات المتطرفة فى عينتى السنة الرابعة ذا دلالة احصائية واستنتجت الباحثة من ذلك أن الطالبات قبل الالتحاق باحدى الكليتين كن على درجات متقاربة من التوتـر أى أنه ليس هناك مايدل على أنهمـا من مجتمعين اصليين مختلفين • ولكن بعد مضى أربع سنوات فى مجتمعين تربويين يسود كلا منهما قيم خاصة تبين أن هناك فرقا ذا دلالة بين المجموعتين مما يؤيد الافتراض الأساسى الذى بدأت به البحث •

وأجرى الدكتور سويف ١٩٥٨ (م سويف ١٩٥٨) بحثا يهدف للمقارنة بين مجموعتين ، احداهما من الجانحين والأخرى من غير الجانحين • وكان من بين أهداف البحث محاولة الاجابة على السؤال الآتى :

« هل يفوق الأحداث الجانحون الأحداث غير الجانحين من حيث تفضيل الاستجابة المتطرفة بحيث تستدل منه على ارتفاع مستوى التوتر العام فى شخصية الجانح •

وقد استخدم نفس الاختبار على مجموعتين من الشبان احداهما من الجانحين والثانية مجموعة ضابطة ولكن النتيجة جاءت سلبية ، فلم تظهر التجربة أية فروق دالة بين الجانحين وغير الجانحين فى تطرف الاستجابة وبالتالى فى مقدار توتره النفسى •

كما قام برنجلمان (م • سويف ١٩٦٨) باجراء عدة بحوث استخدم فيها اختبار الاستجابات المتطرفة المصرى (بصورة معدلة) نعرض الآن لبحث منها • كان اهتمام الباحث يدور حول شعور الشخص بالثقة فى حكمه أو التأكد من صحة هذا الحكم تحت شروط تجريبية معتدة على أن يكون الحكم متعلقا بصحة أداء الشخص على اختبار للتذكر ، واختبار للتعرف ، وأن يكون المتطوع من العصابيين أو الفصاميين •

والتحقق من هذا الفرض استخدم برنجلمان اختبار درجات اليقين الذى قام هو باعداده • وفيما يتعلق باختبارات الشخصية فقد استخدم الباحث مقياس الانطواء والعصابية لأيزيك ومقياس التصلب لنجنو تسكى • ومن أهم النتائج التى انتهى اليها برنجلمان وجود نوع من الارتباطات النحنية بين الشعور بالثقة وبين بعض متغيرات الشخصية كما تقيسها الاختبارات •

وأجرى مصرى عبد الحميد (م • سويف ١٩٦٨) دراسة حول الارتباط بين الحياة فى الريف والحضر وبين مستوى التوتر النفسى وكان الفرض العام للدراسة

هو « أن الحياة فى المدينة الكبيرة تكون مصحوبة بقدر من التوتر النفسى العام يفوق ما تثيره الحياة فى الريف أو فى المدينة الصغيرة شبه الريفية وأن هذه الحقيقة يمكن الكشف عنها بتطبيق اختبار الاستجابات المتطرفة على عينات من هـذه البيئات الثلاث داخل المجتمع المصرى » • وللتحقق من هذا التنبؤ طبق الباحث اختبار الاستجابات المتطرفة على ثلاث مجموعات من الذكور المصريين تمثل ثلاثة مستويات على بعد « الريف الحضر » • وقد اتضح من نتائج البحث أن أبنـاء الحضر يكشفون عن مستوى عال من التوتر والنفـور من الغموض يتبين من حصولهم على درجات مرتفعة على متغير الاستجابة المتطرفة وعلى درجات منخفضة على متغير الاعتدال • فى حين أن أبناء الريف يكشفون عن مستوى منخفض من التوتر يبدو فى حصولهم على درجات منخفضة من الاستجابات المتطرفة العـامة والايجابية وعلى درجات مرتفعة على متغير الاعتدال •

وأجرى م • فرغلى بحثا سنة ١٩٦٥ (م • فرغلى ١٩٦٥) بعنوان « الاستجابات المتطرفة عند فئات من المرضى النفسيين ، دراسة بواسطة التحليل العاملى » وقد كان الهدف الأول من الدراسة هو دراسة نمط الاستجابات المتطرفة لدى فئات من الذهانيين والعصابيين والأسوياء •

وقد أظهرت نتائج البحث فروقا فى استجابات المجموعات الثـلاث ، كما بين البحث وجود تشبعات على عامل أمكن أن يطلق عليه اسم عامل التوتر النفسى العام • لا يتعلق بمضمون بنود الاختبار بل يتعلق بما تثيره هذه البنود من توترات يظهر أثرها فى الشكل المتطرف أو غير المتطرف من الاستجابة • أى أن الاستجابة المتطرفة يمكن أن تعتبر نتيجة لما يشعر به الشخص من توتر فى الموقف يجعله يلجأ الى التطرف ••• وبهذا أعطى مفهوم التوتر النفسى العام أساسا ديناميا للتصلب •

وفى ضوء كل هذه البحوث التى أوضحت مفهوم التوتر النفسى وطريقة قياسه استخدمنا الاختبارات التالية •

أولا ـ الاختبارات التى تقيس التوتر النفسى عن طريق تطرف الاستجابة:

١ ـ اختبار الصداقة الشخصية (الاستجابات المتطرفة اللفظى) للدكتور سويف E. R. W.

٢ ـ اختبار الاشكال المفضلة (الاستجابات المتطرفة الشكلى) للدكتور سويف E.R.F.

٣ ـ اختبار درجات اليقين لبرنجلمان The figure reconstruction test (س • الملا ١٩٧١) •

ثانيا ـ الاختبارات التى تقيس التوتر عن طريق درجة التصلب :

يرتبط التوتر النفسى بالجمود أو بالتصلب • وقد أجريت كثير من البحوث حول هذه الفكرة حيث تناول بعض منها علاقة التوتر بالجمود وحاول البعض الآخر استخدام التوتر للتأثير على الجمود • فقام Lunchin سنة ١٩٥٢ (ص • الأعسر ١٩٦٤) بدراسة كان الفرض الأول فيها أنه « كلما ازدادت درجة التوتر فى الموقف كان السلوك أكثر جمودا ، واستخدام الباحث فى هذه الدراسة اختبار Luckin فى الجمود وقد قسم العينة الى ثلاث عينات فرعية كالآتى :

العينة الأولى : عينة ضابطة ولا يثير الباحث فيها أى توتر أثناء الموقف التجريبى•

العينة الثانية : يعطى الباحث فى وسط الاختبار المستخدم وهو عبارة عن حل بعض المسائل الحسابية بعض مسائل لا يمكن حلها مما يثير التوتر لدى أفراد العينـــة •

العينة الثالثة : وقد استغرق اختبارها جلستين • كان الباحث يقدم فى الجلسة الأولى اختيارا اسقاطيا وفى الجلسة الثانية يقدم الاختبار الذى استخدمه فى العينتين السابقتين بعد أن يخبرهم (العينة الثالثة) أنه سيضطر لاجراء اختبار ثان لأن الفاحص الاكلينكى يحتاج لمزيد من المعلومات لتفسير بعض العلامات المرضية التى ظهرت فى الاختبار الأول • وهكذا يثير لديهم قدرا كبيرا من التوتر لأن كل

فرد فى العينة يشك فى أنه المقصود بالاصابة بالاضطرابات النفسية وقد وجد الباحث أن الجمود يتزايد فعلا بتزايد التوتر النفسى فقد كان الأفراد فى الموقف الأول الخالى من التوتر أكثر قدرة على التعلم وعلى فهم المسائل بتلقائية أكثر بينما كان الأفراد فى موقف التوتر أكثر جمودا فى أفكارهم •

وفى بحث آخر حاول Cowen أن يحقق الفرض الآتى : « ان تخفيض درجة التوتر يؤدى الى تخفيض درجة الجمود • وتكونت العينة من ٥٧ طالبا واستخدم الباحث اختبار Levey للشخصية بالنسبة للعينة كلها » وقد قسم العينة قسمين أيضا كما فى التجربة السابقة •

العينة الأولى : موقف التوتر حيث يقرأ الباحث بها مجموعة من التعليقات السيئة التى تشير الى عدم الرضا عن نتائج الاختبار السابق ثم يلى ذلك اجراء اختبار لاكين فى الجمود •

العينة الثانية /موقف التسامح حيث يقرأ الباحث تعليقات مشجعة تشير الى اعجابه بأداء العينة على الاختبار السابق كما يذكر النتائج التى تدل على توافق ممتاز ثم يلى ذلك اجراء اختبار لاكين فى الجمود • وقد وجد الباحث فرقا ذا دلالة احصائية عند مستوى ٠١ر٠ بين العينتين مما يشير الى أن هناك علاقة موجبة بين الجمود ودرجة التوتر • (ص • الأعسر ١٩٦٤) •

وقام فرنش French سنة ١٩٥٥ ببحث يهدف الى التحقق من الفروض الآتية : ١ ـ المواقف المشحونة بالتوتر تزيد درجة الجمود •

٢ ـ التوتر يقوى العلاقة بين أوجه السلوك الجامد المختلفة • أى أن معاملات الارتباط بين اختبارات الجمود المختلفة ترتفع فى الظروف التى تثير التوتر وكانت العينة ١٠٠ جندى من سلاح البحرية الامريكية • وقد قسم الباحث العينة الى عينتين خضعت كل منهما لظروف تجريبية تختلف عن الأخرى • العينة الأولى يتحدث فيها الباحث عن خطورة وأهمية الاختبار مما يثير القلق والتوتر وخاصة بالنسبة للنظام العسكرى بينما تعطى الاختبارات فى العينة الثانية فى جو من التسامح • وقد بينت النتائج أن الباحث لم يجد فرقا بين العينتين ولكن هناك علاقة موجبة بين اثارة الدافع فى الموقف والأداء على الاختبار •

وفي ضوء ارتباط مفهوم التوتر بمفهوم الجمود أو بعبارة أخرى امكان قياس التوتر عن طريق الجمود •

استخدمنا الاختبارين التاليين :

٤ ـ اختبار التصلب لنجنوتسكى R.N.

٥ ـ اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا R.C.P.I

وبالاضافة الى هذه الاختبارات التى استخدمنا فيها الاستجابات المتطرفه او الجمود كمقياس لمستوى التوتر النفسى استخدمنا الاختبارين التاليين لقياس التوتر بمعنى الدفع أو الطاقة أو حالة النشاط العامة للفرد •

٦ ـ اختبار شدة الدفع لبرنجلمان

٧ ـ اختبار مستوى النشاط العام لجيلفورد

وبعد ترجمة هذه الاختبارات طبقت بدون ذكر اسم الاختبار بل كان يذكر للمفحوص (أمامك مجموعة من الاسئلة والمطلوب أن تجيب بوضع دائرة حول كلمة نعم أو كلمة لا) ويتوالى عرض الاختبارات وكان الزمن اللازم لأداء اختبارات التوتر ساعة كاملة • ـ

٨ ـ بالاضافة الى هذه الاختبارات استخدمنا السيكوجلفانوميتر Psycho—galvananometer لقياس التوتر النفسى عن طريق افرازات العرق فى منطقة من كف اليد قريبة من قاعدة الابهام على أن يؤخذ لكل فرد ثلاث قراءات يفصل بين كل منها دقيقة • ثم يحسب متوسط القراءات الثلاث بحيث يحصل كل فرد على درجة واحدة تمثل مستوى توترة العام (س • الملا ١٩٧١) •

عرضنا الآن الاختبارات التى استخدمت فى البحث وهى ثمانية اختبارات تغطى أربعة عشر متغيرا من متغيرات التوتر •

العينة :

تكونت العينة من ٢٠٠ طالب وطالبة من طلبة كلية الآداب جامعة القاهرة (١٠٠ طالب ١٠٠ طالبة) فى السن من ١٧ الى ٢٥ وقد راعينا تكافؤ المجموعتين بوجه عام من حيث فئة السن والمستوى التعليمى باعتبارهما من المتغيرات الهامة وكذلك راعينا بقدر الامكان نسبة التوزيع على الاقسام المختلفة •

تطبيق الاختبارات :

طبقت الاختبارات طريقتين حسب مقتضيات كل منها وذلك على النحو الآتى:

أولا ـ التطبيق الجمعى :

طبقت البطارية الجمعية فى مجموعات صغيرة بحيث لم يكن حجم الجماعة يزيد فى الجلسة الواحدة عن خمسة أفراد وقد كان التطبيق الفردى والجمعى يتم بمعمل علم النفس بكلية الآداب بجامعة القاهرة حتى يمكن التحكم الى أقصى درجة ممكنة فى كافة الظروف التى من شأنها أن تزيد من الضبط التجريبى • وبعد أن تنتهى الجماعة من أداء الاختبارات الجمعية يشرح الباحث الموقف للافراد ذاكرا أن هذه الاختبارات لم تنته بعد وأنه سوف يسمح لأفراد التجربة بالراحة لمدة ربع ساعة خارج المعمل على أن يتوافدوا ثانيا فرادى فى جلسة أخرى تستغرق حوالى ربع الساعة لاستكمال تطبيق الاختبارات أى أن البطارية كلها سواء فى ذلك الاختبارات الجمعية أم الفردية قد طبقت فى يوم واحد على كل مجموعة بل وتكاد الفترة الزمنية أن تكون واحدة وذلك حتى تمنع لأقصى درجة ممكنة تدخل العوامل التى يمكن أن تؤثر على النتائج وحتى نضمن حضور الأفراد (س • الملا ١٩٧١) •

ثانيا ـ التطبيق الفردى :

طبقت الاختبارات الآتية تطبيقا فرديا :

١ ـ اختبار تفضيل الأشكال •

٢ ـ اختبار درجات اليقين لبرنجلمان •

٣ ـ مقياس السيكوجلفانوميتر •

المعالجة الاحصائية للنتائج :

١ ـ اتبعت طريقة حساب معامل الثبات النصفى لعينة مكونة من ٤٠ طالبا وطالبة ، (٢٠ ذكور ، ٢٠ اناث) وهى العينة الاستطلاعية للبحث وذلك بالنسبة لجميع اختبارات البطارية الخاصة بالتوتر سواء منها تلك التى تستخدم لأول مرة أو التى سبق استخدامها فقد اعيد حساب اختبارات التطرف اللفظى

والشكلى وذلك للتأكد من ملاءمتهـا لهـذا البحث .. ما عـدا مقيـاس السيكوجلفانوميتر الذى حسبنا ثباته بطريقة اعادة الاختبار .

٢ ــ بالنسبة لصدق الاختبارات . نلاحظ أننا استخدمنا فى بطارية التوتر عـددا من الاختبارات التى سبق استخدام بعض منها فى كثير من البحوث التى عرضنا لها بغرض قياس مستوى التوتر النفسى . وقد ظهر من عرضنا لهـذه البحوث أن اختبارات التطرف استطاعت التميز بين الفئات المختلفة من حيث توترها ولهذا فاذا تبين أن الاختبارات فى مجموعها كانت مرتبطة داخليا ومرتفعة مع اختبارات التوتر كان معنى ذلك أنهـا فى المتوسط صـالحة لقياس التوتر النفسى .

٣ ــ قمنا بحساب الارتباطات الداخلية بين كل متغيرات التوتر وذلك للتحقق مما اذا كانت كل المتغيرات تقيس فى المتوسط شيئا واحدا يمكن أن يطلق عليه اسم عامل التوتر النفسى هذا وقد كان عدد المتغيرات التى حسب عليها الارتباط ١٤ متغيرا من متغيرات التوتر فى كل عينة من عينتى البحث على حده .

٤ ــ للتحقق من أن التوتر سمة عامة من سمات الشخصية تظهر فى المواقف المختلفة ولا يقتصر ظهورها على موقف معين استخدمنا منهج التحليل العـاملى لاثبات أن بطارية الاختبارات المستخدمة تتضمن عاملا عاما وأن جميع الاختبارات فى المتوسط مشبعة بهذا العامل بحيث يمكن أن نطلق عليه عامل التوتر .

٥ ــ لالقاء الضوء على فروق التوتر بين البنين البنات استخرجنا المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى لكل متغير من متغيرات التوتر داخل كل من عينتى البحث ، الـذكور والاناث ، ثم قارنا بينهما باستخـدام اختبـار « ت » بين المتوسطات .

عرض نتائج البحث

قمنا أولا بحساب معامل الثبات النصفى لاختبارات التوتر النفسى وقد كانت النتيجة بعد استخدام معادلة سبيرمان براون لتصيحح طول الاختبار كالآتى لكل من الجنسين أ

جدول رقم (١) يبين معامل الثبات لبطارية التوتر *

رقم	اسم المقيـاس	عينة الذكور – قبل التعويض	عينة الذكور – بعد التعويض	عينة الأناث – قبل التعويض	عينة الأناث – بعد التعويض
١	E.R.W.T.	,٦٩ ••	,٨٢ ••	,٥٣ ••	,٦٩ ••
٢	E.R.W.∓2	,٨٩ ••	,٩٢ ••	,٧٠ ••	,٨٢ ••
٣	E.R.W.—2	,٤٦ •	,٦٢ ••	,٣٦	,٥٣ ••
٤	R.N.	,٩٠ ••	,٩٥ ••	,٢٢	,٣٣
٥	R, CPI	,٢٨	,٤٤ •	,٤١	,٥٧ ••
٦	Drive	,٧٧ ••	,٨٦ ••	,٣٧	,٥٥ ••
٧	"G"	,٨٣ ••	,٩٢ ••	,٨٠ ••	,٨٩ ••
٨	E.R.F.T.	,٦١ ••	,٧٥ ••	,٩٠ ••	,٩٥ ••
٩	E.R.F.+2	,٣٩	,٥٧ ••	,٤٥ •	,٥٧ ••
١٠	E.R.F.—2	,٧٠ ••	,٨٢ ••	,٦٥ ••	,٧٩ ••
١١	برنجلمان T	,٨٨ ••	,٩٢ ••	,٨٧ ••	,٩٢ ••
١٢	برنجلمان +2	,٨١ ••	,٨٩ ••	,٨٩ ••	,٩٣ ••
١٣	برنجلمان —2				
١٤	Psycho-Galvanometer	,٦٠ ••		,٦٢ ••	

* له دلالة احصائية عند درجة ٠٥ ر

** له دلالة احصائية عند درجة ٠١ ر

(١) جميع معامــلات الثبات محسوبة بطريقــة الارتبــاط بين نصفــين متكافئين ــ فيما عدا ثبات مقياس السيكوجلفانوميتر فقد حسب بطريقة اعادة تطبيق الاختبار .

يتضح من حساب الثبات لبطارية الاختبارات أن المعاملات كانت فى المتوسط مرتفعة بصورة واضحة مما يجعلنا نطمئن لاستخدام اختبارات التوتر فى قياس هذه السمة . كما نلاحظ أن المعاملات قد اختلفت فى عينة الاناث قليلا عنها فى عينة الذكور . ذلك أن كل معاملات الثبات لعينة الذكور كانت مرتفعة ارتفاعا واضحا سواء أكان ذلك قبل التعويض عن الطول أم بعده . ما عدا اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا R,C.P.I اذ لم يرتفع معامله الا بعد التعويض ارتفاعا جعل له دلالة عند درجة ٠٥ر فقط الا أن باقى المعاملات داخل عينة الذكور كانت مرتفعة ارتفاعا يجعلها كلها صالحة للاستخدام .

أما بالنسبة لعينة الاناث فرغم أن الارتباطات كانت أيضا مرتفعة الا أن اختبار التصلب لتجنوتسكى R.N لم يكن ذا دلالة احصائية لا قبل التعويض ولا بعده كما أن اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا لم تكن له دلالة احصائية قبل التعويض وان كان المعامل عليه قد ارتفع بعد التعويض وأصبحت له دلالة احصائية عند درجة ٠٥ر ، ٠١ر وكانت بقية المعاملات بعد ذلك فى عنية الاناث فى مجموعها مرتفعة . كما لم يكن اختبار شدة الدافع Drive مرتفعا الا بعد التعويض على عكس عينة الذكور حيث كان لهذا الاختبار ولاختبار النشاط العام G معامل ثبات مرتفع .

ويلاحظ أننا لم نستطع حساب درجة ثبات لاختبار درجات اليقين لبرنجلمان فى المتغير الثالث به وهو — ٢ وذلك لأن معظم الدرجات عليه كانت صفرا وهذا ما لا يتيح فرصة تقسيمها الى قسمين .

ثانيا : قمنا بحساب الارتباطات الداخلية بين المتغيرات لنتبين ما اذا كانت تقيس كلها شيئا واحدا يمكن أن نطلق عليه بعد استخدام التحليل العاملى اسم عامل التوتر النفسى وقد كانت النتيجة كالآتى .

جدول رقم (٢) يبين مصفوفه ارتباطيه

لبطارية التوتر داخل عينه الاناث

[illegible]			?.R.F			G	Drive	R,CPI	R.N	E.R.W			
-2	+2	-	-2	+2	T					-2	+2	T	
												**٧٠ر	E.R.W +2
											١٤ر	**٨٠ر	E.R.W -2
										**٣٢ر	١٤ر	**٦١ر	R.N
									٤٧ر	١٥ر	١٤ر	١٨ر	R,CPI
								**٢٨ر	**٢٥ر	٠٨ر	**٣٣ر	*٢٠ر	Drive
							**٣٢ر	**٢٥ر	**٢٧ر	١٣ر	**٢٨ر	**٢٧ر	"G"
						**٢٠ر	٠١ر	-٠٢ر	٠٧ر	٠٧ر	١٨ر	١٥ر	E.R.F T
						**٢٤ر	*٢١ر	٠٤ر	٠٤ر	٠٨ر	١١ر	٠٦ر	E.R.F +2
				٠٧ر	**١٦ر	١٩ر	-٠١ر	-٠٨ر	٠٥ر	٠٩ر	١٥ر	١٥ر	E.R.F -2
			٠٩ر	-١١ر	-٠١ر	-٠٤ر	١٤ر	*١٩ر	١٥ر	-٠٢ر	٠٢ر	-٠٦ر	[illegible] T
		**١٦ر	٠٢ر	-٠٨ر	-٠٥ر	-٠٢ر	١٢ر	٢٢ر	١١ر	-١١ر	-٠٢ر	-٠٨ر	[illegible] +2
	-١١ر	١٣ر	*٢٨ر	-٠٦ر	١٣ر	-٠٧ر	٠٦ر	-١١ر	١٦ر	-١١ر	-٠٣ر	١١ر	[illegible] -2
١٢ر	-١٧ر	-١٩ر	-١١ر	-[illegible]	٠٧ر	-٠٧ر	٠٤ر	٠٣ر	٠٦ر	١٢ر	٠٣ر	١١ر	Psycho-galvano-meter

جدول رقم (٣) يبين مصفوفه ارتباطيه
لبطارية التوتر داخل عينة الذكور

	E.R.W T	E.R.W +2	E.R.W -2	R.N	R,CPI	Drive	"G"	E.R.F T	E.R.F +2	E.R.F -2	برنكان T	برنكان +2	برنكان -2
E.R.W T													
E.R.W +2	٧٩ر**												
E.R.W -2	٨٦ر**	٣٨ر**											
R.N	٣٧ر**	٤١ر**	٢٣ر*										
R,CPI	٢٩ر**	٣١ر**	٣٤ر**	٥٦ر**									
Drive	٣٢ر**	٣٢ر**	٢٦ر*	٣٢ر**	٤٥ر**								
"G"	٢٩ر**	٢٨ر**	٢٣ر*	٢١ر*	٢١ر*	٢٦ر**							
E.R.F T	٠٢ر	١٥ر	-٠٩ر	١٤ر	-٠٣ر	٠٩ر	٠٧ر						
E.R.F +2	١٤ر	٢١ر*	٠٤ر	١٢ر	٠٨ر	١١ر	١١ر	٧٤ر**					
E.R.F -2	-١٤ر	-٠٣ر	١٩ر*	٠٥ر	-١٦ر	٠١ر	-٠٣ر	٥٧ر**	١١ر				
برنكان T	١١ر	١٣ر	٠٦ر	١٦ر	٠٩ر	٠٩ر	٠٩ر	١٦ر	٢١ر*	-٠٩ر			
برنكان +2	١١ر	١٢ر	٠٦ر	١٧ر	٠٨ر	٠٩ر	٠٩ر	١٤ر	١٩ر*	-٠٢ر	١٨ر**		
برنكان -2	-٠١ر	٠٣ر	-٠٢ر	-٠٩ر	٠٥ر	١١ر	-٠٢ر	٠٩ر	٠٣ر	-١٠ر	٠٢ر	١٩ر*	
Psychogalvanometer	١٤ر	١١ر	١٢ر	٠١ر	١١ر	١٢ر	-٠٩ر	١٦ر	٠٧ر	١٦ر	-٠٢ر	-٠٩ر	٠١ر

يتضح لنا من فحص نتيجة معاملات الارتباط أن الارتباطات بين الاختبارات مرتفعة ومقبولة احصائيا كما دل الارتباط بين اختبارات سبق استخدامها فى البحوث لقياس التوتر النفسى وبين غيرها من الاختبارات على صلاحية البطارية لقياس مستوى التوتر النفسى العام علما بأن اختيارنا لهذه الاختبارات كان من واقع البحوث والدراسات السابقة التى استخدمت سواء نفس هذه الاختبارات أو اختبارات مشابهة لها • كما قامت على نفس الفكرة العامة التى كانت فى ذهن الباحث عن مستوى التوتر النفسى العام •

ولكن اذا ألقينا نظرة سريعة على معاملات الارتباط بين مصفوفتى الارتباط داخل عينة الاناث وعينة الذكور • اتضح لنا أن الاختبارات أو المصفوفة وكأنها تنقسم الى قسمين واضحين قسم الاختبارات اللفظية وقسم للاختبارات الادائية حيث اختلف الارتباط بينهما اختلافا واضحا بحيث نستطيع أن نقول فى المتوسط بأن الارتباطات بين الاختبارات اللفظية كلها (تلك التى كانت من نوع الورقة والقلم والتى طبقت جمعية) كانت مرتفعة ومقبولة احصائيا •• حقيقة أنها كانت داخل عينة الذكور أوضح منها فى عينة الاناث الا أن هذا لا ينفى حقيقة أنها كانت فى المتوسط مرتفعة ومقبولة وذلك فى مقابل الاختبارات الادائية التى انخفضت الارتباطات فيها بشكل واضح (س • الملا ١٩٧١) •

وقد وجدنا أنفسنا أمام حقيقة تدعونا للتساؤل : هل يعنى هذا أن الاختبارات اللفظية كانت أصلح لقياس التوتر النفسى من الاختبارات الادائية • بحيث تكون بطارية من هذه الاختبارات ونعتبرها صالحة لقياس التوتر النفسى • • • والواقع أن ما يحسم لناالاجابة على هذا السؤال هو ، هل يوجد بينها عامل عام وأى الاختبارات كانت أكثر تشبعا به بحيث نستطيع أن نعتمد عليها ونكون منها بطارية لقياس التوتر •

نتيجة التحليل العاملى : تكونت البطارية المستخدمة فى حساب التحليل العاملى من ١٤ متغيرا فى كل عينة من عينتى البحث وهو عدد كاف من العوامل لأن هدفنا هو التحقق من وجود عامل عام يمكن أن يطلق عليه اسم عامل التوتر النفسى العام • وقد سبق أن أجريت بحوث تجريبية على هذه الاختبارات للتأكد

من صلاحيتها كأداة تجريبية كما تضمنت البطارية اختبارين سبق استخدامها بنجاح وهما اختبار الصداقة الشخصية واختبار تفضيل الاشكال • وهذا وقد كانت معظم معاملات الارتباط التى تكونت منها المصفوفة الارتباطية التى استخلص منها التحليل العاملي ذات دلالة احصائية • وقد أدى التحليل العاملي الى استخلاص ستة عوامل لدى كل من عينتى البحث ويوضح الجدول الآتى مصفوفة العوامل المستخلصة فى عينتى البحث دون تدوير •

جدول رقم (٤) يبين مصفوفة العوامل لدى
عينة الانــاث دون تدويــر

العامل المركزى / اسم المقياس	١	٢	٣	٤	٥	٦	قيمة الشيوع
E.R.W.T.	,٧٥	,٢٤—	,٠٢—	,٣١	,٤٢	,١٥	,١١٠
E.R.W.+2	,٦٤	,١١—	,٠١—	,٠٠٤—	,٤١	,٢٩	,٦٨٣
E.R.W.—2	,٥٦	,٢٤—	,٣٠	,٣٧	,٢٣	,٣٩	,٨١٨
R.N.	,٦١	,٢٢	,٢٤	,٠٣	,٤١	,١٤	,٦٦١
R,CPI	,٤٧	,٣٩	,٣٤	,٢٧	,٢٧	,١١	,٦٥٧
Drive	,٥١	,٢٨	,٢٤	,٢١—	,٢٧	,٣٦	,٦٣٥
"G"	,٥٩	,٠٣	,٠٤	,٣٥	,٠٨	,٢٧	,٥٤٦
E.R.F.T.	,٤٩	,٢٢—	,٧٩	,٢٠—	,٠١	,١٣	,٩٧٥
E.R.F.+2	,٣١	,٢١—	,٤٧	,٥٨	,٠٣—	,٤٤	,٩٠٢
E.R.F.—2	,٣٧	,٠٧—	,٦٢	,٣٨	,٠٦	,٣٣	,٧٨٦
برنجلمان T	,١١	,٩١	,٢٢	,٢٢	,١٣—	,١٣	,٩٧٠
برنجلمان +2	,٠٦	,٩٢	,١٦	,٠٩	,٢٢—	,١٦	,٩٦٠
برنجلمان —2	,١٨	,٠٤—	,٢٦	,٥٩	,٣٤	,١٦	,٥٩٠
Psycho galvanometer	,١٠	,٢٧	,٠٦—	,٣٧	,٤٨	,٣٢	٥٦١

جدول رقم (٥) يبين مصفوفة العوامل لدى
عينة الذكور دون تدوير

العامل المركزى / اسم المقياس	١	٢	٣	٤	٥	٦	قيمة الشيوع
E.R.W.T.	,٨٣	,٣٨	,٠٠٧	,١٥—	,٣٢	,١٦—	,٩٧٩
E.R.W.+2	,٧٥	,١٤—	,١٠	,١٤—	,١٥	,١٠—	,٦٤٧
E.R.W.—2	,٦٥	,٤٥	,٠٧—	,١٢—	,٣٦	,١٥—	,٧٩٨
R.N.	,٦٤	,٠٤	,٠١	,١٢	,٤٦	,٠١	,٦٣٨
R. CPI	,٦٣	,٢٧	,٠١—	,٢٠	,٤١	,٢٨	,٧٥٥
Drive	,٥٦	,١١	,١١	,٢١	,٣٢	,٢٣	,٥٤٧
"G"	,٤٥	,٠٩	,٠٣—	,١٥—	,٠٧	,٣٠	,٣٣٣
E.R.F.T.	,٣١	,٧٣	,٥٤	,١٨—	,٠٨	,٠٨	,٩٦٥
E.R.F.+2	,٣٧	,٥٨	,٢٣	,٥٩	,٠٣	,٢٠	,٩١٢
E.R.F.—2	,٠٢	,٣٦	,٥٢	,٤٦	,٢١	,٣٩	,٨١٦
رنجلمان T	,٣٩	,٥٨	,٦٤	,٢٥	,١٦	,٠٣	,٩٨٦
رنجلمان +2	,٣٩	,٥٦	,٦٩	,١٧	,٠٦	,٠٩	,٩٩٧
رنجلمان —2	,٠٢	,٠٣	,٣٣	,٣٦	,٥١	,٦٧	,٩٤٩
Psycho galvanometer	,١٨	,٠٦	,٣٥	,٣٣	,٠٥	,٣٤	,٣٩٢

وعند محاولتنا تفسير العوامل اتضح أن العامل الأول المستخلص فى كل عينة من عينتى البحث واضح المعالم من ناحية معناه ودلالته أما بقية العوامل فقد أظهرت غموضا جعلت تفسيرها دون تدوير للمحاور أمرا غير متيسر وقد دعانا ذلك الى القيام بعملية تدوير للمحاور فى كلتا العينتين وتم تدوير المحاور تدويرا متعامدا بطريقة الفاريماكس •

جدول رقم (٦) يبين العوامل فى عينة الاناث بعد تدوير المحاور تدويرا متعامدا بطريقة الفاريماكس

العامل المركزى / اسم المقياس	١	٢	٣	٤	٥	٦	قيمة الشيوع
E.R.W.T.	,٥٣	,١٦—	,٣٧	,٥١	,٣٩	,٣٨	,١١١
E.R.W.+2	,٧٤	,١٥—	,١٣	,٢٤	,١٢	,١٣—	,٦٨٤
E.R.W.—2	,٤٦	,٠٧	,١٤	,٨٥	,٠٤—	,٢٣	,٨١٨
R.N.	,٧٥	,١٠	,٠٣—	,٠٣	,١٥	,٢٣—	,٦٦١
R, CPI	,٣٥	,٤٤	,٢٨	,٢٥	,٣٦	,٢٥—	,٦٥٨
Dirve	,٧٧	,١٨	,٠٢	,٠٥	,٠٧—	,٠٤	,٦٣٥
"G"	,٣٩	,٠٦	,٠٦	,٢٠	,١٢	,٦٧—	,٥٤٦
E.R.F.T.	,٠٧	,٠١—	,٨٧	,٤٥	,٠٦—	,٠٧—	,٩٧٥
E.R.F.+2	,٠١	,٠٥	,١٤	,٨٧	,٣٢	,٠٨—	,٩٠٢
E.R.F.—2	,٠٦	,١٦	,٤٠	,٧١	,٣١	,٠٩—	,٧٨٦
رنجلمان T	,٠٥	,٩٧	,٠١-	,٠٥	,١١	,٠٧—	,٩٧١
رنجلمان +2	,٠٥	,٩٨	,٠٢—	,٠١—	,٠٤—	,٠٩	,٩٦٧
رنجلمان —2	,٠١—	,٠٤—	,٠٨	,٢٤	,٦٢	,٣٧—	,٥٩١
Psycho galvanometer	,٣٩	,٢٢	,١٧—	,١٣	,٥٤	,٠٨	,٥٦١

جدول رقم (٧) يبين العوامل فى عينة الذكور
بعد تدوير المحاور تدويرا متعامدا بطريقة الفاريماكس

العامل المركزى / اسم المقياس	١	٢	٣	٤	٥	٦	قيمة الشيوع
E.R.W.T.	,٩٨	-,٠٣	-,٠١	,٠١	-,١١	-,٠٩	,٩٧٦
E.R.W.∓2	,٧٦	,٠٥	,١٦	,٠٢	-,٢٠	-,٠٦	,٦٤٧
E.R.W.—2	,٥٣	,٠٨	,٤٧	,٥١	,٠٢	-,١٢	,٧٩١
R.N.	,٣١	,٠٥	,٠٨	,٠٣	-,٧٢	-,٠٢	,٦٣٨
R, CPI	,٥٢	,١٣	,٢٣	,٥١	-,٠٤	,٣٨	,٧٥٢
Drive	,٥٨	,٤١	,٠٤	,١٧	-,٠٨	,٤١	,٥٤٣
"G"	,٤٢	,٣٤	,٠٣	,٠٧	-,١٢	,١٢	,٣٣٣
E.R.F.T.	,٠٧	,٥٥	,٩٦	,٠٩	,٠١	,٠٤	,٩٦٢
E.R.F.∓2	,٠٣	-,١١	,٥١	,٤٤	-,٣٧	,٥٤	,٩١٥
E.R.F.—2	-,٠٩	-,٠٤	,٤٤	,٠٩	,٠٢	,٧٧	،٨١٦
رنجلمان T	,١٦	,٠٨	,٨٥	,١٣	-,١٠	,٤٤	,٩٨٦
رنجلمان ∓2	,١٤	-,١١	,٩١	,٠٣	-,١٤	,٣١	,٩٨٦
رنجلمان —2	,٠٨	,١٣	,٠٤	,٠٨	,٢٩	,٩١	,٩٤٨
Psycho galvanometer	,٠٣	,٠٣	,١٨	-,٠٤	-,٢٤	,٥٥	,٣٩٣

وكمحاولة لالقاء الضوء على فروق التوتر بين البنين والبنات استخرجنا المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى لكل متغير من متغيرات التوتر داخل كل عينة من عينتى البحث وقد كانت النتيجة كالآتى :

جدول رقم (٨) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» لعينة الذكور وعينة الانـاث

إسم الإختبار	عينة الاناث م	عينة الاناث ع	عينة الذكور م	عينة الذكور ع	قيمة « ت »
E.R.W.T.	٢٩,٦١	٩,٨٥	٣٠,٧١	١٢,٥٩	,٦٨
E.R.W.∓2	١٢,٢٩	٥,٩١	١٣,٨٢	٦,٧٧	١,٦٨
E.R.W.—2	١٧,٣٢	٧,٠٨	١٦,٨٩	٨,٣٢	,٣٩
R.N.	٣٤,٨٣	٦,٤٨	٣٤,٦٨	٧,٦٨	,١٣
R, CPI	٢٢,٠٢	٣,٣٤	٢١,٠١	٤,٩٨	١,٥٥
Drive	١٧,٥٧	٤,٦٧	٢٠,٨٥	٥,١٣	٤,٣٥ **
"G"	١١,٤٨	٤,٢١	١٣,٦٧	٤,٢١	٣,٦٥ **
E.R.F.T.	٢٠,٦٧	٨,٣٥	٢٠,٣١	٨,٩٧	,٢٨
E.R.F.∓2	١٣,٩٥	٦,٦١	١٤,٢٧	٧,٣٨	,٣٣
E.R.F.—2	٦,٧٢	٥,٥٩	٦,٠٤	٥,٩٧	,٨٤
برنجلمان T	٣,٤٢	٢,٧٣	٣,٨٤	٢,٤٥	,٣٨
برنجلمان ∓2	٣,٢٣	٢,٧٢	٣,٦٧	٢,٤٩	١,٢٢
برنجلمان —2	,١٩	,٦٧	,١٧	,٤٧	,٢٨
Psycho-galvanometer	٧٩,١٥	٤٩,٩٨	٦٥,٣٥	٣٩,٣٨	٢,١٦ *

* له دلالة احصائية عند درجة ٥.ر

** له دلالة احصائية عند درجة ١. ر

هذا وقد جرى حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية ومربعات الانحرافات على الحساب الالكترونى التابع لجامعة القاهرة وقامت الباحثة باستخراج قيمة « ت » .

أظهرت نتائج التحليل العاملى أن هناك عاملا عاما يمكن أن يطلق عليه اسم عامل التوتر النفسى ذلك لأن جميع الاختبـارات تقريبـا كانت مشبعة به وذلك بالنسبة لعينتى البحث مما يؤكد صحة النتائج وبناء على المقدمات السابقة يمكن أن تفسر هذا العامل بأنه عامل التوتر •

وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسات Duffey ودراسات Freeman, wenglr ودراسات الدكتور سويف ١٩٦٢ ــ ١٩٦٨ وبحوث الدكتور فرغلى ١٩٦٥، ١٩٦٩ وبحث عبد الحليم محمود ١٩٦٨ (س • الملا ١٩٧١) •

هــذا وقد كانت التشبعات على العــامل الأول فى عينتى البحث ، الذكور والاناث تشير الى وجود عامل يمكن أن نصفه بأنه عامل التوتر النفسى هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نلاحظ أن طبيعة العوامل قد اختلفت بعد التدوير عنها قبل التدوير اختلافا جعلنا نستطيع أن نحسم الاجابة على الســؤال الذى أثرناه الخاص بالفروق بين الاختبارات اللفظية والاختبارات الأدائية وأيها أصلح لقياس التوتر النفسى •

ذلك أنه قد اتضح عند فحص العامل الأول حتى قبل التدوير أن أعلى التشبعات عليه كانت للاختبارات الخمسة الأولى أما الاختبارات الثلاثة الأخيرة ورغم أنه كان لها قدر من التشبع الا أنه يعتبر ضعيفا بالنسبة لسائر الاختبارات ثم اتضحت هذه الحقيقة أكثر من ذلك بعد التدوير اذ لم يتشبع عليه الا الاختبارات الخمسة الأولى فقط وقد كانت تشبعاتها مقبولة لحد كبير وهذا فى عينتى البحث، الأمر الذى يدعونا لأن نقول بقدر أكبر من الثقة أن الاختبارات الخمسة الأولى وهى تغطى سبعة متغيرات للتوتر تصلح معا كبطارية لقيــاس التوتر النفسى بينما لا تصلح الاختبارات الثلاثة الفردية •

ويمكننا الآن أن نستخلص بطارية مكونة من الاختبارات الآتية لقيــاس سمة التوتر :

١ ــ اختبار الصداقة الشخصية (الاستجابات المتطرفة اللفظى)

٢ ــ اختبار التصلب لنجنوتسكى

٣ ــ اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا

٤ ــ اختبار شدة الدافع

٥ ــ اختبار حالة النشاط العام

حيث اتضحت صــلاحية هذه الاختبارات من واقع نتــائج البحث لقياس التوتر النفسى •

مناقشة النتائج

قامت فكرة الفروق الجنسية فى التوتر على أساس مالاحظناه من أن اختبارات التصلب كانت أكثر تمييزا بين المجموعات فى علاقة التوتر بالابداع فى اتجاه الاناث فى حين أن اختبارى شدة الدافع والنشاط العام كانا أكثر تمييزا فى نفس هذه الحالة فى عينة الذكور،فقمنا باستخراج المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى ثم قارنا بينهما باستخدام اختبار « ت » وبالكشف عن دلالة الفروق تبين أنه لم يكن لأية قيمة منه دلالة احصائية الا فى اختبارى شدة الدافع واختبار النشاط العام حيث كان مرتفعا فى عينة الذكور اذ وصل الى ٢٠ر٨٥ بينما كان متوسط عينة الاناث ١١ر٤٨ الأمر الذى يوحى بميل هذين الاختبارين للتميز بين البنين والبنات فى اتجاه الدرجة المرتفعة للبنين ولم تكن لسائر المعـاملات دلاله الا فى مقياس السيكوجلفانوميتر اذ كانت دلالة احصائية عند مستوى ٠٥ر٠ والواقع أن بعض معاملات أخرى قد ارتفعت ولكنها لم تصل لحد الدلالة الاحصائية •

ونعود بهذا للفكرة التى قدمناها من أن الاختلاف بين الجنسين فى التوتر قد لا يكون اختلافا كميا بقدر ما هو اختلاف كيفى أى أن الجنسين قد يخبران نوعا من التوتر الدافع ولكن طبيعته تختلف فيكون فى حالة الذكور فى اتجاه الدافع أو النشاط العام بينما يكون لدى الاناث فى اتجاه التصلب أو الجمود •

وقد اتفقت هذه النتيجة مع بحوث التطرف التى قام بها الدكتور سويف فقد كان من ضمن فروض البحث الذى قام به ١٩٥٨ والخاص بالفروق بين الجانحين فى مستوى التوتر النفسى (سويف ١٩٥٨) أن الباحث قد توقع أن يصدر عن الاناث عدد من الاستجابات المتطرفة أكثر مما يصدر عن الذكور • وقد أيدت هذا التنبؤ تنائج المقارنة داخل فئات الراشدين من المسلمين والمسيحين فالفروق بين الذكور والاناث فى كل من الحالين جوهرية •

وكذلك صح التنبؤ فى حالة المراهقين المسيحيين فالاستجابات المتطرفة عند الاناث أعلى منها عند الذكور • أما فى مجموعة المراهقين المسلمين فقـد تبين أن الفرق بين الذكور والاناث يمضى فى اتجاه مضاد لاتجاه التنبؤ وأن وسيط الذكور أعلى جوهريا من وسـيط الاناث • فأعاد الباحث النظر فى مجموعتى المراهقين

والمراهقات المسلمات من حيث توزيع الاعمار في كل منهما فقد تبين أنهما لا يعتبران عينتين متجانستين فبينما يقع ٦٤٪ من الذكور فى مرحلة المراهقة المبكرة (فوق سن البلوغ الجنسى وتحت سن ١٦ سنة) يقع ١٦٪ فقط من الاناث فى هذه الفئة ومن ثم فقد افترض الباحث أن هذا الفرق بين العينتين ربما كان هو المسئول الرئيسى عن التعارض بين النتيجة والتنبؤ وبالتالى قسم كلا من العينتين الى مجموعتين فرعيتين هما : مجموعة المراهقة المبكرة ومجموعة المراهقة المتأخرة . وبالمقارنة بين كل من المجموعتين لدى الاناث والمجموعة التى تناظرها لدى الذكور من حيث الاستجابة المتطرفة تبين أن الفرق لم يعد ذا دلالة احصائية الا أنه لا يزال فى اتجاه مضاد للتنبؤ . وذكر الباحث هنا أن ضبط المتغير الاجتماعى الاقتصادى فى العينتين ، أى جعلهما متكافئتين من هذه الزاوية كان من شأنه أن يجعل النتيجة مؤيدة للتنبؤ .

وكان هذا ما ظهر لديه فعلا عند فحص الفرض الخاص بالفروق بين المستويات الاجتماعية الاقتصادية ، وقد اتفق مع تحليل برنجلمان على ما يوجد بين الفئات المهنية المختلفة من حيث الميل للاستجابة المتطرفة . وهذا قد يصدق على نتائج هذا البحث فقد كان من الممكن عند ضبط متغير المستوى الاجتماعى الاقتصادى أن تصل الى نتائج أبعد من هـذا حيث يكون من المحتمل أن يرتبط التوتر النفسى بالمستوى الاجتماعى الاقتصادى .

ولعل البحث الذى قامت به الدكتورة صفاء الأعسر بعنوان « الفروق الجنسية فى الجمود » (ص. الأسر ١٩٦٤) مايساعد على توضيح هذه النتيجة ، هذا وقد استخدمت الباحثة الجمود بمعنى التصلب وقد كان الفرض الاساسى الذى وضعته الباحثة أن الاناث كن أكثر جمودا من الذكور (هـذا مع ملاحظة أنها قد حددت مجالين فقط للتصلب هما المجال الاجتماعى والمجال الادراكى) وقد وجدت الباحثة عاملا عاما فسرته بأنه التصلب ، كما وجدت أن الاناث كن أقرب للتصلب من الذكور وقد فسرت ذلك بالفروق الجنسية فى عملية التنشئة الاجتماعية والى القيود الشديدة التى يضعها المجتمع على البنت فى حين أنه يتساهل مع الولد ومن ثم يمكن أن يكون الولد أكثر انطلاقا ودافعيه وأكثر قدرة على التعبير والاندفاع نحو أهدافه ونشاطه العام بعكس البنت التى تجعلها ظروف البيئة أقل تعرضا للخبرات وأكثر تحديدا وبالتالى تدفعها الى تكوين أنماط ثابتة من

الإستجابات تتناسب مع حاجات المواقف المحددة التى تمر بها وتجعلها أقل اندفاعا وأقل اقداما وأقل نشاطا وأقل ايجابية وأكثر تمسكا بالتقاليد والانماط السلوكية التى سبق أن اكتسبتها .

كما أوضح الاختبار الثالث الخاص بالجانب السلوكى فيما يتعلق باتباع نظام ثابت فى نواحى الحياة المختلفة وتدور فقرات الاختبار حول أوجه النشاط اليومية التى يقوم بها الفرد فى نواحى الحياة مثل عادات الاستذكار واختيار الملابس وركوب وسيلة مواصلات معينة ... الخ .

كما يتناول الاختبار الكشف عن استجابة الفرد لأى تغير غير متوقع فى النظام اليومى ولعلنا نلاحظ أن الاختبار بهذا الوصف شبيه باختبارى التصلب الذين استخدمنا هما فى بحثنا الحالى.وقد بينت الباحثة أن الاناث كن أكثر تقييدا بنظام ثابت من الذكور وقد فسرت النتيجة بأن المجتمع خلال عملية التنشئة الاجتماعية يضع قيودا على البنت فهى ممنوعة من أى سلوك لا يرضاه المجتمع والا تعرضت للعقاب واثارة مشاعر الذنب مما يكون لديها شعورا عاما بتوقع العقاب ولهذا وتفاديا لمشاعر الذنب وهروبا منها فان البنت تضع لنفسها تخطيطا دقيقا يتضمن ما يقبله المجتمع وتستبعد كل ما يثير غضبه ، أى أنها تقيد سلوكها فى خطوط محددة تضمن لها رضاء المجتمع ويكون هذا التقييد فى بادىء الأمر مقصورا على المواقف التى تثير التوتر وتجلب الشعور بالذنب ولكنها بعد ذلك تعمم هذه الوسيلة على كافة جوانب سلوكها وحياتها .

هذا وقد وجدت الباحثة أن تنظيم سمة التصلب أقوى فى الاناث عنها فى الذكور وأن كان الفرق ليس كبيرا ولكنه يشير لاتجاه عام للاناث لأن يصبحن أكثر تصلبا من الذكور ــ كما سبق أن وجدت دراسات كثيرة فروقا بين الجنسين فى سمة التصلب .

ومن المعروف أن الطالبات فى هذه السن وفى مجتمع شرقى يرغبن فى الظهور بمظهر طيب وبخاصة فيما يتصل بالسلوك الاجتماعى وهو غالبا سلوك لاشعورى نسميه أحيانا سلوكا دفاعيا وفى الحالات المتطرفة غشا أو تزييفا بصرف النظر عن معرفتهن بحقيقة أمرهن (ل . كامل ١٩٦٣) أى أن النزعة الى الظهور بالمظهر الاجتماعى اللائق تحرص عليه الفتاة فى مجتمعنا أكثر مما يحرص عليه الفتى .وفى

كثير من الأبحاث التى استخدم فيها مقياس التقدير الذاتى للشخصية والتى طبقت على مجموعات من الذكور والاناث الراشدين تبين أن هناك فرقا بين الجنسين فى النواحى الانفعالية ومما يمثل هذه الدراسات بحث التقدير الذاتى بمقاييس بر برويتر Bernreuter وكان من نتائج تطبيقه أن تبين أن الرجال أكثر ثباتا من النساء وأنهم أكثر اعتمادا على أنفسهم من النساء • ومما يستدعى النظر أن اختبارات الاستعدادات والاتجاهات العصابية للأفراد الأصغر سنا أثبتت أنه لا توجد هناك فروق بين أفراد الجنسين الذين تقل أعمارهم عن الرابعة عشر ومثل هذه النتيجة ترجح الأثر المتزايد للجو الاجتماعى لكل من الجنسين مع تزايد العمر وخاصة من ناحية ضغط التقاليد بعد سن البلوغ • وهناك فروق أخرى فى كثير من سمات الشخصية بينتها الابحاث المختلفة التى أجريت على أفراد من جميع الاعمار ابتداء من مرحلة الحضانة الى مرحلة التعليم العالى • بل وما بعد ذلك •

وقد استخدمت فى هذه الأبحاث طرق شتى تضمنت دراسة تاريخ حياة الأفراد وتتبعهم وكذلك الملاحظة المباشرة للسلوك فى المواقف المختلفة كما تضمنت دراسة التقارير المدرسية وآراء الآباء ومناقشة كل ذلك فى مقابلات منتظمة • واشتملت على تطبيق الاستخبارات وكثير من الاختبارات السيكولوجية ومن أوضح الاختلافات التى بينتها هذه الأبحاث تغلب ميل الذكور الى الاعتداء والى بذل النشاط الحركى والجهد الشديد وتغلب ميل الاناث الى الانطوائية والجمود (مراد ، ١٩٥٦) •

ولا شك أن دراسة مميزات السلوك لكل من الجنسين فى مختلف الحضارات تقدم لنا تفسيرات هامة لتحليل مصدر التباين وأسبابه فلو أن أساس الاختلاف يرجع الى أسباب وراثية بيولوجية صرفه لتوقفنا مسلكا موحدا عاما لجميع الذكور وجميع الاناث ولو كان السبب فى الاختلاف يرجع الى العوامل البيئية فأننا نتوقع أن تختلف المميزات الخاصة لكل من الجنسين من بيئة لأخرى بناء على الأجواء الحضارية • والواقع أن الأمر لم يحسم حتى الآن بشكل كاف (Anastasi 1958) فقد تبين أن هناك فروقا كبيرة بين الجنسين فى معظم الصفات الجسمية ومنها بناء الجسم بما فى ذلك الهيكل العظمى والتكوين العضلى العام سواء فى ذلك العضلات الكبيرة أو الدقيقة ، وكذلك يختلف الجنسان فى الوظائف الفسيولوجية والتكوين الكيميائى لبعض الافرازات وربما يمكن

أن ترجع بعض الاختلافات السيكولوجية بين الجنسين الى تلك الفروق الجسمية، فمن الجائز مثلا أن يكون ميل الذكور الى السيطرة والاعتداء والحيوية وما يصاحبها من نشاط عضلى راجعا الى الاختلاف فى الطول والوزن والتركيب الجسمى وقوة العضلات والسعة الحيوية • وهناك آراء تقول أن هذه الفروق بين الجنسين تدخل ضمن العوامل التى تسبب الفروق بين الجنسين فى أنواع اللعب التى يميلون اليها ، وحبهم للنشاط والمغامرة والمخاطرة واختلاف قدرتهم على العمل والانتاج ويمكن أن يقال كذلك أن الفروق المميزة بين الجنسين فى سرعة النضج الجسمى وطول الأعمار ربما يكون لها بعض التأثير على السلوك وتطوراته سواء كان تأثيرا مباشرا أو غير مباشر • وكل هذه العوامل تؤدى الى آثار عضوية وحضارية من شأنها بدورها أن تؤثر فى نمو الشخصية عند الجنسين•

وفى أى مناقشة عن أثر العوامل التكوينية فى السلوك يجب أن نحذر الوقوع فى التعميم المسرف كما يجب أن نلاحظ أن العوامل البيولوجية والعوامل البيئية متداخلة الى حد كبير •

يتضح من هذا أن الأمر أصبح محتاجا لتبين تنظيم سمة التوتر داخل عينة من الذكور وعينة من الاناث وهذا ما ننوى أن نواصل البحث فيه فقد أصبحت بحوث الفروق بين الجنسين تحتل مركزا ممتازا فى مجال علم النفس الفارق وذلك لأسباب عدة منها أن كثيرا من المجتمعات الانسانية تميز فعلا بصورة رسمية أو غير رسمية بين الرجل والمرأة فى أكثر من مجال تعليمى • كما أن التنشئة الاجتماعية تعمل على أن يتعلم الذكر والأنثى الدور المعين المرسوم لكل منهما فى المجتمع المعين ويعتبر المجتمع من يخرج عن الدور المرسوم لجنسه مشخصا منحرفا • لأن الناس فى مجتمع معين يتوقعون من الذكر غير ما يتوقعون من الأنثى من خصائص سلوكية وسمات شخصية ونتيجة لذلك فان الذكر ينشأ فى بيئة اجتماعية ونفسية قد تختلف الى حد كبير عن البيئة التى تنشأ فيها الأنثى فى مجتمع من المجتمعات • كما أنه نتيجة لذلك تختلف كمية ووجهة الفروق بين الجنسين من مجتمع لآخر أى أن توقعات الناس وبالتالى الدور الذى يلعبه كل من الذكر والأنثى يختلف باختلاف المجتمع ، وهذه حقيقة كثيرا ما نتجاهلها فى ادراكنا لدور كل من الرجل والمرأة وذلك بالرغم من أنه يصعب تفسير أى دراسة من الدراسات فى موضوع الفروق بين الجنسين الا فى ضوء العوامل الاجتماعية والحضارية •

SEX DIFFERENCES IN TENSION

By

SALWA SAMI EL-MOLLA ph.D.

Lecturer in psychology — Faculty of ART — Cairo University

This study deals with the problem of sex differences in tension. While undertaking a research for the ph.D. thesis entitled «Creativity and psychological tension» the author noticed that tension in case of females differ from its character in case of males. Female tension was tied to creativity in the direction of rigidity, while male tension was in the direction of motivation or the state of general over activity of the individual. Hence came the assumption that the difference between the two sexes might be attributed to the nature of tension rather than to its existance, this means that both sexes experience a feeling of motivating tension, though its nature is different in females than in males. Therefore, we tried to verify this result from among the results of the research.

For this purpose, we used a series of tests which measure tension as expressed by the degree of extreem responses, rigidity and the state of the individual's general over activity. The tests were applied to a sample of 200 students (100 male students and 100 female students) of the Faculty of Arts. Cairo University, who were in the age range of 17 to 25 years. Two session were held, the first was collective and the other individual.

To make sure that the tests could be dependable as experimental tools for measuring the level of psychological tension, suitable statistical methods were used. The validity and reliability of the tests were calculated and ascertained the existence of a general factor of tension which means that tension was a trait of personality. We then compared the tension of both sexes by finding the value of T test for comparison of averages.

It was found that most factors had no statistical significence at the conclusion of the study, these assumption were discussed and we pointed out that further researches must be conducted so that these difference might be settled.

Dr. Salwa Sami El-Molla.

المراجـع

١ ـ الأعسر (صفاء . ى) دراسة تجريبية للفـروق الجنسية فى الجمـود ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٦٤ .

٢ ـ خيرى (أ . م) الاحصاء فى البحوث النفسية والتربويه والاجتماعية ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٥٦ الطبعة الثانية .

٣ ـ سويف (م.م) التطرف كأسلوب للاستجابة ، القـاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ الطبعة الاولى .

٤ ـ كامل (ل .) الفروق بين الجنسين فى سـمات الشخصية ، فصـله من حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس العـدد الثامن ـ ١٩٦٣ مطبعـة عين شمس .

5. Anastasi, A., Foley, J.P., *Differential psychology,* 2nd printing The Macmillan Company New York : 1953.

6. Garai, J.E., Scheinfeld, A., Sex differences in mental and behavioural traits, pratt Institut. psych. Monog.

7. Brown, M. H., Bryan, G.E., sex as a variable in Intelligence test performance., *Jour. of Educ.*, 1957, 48, 5, 273 — 277.

تغيرات نسبة المدنية العـامة فى دلتا النيل

(١٨٩٧ – ١٩٦٦)

ظواهر التغيرات وعواملها

للدكتور عمر الفاروق سيد رجب
جامعة عين شمس – كلية الآداب

مقدمة :

ليست « المدينة » ظاهرة حديثة فى دلتا النيل أو فى مصر كلها ، فهى تضرب بجذورها فى حضارتها منذ زمن بعيد ، بارزة فى تضاعيفها كعواصم وأسواق منذ بداية عصر الأسرات ، بل وقبل ذلك أيضاً كما تشير الدراسات ، حين انقسمت مصر – قبل توحيدها – إلى مقاطعات لها حدودها وجيوشها وأسواقها ، ويعد ظهور « الأسواق » دليلا على وصول الزراعة إلى مرحلة فوق حدية ، وعلى وجود فائض إنتاجى كاف بحيث يسمح بتداوله ، فضلا عن رسوخ الأساس الزراعى وتطور التنظيم الإدارى بدرجة دفعت إلى تحريك العلاقات الإقليمية بدرجة ما ، أخذت فى الاتساع والتنوع منذ ذلك الحين ، وكانت المدن والأسواق بطبيعة وظائفهما ، بمثابة الشكلين المناسبين عمرانياً لاستيعاب هذه العلاقات وتنظيمها وانعاشها .

وتشير الدراسات الأثرية . . إلى معظم مدن دلتا النيل الحالية باعتبارها تاريخية ، وفى كثير من الحالات فرعونية ، ويبدو أن التشكيلات الحالية لهذه المدن قد رسخت منذ ذلك الزمن البعيد ، فتَبدار تبطت المدنية فى الدلتا « بالزراعة » وتداعياتها الإنتاجية كأساس اقتصادى ، كما مثلت خطوط الدلتاالطبيعية وهوامشها–منذ بداية تعميرها– المحاور الأساسية لتوزع مدنها وأسواقها ، وذلك على طول فرعى النيل الرئيسين وفروعه الثانوية ، وساحل البحر المتوسط والخطوط الفاصلة بين الدلتا والصحراء فى الشرق والغرب ، وكانت الزراعة والمواصلات والحاجة للأسواق .. بمثابة العوامل الاقتصادية التى تحكمت بعد ذلك فى المسافات والتباعد المدنى على طول هذه الخطوط الطبيعية ، وأصبح النيل والزراعة والقرى والمدن والأسواق . . تمثل حقائق العمران الرئيسية فى الدلتا منذ ذلك الحين . ورغم ما تعرضت له الدلتا

من تغيرات شملت هذه الحقائق جميعها بتأثيراتها ، فهى ما تزال تشكل الإطار العام للعمران بها ، وإن أضيفت إليها – خاصة مع بداية القرن ١٩ – ظواهر أخرى معاصرة ترتبط بنمو الدلتا الحديث ، مثل الصناعة وشبكة المواصلات الحديثة . مما أدى إلى تنويعات جديدة فى الإطار العمرانى الدلتاوى بدرجات متفاوتة فى أنحائها .

والواقع أن وضوح نتائج هذه العوامل الحديثة فى الدلتا قرب نهاية القرن ١٩ ، كانت وراء تحديد المدى الزمنى لهذه الدراسة بين ١٨٩٧ – ١٩٧٢ ، حتى يمكن متابعة آثارها فى الدلتا ، وعلى الأخص بالنسبة لنموها الحضرى ، وقد أتيحت مثل هذه المتابعة ، بفضل مجموعة التعدادات المصرية التى أجريت بانتظام منذ ١٨٩٧ وحتى ١٩٦٠ ، كل عشر سنوات باستثناء محدود الأثر بين التعدادين الأخيرين ١٩٤٧ – ١٩٦٠ ، غير أنها قد توقفت – للأسف – بعد ذلك ، واعتمدت المتابعة بعد ١٩٦٠ على مجموعة من التقديرات تتفاوت فى دقتها فضلا عن تفصيلاتها وشمولها.

ورغم وضوح « المدينة » كفكرة فى الذهن العام . . وكظاهرة لها وجودها الواقعى ، إلا أن مقاييس التفرقة بينها بدقة وبين القرية – والريف – ما تزال غير فاصلة ، هل يكون المقياس وظيفة المركز السكنى Function ؟ أو يكون حجمه Size ؟ أو يكون احصائياً صرفاً ؟ أم على أساس الأمر الإدارى ؟ . وليس التحديد يسيراً فى الدلتا ، وبالأخص بالنسبة لمدنها من فئات الحجم الصغرى ، حيث تندمج فى ريفها حجماً ووظيفة ، وقد اعتمدت المقدمة التفسيرية لتعداد ١٩٦٠ على المستوى الإدارى وحده فى التمييز بين الريف والحضر ، فاعتبرت أن المدن هى (كل عواصم المحافظات والمراكز فى الدولة) ، إلا أن مثل هذا التحديد لا يضع فاصلا بأى درجة بين المدن الكبيرة الحجم من ناحية ، والكم الوفير من العواصم الإقليمية من ناحية ثانية ، كما أنه يعتمد على مقياس واحد فى تمييزه ، ولكن ، هل هناك إمكانية لتطبيق مقياس آخر فى دلتا النيل ؟

بالنسبة لمقياس الحجم أو التحديد العددى Numerical definition فقد أتيح مرة من قبل فى مصر ، عندما قسم « جومار » – من علماء الحملة الفرنسية – مراكزها السكنية إلى أربعة أنماط على هذا المقياس(١) ، وهو أيضاً من الأسس

(١) Jomard «Memoire sur la population compare de L'Egypte ancienne et moderne" Discription de l'Egypte, Vol. IX pp. 96—100

الشائعة لبساطته فى التعبير عن الظاهرة المدنية بعامة . غير أنه فضلا عن أن الحجم فى حد ذاته ليس دليلا على درجة المدنية الفعالة(١) ، فان هذا المقياس يواجه بمشكلة تداخل أحجام القرى والمدن فى دلتا . . بدرجة يصعب معها تحديد العتبة الاحصائية Threhold-Size التى تفصل بينهما ، فحسب أرقام ١٩٦٦ ، توجد ١٥ قرية يزيد حجم كل منها على ٢٠ ألف نسمة . أما التى يزيد حجم كل منها على ١٥ ألف نسمة فجملتها ٤١ قرية ، ويصل العدد إلى ١٤٨ قرية من فئة حجم + ١٠ آلاف نسمة ، ويزيد الكثير منها حجماً عن عديد من عواصم الدلتا ، حيث يوجد من بينها ٣ مدن أقل من ١٠ آلاف نسمة ، ٢٨ مدينة بين ١٠–١٥ ألف نسمة (٢) ، أى أن نحو نصف مدن الدلتا ذائبة حجماً بين قراها الكبيرة ، ومن العسير واقعياً إلغاء الصفة المدنية عنها لمجرد الحجم ، كما أن البناء الإدارى للدلتا يتعرض للاختلال – دون شك – فى حالة تحويل هذه القرى الكبيرة إلى مدن لمجرد الحجم أيضاً .

وقد يستهوى تباين المستوى الحضارى بين الريف والمدينة البعض لاتخاذه مقياس للتفرقة بينهما ، ولا شك أنه مقياس يتخطى باتساعه مقياس الحجم الصارم . فالمدينة تمثل نواة لنخبة مفكرة تشكل الرأى العام للإقليم ، وتتركز الخدمات الثقافية عالية المستوى – عادة – فى المدينة ، وقد يتخذ وجود المدرسة الثانوية دليلا على أن الحلة مدينية ، فضلا عن النادى والمسرح والسينما ، ويتصل بذلك كله المظهر المعمارى العام للمركز السكنى وارتفاع مسقطه الرأسى ، إلى غير ذلك من التفصيلات ، غير أن الحقيقة ، أنه باستثناء بعض المدن الكبيرة – التى لا شك فى مدنيتها – فان المدينة الإقليمية الدلتاوية المتوسطة – البندر التقليدى – تشكل وحدة مورفولوجية متشابهة الطابع والقالب والجو العام ، حتى ليؤكد « لوزاك » أن واحدة منها لا تعرف شخصية مدنية متميزة (٣) ، فالدلتا والزراعة بمثابة الإطار الطبيعى والنمط الاقتصادى اللذان يحتويان مدنها ويضفيان عليها سمات متشابهة ، وقد ظهرت معظم المدن الدلتاوية من أصول قروية . وما تزال « القرية » كامنة فى تضاعيفها بطرازها الدلتاوى القديم

(١) Sadek,D. 1961;" A medium-sized towns in the Urban patterns of Modern Egypt" Bull Soc. Geog. d'Egypte P. 115.

(٢) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء « النتائج النهائية لتعداد السكان بالعينة عام ١٩٦٦ » ، المجلد الثالث ، محافظات الوجه البحرى . يوليو ١٩٦٧ .

(٣) Lozach ,J. (1935, «Delta du Nil" Le Caire, P. 209.

أضيفت إليها إضافة مراكز الخدمة المدنية الحديثة ، ويضاف إلى كل ذلك مشكلة منهجية ، تتصل بصعوبة قياس هذه المظاهر الحضارية الكيفية بطريقة كمية دقيقة .

وقد اقترح — فى فترة سابقة — أنه يجب أن يتوفر شرطان لاعتبار قرية ما مدينة أن تكون بندراً لمركز ، أو أن يكون مضروباً على مبانيها العوائد(١) ، ولا يخرج الشرط الأول عن كونه اقتراحاً بتطبيق المقياس الإدارى ، أما الشرط الثانى ، فهو يغفل « وظائف » هذه المبانى المضروب عليها العوائد ، ولا شك أن تقرير العوائد على المبانى يعد دليلا على أن المركز السكنى قد أصبح اقتصادياً قادراً على تحمل عوائد غير عوائد الأطيان ، غير أن ذلك ليس حقيقة مطلقة فى الدلتا ، فعادة ما تفرض عوائد المبانى على عواصم المراكز ، وهذه الأخيرة قد تظهر مدنياً تبعاً لعوامل عديدة غير القوة الاقتصادية ، من بينها الضرورات الإدارية وتغيراتها ، أى بحكم الأمر الإدارى ، فهى دائرة مفرغة تؤكد أن الضرورات الإدارية تعد العامل الرئيسى فى ظهور المدن الدلتا ، خاصة بالنسبة لفئات الحجم الصغرى .

وقد ساد فى الوقت الراهن تيار يتبنى المقياس الوظيفى فى التفرقة بين الريف والحضر ، باعتبار أهميته الفائقة لاهتمامه بمضمون Contents المركز السكنى وليس مجرد الشكل Forms ويلخص ديكنسون ذلك ويرى(٢) :

(...A town is a compact settlement engaged primarily in a non-Agriculatural occupation..)

وهو مقياس يسير التطبيق فى المناطق الناضجة مدنياً ، حيث تبلغ دقته غايتها ، إلا أنه — مرة أخرى — يواجه فى الدلتا مجموعة مدنها المتوسطة والصغيرة ، تلك التى ما تزال الزراعة — كحرفة — تستوعب نسبة كبيرة من سكانها ، يعيشون فى نواتها القروية القديمة حياة زراعية صرفة ، ومن هنا تظهر — منهجياً — مشكلة اختيار العتبة الاحصائية بناء على توزع سكان المركز السكنى حسب النشاط الاقتصادى ، والتى على أساسها يتم التمييز ، وهناك مقياس دولى مقترح ينص على تحديد نسبة ٦٥٪ — لغير الزراع من جملة سكان المركز السكنى العاملين لكى يمكن اعتباره

---

(١) السيد صبرى (١٩٣٥) ، تحليل نتائج التعداد فى مصر ، القاهرة ، ص ٣٢ — ٣٣ .

(٢) Dickinson, Robert. E (1960) City Region and Regionalism" London P. 93.

مدينة ، وما دون هذه النسبة ليس كذلك(۱) . وإذا طبق هذا المقياس على الدلتا ، فانها ستفقد نحو ٤٠ مدينة لا تحقق هذه النسبة حسب أرقام ١٩٦٠ . ويضاعف من المشكلة أن المادة الاحصائية الخاصة بالتركيب الحرفى لسكان المدن فى التعدادات المصرية ، يصعب مقارنتها من تعداد لآخر(۲) .

ولذلك ، فان تبنى مقياس الوظيفة الإدارية ، يصبح ضرورة بالنسبة لهذه الدراسة ، فهو من الناحية العملية أكثر المقاييس قابلية للتطبيق فى دلتا النيل ، ورغم كونه مقياساً لاحقاً لا سابقاً ، أى أن تبنيه يأتى نتيجة للأمر الواقع ، إلا أن الوظيفة الإدارية ليست منفصلة عن غيرها من الوظائف ، وهى أيضاً مترابطة مع عوامل الظهور والنمو المدنى الأخرى فى دلتا النيل ، فالأمر الإدارى بتحويل المركز السكنى إلى مدينة لا يصدر من فراغ ، ثم ان له أيضاً تداعياته ونتائجه التى لا شك فيها ، وظهور معظم المدن فى الدلتا قد سبقته مراحل طويلة تميزت فيها عن غيرها من قرى الإقليم ، سواء بموقعها المتوسط أو بحجمها المتميز أو سهولة مواصلاتها أو استقطابها للحركة الإقليمية المحلية أو بأسواقها التى اكتسبت شهرة فوق محلية ، إلى غير ذلك من عوامل الظهور المدنى الدلتاوى المتصلة بالتغيرات الحضارية فى الدلتا ذاتها ، ثم يأتى الأمر الإدارى ليكرس — آخر الأمر — جملة عوامل التميز هذه ولا يتم هذا الظهور دفعة واحدة — إلا نادراً — وتسبقه عادة مرحلة تتنافس فيها مجموعة من القرى المتميزة فى استقطاب الحركة الإقليمية لمنطقتها ، ولذلك فقد شهدت الدلتا بزوغ مدن وأفول أخرى ، وما تزال هذه الديناميات الخاصة بالظهور المدنى فى دلتا النيل سارية فى أجزاء واسعة منها ، خاصة هوامشها ، والكشف عنها مفيد فى تبين احتمالات الظهور المدنى فى دلتا النيل فى المستقبل البعيد والقريب ، ثم يأتى الأمر الإدارى مستثمراً جملة هذه العوامل ، ليعمق — واقعياً — من قنوات الحركة الإقليمية بين المدينة البازغة وريفها ، وتتوثق الارتباطات ، ويتم التفاعل ، هذا بالطبع فى معظم الحالات ، وقد يكون هناك استثناءات لمدن بزغت دون فعالية

International Urban Research (1959) The world's Metropol- (۱) itan areas" Berkeley P. 27.

(۲) المركز الديموجرافى لشمال أفريقية . العوامل الديموجرافية والقوة البشرية . التقرير الأول (الأنماط العمرية والنوعية للمساهمة فى النشاط الاقتصادى) ترجمة مدحت محمد على جاد ، وإعداد شعبة السكان بقسم الشئون الاجتماعية بالأمم المتحدة ، القاهرة ١٩٦٧ .

مدنية حقيقية ، وقد يكون ذلك على حساب غيرها الأجدر منها ، غير أن الكشف عن ذلك — مرة أخرى — مفيد ، ويمكن أن يتم من خلال متابعة نتائج الظهور المدنى بالأمر الإدارى وتداعياته بالنسبة لإنعاش الحركة الإقليمية وتقوية الريف والمدينة ، وإعادة دراسة وضع مراكز السكن المتنافسة فى استقطاب هذه الحركة ، من خلال أسواقها أو مواصلاتها ، وانعاش البزوغ المدنى فى دلتا النيل ، بتحويل عدد من قراها المتميزة إلى مدن ، بغض النظر عن الوظيفة الإدارية ، على أن تخصص لها ميزانية المدن والخدمات عالية المستوى الخاصة بالمدن ، وبذلك ، تنسق قرارات التحويل الإدارى مع ديناميات الظهور المدنى فى دلتا النيل ، وتصبح من أهم عوامل انعاش مدنيتها العامة .

وتهدف هذه الدراسة إلى متابعة وتحليل تغيرات نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل بين ١٨٩٧ — ١٩٦٦ . وذلك من خلال إطاراتها الإدارية الحالية على مستوى المحافظة والمركز وتحديد العوامل المؤثرة فى هذه التغيرات ، فضلا عن نتائجها بالنسبة لتوزيع شبكة المدن الدلتاوية الحالية سواء من حيث الحجم أو التباعد ، مع الإشارة إلى احتمالاتها الخاصة بظهور مدن جديدة فى دلتا النيل ، وسيمهد لهذه المتابعة وهذا التحليل ، بتحديد سريع للوضع المدنى فى الدلتا خلال القرن ١٩ .

الوضع المدنى فى الدلتا خلال القرن ١٩

ورثت الدلتا مع بداية نموها الحديث فى القرن ١٩ شبكة من المدن الإقليمية ، باعتبارات تاريخية أكثر منها واقعية اقتصادية بالنسبة لمعظمها ، وتجلى ذلك التناقض بوضوح فى النصف الثانى من القرن ١٩ ، خاصة عندما أخذت معدلات النمو السكانى بها فى الارتفاع تدريجياً[1] ، وتزايد نسبة المساحة المتزرعة على حساب البائرة[2] ،

---

(١) يعد تقدير جومار Jomard (أحد علماء الحملة الفرنسية) (لسكان الدلتا) نحو ١,٥ مليون نسمة) بداية سلسلة من التقديرات السكانية فى ١٨٣١ ، ١٨٤٦ ، ١٨٧٢ ، إنتهت جميعها بإجراء أول تعداد للسكان فى مصر فى ١٨٨٢ . حيث بلغت جملة سكان الدلتا ٣,٢٠٦,٣٨٥ نسمة ، وحسب تعداد ١٩٦٦ .. فإن جملة سكان الدلتا قد بلغت ١٢,٤٩٣,٢١٢ نسمة .

(٢) بلغت جملة الأراضى المستصلحة ، سواء عن طريق الحكومة أو الأفراد أو الهيئات حوالى ٤٠٠ ألف فدان بين ١٨٩٢ — ١٩٥٢ ، وقد أضيف مثل هذا الرقم إلى مساحتها المزروعة بين ٥٢—١٩٧٠ .. خاصة فى قطاعات وسط وغرب وشرق الدلتا ، وهذه الأرقام بالنسبة للمساحات التى وصلت إلى مرحلة =

بالأخص عند هوامشها ، ومد شبكة نامية من الخطوط البرية والحديدية[1] واتباع سياسة جديدة للري حولت بمقتضاها أراضى الدلتا من الرى الحوضى إلى الرى الدائم [2]، وما تبع ذلك من تغيرات فى التركيب المحصول ، والاتجاه نحو الزراعة النقدية (القطن) على حساب الغذائية (القمح) [3]. وما أدى إليه كل ذلك من انتعاش عمرانى شامل تمثل فى زيادة عدد القرى ، وبزوغ كوكبة جديدة من المدن الإقليمية المرتبطة بهذه العوامل .

وتوضح الخريطة الإدارية للدلتا أثناء الحملة الفرنسية (١٧٩٨ — ١٨٠١)[4] أن شبكة عواصمها الرئيسية لأقاليمها ، كانت تشمل مدن « قليوب ، بلبيس ، المنصورة ، دمياط ، المحلة الكبرى ، منوف ، رشيد ، دمنهور » ، وهى تمثل فى مجموعها جملة العواصم الإدارية فى الدلتا خلال العهدين العربى والتركى برمتهما ، إلى جانب مجموعة أخرى من العواصم للوحدات الإدارية الأصغر[5] ، غير أنه

=إنتاجية فوق حدية ، أما المساحة المحصولية فى الدلتا ..فقد زادت من نحو ٥,٢ إلى ٦,٥ مليون فدان بين ٢٩ — ١٩٦٠ .. (عن : معهد التخطيط القومى ، مذكرة ١٠١ ، سبتمبر ١٩٧٠ ، ص ١٣٤ ، مطبوعة ستنسل) .

(١) أنشئ أول خط حديدى فى مصر فى ١٨٥١ بين القاهرة والاسكندرية ، ووصلت أطوال الشبكة بعد قرن إلى ٤٣٤٣ كم ، أى بنسبة ١٤ كم لكل ١٠٠ كم٢ ، وهو مستوى يقرب من غرب أوربا ، خاصة إذا أضيفت إليها شبكة الطرق البرية وهى بنسبة ٢٥ كم إلى كل ١٠٠ كم٢ . عن : التقرير السنوى لوزارة المواصلات ١٩٦٥ .

(٢) تقدر أطوال الترع الصيفية التى حفرت فى الدلتا بين ١٨٦٣ — ١٨٧٨ بنحو ٨٤٠٠ كم ، وبلغت جملة أطوال الترع فى مصر سنة ١٩٢٥ نحو ٢٥ ألف كم ، ارتفعت إلى ٣٨ ألف كم (١٩٦٠) .
عن : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب السنوى ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٣) للاستزادة .. أنظر : حسين خلاف « التجديد فى الاقتصاد المصرى الحديث » ، مطبعة إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

(٤) اطلس أسفل الأرض .. إعداد الأمير عمر طوسون « لوحة رقم ٨ ، مقياس الرسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

(٥) تشكلت شبكة المدن الدلتاوية قرب نهاية العصر البطلمى من ٣٣ مدينة ، اندثرت بعضها واستمر بعضها الآخر بتسميات مختلفة (انظر أطلس أسفل الأرض .. لوحات من ٢ إلى ٦) .. وخلال معظم العهد العربى .. توزعت الدلتا بين ٤٦ كورة لها عواصمها .. التى استمر بعضها .. بينما تقهقر بعضها الآخر إلى مستوى القرى .. تبعاً لظروف الدلتا الحضارية المتغيرة ،واستمر هذا التشكيل =

خلال الفترة بين ١٨٢٥ – ١٨٥٠ بزغت مجموعة من المدن الجديدة التى حلت تدريجياً كعواصم إدارية رئيسية محل تلك المذكورة ، فنى ١٨٢٦ أصبحت « شبين الكوم » عاصمة للمنوفية بدلا من منوف ، وفى ١٨٣٦ نقل ديوان « الغربية » من المحلة الكبرى إلى طنطا ، وفى ١٨٣٣ حلت الزقازيق محل بلبيس كعاصمة للشرقية (١) وقد وردت فى المراسيم الخاصة بهذه التغييرات أسبابها كما يلى (٢):

١ – أن تكون العاصمة محطة للسكة الحديد .

٢ – أن يتوسط موقعها إقليمها .

٣ – رقى حالتها العمرانية .

وهذه الأسباب كما تدل على اتجاه مبكر نحو اختيار العواصم بأسلوب علمى له شروطه ، فانها تشير أيضاً إلى ظهور عوامل جديدة فى الدلتا غيرت من اتجاهات الحركة الإقليمية بين الريف وعواصمه ، وإلى أن هذه العوامل الجديدة لم تكن – غالباً – لصالح العواصم القديمة ، وأنها أبرزت أهمية موقع مجموعة أخرى من مراكز السكن التى أخذت فى استثمار مزايا موقعها منذ ذلك الحين .

ويبدو أن عوامل النمو الحديثة هذه فى الدلتا قد واصلت تأثيراتها بعد ذلك إلى مجموعة العواصم الأصغر فى أخطاط الدلتا ومراكزها ، وذلك مع اتساع نتائجها ووصولها إلى بقية أجزاء الريف الدلتاوى ، وهذا تطور طبيعى يتسق مع امتداد شبكة المواصلات واتساعها ، ومع وصول الترع والمصارف إلى أجزاء لم تكن مزروعة من قبل ، وهى تطورات قد أدت إلى اختناق العلاقات القائمة بين بعض العواصم القديمة وريفها ، وبالتالى إلى اختلال الحركة الإقليمية الطبيعية ، فقد بدأت

= فى صورته العامة حتى بداية القرن ١٩ ، للاستزادة أنظر : سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة فى العصر الإسلامى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ .

(١) كانت المنصورة قد حلت كعاصمة للدقهلية فى تاريخ سابق (١٥٢٧ م) محل « اشمون الرمان » ورغم هذه التغييرات ، فإن مدينتى « طنطا ، بنها » .. لا تظهران فى تعداد ١٨٨٢ .. كعاصمتين لمديريتى « الغربية ، القليوبية » .

(٢) محمد رمزى « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية منذ عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ » ، مطبعة دار الكتب ، الجزء الأول ، ص ١٦ ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

هذه الحركة تحفر قنواتها إلى اتجاهات جديدة تمشياً مع عوامل النمو الحديثة ، إلى مراكز سكن أخرى ، ليست عواصم بحكم الأمر الإدارى ، ولكنها ما فتأت تستوعب وتستقطب الحركة الإقليمية إليها بحكم استثمارها لعوامل النمو الدلتاوى المتعاظمة ، فأصبحت هى العواصم اقتصادياً وواقعياً ، ورغم ذلك ، فان تعداد ١٨٨٢ يقدم لنا التناقض بكل وضوح ، فلم تحمل جداوله خريطة جديدة للعلاقات الإقليمية فى الدلتا ، وإنما أوضحت تماماً صورة العلاقات القديمة ، ممثلة فى عشرة مدن إقليمية ، تنازلت تماماً بعد وقت قصير (١٨٩٧) عن وظيفتها ، واستقر بها الحال ضمن قرى الدلتا التى تدور فى فلك عواصمها البازغة ، ويلخص الجدول الآتى هذه العلاقة بين المدن الآفلة والبازغة بين ١٨٨٢ — ١٨٩٧(١) .

العواصم القديمة	ميت سمنود	محلة منوف	الجعفرية	العارين	العزيزية	الإبراهيمية	القنايات	الصوالح
العواصم الجديدة	سمنود	طنطا	السنطة	فاقوس	منيا القمح	كفر صقر	الزقازيق	ههيا
التبعية الإدارية	الغربية			الشرقية				

العواصم القديمة	مليج	سبك	العطف	النجيلة	نوى
العواصم الجديدة	شبين الكوم	—	المحمودية	كوم حماده	شبين القناطر
التبعية الإدارية	المنوفية		البحيرة		القليوبية

ومن هذا الجدول يتبين أن « الغربية » قد ظهرت فى ١٨٨٢ بدون « طنطا ، المحلة الكبرى » كمركزين إداريين أو حتى عاصمتين ، وبنفس المستوى خلت « المنوفية ، القليوبية » من « شبين الكوم وبنها » ، وبالنسبة للزقازيق فقد نقلت إليها الوظيفة الإدارية فى ١٨٨٤ من القنايات . وهكذا تخلو خريطة ١٨٨٢ من خمسة من عواصم الدلتا الرئيسية بعد ذلك ، وظهورها فى ١٨٩٧ إنما يؤكد عمق التغيرات التى أخذت طريقها إلى الدلتا منذ منتصف القرن ١٩ ، خاصة وأنها جميعها قد ظهرت ونمت مرتبطة بشبكة الخطوط الحديدية فى الدلتا ، كما يوضح — من ناحية

(١) تغيرت العواصم بناء على المنشور المدرج بالعدد ٢٣ من الوقائع المصرية بتاريخ ٢٢٤ -١٨٩٦

ثانية – أن تعداد ١٨٨٢ الذى تم فى ظروف غير مواتية قد قدم بوضوح جملة التناقضات والاختناقات بين ريف الدلتا وعواصمه ، والتى أوجبت التغيير بعد قليل ، وذلك كختام لها .

أما بالنسبة لبقية العواصم القديمة والمستحدثة – فلكل منها ظروفها الخاصة – المرتبطة على أية حال بالتغيرات الحضارية الدلتاوية ، فقد حلت مدن « ههيا ، فاقوس ، كفر صقر »(١) لوجود محطات للسكك الحديدية بها محل « الصوالح ، العارين ، الابراهيمية » على الترتيب ، وكانت مدينة « منيا القمح » قد أخذت مكانة « العزيزية » قبل ذلك فى ١٨٧١ ، ولنفس السبب ، نقل ديوان المركز من « النجيلة » إلى « كوم حمادة » ومن « نوى » إلى « شبين القناطر » بين ١٩٠٧ – ١٩١٧ .

وحسب تعداد ١٨٩٧ ، تبدو خريطة المدن الدلتاوية وقد تخلصت تقريباً من آثار العلاقات الإقليمية القديمة ، وعكست جملة التغيرات الحضارية التى أخذت طريقها إلى الدلتا منذ بداية القرن ١٩ ، كما ضبطت – منذ ذلك الحين – حركة ظهور المدن الجديدة بها ، ويمكن تحديد المظاهر الجديدة هذه فيما يلى :

(أ) ظهور مجموعة من العواصم الإدارية الرئيسية فى الدلتا (طنطا ، شبين الكوم ، بنها ، الزقازيق) التى أصبحت – منذ ذلك الحين – تشكل مع « المحلة الكبرى ، المنصورة » شبكة المدن الكبرى فى الدلتا حتى الآن .

(ب) إحلال عشرة مدن جديدة كعواصم إدارية على مستوى المراكز ، محل أخرى تقهقرت إلى مستوى القرى ، تعبيراً عن اتجاهات جديدة بين ريف الدلتا وعواصمه – وانعكاساً لنموها الحضرى ، ذلك النمو الذى سيؤدى – أيضاً – إلى ظهور ١٧ مدينة أخرى جديدة بين ١٨٩٧ – ١٩٧٢ ، وما تزال احتمالات ظهور مدن أخرى – بدت بشائرها – قائمة فى أنحاء الدلتا ، خاصة هوامشها .

(جـ) مع ظهور شبكة المدن الرئيسية والثانوية ، ورسوخ تأثير العوامل الحضارية الجديدة فى الدلتا ، بدأت العلاقات السكانية بين هذه المدن ، كمراكز

---

(١) تم ذلك فى سنة ١٨٨٤ .

(شكل ١) الخريطة الادارية لدلتا النيل ١٩٧٢ (توقيعية)

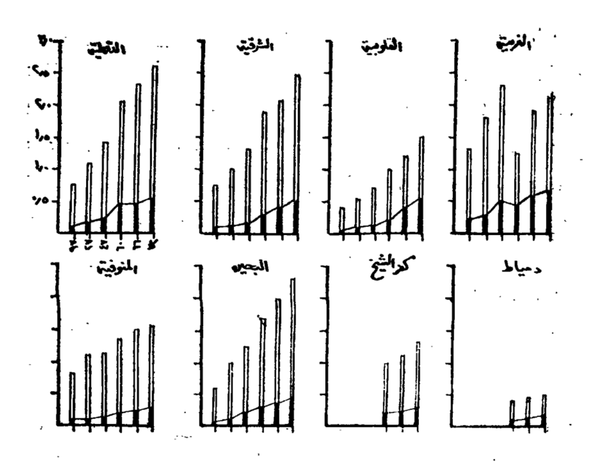
للخدمات الإقليمية تضبط المسافات فيما بينها وبين ريفها ، وتشير إلى احتمالات وامكانات ظهور المدن الجديدة وضوابط التباعد فيما بينها ، كما خضع توزيع المدن فى الدلتا حسب الحجم لنظام معين تبعاً لتراتبها والمسافات بينها ، باختصار ، ضبطت مسألتي التباعد والحجم المدنى فى الدلتا ، وقد ساعد على ذلك ، عوامل النمو السكانى ، وامتدادات سكك وطرق المواصلات ، فضلا عن نمو المساحة المتزرعة .

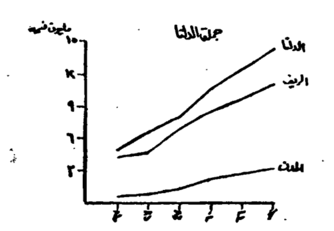
(د) دخلت الدلتا مرحلة من النمو المدنى متفجرة بالنسبة للقرن ١٩ ، وهو ما سيتم تحليله فى الصفحات التالية .

تغيرات نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل (١٨٩٧ - ١٩٧٢)

تبدو المدنية فى دلتا النيل كظل بارز فوق أرضية ريفية عريضة ، ورغم تغيرات نسبتها ارتفاعاً بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ بمعدلات متزايدة ، إلا أن « الريفية » ما تزال تشكل نسيج الحضارة الدلتاوية عموماً ، لقد تزايدت جملة سكان المدن فى الدلتا من ٥٠٦٨٥١ نسمة (١٨٩٧) إلى ٣,٣٢٦,٦٠٠ نسمة (١٩٧٢) أى نحو ٦٠٠٪ ويوضح جدول (١) وشكل (٢) أن سكان الدلتا قد ارتفعت جملتهم من ٩٠٥ر٦١٨ر٤ نسمة إلى ٠٠٠ر٣٢٦ر١٤ نسمة خلال نفس الفترة ،أى بنسبة نحو ٣٠٠٪ ، أى أن متوسط معدل نمو سكان المدن بها نحو ضعف متوسط معدل نموها السكانى العام ، وهى بالطبع أعلى من ذلك بالنسبة لسكان الريف ، وقد انعكس ذلك ارتفاعاً فى نسبة المدنية العامة بها من ٨٣ر١٠٪ إلى ٢٢ر٢٣٪ خلال هذه الفترة أيضاً ، غير أن العلاقة لم تكن دائماً هكذا ، فقد تخلفت معدلات النمو المدنى فى الدلتا عن المعدلات العامة لنمو السكان خلال القرن ١٩ ، غير أن المنحنى انعكس بداية من ١٨٩٧ لصالح النمو المدنى وما يزال وبمعدلات متزايدة ، بحيث تناقصت نسبة « الريفية » العامة فى الدلتا من ٠٧ر٨٩٪ (١٨٩٧) إلى ٧٨ر٧٦٪ (١٩٧٢).

لقد تفاوتت معدلات النمو المذكورة (العامة ، الريفية ، المدنية) تفاوتاً له دلالاته بين أنحاء الدلتا ، وإذا اتخذنا من الإطارات الإدارية فى الدلتا (المحافظة أو المديرية) وحدات لتوضيح هذا التفاوت (جدول ٢ شكل ٣) يمكن تبين :



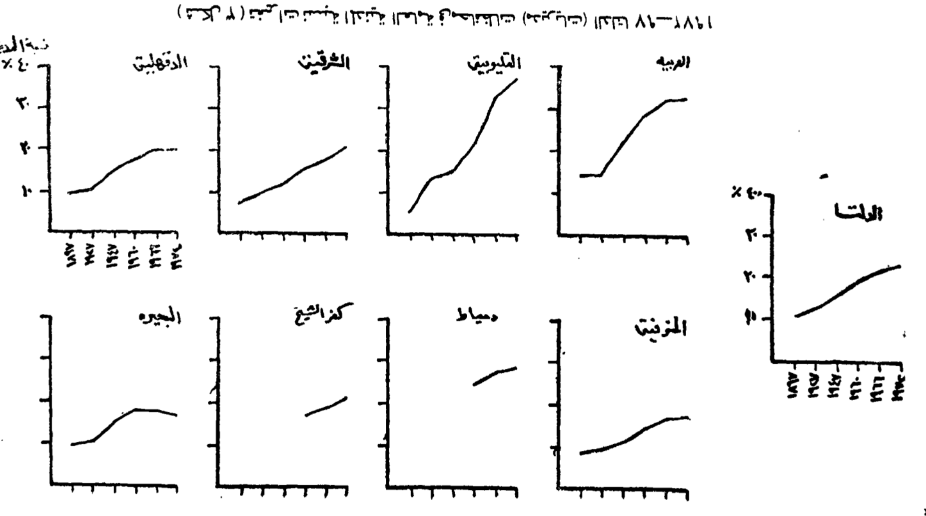


(شكل ٢) تغيرات جملة السكان وسكان الريف والحضر فى محافظات (مديريات) الدلتا ٩٧ — ١٩٧٢

١ – تقل نسبة المدنية العامة فى الدلتا مع الاتجاه نحو هوامشها ، وتصل إلى أعلاها فى قلبها وحول فرعيها ، حيث يتركز عدد كبير من مدنها ، وتصل الكثافة السكانية إلى أعلاها ، وخلال الفترة من ١٨٩٧ – ١٩٧٢ ظلت « الغربية » تحتل المرتبة الأولى فى الدلتا من حيث نسبة المدنية العامة ، وكانت تزيد بها دائماً عن متوسطها العام فى الدلتا ، وذلك لأنها ظلت حتى ١٩٤٧ تضم فى إطارها أكبر عدد من مدن الدلتا بالقياس لغيرها ، فضلا عن وجود مدينتى « طنطا ، المحلة » ، وهما من أكبر مدن الدلتا ، ومنذ ١٩٢٧ ، انضمت إليها « القليوبية » فى فئة تزيد بها نسبة المدنية العامة من متوسطها فى الدلتا ككل ، وظلت هذه النسبة طوال الفترة حول متوسطها العام فى الدلتا فى الدقهلية ، وأدنى منه – باستمرار – فى باقى المحافظات (المديريات) على مر التعدادات .

٢ – بداية من ١٩٦٠ فقد اتضحت الخطوط الفاصلة بين محافظات الدلتا من حيث نسبة المدنية العامة « فهناك مجموعة تزيد بها هذه النسبة عن متوسطها العام ، وتضم « الغربية ، القليوبية ، دمياط » ، وأخرى تدور حولها « الدقهلية ، الشرقية » وثالثة تقل عنها « المنوفية ، كفر الشيخ ، البحيرة » وذلك باستثناءات قليلة خاصة فى ١٩٦٦ ، ويرجع هذا التفاوت إلى عدد المدن بكل محافظة ، وكثافة سكانها الريفيين ، وهرم أحجام المدن بها .

٣ – ربما يكون مفيداً تحليل تفاوت نسبة المدنية العامة على مستوى مراكزها الإدارية ، حتى يمكن تحديد العوامل المؤثرة فى هذه الظاهرة تفصيلياً ، فالواقع أن « المركز » يمثل الوحدة الأكثر تعبيراً عن ظاهرة المدنية فى الدلتا ، فأحياناً تضم « المحافظة » عدداً من المراكز تتفاوت نسبة مدنيتها فيما بينها بدرجة أعلى من تباين هذه المحافظة ككل عن أخرى ، ثم إن المقارنة بين « المراكز » تتم بين وحدات متكافئة الوزن إدارياً ، فلكل مركز مدينة واحدة هى عاصمته ، أما المحافظات فتتفاوت فيما بينها فى عدد المراكز ومن ثم فى عدد المدن ، ولهذا تأثيره – كما سبقت الإشارة – فى تباين نسبة المدنية فيما بينها ، بدرجة قد تحجب الكشف عن العوامل الأخرى المؤثرة فى هذه النسبة ، وفيما يلى جدولا يصنف مراكز الدلتا إلى فئات



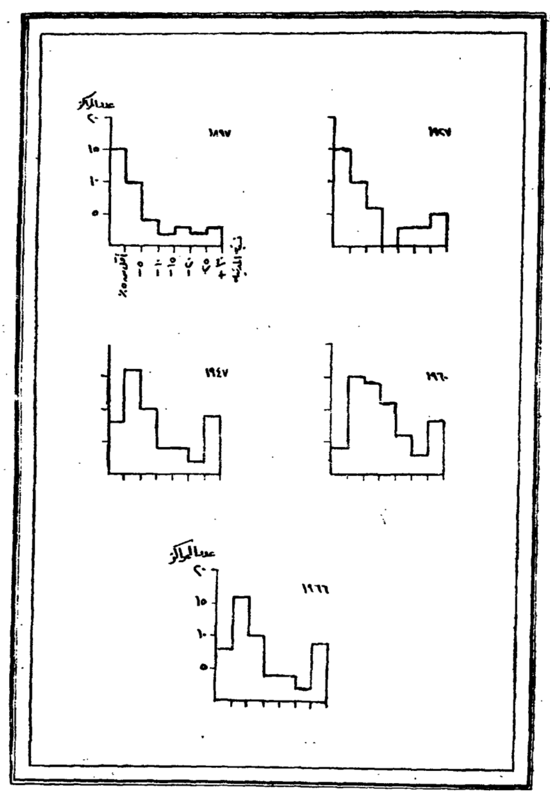
(شكل ٣) تغيرات نسبة المدنية العامة في محافظات (مديريات) الدلتا ٩٧—١٩٧٢

من حيث نسبة مدنيتها فيما بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦ ، حتى يمكن – أيضاً – متابعة تغيرات هذه الظاهرة .

الفئة / التعداد	أقل من ٥٪	٥–	١٠–	١٥–	٢٠–	٢٥–	٣٠+	جملة
١٨٩٧	١٥	١٠	٤	٢	٣	٣	٣	٣٩
١٩٢٧	١٥	١٠	٦	–	٣	٣	٥	٤٢
١٩٤٧	٨	١٦	١٠	٤	٤	٢	٩	٥٣
١٩٦٠	٤	١٥	١٤	١١	٦	٣	١٨	٦١
١٩٦٦	١	١٤	١٦	١٢	٧	٤	١١	٦٥

وبدراسة الجدول وشكل (٤) يمكن تبين أن اتجاه نسبة المدنية العامة هو نحو التزايد المستمر فى مراكز الدلتا عامة ، بحيث تناقص عدد المراكز التى تقل هذه النسبة بها عن ٥٪ من ١٥ مركزاً من ٣٩ مركزاً فى ١٨٩٧ إلى مركز واحد من ٦٥ مركزاً فى ١٩٦٦ ، وبينما كانت جملة المراكز التى تقل النسبة بها عن ١٠٪ فى ١٨٩٧ هى ٢٥ مركزاً بنسبة ٦٥٪ من جملة مراكزها آنذاك ، نجد أنها قد انخفضت إلى ١٥ مركزاً فى ١٩٦٦ بنسبة ٢٣٪ من جملة مراكزها فيه ، وفى نفس الوقت . . فقد ارتفع عدد المراكز التى تزيد نسبتها على ٣٠٪ من ٣ فقط فى ١٨٩٧ إلى ١١ مركزاً فى ١٩٦٦ ، وبينما لا تزيد نسبة المراكز التى تزيد مدنيتها عن ٢٠٪ فى ١٨٩٧ عن ٢٣٪ من جملة مراكزها ، ترتفع إلى ٣٤٪ من جملة مراكز ١٩٦٦ .

والواقع أن نسبة المدنية قد تحركت نحو الصعود من الفئات المنخفضة (أقل من ١٠٪) إلى الفئات المتوسطة (١٠ – ١٩٫٩٩٪) خلال هذه الفترة أيضاً ، فلم يكن عدد مراكز الفئات المتوسط يزيد فى ١٨٩٧ عن ٦ مراكز بنسبة ١٦٪ من جملة المراكز ، وهى فى ١٩٦٦ قد أصبح عددها ٢٨ مركزاً بنسبة ٤٣٪ من جملة المراكز ، وتشير جملة هذه الأرقام والنسب إلى حقيقة تحرك نسبة المدنية صعوداً بين مراكزها باطراد ، تعبيراً – ولا شك – عن زيادة متوسط حجم



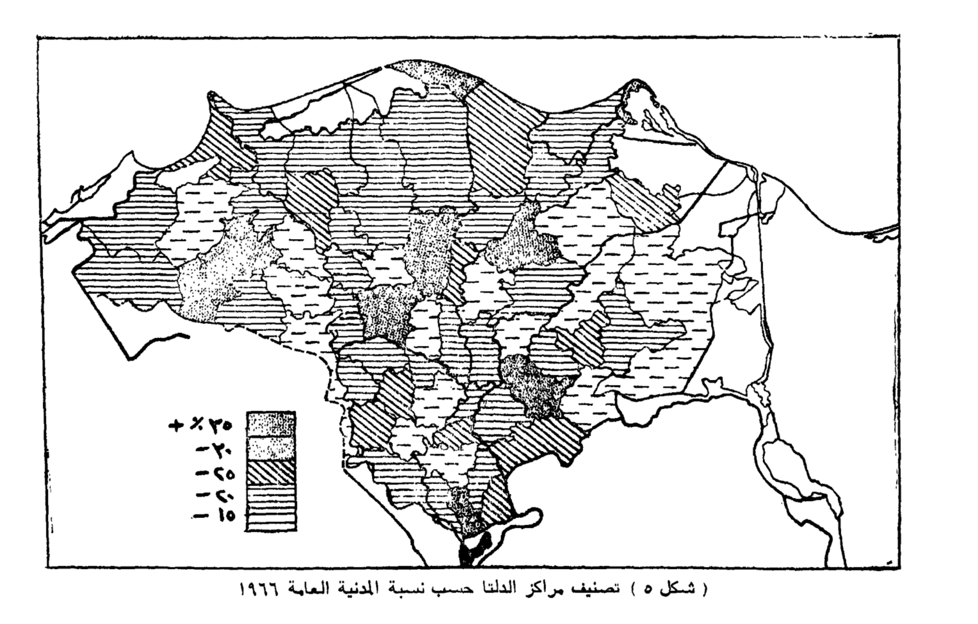
(شكل ٤) تصنيف مراكز الدلتا حسب نسبة المدنية العامة ٩٧ — ١٩٦٦

المدينة فى الدلتا من ناحية ، وارتفاع معدلات نموها السكانى عن معدلات نمو ريفها من ناحية ثانية ، وترجع كلا الناحيتين إلى تعرض مدن الدلتا للتيارات من ريفها إليها بدرجات مختلفة ، غير أن ذلك لا يعنى بالضرورة ظاهرة صحية ، ولا يعكس حتماً انتعاشاً مدنياً حضارياً ، وهى صورة متكررة – بمقياس أصغر كثيراً – لما تعانى منه مدينة مثل القاهرة ، وإمكانياتها أكبر بما لا يقارن من هذه المدن الإقليمية ولذلك يجدر إلى جانب المطالبة بخفض معدلات نمو السكانى العامة ، إيجاد حالة من التوازن بين نمو سكان المدن والريف ، حتى لا تتحول مدن الدلتا إلى مجرد تراكم سكانى لا وظيفى ، وإلى مجرد قرى كبيرة نمت فوق الحد ، خاصة وأنها – المدن – ما تزال تنمو وبمعدلات أكبر من الماضى ، ولمتابعة هذه المسألة فى الوقت الحاضر ، ربما يكون ضرورياً تحليل خريطة نسبة المدنية العامة فى مراكز دلتا النيل ١٩٦٦ (شكل ٥ ، ٦) ومنها يمكن تقرير ما يلى :

اتضحت الخطوط الفاصلة بين مراكز الدلتا ، من حيث نسبة المدنية العامة ، بحيث يمكن تقسيمها إلى الفئات الرئيسية الآتية :

فئة المراكز التى تزيد بها نسبة المدنية العامة عن ٣٠ ٪

وجملتها ١١ مركزاً ، تتراوح بها هذه النسبة بين ٣٠ – ٨٥٪ ، أى تزيد بها جميعها عن متوسطها العام فى الدلتا (٢٢٫٠٨٪) ، ومن مظاهر تميز هذه الفئة مدنياً ، أن عواصمها تستوعب ٤٦٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، بينما لا تزيد نسبة جملة سكانها على ٢٣٪ إلى جملة سكان الدلتا ، ويعود هذا التميز إلى مجموعة من الأسباب المتصلة بحجم المدن من ناحية ، وبجملة سكان المراكز من ناحية ثانية ، ثم للوضع الإدارى المتميز لبعض مراكزها ، وبالنسبة لمراكز « طنطا ، المحلة الكبرى المنصورة ، الزقازيق ، دمنهور ، شبرا الخيمة ، دمياط » ، فهى – عدا شبرا الخيمة والمحلة الكبرى – المراكز التى تضم عواصم محافظاتها ، فضلا عن كونها جميعها المدن السبعة الأولى فى الدلتا حجماً ، وتستوعب وحدها ٤١٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، وتصل نسبة المدنية بينها إلى أعلاها فى شبرا الخيمة (٦٠٪) ، ويعد مع « المطرية » (٨٥٪) البندران الوحيدان فى خريطة الدلتا الآن ، وتصل بهما النسبة إلى أعلاها



(شكل ٥) تصنيف مراكز الدلتا حسب نسبة المدنية العامة ١٩٦٦

فى الدلتا عامة ، ويتميز « البندر » إدارياً بقلة عدد نواحيه وارتفاع حجمه سكانياً[1] يتبقى فى هذه الفئة مراكز « قليوب ، بلطيم ، حوش عيسى » ، أما « قليوب » فيتميز بعاصمة متوسطة الحجم (مرتبة ١٢ بين مدن الدلتا) . ولقد أدى تقسيم ريفها بينها وبين مركز القناطر الخيرية عند إنشاء الأخير فى ١٩٦٠ إلى ارتفاع نسبة مدنية مركز قليوب إلى نحو ٣٤٪ ، بينما لم تكن تزيد فى ١٩٤٧ على ٦ر١٤٪ ، وبالنسبة « لبلطيم » فهو أقل مراكز الدلتا سكاناً ، غير أن عاصمته تأتى فى المرتبة ٤٦ بين عواصمها ، ويسكنها وحدها نحو ثلث سكان المركز ، ويتكرر ذلك بالنسبة « لحوش عيسى » الذى تستوعب عاصمته ٤٢٪ من جملة سكانه المحدودة أصلا[2] ؛ (جدول ٣) .

ويؤكد السياق السابق الارتباط الوثيق بين المدنية العامة من ناحية ، وحجم المدنية ومستوى وظيفتها الإدارى من ناحية ثانية ، كما يشير إلى بعض الأسباب الخاصة يتميز بعض مراكز الدلتا مدنياً عن بعضها الآخر .

فئة المراكز التى تتراوح بها نسبة المدنية بين ١٥–٣٠٪

وتضم هذه الفئة ٢٣ مركزاً ، أى نحو ٣٥٪ من جملة مراكز الدلتا ، وهى التى تدور بها هذه النسبة حول متوسطها العام فى الدلتا (٠٨ر٢٢٪) بفارق نحو ٥ر٧٪ زيادة أو نقصاً ، وتقع من بينها مراكز « بنها ، شبين الكوم ، أبو كبير ، رشيد » فى مجموعة تفصيلية بنسبة مدنية ٢٥ – ٣٠٪ ، ولا شك فى انتماء الأوليتين منها إلى الفئة الأولى ، من حيث وجود عاصمتى محافظتى « القليوبية ، المنوفية » بهما ، وبارتفاع حجمهما نسبياً ، حتى تأتيان فى المرتبتين العاشرة والتاسعة على الترتيب بين مدن الدلتا ، أما « أبو كبير ، رشيد » فيضمان عاصمتين متوسطتين حجماً ، لريف قليل الحجم والكثافة السكانية نسبياً[3] ، ويلاحظ أن بقية مراكز

---

(١) تأتى مدينتا « شبرا الخيمة والمطرية » فى المرتبتين ٧ ، ٣٠ من مدن الدلتا حجماً ، بينما يأتى البندران فى الترتيب ٢٤ ، ٦٣ ، بين مراكز الدلتا من حيث جملة السكان (١٩٦٦) .

(٢) يأتى ترتيبه ٦٣ بين مراكز الدلتا من حيث جملة السكان (١٩٦٦) ، أما المدينة فرتبها ٣٠ بين مدن الدلتا .

(٣) بينما يأتى ترتيب المركزين ٤٠، ٤٦ بين مراكز الدلتا سكاناً ، فإن عاصمتيهما تأتيان =

-١-

٢٥٠ ألف
٢٠٠ ألف
١٥٠ ألف
١٠٠ ألف
٥٠ ألف
٢٥ ألف
١٠ آلاف نسمة

(شكل ٦) أحجام المدن فى دلتا النيل ١٩٦٦

هذه الفئة تنقسم إلى مجموعتين متميزتين من حيث التوزيع وخصائصه :

أ – المراكز الهامشية :

وتتوزع فى الإطار الخارجى لخريطة الدلتا الإدارية ، وتضم ٨ مراكز (بلبيس وفاقوس ، المنزلة ، بلقاس ، شربين بيلا ، كفر الشيخ ، فوة) . وتتميز كمجموعة باتساع مساحتها ، حتى أنها تشغل نحو ٢٠٪ من جملة مساحة الدلتا ، وبقلة كثافتها السكانية ، فهى من أقل أجزاء الدلتا سكاناً ، إذ لا تزيد نسبة جملة سكانها عن ١٣ر٥٪ من جملة سكان الدلتا ، وبذلك فان متوسط الكثافة السكانية لهذه المراكز نحو ٣٥٠ نسمة /كم٢ ، وهى فى الدلتا عامة نحو ٦٠٠ نسمة /كم٢ ، وتقع عواصمها فى فئة المدن المتوسطة حجماً فى الدلتا (٢٥ – ٥٠ ألف نسمة) تستوعب نسبة نحو ١١ر٥٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، وجميعها من المراكز التى تقل نسبة المدنية بها عن متوسطها العام فى الدلتا ، وإلى ذلك فان هناك نسبة من المبالغة تشوب هذه الأحجام وهذه النسبة ، وبمراجعة بياناتها فى تعدادى ١٩٦٠ ، ١٩٦٦ تبين أن نسبة متفاوتة من سكان عواصم هذه المراكز الهامشية تسكن توابع تحيطها وتتباعد عنها بمسافات شتى – خاصة « بلقاس ، شربين ، بيلا ، كفر الشيخ ، المنزلة » – ولهذا فان كردون معظمها يمتد ليحيط بتوابع قد تبعد عنها بضعة كيلومترات ، مما أضاف إلى حجم العواصم زيادة ليست مدنية تماماً ، وبمراجعة أرقام نسبة المدنية العامة لهذه المراكز بين ١٨٩٧ – ١٩٤٧ (جدول ٤) وجد أنها كانت تمثل فى مجموعها أقل مراكز الدلتا مدنية ، وأنها قد تحركت منذ ١٩٤٧ نحو هذه الفئة نتيجة زيادة معدلات نموها السكانى على حساب ريفها غالباً ، ولتغيرات كردونها الإدارى بقدر من المبالغة أحياناً ، ليضم التوابع القريبة من المدينة .

(ب) المراكز غير الهامشية :

وتتوزع حول وبين فرعى الدلتا ، وتشمل ١١ مركزاً (منوف ، تلا ، الشهداء بسيون ، كفر الزيات ، سمنود ، زفتى ، الخانكة ، القناطر الخيرية ، السنبلاوين ، دسوق) ، وتمثل مجموعة من أعلى مراكز الدلتا كثافة سكانية (٨٥٠ /كم٢) ،

= فى المرتبتين ١٦ ، ٢٣ بين مدن الدلتا (١٩٦٦) حجماً ، وتستوعب المراكز الأربعة نسبة ٦٪ من جملة سكان الدلتا .

ورغم أنها لا تشغل سوى ١٠٪ من مساحة الدلتا ، إلا أنها تستوعب من سكانها نحو ١٥٪ ، ورغم رسوخ هذه المراكز عمرانياً ، تأتى معظم عواصمها فى فئة حجمية متوسطة (٢٥ — ٥٠ ألف نسمة) عدا « الشهداء ، بسيون ، القناطر » ، فهى بين ٢٠ — ٢٥ ألف نسمة ، وجميعها لا تمثل سوى نحو ٥ر١٣٪ من جملة سكان المدن الدلتاوية ، وتأتى كلها دون المتوسط العام للدلتا نسبة المدنية ، ولأن ريفها أثقل وزناً وكثافة من ريف المراكز الهامشية ، ومتوسط حجم عواصمها أقل نسبياً ، فان نسبة مدنيتها عامة تمثل أدناها بين مراكز هذه الفئة هامشية وغير هامشية.

فئة المراكز التى تقل نسبة المدنية العامة بها عن ١٥٪

وتشمل مجموعة المراكز التى تتميز بريفيتها العالية ، وبانخفاض نسبة مدنيتها كثيراً عن المتوسط العام لها فى الدلتا ، وجملتها ٣١ مركزاً ، أى ٤٨٪ من جملة مراكز الدلتا ، وتمثل عواصمها مجموعة من أقل مدن الدلتا حجماً ، إذ لا تستوعب كلها سوى نحو ٥ر١٩٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، بينما تضم نسبة قدرها ٥ر٤٢٪ من جملة سكانها ، وتتوزع فى جميع محافظات الدلتا ، كما تضم مراكز هامشية وأخرى غير هامشية ، ويمكن تصنيفها داخلياً إلى مجموعتين ، تضم الأولى منها مراكز « قطور ، كفر صقر ، الحسينية ، أجا ، السنطة ، شبراخيت ، إيتاى البارود ، أبو حماد ، ديرب نجم ، قويسنا ، أبو حمص ، الباجور ، طوخ ، دكرنس » وجملتها ١٤ مركزاً ، وتتراوح نسبة المدنية بها بين ٥ — ١٠٪ بالإضافة إلى « كوم حماده » أقل مراكز الدلتا مدنية (٧ر٤٪) ، وتقع عواصمها جميعها من حيث الحجم فى فئة أدنى من ٢٥ ألف نسمة ، غير أن الواقع أن أكبر مدن هذه المجموعة حجماً (دكرنس) يبلغ حجمها ١٨٨٣١ نسمة ، كما أن مدينتى « قطور ، كفر صقر » ، تقعان فى فئة أقل من ١٠ ألف نسمة لكل ، ولا تزيد جملة سكان مدن هذه المجموعة عن ١٩٦٩٠٣ نسمة ، أى مثل حجم مدينة كالمنصورة ، وأقل بالطبع من حجم كل من طنطا أو المحلة ، ولكن انخفاض حجم العواصم ليس وحده وراء نقص نسبة مدنيتها ، فالواقع أنها فى معظمها مراكز كثيفة السكان ، تستوعب نحو ٢١٪ من جملة سكان الدلتا ، وعلى سبيل المثال ، فان مركزاً مثل « دكرنس » يأتى ترتيبه الثامن بين مراكز الدلتا من حيث جملة السكان ، أما عاصمته فترتيبها

٤١ بين مدن الدلتا . ويأتى مركز «كوم حمادة» فى الترتيب ١٣ بين مراكز الدلتا سكاناً ، أما مدينة «كوم حمادة» ففى الترتيب ٦٠ بين مدن الدلتا حجماً ، وهكذا ، من الأمثلة التى توضح مدى التضعضع المدنى لهذه المجموعة ، مما يبرر ضرورة المطالبة بانعاشها مدنياً ، بإعادة النظر فى البناء الإدارى الحالى للدلتا ، وإجراء مجموعة من عمليات تقسيم هذه المراكز المتضخمة سكانياً ، المتدنية مدنياً .

أما المجموعة الثانية من هذه الفئة فتضم ١٦ مركزاً ، تتراوح نسبة المدنية بها بين ١٠ — ١٥٪ ، وتشمل «كفر شكر ، كفر سعد ، أبو المطامير ، بركة السبع ، قلين ، الدلنجات . المحمودية ، ههيا ، فارسكور ، شبين القناطر ، سيدى سالم ، طلخا ، منيا القمح ، أشمون ، كفر الدوار ، ميت غمر » ، وتستوعب جملة سكان عواصمها نحو ١٢٫٥٪ من جملة سكان مدن الدلتا وتتميز بارتفاع حجم عواصمها بالقياس للمجموعة الأولى من هذه الفئة ، فهناك منها ٤ عواصم (ميت غمر ، كفر الدوار ، أشمون ، منيا القمح) ، من فئة حجم بين ٢٥ — ٥٠ ألف نسمة ، وليس هناك سوى ٥ عواصم أقل من ١٥ ألف نسمة ، أما الباقى (٧ عواصم) فبين ١٥ — ٢٥ ألف نسمة ، وفى نفس الوقت فانها تضم نحو ٢١٫٥٠٪ من جملة سكان الدلتا ، وتتكرر أمثلة أخرى للعلاقة غير المتوازنة بين جملة المركز السكانى وحجم عاصمته فى هذه المجموعة أيضاً ، فهى تشتمل على مجموعة من أكبر مراكز الدلتا سكاناً ، يأتى على رأسها مركزاً «كفر الدوار ، ميت غمر » ، وهما المركزان ٦ ، ٧ بين مراكز الدلتا سكاناً ، أما عاصمتهما ففى الترتيب ١٨ ، ١٦ بين مدن الدلتا ، وكذلك مركزا «أشمون ، منيا القمح » فى الترتيب ١١ ، ١٢ بين مراكز الدلتا سكاناً ، بينما تأتى المدينتان فى الترتيب ٢٨ ، ٢٩ بين مدن الدلتا .

وربما أصبح واضحاً بعد التحليل السابق لتغيرات نسبة المدنية العامة فى الدلتا بين ١٨٩٧ — ١٩٦٦ على مستوى محافظاتها (مديرياتها) ومراكزها ، مع إشارة تفصيلية لتباين هذه النسبة فى خريطتها بين مراكزها فى ١٩٦٦ ، أن هناك مجموعة من العوامل المؤثرة فى هذا التباين ، تتصل بتفاوت معدلات النمو السكانى بين الريف والحضر خلال هذه الفترة من ناحية ، ثم إلى ظهور عدد من المدن الجديدة فى الدلتا

من ناحية ثانية . وأخيراً إلى ارتفاع متوسط حجم المدينة بها باستمرار ، وما يصحب ذلك من تغيرات فى شكل الهرم المدنى الدلتاوى ، وكانت هذه العومل فى جملتها لصالح النمو المدنى فى الدلتا ، بدرجة أدت إلى ارتفاع نسبة المدنية العامة بها باطراد منذ ١٨٩٧ وحتى الآن ، وفيما يلى تحليل لهذه العوامل جميعها :

أولا : الظهور المدنى وتغيرات التوزيع :

لقد سبقت الإشارة إلى ديناميات الظهور المدنى فى دلتا النيل خلال القرن ١٩ ، وما أدت إليه من ظهور مدن وتقهقر أخرى إلى مستوى القرى ، وذلك كاستجابة لعوامل التغيير الحضارى التى أخذت طريقها إلى الدلتا منذ بداية القرن المذكور ، ولم يتوقف ظهور المدن بعد ذلك ، وإن اختلفت دينامياته بعض الشيء ، فنى خلال الفترة بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦ ارتفع عدد المدن الدلتاوية من ٣٩ إلى ٦٥ مدينة ، وتوزعت المدن المستحدثة توزعاً له دلالته الإقليمية ، ولم يكن ظهورها مرتبطاً بتقهقر أخرى ، وباستثناء « نوى ، النجيلة » من مدن الدلتا فى القرن ١٩ ، وأصبحتا من قراها بعد ١٨٩٧ ، فقد شهدت خريطة مدن الدلتا ثباتاً مقترناً بظهور المدن الجديدة ، وارتبط هذا الظهور – أساساً – بجملة التغيرات الإدارية المتتالية منذ نهاية القرن ١٩ ، والتى أضافت إلى خريطتها الإدارية ٢٦ مركزاً جديداً ، بل ومحافظة جديدة كاملة ، هى «كفر الشيخ» ، التى أنشئت أولا باسم مديرية « الفؤادية » سنة ١٩٤٩ ، وذلك من باطن « الغربية » بصفة أساسية ، وأصبحت التغيرات الإدارية من أهم ديناميات الظهور المدنى فى الدلتا ، والثابت ، أن التغيرات الإدارية لا تحدث من فراغ ، بل هى ترتبط بدورها بمجموعة أخرى من العوامل الحضارية المؤثرة فى الدلتا ، لعل أهمها ما يتصل بنمو سكانها بمعدلات عالية ، ثم بزيادة المساحة المزروعة على حساب البائرة ، ثم بالآفاق الاقتصادية التى اجتازتها الدلتا نحو الصناعة وغيرها ، وجميعها تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر فى انعاش النمو المدنى فى دلتا النيل .

لقد شهدت الدلتا بين ١٨٩٧ – ١٩٢٧ ، ظهور مدن « بنها ، شبين القناطر ، أجا ، شبرا الخيمة ، كوم حمادة ، الدلنجات ، شربين » ، وأضيفت إليها بين ١٩٢٧ – ١٩٤٧ مدن « بيلا ، سمنود ، المنزلة ، المحمودية ، قلين ، ديرب نجم ،

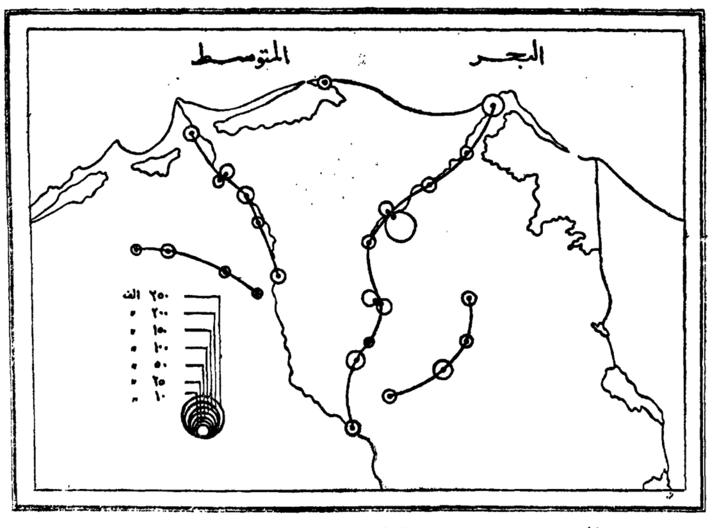
أبو حماد ، الحسينية ، الشهداء ، أبو المطامير » ، وفى الفترة بين ١٩٤٧ – ١٩٦٠ ظهرت مدن « حوش عيسى ، الخانكة ، بسيون ، قطور ، كفر سعد ، سيدى سالم ، الباجور » وبعد ١٩٦٠ ظهرت مدن « القناطر الخيرية ، كفر شكر ، بندر المطرية » ، وجميعها قد ارتبطت بالتغيرات الإدارية كما سبقت الإشارة ، ولقد أدى ذلك – آخر الأمر – إلى تغيرات لها شأنها فى خريطة توزيع شبكة المدن الدلتا ، سواء بالنسبة لمحاور توزعها الطبيعية أو خطوطها الحضارية أو إطاراتها الإدارية ، وهى بالتأكيد من أسباب ارتفاع نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل ، وأوضحت ديناميات ظهورها احتمالات البزوغ المدنى بها وإمكانياته .

والواقع أن الخريطة الحالية (١٩٦٦) لتوزع المدن الدلتاوية ليس بالصدفة أو بلا دلالة ، فالمدن لا تظهر من تلقاء نفسها ولا تنمو بذاتها ، وبصفة عامة ، يعكس هذا التوزيع العوامل الطبيعية والحضارية فى دلتا النيل ، وقد يبدو التوزع النقطى distribution لمدنها وقد اتضحت به درجة من الانتظام ، غير أن الكشف عن ارتباطه بالحجم يمنحه معناه ، كما يفسر ظاهرة توزع المدن بها(١) ، والحقيقة أنه من اليسير الكشف عن هذا الانتظام – بصفة أولية – خلال عدد من المحاور الطبيعية ، ومجموعة من الخطوط الطولية والعرضية ، و جملة الإطارات الإدارية الرئيسية فى دلتا النيل ، وذلك على النحو التالى :

أ – المحاور الطبيعية : (شكلا ٥ ، ٧)

١ – محور فرع دمياط : تتوزع على طوله مباشرة ١١ مدينة دلتاوية بداية من نقطة التفرع ، حيث تقع مدينة « القناطر الخيرية » إلى مصبه عند دمياط ، وجملة سكانها ٥٥١٠٦٦ نسمة (١٩٫٩٨٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، تقع عليه عواصم ثلاث محافظات دلتاوية (القليوبية ، الدقهلية ، دمياط) ، وتقف « المنصورة » على قمة هرمه المدنى بحجم متميز (١٥١١٩٢ نسمة) تكاد تتوسط المسافة بين المدينتين التاليتين لها حجماً على هذا المحور « دمياط » (٧١٧٨٠ نسمة)

(١) Hamdan G.M. (1959; Studies in Egyptian Urbanism". The Renaissance Book shop, Cairo P. 19.



(شكل ٧) توزيع مدن فرعى النيل وساحل المتوسط والهامش الصحراوى

إلى شمالها بنحو ٨٨ كم « بنها » (٦٣٨٤٩ نسمة) إلى جنوبها بنحو ٧٧ كم ، ولما كان طول فرع دمياط ٢٣٩ كم ، فيكون متوسط التباعد المدنى على طوله ٢٢ كم ، غير أنه يتراوح فى الواقع بين ٢٥ — ٣٠ كم ، نتيجة وجود بعض المدن المتناظرة المعروفة « بالمدن التوأم » على جانبي فرع دمياط ، مثل مدينتى « زفتى ، ميت غمر » « المنصورة ، طلخا » ، حيث لا يفصل بين كل زوج منها سوى الكوبرى بعرض المجرى ، وباستثناء المدن الرئيسية الثلاث ، فان بقية مدنه تتراوح أحجامها بين أقل من ١٠ ألف نسمة (كفر شكر وحدها) ، وبين ١٠ — ٢٥ ألف نسمة (طلخا ، القناطر الخيرية ، فارسكور ، وبين ٢٥ — ٥٠ ألف نسمة ميت غمر ، زفتى ، سمنود ، شربين) .

٢ — محور فرع رشيد :

يختلف توزيع المدن على طول هذا المحور اختلافاً كبيراً له دلالته عن السابق ، سواء من حيث العدد أو الحجم أو التباعد ، فهو لا ينتظم مباشرة سوى ٦ مدن فقط ، ثلاثة على جانبه الأيمن « كفر الزيات ، دسوق ، فوة » ، والباقية على جانبه الأيسر « شبراخيت ، المحمودية ، رشيد » ، ليس من بينها واحدة بحجم متميز ، فأكبرها « دسوق » (٤٥٥٨٠ نسمة) ، وهى مع « رشيد ، كفر الزيات ، فوة » على الترتيب من فئة حجمية ٢٥ — ٥٠ ألف نسمة ، أما بقيتها فبين ١٠ — ٢٥ ألف نسمة ، وبالطبع فان الثقل المدنى لهذا المحور أقل منه فى محور دمياط ، فجملة سكان مدنه ١٧٦٨٧٧ نسمة ، (أقل من حجم مدينة المنصورة وحدها) ونسبة ٦ر٤١٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، وأقل من ٣٢٪ من جملة سكان مدن فرع دمياط .

ومن ظواهر التوزع الهامة على هذا المحور ، أنه لمسافة أكثر من ١٢٠ كم على طوله من بدايته عند القناطر ، لا تقع عليه مباشرة أى مدينة حتى « كفر الزيات » ، ويرجع ذلك إلى متاخمة الهامش الصحراوى للفرع حتى كفر الزيات ، وانفساحه عنه بعدها ، وبحساب التباعد المدنى بطول الفرع كله (٢٤٥ كم) يبلغ ٤١ كم ، غير أنه بحسابه واقعياً بين كفر الزيات ورشيد ، فانه يبلغ نحو ٢١ كم ، أى مثل فرع دمياط تقريباً .

٣ – محور ساحل البحر المتوسط الدلتاوى :

ويقصد به ذلك القطاع من ساحل البحر المتوسط بين مصبي دمياط ورشيد ، وهو لا يمثل محوراً للتوزع المدنى لأسباب تتصل ببوار ظهيره طوال العصور الوسطى وإن كانت خرائطه التاريخية تشير إلى وجود عدد من مدن الدلتا القديمة (البشارود ، نستراوة ، البرنس)(١) ، إلا أنه الآن لا ينتظم سوى ثلاث مدن « دمياط ، بلطيم ، رشيد » ، والأولى والثالثة مدينتان نيليتان بأكثر منهما بحريتان ، وقد سبقت الإشارة إليها ، يتبقى « بلطيم » عاصمة ذلك الإقليم الصغير المتميز ، البرلس ، بحجم صغير (١٦٠٩١ نسمة) ، وتجدر الإشارة هنا ، إلى احتمالات للظهور المدنى على طول هذا الساحل ، استجابة لعوامل النمو العمرانى شمالى كونتور ٣م فى دلتا النيل ، خاصة بعد تقلص البرارى ، وبعد أن لامست الخضرة – أو كادت – مياه بحيرة البرلس ، وبالأخص إذا ما نفذت بعناية مشاريع حماية ساحل الدلتا الشمالى من التآكل ، وهى ليست أخطر مشاكله فحسب ، بل هى أيضاً من أخطر مشاكل التوسع الزراعى فى شمالى الدلتا برمته(٢) .

٤ – الهوامش الدلتاوية الصحراوية :

يتوزع على طول هذه الهوامش ٨ مدن ، نصفها على الهامش الشرقى (الخانكة ، بلبيس ، أبو حماد ، أبو كبير) ، وهى داخل الإطار الإدارى للشرقية باستثناء « الخانكة » فهى من مدن « القليوبية » ونصفها الآخر (كوم حمادة ، الدلنجات ، حوش عيسى ، أبو المطامير) وجميعها من مدن « البحيرة » ، ومن ظواهر التشابه بين مدن الهامشين ، انتظام التباعد المدنى على طولهما بمتوسط ٢٥ – ٣٠ كم ،

---

(١) للاستزادة أنظر :

أ – Ball John (1942) Egypt in the Classical Geog-raphers" Cairo

ب – أطلس أسفل الأرض . إعداد الأمير عمر طوسون (١٠ لوحات) مقياس الرسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

(٢) Said R. «Remarks on the geomorphology of the deltaic coastal plain between Rosetta and Port Said" Bull. Soc. Geog. d'Egypte Tom .31 P. 116.

بين مدن كل هامش ، وتتميز مدن الهامش الشرقى بأنها أكبر حجماً فى المتوسط من مدن الهامش الغربى ، كما أنها أقدم ظهوراً ، فجملة سكان مدن الهامش الشرقى ١٤١ ٥٣٤ نسمة ، بمتوسط ٣٥ ٣٨٤ نسمة ، أما متوسط حجم المدينة على الهامش الغربى فهو ١٧ ٦٧٨ نسمة ، أى نحو نصف حجم المدينة فى الهامش الشرقى ، حيث أن جملة سكان مدن الهامش الغربى ٧٠ ٧١٣ نسمة ، وهكذا . . فان الهامشين يتميزان — معاً أيضاً — بأن متوسط حجم المدينة على طولهما أقل من متوسطها العام فى الدلتا حسب ١٩٦٦ ، وهو ٤٢٤٢٩ نسمة ، ويستوعبان معاً نحو ٧ر٧٪ من جملة سكان المدن فى دلتا النيل .

(ب) خطوط المدن الطولية والعرضية فى دلتا النيل

بينما تطورت دراسة المدن المنفردة فى مونوجرافات تفصيلية ، ما تزال الجوانب الإقليمية لتوزيع المدن تواجه مشكلة المنهج أساساً ، مصدرها طبيعة التوزيع النقطى للظاهرة المدنية ، فالمدن تمثل نقطاً لا نطاقات تتفاوت أهمية وحجماً ، يصعب تعميم ضوابطها(١) ، ويقترح « سور » حل هذه المشكلة بفكرته عن الخطوط المدنية Lignes-Urbains لخطوط القوة الحقيقية فى مدن الإقليم Lignes—de force(٢)، وهى فكرة تبدو مناسبة لتفهم التوزع المدنى فى الدلتا عامة ، وقد يكون من الصعب إيجاد ربط تام بين الحجم والوظيفة ، ومع ذلك فهناك ملامح وظيفية نوعية ترتبط فى خطوطها العريضة بالحجم ، وتعبر مراتب الحجم المدنى فى الدلتا عن هذه الحقيقة ، ويتيح التحرك بالتحليل على طول خط المدن اكتشاف هذه المراتب ، وتحديد مدى التجانس بينها ، والواقع أن حجم المدينة — فى الذهن العام — معيار معقول لأهميتها ، وبوجه خاص لقيمة موقعها ، ويشترك الموقع والحجم فى اضفاء أهمية إقليمية خاصة للمدينة .

والواقع أن بقية مدن الدلتا تنتظمها مجموعة من الخطوط الطولية المرتبطة بترعها

---

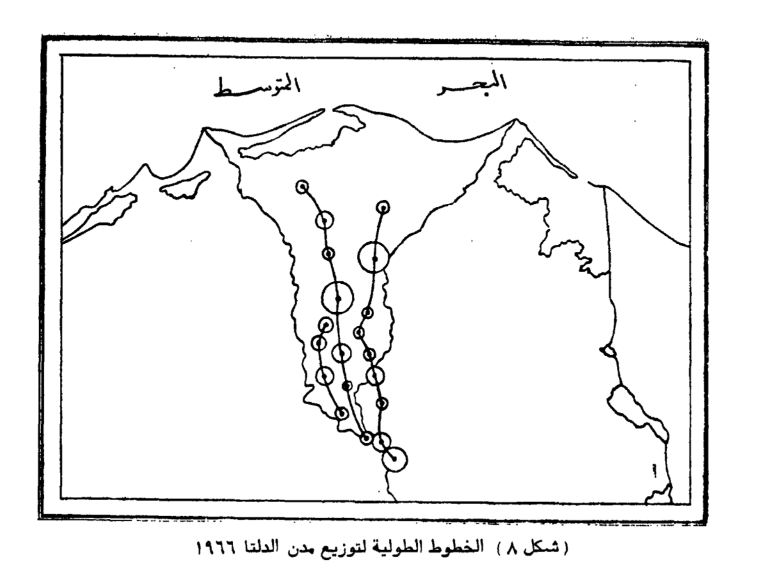
(١) Bousedt Olaf (1963) The delimatation of Urban areas" Gibbs, Jack P eds . Urban research methods, Van Nastrand princeton P. 197.

(٢) Max sorrs (1952) Fundments de la Geog-humaine" t. 111. Habitat Paris P. 205.

الرئيسية وخطوط مواصلاتها الحديدية والبرية ، تتقاطع معها مجموعة أخرى من الخطوط العرضية المرتبطة بمراحل تعمير الدلتا ونمو مساحتها المزروعة وتقلص البائرة والأغلب أن كل خط منها يمثل رد فعل حضارى لعدد من العوامل الأولية فى الإقليم، ورغم أن العوامل الطبيعية كثيراً ما تسود هذه العلاقة ، إلا أن خطوط المدن فى النهاية ليست خطوط تضاريس ، ويمكن الآن الإشارة إلى هذه الخطوط على النحو التالى :

١ - الخطوط الطولية (شكل ٨) :

وهذه تنتظم معظم مدن الدلتا بين فرعيها ، وأهم ما يميزها استقامتها شبه الكاملة ، فالخط منها يبدأ غالباً من رأس الدلتا ، متجهاً إلى شمالها ، ومنتظماً مجموعة من المدن على طوله بايقاع مسافات منتظم أو يكاد ، وبتفاوت حجم له معناه ، وجملتها ثلاثة خطوط ، تبدأ من مدينة القناطر الخيرية ، أما الأول - الرئيسى فيشمل إلى جانب « القناطر » مدن « الباجور ، شبين الكوم ، طنطا (وسطه وعقده) ، قطور ، كفر الشيخ » ، ويمكن أن يضاف إليه « سيدى سالم » ، غير أن لهذه المدينة وضع خاص ستأتى الإشارة إليه بعد قليل ، فهو يخترق ٤ محافظات (القليوبية ، المنوفية ، الغربية ، كفر الشيخ) ، وتقع عليه عواصم الثلاث الأخيرة (شبين الكوم، طنطا ، كفر الشيخ) ، وتتوسطه « طنطا » بحجم يميزها كأكبر مدن الدلتا حجماً (٢٢٩٩٧٨ نسمة) ، حيث تقع ثلاثة من مدن الخط إلى جنوبها ، ومثلها إلى شمالها ، ويستوعب الخط ٤١٥٤٣١ نسمة (١٥٫٠٦٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، وينحدر خط الحجم من طنطا جنوباً وشمالا ، مع تميز مدينتى « شبين الكوم » (٦٦٢٩٠ نسمة) و « كفر الشيخ » (٥١٥٤٤ نسمة) بحجم خاص مرتبط بوظيفتها الإدارية كعاصمتين رئيسيتين ، أما بقية مدنه فن حجم متواضع أقل من ٢٥ ألف نسمة ، وتشير أرقام التباعد على طول هذا الخط إلى درجة من الانتظام ، حيث يبلغ متوسطه ٢٥ كم على طوله ، وهناك تناظر واضح فى المسافات باعتبار « طنطا » قمة الخط ، فالمسافة بينها وبين « شبين الكوم » جنوبها وقطور شمالها هى ٢٦ كم ، وبينها وبين كل من « كفر الشيخ » ، « الباجور » نحو ٤٥ كم ، وتكاد الأخيرة أن



(شكل ٨) الخطوط الطولية لتوزيع مدن الدلتا ١٩٦٦

تتوسط المسافة بين « شبين الكوم » و « القناطر الخيرية » ، وإن كانت أقرب للأولى قليلا ، وتكاد قطور تتوسط المسافة بين « طنطا وكفر الشيخ » ولكنها أقرب أيضاً للأولى قليلا .

وإلى جانب هذا الخط الرئيسى ، يوجد آخران شرقه وغربه بين فرعى النيل ، أما الشرقى فيبدأ من « شبرا الخيمة » منتظماً مدن « قليوب ، طوخ ، قويسنا ، بركة السبع ، السنطة ، المحلة الكبرى ، بيلا » من مدن « القليوبية ، المنوفية ، الغربية وكفر الشيخ » ، وجميعها عدا الثلاث الأولى بين فرعى الدلتا ، ويتقاطع هذا الخط مع فرع دمياط عند « بنها » فهى من مدنه أيضاً ، وتبلغ جملة سكان مدنه — دون حساب بنها — إلى ٤٩٥١٣٨ نسمة (١٧,٩٥٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، وباستثناء « المحلة الكبرى » (٢٢٥ ٣٢٣ نسمة) ثانية مدن الدلتا حجماً ، و « شبرا الخيمة » (١٠٤١٣٩ نسمة) سادسة مدن الدلتا ، فان بقية مدن الخط تقع فى فئتى حجم ١٠ — ٢٥ ، ٢٥ — ٥٠ ألف نسمة ، وتقف المدينتان بهذا الحجم دون أن يؤثرا على التباعد المدنى على طوله ، مما يشير إلى أن هذا التضخم الحجمى إنما يعود لأسباب خاصة غير مجرد العلاقات الإقليمية الدلتاوية العادية ، ويبرز على الفور — فى هذا السياق — الوظيفة الصناعية الراسخة للمدينتين ، ولذلك تعد المدينتان — دائماً — خارج حسابات المسافات الإقليمية فى الدلتا بين مدنها ، فقد وصلت « المحلة الكبرى » إلى هذا الحجم رغم موقعها فى ظل مدينتى « طنطا ، والمنصورة » على مسافة ٢٨ كم من كل منهما ، فهى تتوسطهما ، وتبعاً لعلاقات الحجم والتباعد بين مدن الدلتا ، فقد كان من المفروض أن لا يزيد حجم المحلة الكبرى على ٢٥ ألف نسمة ، فيصبح موقعها مبرراً فى إطار الوظيفة الإدارية للمدن الدلتاوية ، أما وصولها إلى هذا الحجم فبحكم « وظيفة » أخرى اجتذبت إليها الأيدى العاملة من الريف المحيط(١) ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لبندر « شبرا الخيمة » فان موقعه فى ظل

---

(١) تزايدت جملة سكان مدينة المحلة الكبرى من ٣١٧٩١ نسمة (١٨٩٧) إلى ٤٥٦٤٢ نسمة (١٩٢٧) إلى ١١٥٧٥٨ نسمة (١٩٤٧) .. ثم إلى ١٧٨٢٨٨ نسمة (١٩٦٠) . وأخيراً إلى ٢٢٥٣٢٣ نسمة (١٩٦٦) .. فتكون جملة زيادتها فى أقل من ٧٠ سنة هى ١٩٣٥٢٣ نسمة ، بنسبة ٦٠٩ ٪ ، بمتوسط سنوى ٨,٧٠ ٪ ، بينما لا تزيد هذه النسبة السنوية فى الدلتا على ٢,٣٨ ٪ سنوياً .

مدينة « القاهرة » لا يبرر هذا الحجم ، ثم هو يكاد يتوسط المسافة بين « القاهرة وبنها» ولم يتح قط لمدينة مثل « قليوب » أو « طوخ » أن تنمو فوق الحد ، فهما دائماً ضمن الحسابات العادية للحجم والتباعد المدنى الدلتاوى ، أما « شبرا الخيمة » ، فقد تضخمت وبسرعة بحكم الوظيفة الصناعية ، التى قلبت الحسابات العادية للحجم رأساً على عقب[1] ، وإن ظلت حسابات التباعد على حالها على طول الخط ، حيث يبلغ متوسطها ٢٥ كم ، باعتبار أن طوله ١٥٠ كم .

ويبدأ الخط الغربى من « القناطر » ينتظم مدن « أشمون ، منوف ، الشهداء ، تلا » تقع جميعها فى محافظة المنوفية ، وتمثل مجموعة المدن التى أولت ظهورها لفرع رشيد ، وتباعدت عن جانبه الشرقى بمسافات بين ١٠ — ١٥ كم ، وتدور كوكبتها حول شبين الكوم لخدمة ريف المنوفية الكثيف ، ولا تزيد نسبة ما تستوعب من سكان مدن الدلتا عن ٦٣ر٤٪ (١٢٧ ٨١٩ نسمة) . ومن الواضح أنه خط قصير لأنه إلى الشمال من « تلا » ينفسح السهل الدلتاوى إلى الغرب من فرع رشيد ليشمل محافظة « البحيرة » بعلاقاتها الإقليمية الخاصة ، والتباعد على طول الخط منتظم عامة — شأن الخطوط الأخرى — ومتوسطه ٢٠ كم باعتبار أن المسافة بين القناطر وتلا هى نحو ٨٠ كم .

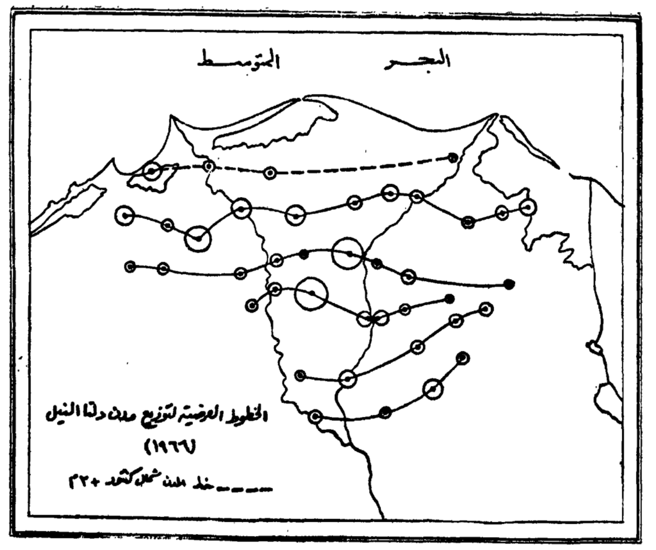
٢ — الخطوط العرضية : (شكل ٩)

تتميز أيضاً مثل سابقاتها الطولية باستقامتها إلى حد كبير ، وبانتظام التباعد على طولها وبتراتب الأحجام ودلالتها الإقليمية ، ويمكن تحديدها على النحو التالى من الشمال للجنوب :

الخط الأول : ينتظم مجموعة المدن المتوزعة حيث ينفسح السهل الدلتاوى إلى أقصاه شرقاً وغرباً ، ويبدأ من كفر الدوار غرباً ، إلى المطرية على بحيرة المنزلة شرقاً

---

(١) لا تظهر شبرا الخيمة فى تعداد ١٨٩٧ ، وتظهر بحجم متواضع فى ١٩٢٧ (٨٦٠٧ نسمة) باسم ضواحى مصر ، وتبلغ جملة زيادتها بين ٢٧ — ١٩٦٦ (٩٥٥٣٢ نسمة) ، بنسبة ١١١٠ ٪ ، أى أن متوسط الزيادة السنوية يبلغ نحو ٢٨ ٪ ، وهى أعلى نسبة زيادة بين مدن الدلتا .



(شكل ٩) الخطوط العرضية لتوزيع مدن دلتا النيل (١٩٦٦)

مروراً بمدن « أبو حمص ، دمنهور ، دسوق ، كفر الشيخ ، بيلا ، بلقاس ، شربين ، دكرنس ، المنزلة » ، من مدن محافظات « البحيرة ، كفر الشيخ ، الدقهلية » ، ويتقاطع مع محور رشيد عند « دسوق » ، ومع خطوط وسط الدلتا الطولية عند « كفر الشيخ ، بيلا » ، ومع محور دمياط عند « شربين » المناظرة تماماً لموقع « دسوق » ، وتعد « دمنهور » قمة الخط حجماً (١٤٦٠٧٩ نسمة) ، وهى خامسة مدن الدلتا فى هرم أحجامها العام ، ولا يقترب منها على طول الخط مدينة أخرى أهمية أو حجماً ، وهى وحدها تستوعب نحو ٤٦٪ من جملة سكان مدن الخط ، وهى تبلغ ٣١٧ ٣٣٧ نسمة (١٢٫٢٣٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، وقد استبعدت منها المدن التى سبق حساب أحجامها ، ويزيد متوسط التباعد المدنى على هذا الخط العرضى عنه فى أى خط طولى ، فهى بين ٣٠ — ٣٥ كم ، باعتبار أن طوله ٣٥٠ كم ، ولما كان من المعروف أن المواصلات عبر الدلتا بالعرض كانت دائماً أكثر صعوبة منها بالطول(١) ، فالأغلب أن هذا الخط الشمالى قد ارتبط لفترة طويلة بنهاية العمران الدلتاوى الشمالية ، ربما حتى نهاية القرن ١٩ ، خاصة وأنه يتفق إلى حد كبير مع الخط الذى كان يعد نهاية الرى الحوضى فى الدلتا حتى منتصف القرن المذكور(٢) ، ويشير البزوغ المدنى الحديث شمالى هذا الخط إلى إمكانية تشكل خط مدنى جديد ، ويمكن اعتبار ظهور مدينتى « سيدى سالم ، كفر سعد » بعد ١٩٦٠ ، باكورة هذا الخط المحتمل ، خاصة وأن « كفر سعد » لا تقع على محور أو خط محدد ، كما أن ضم « سيدى سالم » إلى خط الدلتا الطولى الرئيسى ، كان باعتبار الاتجاه ، بأكثر منه باعتبار الوظيفة ، فالواقع أن ظهور

(١) للاستزادة أنظر :

Hamdan G.M (1962) 'The patterns of medivial Urbanism in the Aıab world' Geography, April

(٢) كان الرى الحوضى يتمثل فى الدلتا فى مستهل القرن ١٩ ، جنوبى خط يمتد عامة بين « الدلنجات دمنهور ، دسوق ، بيلا ، فاقوس ، أبو الأخضر » . وكانت فروع النيل ومجاريه تتدفق حرة فوق الإقليم شمالى هذا الخط .

(أنظر : Sirry Bey, H (1935) "Irrigation policy" Ministry of public works, Cairo.

«كفر سعد ، وسيدى سالم » ، إنما هو تعبير عن مرحلة تم فيها استصلاح البرارى وامتلائها بالسكن والسكان ، ومن ثم برزت حاجتها لمراكز خدمتها الإقليمية ، خاصة وأن المسافات بين قرى البرارى بعيدة عن عواصم الخطوط المدنية الدلتاوية القديمة ، ومما يؤكد هذا الاتجاه وهذه الاحتمالات بزوغ « مطوبس ، إدكو » إلى مستوى المدن الدلتاوية بعد ١٩٧٥ ، إشارة إلى بداية استكمال هذا الخط المدنى الشمالى النهائى فى الدلتا لوحداته المدنية ، والمرجح وجود مراكز سكنية أخرى تستعد للبزوغ ضمن هذا الخط ، استجابة لعوامل النمو العمرانى شمالى كونتور + ٣م ، فى دلتا النيل ، وهو موضوع يستحق دراسة أوسع ، ربما لا يكون هنا مجالها .

الخط الثانى : ويلى الأول جنوباً ، يمتد بين أبو المطامير غرباً ، والحسينية شرقاً ، وينتظم مدن « الدلنجات ، إيتاى البارود ، بسيون ، قطور ، المحلة الكبرى ، أجا ، السنبلاوين » من مدن « البحيرة ، الغربية ، الدقهلية » ، ويتقاطع مع خطوط وسط الدلتا عند « قطور ، المحلة الكبرى » ، كما أنه قد سبقت الإشارة إلى « أبو المطامير ، الدلنجات » باعتبارهما من مدن الهامش الغربى الصحراوى ، وتبلغ جملة سكانه - باستثناء المدن التى سبق حسابها - ٩٦٤١٥ نسمة (٣ر٥٠ ٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، وهى فى مجموعها مدن صغيرة الحجم أو متوسطة ، أكبرها - عدا المحلة - « السنبلاوين » (٤٠٦٨٦ نسمة) ، والتباعد بين مدن هذا الخط أقل منه من السابق يتراوح بين ٢٥ - ٣٠ كم ، ومعظم مدنه قد ظهرت إدارياً بعد ١٩٤٧ ، وذلك ضمن مجموعة التغيرات الإدارية التى تعرض لها وسط الدلتا عند إنشاء مديرية الفؤادية فى ١٩٤٩ .

الخط الثالث : وينتظم إلى الجنوب من الخط السابق مجموعة مدن « كوم حمادة ، كفر الزيات ، طنطا ، زفتى ، ميت غمر ، ديرب نجم ، كفر صقر » . ويوضح حقيقة توزيعية هامة ، وهى التداخل الواضح بين الخطوط الطولية والعرضية ، حيث يقل انفساح الدلتا ، وتصبح المدن داخل مربعات أو مستطيلات من تقاطع خطوطها ، ولذلك فهذا الخط يوضح اتجاهاً توزيعياً ، أكثر مما يعبر عن حالة مدنية خاصة ، فمعظم قوته قد سبق حسابها ضمن خطوط أخرى ، لا يتبقى منها سوى

« ديرب نجم ، وكفر صقر » ، وهما من أصغر مدن الدلتا حجماً ، وتبدو أهمية هذا الخط ، فى كونه يكاد يقسم الدلتا إلى قسمين شمالى وجنوبى ، وبتقاطعه مع خط وسط الدلتا الرئيسى عند « طنطا » ، يبرز هذه العقدة المدنية الهندسية — أو تكاد — لشبكة المدن الدلتاوية .

الخط الرابع : وينتظم مدن « منوف ، الباجور ، بنها ، الزقازيق ، أبو كبير ، فاقوس » ، ويلاحظ أن هذا الخط لا يبدأ من غرب فرع رشيد مثل سابقيه ، ولكن استمراره شرق فرع دمياط مستمراً لابتعاد الهامش الصحراوى عنه ، و التباعد منتظم على طوله بدرجة عالية ، ويقدم موقع الزقازيق نموذجاً فريداً لانتظام التباعد المدنى . فهى بحجمها المتميز (١٥١١٨٦ نسمة) كرابعة مدن الدلتا(١) ، تقع على مسافة متساوية تماماً من أولى « طنطا » وثالثة « المنصورة » مدن الدلتا حجماً. فهى تبعد عن كل منها ٥٧ كم تماماً ، وعلى مسافة ٨٤ كم تماماً من كل من « القاهرة » والمحلة ، وتكاد « بنها » تتوسط المسافة بينها وبين « طنطا » ، وهى على مسافات متقاربة من معظم مدن محافظتها ، كما سيأتى بيانه .

الخط الخامس : وهو خط قصير يشمل مدن « أشمون ، شبين القناطر ، بلبيس ، أبو حماد » ، ويناظر الخط القصير الغربى ضمن خطوط الدلتا الطولية ، وتمثل « أشمون » نقطة التقاء الخطين ، ويمثل آخر خطوط المدن العرضية فى دلتا النيل .

وهنا تجدر الإشارة ، إلى أن هذا التصور الخاص لخطوط توزع مدن الدلتا ، لا يرمى إلى أبعد من تقديم رؤية قد تكون كلية ، يسودها قدر ما من الانتظام ، بغرض الوصول إلى تفهم أفضل لشبكة المدن الدلتاوية ، واستبدال التوزيع النقطى السائد لهذه المدن ، بمستوى آخر من التوزيع المرتبط بدراسة أولية للحجم والتباعد ، وذلك من خلال مجموعة من المحاور والخطوط ، التى وإن كانت معتمدة على أسس

(١) ظهرت الزقازيق فى تعداد ١٨٩٧ بحجم سكانى قدره ٣٥٧١٥ نسمة ، وكانت قبل ذلك بقليل مجرد معسكر لتجميع عمال التراحيل ، وهى قد تزايدت بين ١٨٩٧ — ١٩٦٦ بنسبة ٣٢٣ ٪ أى بمتوسط زيادة سنوية قدرها ٤,٦٢ ٪ .

واقعية وإحصائية ، إلا أنها ليست نهائية بحال من الأحوال ، واستمراراً لنفس الرؤية ، يمكن تقديم هذه الزاوية أيضاً من زوايا توزع المدن الدلتاوية .

(ج) الاطارات الادارية :

ما تزال الإطارات الإدارية فى دلتا النيل ، تمثل أوضح التشكيلات المرتبطة بتوزيع مدنها ، بالإضافة إلى أن المادة الاحصائية الخاصة بهذه المدن تجيء ضمن هذا الإطار ، وتؤدى العلاقات الإقليمية الداخلية - غالباً - إلى تعميق اتجاهات الحركة فيما بينها ، خاصة وأن الصورة الإدارية المتكررة فى الدلتا تتكون من محافظات (مديريات) تحتوى كل منها بدورها على عدد من المراكز ، لكل مركز منها عاصمته تدور جميعها - أو معظمها - حول عاصمة المحافظة التى تتمتع - غالباً - بحجم متميز بينها ، ولما كان الظهور المدنى فى دلتا النيل مرتبطاً بالاحتياجات الإقليمية إلى مركز للخدمات Central seivice فقد أدى ذلك إلى وضوح نسق خاص بتراتب المدن داخل الإطار الإدارى من حيث الحجم والتباعد معاً ، ولا شك أن عامل الخدمات المركزية ، يعد من أهم عوامل تحديد المسافات بين مدن الإقليم ، غير أنها لا تؤدى بالضرورة إلى تباعد منتظم تماماً فيما بينها(١) ، والواقع أن تشكيلات المدن داخل إطاراتها الإدارية الدلتاوية ليست بلا دلالة ، فلكل منها علاقاته المدنية المنتظمة بدرجات تحددها ظروف بنائها وخصائص إقليمها ، غير أن ذلك لا ينفى وجود مستوى دلتاوى عام يشملها جميعاً بقدر ما من التشابه ، وبدراسة تشكيلات المدن الدلتاوية فى إطاراتها الإدارية يمكن تبين ما يلى :

١ - تمثل عاصمة كل محافظة - غالباً - مستوى الحجم الذى تتراتب إليه بقية مدنها ، وباعتبار أن هذه العاصمة تمثل المدينة الأولى Primate City ، فيمكن اعتبار أن حجمها = ١٠٠ حتى يمكن قياس بقية مدن المحافظة إليه على النحو التالى :

---

(١) U l man E dward, (1965) "A theary of Location for cities" Mayeanrd Kahm. eds. "Readings in Urban Geopgraphy" Univ. of Chicaga Chicago press p p.2 03—205.

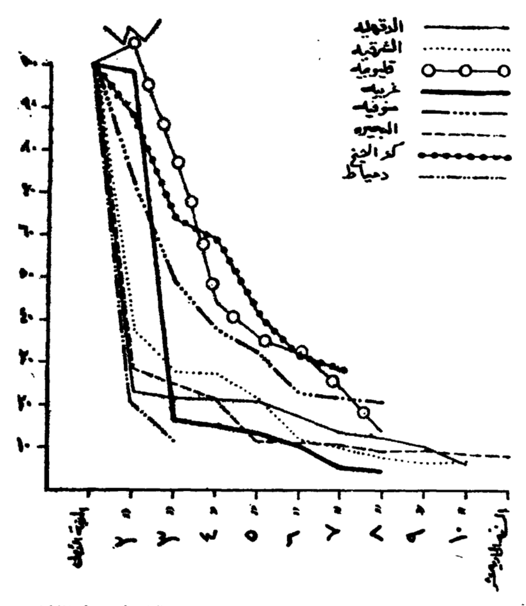
(النسبة مقربة للواحد الصحيح حسب أرقام ١٩٦٦)

التراتب / المحافظة	المدينة الأولى	المدينة الثانية	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
الدقهلية	١٠٠	٢٣	٢٢	٢١	٢١	١٧	١٣	١٢	١٠	٦	—
الشرقية	١٠٠	٣٨	٢٨	٢٧	٢١	١٢	١٠	٩	٧	٧	—
القليوبية	١٠٠	١٦٣	٧٧	٤٤	٣٥	٣٢	٢٤	١٤	—	—	—
الغربية	١٠٠	٩٨	١٦	١٥	١٣	١٠	٥	٤	—	—	—
المنوفية	١٠٠	٧٣	٤٩	٣٨	٣٣	٢٣	٢٢	٢١	—	—	—
البحيرة	١٠٠	٢٨	٢٥	٢١	١٢	١٢	١١	٩	٩	٨	٨
كفر الشيخ	١٠٠	٨٨	٦٤	٥٩	٤١	٣١	٢٨	—	—	—	—
دمياط	١٠٠	٢١	١٢	—	—	—	—	—	—	—	—

وبدراسة الجدول وشكل (١٠) يمكن تقرير ما يلى :

— تجىء عاصمة المحافظة فى المرتبة الأولى حجماً بين مدن المحافظات الدلتاوية ، عدا « القليوبية » التى يتقدم فيها بندر « شبرا الخيمة » على عاصمة محافظة « بنها » (١٦٣٪) لأسباب تتصل بحجم وظيفته الصناعية ، ثم بمعدلات نموه السكانى العالية ، وينحدر خط التراتب بشدة بين المدينتين الأولى والثانية فى محافظات « الدقهلية ، دمياط ، الشرقية ، البحيرة » ، إذ لا يتجاوز بها حجم المدينة الثانية ربع الأولى سكانياً ، أما فى محافظات « الغربية ، كفر الشيخ ، المنوفية » ، فالانحدار بسيط نسبياً بين المدينتين الأولى والثانية ، حيث يتقارب حجم « المحلة » مع « طنطا » فى الغربية ، و « دسوق » مع « كفر الشيخ » فى كفر الشيخ ، و « منوف » مع « شبين الكوم » فى المنوفية ، ثم ان الانحدار يعود فيشتد بين المدينتين الثانية والثالثة فى محافظة الغربية خصوصاً ، وبدرجة أقل فى « المنوفية وكفر الشيخ والقليوبية » .

- يتضح أن هرم أحجام المدن فى محافظات الدلتا ، قوامه قاعدة عريضة من المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم (أقل من ٢٥ ألف نسمة) ، تعلوه قمة ضيقة من



(شكل ١٠) تراتب مدن محافظات الدلتا بالنسبة لعواصمها ١٩٦٦

مدينة أو مدينتين كبيرتين حجماً ، وذلك دون تدرج هرمى ناضج ، مما يعنى بدرجة ما اختلالا فى تشكيل التراتب المدنى حسب الحجم فى هذه المحافظات ، وفى الدلتا عموماً بالضرورة ، وبتفاوت معدلات النمو السكانى بينها ، فضلا عما يشير إليه وجود هذه الكثرة من المدن الصغيرة من ضعف الحياة المدنية والحضرية ، التى لا تنتعش إلا فى إطار مدنى معقول الحجم ، وقد يعود هذا التفاوت إلى العوامل المتصلة بموقع المدينة ووظائفها ، وهى العوامل التى تفسر ظاهرة تفاوت الحجم بين مجموعة مدن تقع فى منطقة متجانسة طبيعياً وحضارياً ، وقد أثبتت الدراسات أن نسبة هامة من حجم المدينة الكبيرة ، ترجع إلى وظائفها الثانوية التى تستفيد بها المدينة من مزاياها الخاصة ، مما يؤدى إلى نموها ، فالى مزيد من النمو ، حسب قانون تداعى الوظائف The law of mulipthiers والمرجح أن هذا العامل وراء الحجم الخاص لبعض مدن الدلتا ، حيث توفر الميزات الايكولوجية ، التكاليف الابتدائية التى لا مفر منها لمدينة جديدة(١) .

تستوعب المدينة الأولى فى محافظات « الدقهلية ، الغربية ، الشرقية ، البحيرة ، دمياط » ، نسبة ٤٠٪ فى الثلاث الأولى ترتفع إلى ٧٥٪ فى الأخيرة ، وذلك بالنسبة لجملة سكان المدن فى كل منها ، تنخفض إلى ٢٧٪ فى « المنوفية » ثم إلى ٢٤٪ فى « كفر الشيخ » ، وإلى أدناها فى « القليوبية » ١٧٪ ، غير أنها إذا حسبت بالنسبة للمدينتين الأوليتين معاً فى محافظات « الغربية ، المنوفية ، كفر الشيخ ، القليوبية » فان هذه النسبة ترتفع إلى « ٧٥٪ ، ٤٧٪ ، ٤٦٪ ٤٥٪ » على الترتيب بها ، ومعنى هذا ، أن قياس نسبة المدنية العامة على مستوى المحافظات ــ أو الدلتا ــ قد يكون مضللا إلى حد كبير ، ذلك أن الحياة المدنية فى المحافظة تتكثف فى مدينة أو مدينتين من مدنها ، والاتجاه نحو مزيد من التكثيف يهدد الحياة المدنية فى الإقليم بالذبول.

٢ ــ يمنح تباعد المدن عن عواصمها الرئيسية داخل الإطارات الإدارية فى الدلتا كثيراً من الدلالات الإقليمية ، وبدراسة الصورة فى محافظات « الشرقية ، البحيرة ،

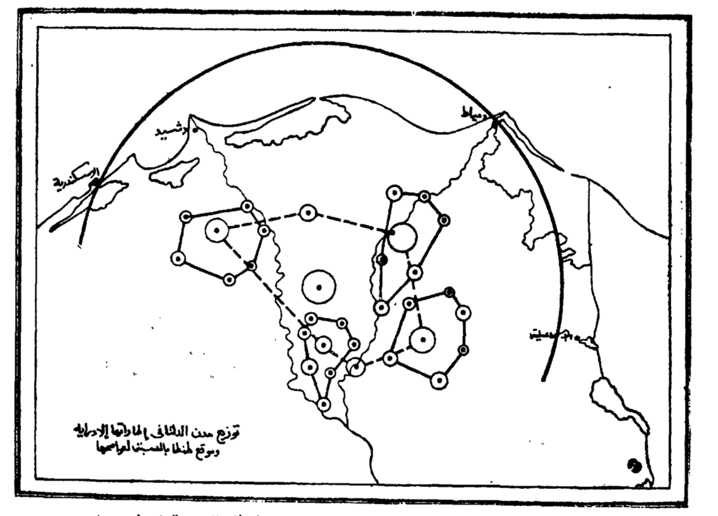
---

(١) جمال حمدان « جغرافية المدن » النهضة المصرية . د . ت . ، القاهرة ، ص ٤١٥ .

الدقهلية » (شكل ١١) ، يتبين أن عواصم هذه المحافظات تمثل مراكز لدوائر كاملة – أو تكاد – ينتظم محيطها مجموعة المدن الإقليمية (عواصم المراكز) الدائرة فى فلكها ، وأن الانتظام يتبدى فى تساوى أنصاف الأقطار بين المركز والمدن الأصغر من ناحية ، وبين هذه المدن على محيط الدائرة وبعضها البعض من ناحية ثانية ، ويبلغ طول نصف القطر فى الشرقية نحو ٢٥ كم ، ومتوسط التباعد بين المدن على محيط الدائرة بها بين ٢٥ – ٣٠ كم ، ويزيد نصف القطر فى « البحيرة » إلى ٣٠ كم وهو بين ٣٠ – ٣٥ كم بين مجموعة المدن الأصغر وبعضها ، ويتساوى نصف القطر فى «الدقهلية » مع الشرقية ، وتتساوى مع البحيرة من حيث المسافات بين المدن الأصغر وبعضها ، وبالنسبة للمدن التى تظهر خارج الدائرة فى المحافظات الثلاث ، فلكل منها ظروفها الخاصة ، المرتبطة بامتداد العمران شرقاً فى كل من « الشرقية ، والدقهلية » ، ومن ثم فقد ظهرت مدن « فاقوس ، الحسينية » فى الشرقية و « المنزلة والمطرية » فى الدقهلية ، وكذلك أدى امتداد العمران غرباً فى البحيرة إلى ظهور « أبو المطامير ، كفر الدوار » ، غير أن هذه المدن الهامشية بالنسبة لمحافظاتها قد انتظمت فى علاقات تباعد إقليمية متشابكة مع عناصر عديدة طبيعية وحضارية بكل منها ، ويتدعم هذا التصور من خلال شبكة المواصلات الحديدية والبرية فى هذه المحافظات .

ويتخذ الانتظام تشكيلات أكثر تعقيداً فى محافظات الدلتا بين فرعيها « الغربية ، المنوفية ، القليوبية ، كفر الشيخ ، دمياط » ، وباستثناء الأخيرة لقلة عدد مدنها ، فان علاقات التباعد بين بقية المحافظات قد تداخلت وتعقدت ، بحيث أصبحت العلاقات المسافية بينها ، وكأنها تخضع لضبط قطب قوى تمثله مدينة طنطا ، وقد سبقت الإشارة إلى مجموعة المحاور الطبيعية والخطوط الحضارية التى تربط بينها ، وبقيت إشارة سريعة إلى دور مدينة طنطا فى هذا المجال .

٣ – بغض النظر عن الإطارات الإدارية الدلتاوية ، وبالنظر إليها ككل ، يمكن تبين موقع مدينة طنطا المتميز بين شبكة المدن الدلتاوية عامة ، ففضلا عن كونها أكبرها حجماً ، فانها تكاد تتوسطها هندسياً ، فهى عقدتها إقليمياً ، بما يكاد يتفق



(شكل ١١) توزيع مدن الدلتا فى اطاراتها الادارية وموقع طنطا بالنسبة لعواصمها

مع بعض التصورات النظرية لتوزيع المدن فى الإقليم ، فمثلا ، يتصور أنه تحت ظروف السطح المتسقة ، فان المدينة يمكن أن تقوم فى موقع متوسط من هذا المكان(١) ، وقد أدى موقع « طنطا » المتوسط إلى تجمع مواصلات الدلتا الحديدية والبرية بها . بحيث أصبحت عقدة مواصلاتها ، كما ساهم وجود المجارى المائية ، وعدم وجود حواجز طبوغرافية فى نموها ، بحيث أصبحت المدينة الأولى فى الدلتا منذ نهاية القرن ١٩ ، لقد استثمرت هذه المدينة لصالحها جملة العوامل الحضارية الدلتاوية المؤثرة ، وهى بحجمها وموقعها قد منحت شبكة المدن الدلتاوية المعنى والدلالة ، وكما يوضح جدول (٥) وشكل (١٠) فان التباعد بينها وبين مجموعة مدن الدلتا الرئيسية — عدا المحلة — بل والمدن غير الدلتاوية المحيطة بهوامشها ، يعد على درجة عالية من الانتظام ، ففضلا عن علاقة المتوسط المعروفة لموقعها بين « القاهرة ، الاسكندرية » ، فهى تمثل رأس عدد من المثلثات المتساوية الأضلاع — أو تكاد — بينها وبين عواصم الدلتا الرئيسية ، هى : أولا — رأس مثلث يمتد ضلعاه بطول ٥٧ كم إلى كل من « المنصورة ، الزقازيق » ، وفى نفس الوقت فان طول الضلع الثالث بين الزقازيق والمنصورة يبلغ ٥٦ كم . فهذا مثلث قد تساوت أضلاعه جميعاً ، وهى : ثانياً — رأس مثلث يمتد ضلعه الأولى إلى المنصورة (٥٧ كم) والثانى إلى دمنهور (٦٣ كم) ، وهذه المدن — مع المحلة — تمثل المدن الدلتاوية الخمس الأولى حجماً ، وهى معاً — دون المحلة — تستوعب نسبة قدرها ٢٦٪ من جملة سكان المدن الدلتاوية ، وهى أيضاً وكما سبقت الإشارة ، تمثل مجموعة المدن التى ضبطت التباعد بينها وبين مجموعة المدن التابعة لها فى إطاراتها الإدارية ، ثم هى « طنطا » : ثالثاً — رأس مثلث يمتد ضلعه الأول شمالا إلى « كفر الشيخ » (٤٩ كم) ، ويصل الثانى جنوباً إلى بنها (٤٥ كم) . وهى رابعاً — رأس مثلث يمتد ضلعه الأول إلى المحلة (٢٨ كم) ، ويتجه الثانى إلى شبين الكوم

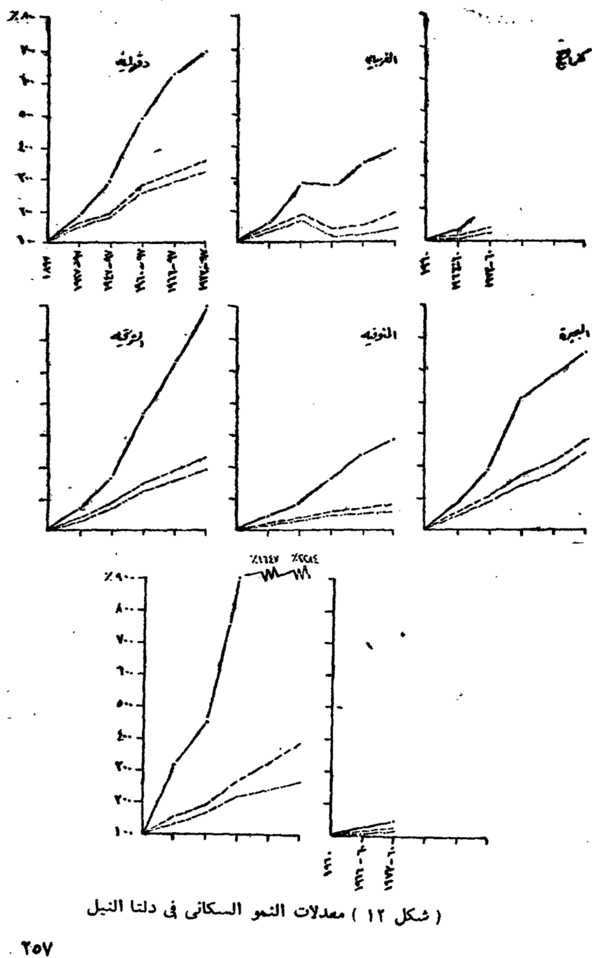
---

(١) Ullman E (1959) "A theory of Location for cities" in Readings in Urban Geography" Edited by Mayer H.M(Kohn C. E. London P. 202.

(٢٦ كم) ، وذلك بغض النظر عن حجم مدينة المحلة الاستثنائى ، وهذه المدن الأخيرة «كفر الشيخ ، بنها ، شبين الكوم » من فئة حجمية بين ٥٠ — ١٠٠ نسمة . وهى بالنسبة لمجموعة المدن الهامشية المحيطة بالدلتا بمثابة مركز للدائرة ، فالمسافات بينها وبين مدن « الاسماعيلية ، دمياط ، رشيد ، الاسكندرية » هى (١٢٥ ، ١٢٢ ، ١١٧ ، ١٢٨ كم) على الترتيب ، وإذا كانت « الاسماعيلية ، الاسكندرية » ليستا دلتاويتين ، إلا أنها جميعها تمثل أهم مدن الهامش الدلتاوى إن صح التعبير ، واستكمالا لصورة علاقاتها المنتظمة مسافياً حتى بالمدن غير الدلتاوية ، فانها تكون — مرة أخرى — رأس مثلث يمتد ضلعه الأول إلى بور سعيد (٢١٥ كم) ، ويتجه الثانى إلى السويس (٢٢٩ كم) ، وإذا عدنا إلى الدلتا ، لقياس تباعدها بينها وبين مجموعة المدن الأصغر حجماً ، فيمكن ملاحظة أن موقعها يمثل — مرة ثانية — مركز دائرة يمر محيطها بمدن «كفر الزيات ، تلا ، بركة السبع ، السنطة » بنصف قطر قدره نحو ٢٠ كم ، وأن التباعد بين مدن هذه الدائرة على محيطها هو بين ٢٠ — ٢٥ كم ، وإذا اتسع نصف قطر الدائرة التى مركزها طنطا إلى ٣٠ كم ، فسيمر محيطها بمدن « بسيون ، قطور ، المحلة ، زفتى ، قويسنا ، شبين الكوم » ، تدور ككوكبة بمتوسط تباعد ٣٠ كم فيما بينها على محيط الدائرة ، ولا شك أن تحليل موقع هذه المدينة (طنطا) ونتائج موقعها على شبكة المدن الدلتاوية قد يحتاج لدراسة خاصة ، غير أن الإشارات السابقة لا شك قد أوضحت درجة انتظام التباعد المدنى فى الدلتا عن هذه المدينة الدلتاوية المتميزة .

ثانياً : تفاوت معدلات النمو السكانى بين الريف والحضر :

تزايد سكان الدلتا بمعدلات عالية منذ نهاية القرن الماضى (جدول ٢ ، شكل ٢ ، ١٢) فقد ارتفعت جملتهم من ٤،٦٩٤،١٤١ نسمة (١٨٩٧) إلى ١٤،٣٢٦،٠٠٠ نسمة (١٩٧٢) ، أى بزيادة فعلية ٩،٥٣١،٩٥٩ نسمة ، بنسبة نحو ٢٠٦٪ أى بمتوسط زيادة سنوية ٢،٧٥٪ ، غير أن هذه الزيادة وهذه النسبة قد تفاوتت خلال الفترة المذكورة ، ولو اتخذنا من متوسط الزيادة السنوية أساساً للمقارنة ، فسيتضح أنها لم تكن تزيد فى الفترة بين ١٨٩٧ — ١٩٢٧ على ١،٣٥٪



(شكل ١٢) معدلات النمو السكانى فى دلتا النيل

سنوياً ، تناقصت إلى ٢٩ر١٪ في الفترة التالية ١٩٢٧ — ١٩٤٧ ، ارتفعت بين ١٩٤٧ — ١٩٦٠ إلى ٥٠ر٢٪ ، ثم انخفضت قليلا إلى ٣٨ر٢٪ بين ١٩٦٠ — ١٩٦٦ ، وأخيراً ارتفعت قليلا بين ١٩٦٦ — ١٩٧٢ إلى ٤٥ر٢٪ .

كما تباينت معدلات هذه الزيادة السكانية العامة بين محافظات الدلتا (مديرياتها)، وهى بصفة عامة تزيد عن المتوسط العام للدلتا فى هذه الفترة فى محافظات « دمياط ، البحيرة ، القليوبية ، الدقهلية ، الشرقية » ، وتقل عنها فى « المنوفية ، الغربية » ، غير أنه تجدر الإشارة إلى تأثير عامل التغيرات الإدارية بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢ فى هذا التباين ، خاصة وأن هذه التغيرات تعنى تغيرات فى حدود المحافظات (المديريات) ذاتها بالحذف أو الإضافة أو بهما معاً ، مما يظهر فى التعداد التالى نقصاً أو زيادة سكانية ليست حقيقية فى نسبة ما منها ، والمثل الأوضح لهذه الظاهرة تقدمه « الغربية » ، فهى تأتى بين محافظات الدلتا (١٩٧٢) فى المرتبة الأخيرة من حيث نسبة النمو السكانى بها بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢ ، غير أن ذلك ليس حقيقياً ، باعتبار أن إنشاء مديرية الفؤادية فى ١٩٤٩ ، كان من باطنها وعلى حسابها سكانياً بصفة أساسية ، ولذلك فهى تظهر فى ١٩٦٠ بنقص سكانى قدره ٣٢٪ عن ١٩٤٧ والأخير هو التعداد الذى سبق إنشاء الفؤادية مباشرة ، وقد تكررت هذه الظاهرة بمستوياتها (المراكز ، النواحى) فى جميع محافظات الدلتا ، وهى — باختصار — تعد أهم ما يواجه متابعة معدلات النمو السكانى الحقيقية فى محافظات الدلتا من مشاكل.

ولم يكن التباين فى معدلات النمو السكانى — على مستوى الدلتا — قاصراً على مراحل الفترة الممتدة بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢ ، و بالنسبة لمحافظاتها فقط ، بل تبدى أيضاً فى معدلاته بين ريفها وحضرها . لقد تزايدت جملة سكان ريف الدلتا من ٤,١٧٥,٠٥٤ نسمة (١٨٩٧) إلى ١١ مليون نسمة (١٩٧٢) ، أى بزيادة كلية قدرها ١٦٣٪ ، وبمتوسط نمو سنوى ١٨ر٢٪ ، ورغم أن الريف ما يزال يستوعب النسبة الكبرى من سكان الدلتا ، ويسهم بالنسبة الأكبر من نموها السكانى، إلا أن نسبة « الريفية » العامة ، قد تناقصت بها من ١٧ر٨٩٪ (١٨٩٧) إلى ٧٨ر٧٦٪ (١٩٧٢) ، وهذا يعنى بالطبع أن معدلات نمو سكان المدن بها كانت

تزيد عن معدلات نمو ريفها وبالتالى عن معدلات نموها السكانى العامة ، وبالفعل ، فان جملة سكان المدن الدلتا قد تزايدت من ٥٠٦٨٥١ نسمة (١٨٩٧) إلى ٣٫٣٢٦٫٠٠٠ نسمة (١٩٧٢) ، أى بنسبة نمو عامة ٥٥٦٪ ، وبمتوسط سنوى ٧٫٤١٪ ، وهو متوسط كبير بالغ الدلالة ، قد تحقق من خلال اتجاهين رئيسيين للنمو المدنى بالدلتا ، ظهور المدن الجديدة من ناحية ، وزيادة متوسط حجمها من ناحية ثانية ، وفى كلتا الحالتين على حساب ريفها سكانياً ، وبذلك فقد ارتفعت نسبة المدنية العامة فى الدلتا – كما سبقت الإشارة – من ١٠٫٨٣٪ إلى ٢٣٫٢٢٪ .

ورغم المشكلة المنهجية التى سبق تحديدها ، والخاصة بمتابعة تغيرات نسبتى « الريفية ، المدنية » فى محافظات (مديريات) الدلتا ، فالملاحظ أن « القليوبية » قد حققت نسبة نمو فريدة فى نموها الحضرى ، وهى من المحافظات التى لم تتغير حدودها أو مساحتها منذ ١٨٩٧ . لقد حققت « القليوبية » نسبة نمو كلية قدرها ٢٩٢٪ بين ١٨٩٧ – ١٩٧٢ ، أى بمتوسط سنوى ٣٫٨٩٪ وهو ما يفوق المتوسط العام للدلتا ، غير أنه بينما حققت نمواً مدنياً قدره ٢١٨٤٪ فى الفترة المذكورة (٢٩٪ سنوياً) ، فان نسبة نمو ريفها سكانياً لم تتجاوز ١٦٦٪ (٢٫٢١ سنوياً) ، ولا يعنى ذلك أن سكان مدنها قد أصبحوا أغلبية بالنسبة لريفها، فما تزال نسبة ريفيتها العامة ٦٣٫٦٤٪ ، غير أنها تأتى كأولى محافظات الدلتا مدنية ، حيث تصل بها نسبة المدنية العامة إلى ٣٦٫٣٦٪ ، إن ذلك يعود أساساً إلى قلة حجمها السكانى العام بين محافظات الدلتا ، فهى تأتى فى المرتبة السابعة بينها ، فى نفس الوقت الذى يبلغ فيه عدد مدنها (ثمانية) نفس عدد مدن محافظتى « الغربية ، المنوفية » ، وهما تفوقانها حجماً بكثير (جدول ١) وتبدو المقارنة بين « القليوبية ، والمنوفية » ذات دلالة فى هذا المجال ، خاصة وأن الأخيرة لم تتغير حدودها أو مساحتها أيضاً منذ ١٨٩٧ ، « فالمنوفية » لا تزيد نسبة زيادتها السكانية الكلية عن ٨١٪ بين ١٨٩٧ – ١٩٧٢ ، وهى بذلك – باستثناء الغربية بظروفها الخاصة بانشاء « الفؤادية » تأتى كأقل محافظات الدلتا نمواً سكانياً ، إذ لا تزيد نسبته السنوية بها عن ١٫٠٨٪ ، وهى تأتى أيضاً مع « الغربية » كأقل محافظات الدلتا من حيث نسبة الزيادة المدنية بها ، إذ لا يزيد بها عن ٣٫٧٣٪ سنوياً خلال نفس الفترة ،

ولذلك ، فإن نسبة المدنية بها ٣٤ر١٧٪ ، أى أقل من نصفها فى « القليوبية » أما ريف المنوفية ، فلم تزيد نسبة زيادته على ٦٣٪ (٨٤ر٠٪) وهو ما يؤكد تعرضه لتيارات هجرة ممثلة خارجة منه ، كما تشير إلى ذلك ، كثير من الدراسات(١) ورغم أن « الغربية » تظهر كأولى محافظات (مديريات) الدلتا مدنية منذ ١٨٩٧ — ١٩٦٦ ، وكثافيتها فى ١٩٧٢ ، إلا أنها تأتى كأقلها من حيث نسبة الزيادة المدنية بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢ ، إذ لا يزيد متوسط الزيادة السنوية عن ٧٢ر٣٪ ، وقد سبقت الإشارة أكثر من مرة إلى ظروفها الخاصة بانشاء « الفؤادية » من باطنها ، وهو ما أدى إلى احتلالها المرتبة الأخيرة بين محافظات الدلتا من حيث نسبة الزيادة السكانية الكلية والريفية والحضرية ، وهى بالنسبة للكلية (٨٩ر٠٪) وللريفية (٤٣ر٠٪) خلال الفترة المذكورة ، ولقد حققت « الشرقية » نمواً مدنيا ملحوظاً خلال هذه الفترة (٤٠ر٩٪) سنوياً ، بسبب زيادة عدد مدنها من ٦ إلى ١٠ مدن ، أما ريفها فلم يزد متوسط نموه السنوى عن ٤٤ر٢٪ ، أى حول المتوسط العام لنمو سكان ريف الدلتا ، وتدوز « الدقهلية ، البحيرة » حول المتوسط العام لزيادة سكان المدن فى الدلتا (٨٩ر٧ ، ٣٧ر٧٪) سنوياً على الترتيب ، غير أن ريف « البحيرة » قد حقق زيادة سنوية قدرها ١٧ر٣٪ سنوياً ، بينما لا تزيد هذه النسبة فى الدقهلية عن ٨٣ر٢٪ ، وربما يرجع هذا الفارق ، إلى ما تعرضت له الدقهلية من حذف بعض نواحيها ، وضمها إلى « الفؤادية » عند إنشائها ، كما أنه ربما يرجع إلى تعرض ريف البحيرة لتيارات هجرة داخلة ، خاصة إلى مناطق الاستصلاح الزراعى فى « النوبارية ، وإدكو ، وأبيس » التى يضمها قطاع غرب الدلتا لاستصلاح الأراضى.(٢) أما بالنسبة لمحافظتى « كفر الشيخ ، دمياط » فهما لا تظهران بصورتهما الراهنة إلا منذ ١٩٦٠ ، وقد بلغت نسبة الزيادة السكانية العامة بهما (٣٢ ، ٢٧٪) على

(١) للاستزادة أنظر :

A) Farid I.A (1949) "The population of Egypt ; some aspects of its Growth and distribution " Cairo.

B) Hamdan G.M. Population of the Nile Mid—Delta" Ph D. Thesis Univ. of Reading. 1953.

(٢) Harry Hopkins (1969) Egypt, the Crucible", London, P. 141.

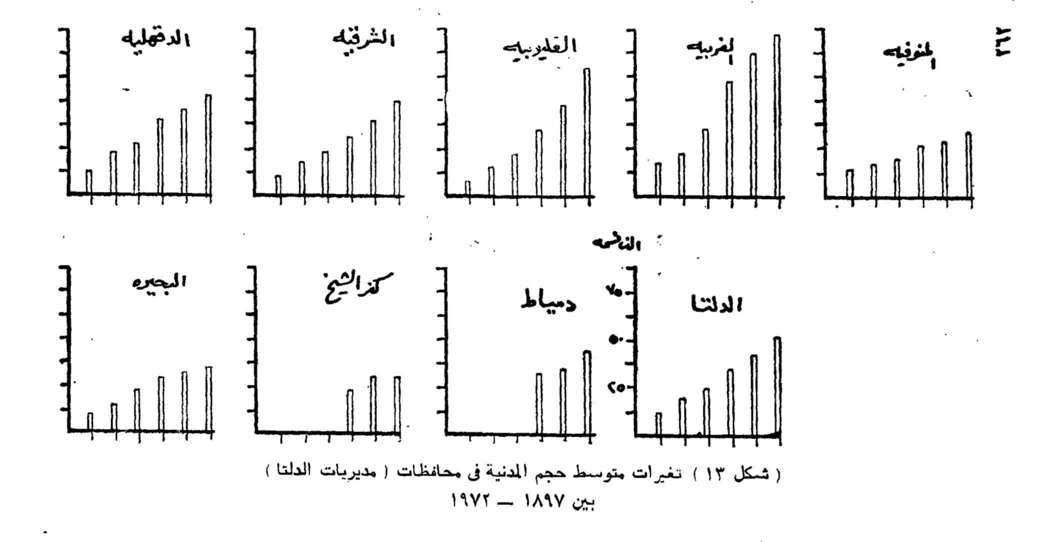
الترتيب حتى ١٩٧٢ ، وقد بلغت نسبة الزيادة السنوية الحضرية فى الأولى ٣٢ر٥٪ سنوياً ، وفى الثانية ٦٤ر٣٪ ، أما نسبة الزيادة السنوية فى ريفهما فقد بلغت (١٦ر٢ ، ٧٤ر١٪) على الترتيب .

ثالثاً : تغيرات متوسط حجم المدينة الدلتاوية :

سبقت الإشارة إلى ظاهرة زيادة متوسط حجم المدينة فى الدلتا بنحو ٤ مرات بين ١٨٩٧ (١٢ ٩٩٦ نسمة) و ١٩٧٢ (١٩٦ ٥١ نسمة) ، وارتفاع عدد المدن فى نفس الوقت من ٣٩ إلى ٢٥ مدينة ، ويوضح جدول (٤) وشكل (١٣) أن هذه الزيادة كانت مستمرة بلا شذوذ خلال الفترة كلها ، وبين محافظات (مديريات) الدلتا بلا استثناء ، وإن تفاوتت نسبها بين فترة وأخرى . ومن محافظة إلى محافظة ، لقد تضاعف متوسط حجم المدينة فى الدلتا بين ١٨٩٧ — ١٩٢٧ ثم تضاعف مرة أخرى بين ١٩٢٧ — ١٩٧٢ وذلك بالنسبة للدلتا ككل(١) ، وتوضح إطاراتها الإدارية الرئيسية تفاوت متوسط حجم المدينة بين أنحائها ، وتباين معدلات زيادته أيضاً ، فبينما نجد أن ترتيب مديرياتها فى ١٨٩٧ حسب متوسط حجم المدينة هو (الغربية ، المنوفية ، الدقهلية ، الشرقية ، البحيرة ، القليوبية) ، فإنه نظراً لمجموعة من التغيرات الإدارية المتتابعة . ولقرارات الضم والحذف ، ولظهور المدن الجديدة كعواصم للمراكز المستجدثة ، ولتباين معدلات النمو السكانى ، يتغير هذا الترتيب ، فبينما تظل « الغربية » فى المرتبة الأولى دائماً بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢ ، تتقدم « القليوبية » تدريجياً مع إنشاء خمسة مراكز جديدة فى إطارها تباعاً . لكى تحتل المرتبة الثانية منذ ١٩٦٦ ، وبينما تأتى « المنوفية » الثانية فى ١٨٩٧ ، يتأخر ترتيبها إلى السابعة فى ١٩٧٢ . ويتميز ترتيب باقى المحافظات (المديريات) بتغيراته المحدودة ، فالدقهلية بين الثانية والثالثة . وهى الثالثة فى ١٩٧٢ ، والشرقية بين الرابعة والخامسة ، وهى الرابعة فى ١٩٧٢ . وتأتى « دمياط » فى المرتبة الخامسة منذ ١٩٦٠ ، وترتيب البحيرة السادسة طوال الفترة ، وتأتى « كفر الشيخ » فى المرتبة الثامنة والأخيرة منذ ١٩٦٠ .

---

(١) بلغت جملة سكان المدن فى « الغربية » وحدها فى ١٩٤٧ (٥٠٨٦٦٢ نسمة) ، وهى ما تزيد عن جملتها فى الدلتا كلها فى ١٨٩٧ (٥٠٦٫٨٥١) ، وقد زاد عدد سكان المدن عن نصف مليون فى محافظات « الدقهلية ، الشرقية ، القليوبية ، الغربية) فى ١٩٧٢ .



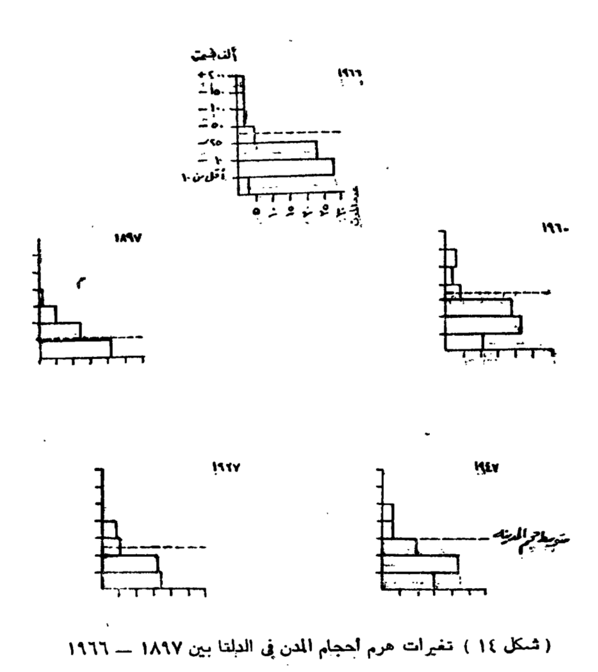
(شكل ١٣) تغيرات متوسط حجم المدنية فى محافظات (مديريات الدلتا)
بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢

لقد أدت هذه العوامل جميعها إلى إعادة تشكيل هرم أحجام المدن فى الدلتا كل حين ، ورغم أن الشكل العام لهذا الهرم قوامه قاعدة عريضة مفلطحة من المدن الصغيرة من فئتى « أقل من ١٠ وبين ١٠ ـ ٢٥ ألف نسمة ، ووسط ضيق من فئات المدن المتوسطة حجماً (٢٥ ـ ٥٠ ألف نسمة) تنتهى سريعاً بقمة مدببة من فئات المدن الكبيرة (٥٠ ألف نسمة فاكثر) ، غير أن نمو المدن الدلتاوية سكانياً بمعدلات عالية قد أدى إلى تحركات ملحوظة بين فئات الهرم صعوداً ، وكانت القاعدة تتغذى دائماً بالمدن الجديدة الصغيرة الحجم غالباً .

وبدراسة جدول (٣) وشكل (١٤) ، ايتبين أنه فى ١٨٩٧ يظهر الهرم بقاعدة عريضة جداً من المدن الصغيرة ، أقل من ٢٥ ألف نسمة ، تشتمل على ٣٣ مدينة من جملة ٣٩ مدينة دلتاوية (٨٥٪) من بينها ٢١ مدينة من فئة أقل من ١٠ ألف نسمة ، بل كان من بينها ـ أيضاً ـ ١٢ مدينة قزمية من فئة أقل من ٥ ألف نسمة (جدول ٤) ، وكان وسط الهرم مختنقاً جداً يشتمل على ٥ مدن فقط ، من فئة بين ٢٥ ـ ٥٠ ألف نسمة ، ينتهى بحدة إلى قمة مدببة من مدينة واحدة (طنطا ٥٧٢٨٩ نسمة) ، أكبر مدن الدلتا وما تزال .

ولا يتغير شكل الهرم كثيراً فى ١٩٢٧ وإن ارتفع متوسط حجم المدينة الدلتاوية إلى ١٩٠٢٤ نسمة ، إذ تظل تلك القاعدة من المدن الصغيرة تستوعب ٣٣مدينة من جملة ٤٢ مدينة (٧٩٪) ، ومن بينها ١٧ مدينة أقل من ١٠ آلاف نسمة ، غير أن عدد المدن القزمية قد تناقص إلى ٥ مدن ، وظلت فئة الوسط مكونة من ٥ مدن ، تنتهى بقمة أقل تدبباً من ٤ مدن بين ٥٠ ـ ١٠٠ ألف نسمة (طنطا ، المنصورة ، الزقازيق ، دمنهور) وهى فى جملتها أكبر مدن الدلتا وما تزال .

ويظل الهرم ـ عامة ـ على شكله بين ١٩٢٧ ـ ١٩٤٧ ، قاعدة مفلطحة من المدن الصغيرة عددها ٣٧ مدينة من جملة ٥٣ مدينة دلتاوية (٧٠٪) ، من بينها ١٥ مدينة من فئة أقل من ١٠ ألف نسمة ، ويزيد عدد المدن القزمية من بينها إلى ٦ مدن (قويسنا ، الحسينية ، كوم حمادة ، كفر صقر ، أبو المطامير ، السنطة) ، واتسعت فئة الوسط لتستوعب ١٠ مدن ، تنتهى إلى قمة من ٦ مدن ، نصفها من فئة ٥٠ ـ ١٠٠ ألف نسمة (دمنهور ، دمياط ، الزقازيق) ، ونصفها الآخر بين



(شكل ١٤) تغيرات هرم أحجام المدن في الدلتا بين ١٨٩٧ — ١٩٦٦

١٠٠ — ١٥٠ ألف نسمة (طنطا ، المنصورة ، الزقازيق) ، وقد نمت هذه المدن الستة بنسبة ١٥٠ — ٣٠٠٪ (١٨٩٧ — ١٩٤٧) ، أما متوسط حجم المدينة الدلتاوية فقد ارتفع إلى ٢٥ ٥١٨ نسمة ، أى إلى ضعفها تقريباً فى ١٨٩٧ .

ولقد أدت زيادة عدد المدن إلى ٦١ مدينة فى ١٩٦٠ إلى تغذية القاعدة بمزيد من المدن الصغيرة ، ورغم صعود عدد من مدن القاعدة بين ١٩٤٧ — ١٩٦٠ إلى الفئة المتوسطة ، إلا أن عددها ظل كبيراً قوامه ٣٣ مدينة (٥٤٪) من جملة مدن الدلتا فى ١٩٦٠ ، من بينها ١١ مدينة أقل من ١٠ ألف نسمة ، واختفت المدينة القزمية ، وارتفع عدد مدن فئة الوسط إلى ١٩ مدينة (٣١٪) ، تنتهى تدريجياً إلى قمة عريضة من ٩ مدن + ٥٠ ألف نسمة ، من بينها ٣ مدن من فئة ١٥٠ — ٢٠٠ ألف نسمة (طنطا ، المحلة الكبرى ، المنصورة) ، ومدينتين بين ١٠٠ — ١٥٠ نسمة (دمنهور ، الزقازيق) ، وأخريتين بين ٥٠ — ١٠٠ نسمة (دمياط ، شبرا الخيمة) ، وهكذا ، اتضحت معالم شبكة المدن الرئيسية فى دلتا النيل .

ويعد الهرم فى ١٩٦٦ استمراراً له فى ١٩٦٠ ، غير أن متوسط حجم المدينة الدلتاوية قد أصبح ٤٢٤٢٩ نسمة ، وتزايدت سعة القمة إلى ١١ مدينة ، صعدت من بينها « طنطا ، المحلة » إلى فئة حجم ٢٠٠ ألف فاكثر ، وظلت المنصورة فى فئتها السابقة . وصعدت إليها الزقازيق ، وبقيت « دمنهور » فى فئتها وصعدت إليها « شبرا الخيمة » ، أما فئة ٥٠ — ١٠٠ ألف نسمة ، فقد اشتملت على « دمياط » ومعها « شبين الكوم ، بنها ، بلبيس ، كفر الشيخ » . أما القاعدة فما تزال عريضة تستوعب ٣١ مدينة (٤٨٪) ، لا يقع من بينها سوى ٣ مدن فى فئة أقل من ١٠ آلاف نسمة (كفر صقر ، قطور ، كفر شكر) ، واتسع وسط الهرم ليستوعب ٢٨ مدينة — انعكاساً — لما سبقت الإشارة إليه عن تحرك مدن الدلتا صعوداً فى فئات هرمها السكانى .

ولا شك أن النمو المدنى يعد من مؤشرات النمو الاقتصادى عامة ، حيث يحتاج لمزيد من المؤسسات عالية المستوى ، وإلى درجة أعلى من تخصص الوظائف ، كما أنه يتيح للمدينة وريفها قدراً أكبر من الخدمات ، وإلى توثيق التكامل الوظيفى بين

المدينة والريف ، غير أن الحجم ليس غاية فى ذاته ، وتحقيق هذه الأهداف المنشودة ليست مرتبطة بمجرد زيادة نسبة المدنية العامة فى الإقليم ، والأجدر أن يرتبط الحجم بخصائص الإقليم . وهى التى تحدده ، كما أن الحجم يجب أن يكون وظيفياً ، بمعنى الاستفادة الكاملة منه ، فالثابت أن نسبة هامة من حجم المدينة الدلتاوية . لا يتحمل فى أنشطة مدنية حقيقية ، بل تستوعبها أنشطة منخفضة الدلالة إقتصادياً — مثل الخدمات مثلا ، يقتضى ذلك البحث عن مزايا إقليمية أخرى لهذه المدن ، وتدعيم إقتصادياتها المدينية أساساً . وقد يقتضى ذلك أيضاً ، البحث عن حجم أمثل للمدينة الدلتاوية حتى لا تذبل هى ذاتها ، وتختل العلاقة بين إمكانياتها الحقيقية ووظائفها ، ثم هو قد يفرض — ثانياً — متابعة التوازن فى معدلات النمو بين المدن وبعضها ، فلا تنمو واحدة وتتضخم على حساب مجموعة منها ، ثم — ثالثاً — إيجاد حالة توازن ضرورية بين معدلات النمو الريفى من ناحية والنمو الحضرى من ناحية ثانية ، فالثابت أن نسبة هامة من معدلات النمو الحضرى إنما تم على حساب الريف ، ليس — غالباً — بسبب متانة الأساس الاقتصادى للمدينة ، بل لسوء الأحوال الاقتصادية العامة فى الريف المصرى ، وتجدر الإشارة إلى أن مراعاة هذه المقتضيات لا تخص مدينة دلتاوية دون أخرى — فالواقع أنها جميعها ، كما ظهرت ونمت فى الإطار الحضارى الدلتاوى فهى تعانى جميعها من سلبيات ومشاكل هذا الإطار .

خاتمة

هدفت هذه الدراسة منذ البداية ، نحو تحليل تغيرات نسبة المدنية العامة فى دلتا بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢ ، وتتبعها فى أنحاء الدلتا من خلال إطاراتها الإدارية على مستوى المحافظات (المديريات) والمراكز ، وذلك ضمن محاولة للكشف عن ديناميات هذا التغير وتحديد خصائصه وبواعثه ، وتبين مدى التباين بين أنحاء الدلتا من حيث تمثل هذه الظاهرة بها ، ولقد استغرقت هذه الغاية الجزء الأكبر من هذه الدراسة ، غير أنها قد كشفت فى سياقها عن عدد من الظواهر الهامة المرتبطة بشبكة المدن الدلتاوية تباعداً وحجماً ، ولعل أهمها ما يتصل باحتمالات البزوغ المدنى عند هوامش الدلتا . تلك التى اجتازت مرحلة الإنتاج الأولية . ودخلت — فى معظمها — مرحلة

إنتاجية فوق حدية ، وهو ذلك العامل الذى تأكد أنه وراء كل ظهور مدنى فى الدلتا ، وأنه أساس تغيرات مدنيتها ، وتبين — على الأخص بالنسبة لهوامش الدلتا الشمالى — أنه مع بزوغ مدن « كفر سعد ، سيدى سالم ، مطوبس ، إدكو » فقد أصبح يسيراً توقع ظهور أخرى على طول هذا الخط شمالى كونتور + ٣م فى دلتا النيل ، تبعاً لضوابط الحجم والتباعد فى أنحائها ، وهى حقيقة ، يمكن متابعتها أيضاً فى هوامش الدلتا الشرقية والغربية مع اختلاف خصائص الظهور وعوامله بطبيعة الحال ، وإلى جانب هذه النتيجة الهامة بالنسبة لاحتمالات التغير فى خريطة الدلتا الإدارية ، فقد أمكن تحديد مدى التباين بين معدلات النمو الحضرى والريفى بها ، وما يقتضيه ذلك من تخطيط ذلك النمو بشقيه ، وتوجيهه وظيفياً . أما بالنسبة لتغيرات « المدينة والريفية » العامة فى الدلتا ، فقد اتضحت خصائص نمو متوسط حجم المدينة الدلتاوية وأنه يعنى — غالباً — تورم حجم بعض مدنها من ناحية ، وزيادة عدد المدن الصغيرة الحجم من ناحية ثانية ، وأن الناحيتين لا يدلان على صحة الانتعاش المدنى فى دلتا النيل بل هما تعبير عن كثير من مشاكل ريفها وحضرها على حد سواء ، ورغم الانتظام المؤكد فى تباعد المدن الدلتاوية تبعاً لهرم أحجامها ، وهو ما يدل على نضج الأساس الحضارى ، إلا أن تركز معظم سكان مدنها فى بعض عواصمها الرئيسية ، وتخلخل التراتب بينها وبين المدن المتوسطة والصغيرة ، لمن الظواهر التى تهدد الحياة المدنية العامة بالذبول ، خاصة وأن الحجم الكبير يؤدى إلى مزيد من الحجم وتكثيف الاستقطاب ، والواقع أن الكشف عن هذه الظواهر — وغيرها — إنما يحتاج إلى مضاعفة الدراسات الميدانية فى هذا المجال ، حتى لا تصبح مجرد نتائج للدراسة تحليلية ، بل تكون أيضاً من مداخل التخطيط .

المراجع العربية

– جمال حمدان جغرافية المدن ، النهضة المصرية (دون تاريخ) ، القاهرة .

– سعاد ماهر « محافظات الجمهورية العربية المتحدة فى العصر الإسلامى » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مجلد ٢١ .

– محمد رمزى « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية منذ عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ » مطبعة دار الكتب ، الأجزاء الأول والثانى والثالث القاهرة ، ١٩٥٥ .

– أطلس أسفل الأرض « إعداد الأمير عمر طوسون » ١٠ لوحات ، مقياس الرسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠ : ١ .

– التقارير السنوية لوزارة المواصلات بين ١٩٦٠ – ١٩٧٥ .

– الجهاز المركزى للتعبئة والعامة والإحصاء « النتائج النهائية لتعداد السكان بالعينة عام ١٩٦٦ » المجلد الثالث ، محافظات الوجه البحرى ، يوليو ١٩٦٧ .

– الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء « الكتاب السنوى » القاهرة ، ١٩٧٣ .

– التعدادات السكانية للوجه البحرى ١٨٩٧ – ١٩٢٧ ، ١٩٤٧ ، ٦٠ .

– المركز الديموجرافى لشمال أفريقية « العوامل الديموجرافية والقوة البشرية » ، التقرير الأول (الأنماط العمرية والنوعية للمساهمة فى النشاط الاقتصادى) « ترجمة مدحت محمد على جاد، ٢٢» وإعداد شعبة السكان بقسم الشئون الاجتماعية بالأمم المتحدة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

– معهد التخطيط القومى ، مذكرة ١٠١ ، سبتمبر ١٩٧٠ ، مطبوعة ستنسل .

المراجع غير العربية

Abu–Lughod, I.L (April 1965) «Urbanisation in Egypt, Present state and future prospects» Economic Development and Cultural Change". Vol. xiii, No. 3.

Bousedt, Olaf (1963). "The delimatation of Urban areas" Gibbs, Jack. P. eds, Urban research methods, Van Nastrand, Princeton.

Dickinson, Robert, E (1960) "City Region and regionalism", London.

Farid, I.A. (1948) "The population of Egypt, some aspects of its Growth and distribution", Cairo.

Hamdan, G.M (1959) "Studies in Egyptian Urbanism", The reniasanse Book shop. Cairo.

(1962) "The patterns of medivial Urbanism in the Arab World", in, Geography, April.

"Population of the Nile Mid–Delta", Ph.D. Thesis, Univ. of Reading, 1953.

Harry Hopkins (1969) "Egypt, The crucible", London.

International Urban research (1959) "The world's Metro–Politan areas", Berkely.

Isawi, charles (1954) "Egypt at Mid–century", London.

Jomard "Memoire sur la population comparé de l'Egypte ancienne et moderne" Discription de l'Egypte, Vol. 11.

Lozach, J, (1935) "Delta du Nil", Le Caire.

Max sorre (1952) "Fundments de la Geog–Humaine", t. 122 Habitat. Pairs.

Sedek,D,(1961)"Amedium–Sized towns in theUrban patterns of modern Egypt"' Bull. soc. Geog. D'Egypte.

Said, R. "Remarks on the geomorphology of the deltaic coastal plain between Rosatta and port said", Bull. Soc. Geog. d'Egypte.

Sirry Bay, H. (1935) "Irrigation policy", Ministry of public works. Cairo.

Ullman, Edward, (1965) "A theory of location for cities", Mayer and Kohn. eds. "Readings in Urban Geography," Univ. of Chicago.

الأشكال والجداول :

١ – النمو السكانى فى دلتا النيل ومحافظاتها (مديرياتها) ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

٢ – تغيرات جملة السكان وسكان الريف والحضر فى الدلتا ومحافظاتها (مديرياتها) ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

٣ – تغيرات نسبة المدنية العامة فى محافظات (مديريات) الدلتا بين ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

٤ – تصنيف مراكز الدلتا حسب نسبة المدنية العامة ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

٥ – توزيع مراكز الدلتا حسب نسبة المدنية العامة ١٩٦٦ .

٦ – توزيع مدن الدلتا حسب الحجم السكانى ١٩٦٦ .

٧ – توزيع مدن فرعى النيل وساحل المتوسط والهامش الصحراوى ١٩٦٦ .

٨ – الخطوط الطولية لتوزيع مدن الدلتا ١٩٦٦ .

٩ – الخطوط العرضية لتوزيع مدن الدلتا ١٩٦٦ .

١٠ – توزيع مدن الدلتا فى إطاراتها الإدارية ١٩٦٦ .

١١ – تراتب مدن محافظات الدلتا بالنسبة لعواصمها ١٩٦٦ .

١٢ – معدلات النمو السكانية الكلية والريفية والحضرية فى دلتا النيل ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

١٣ – تغيرات متوسط حجم المدينة فى محافظات (مديريات) الدلتا ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

١٤ – تغيرات أهم أحجام المدن فى دلتا النيل بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦ .

الجداول :

١ – تغيرات نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

٢ – معدلات الزيادة السكانية الكلية والريفية والحضرية ١٨٩٧ – ١٩٧٢ .

٣ – تغيرات هرم أحجام المدن فى دلتا النيل ١٨٩٧ – ١٩٦٦ .

٤ – تغيرات الحجم الفصلى لمدن الدلتا بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦ وتراتب المدن .

٥ – المسافات بين مدن الدلتا الرئيسية .

تغيرات نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل

جدول (١) يبين نسبة الزيادة السكانية العامة مقارناً بنسبة الزيادة المدنية

	١٨٩٧				١٩٢٧			
	جملة السكان نسمة	عدد المدن	سكان المدن نسمة	نسبة المدنية ٪	جملة السكان نسمة	عدد المدن	سكان المدن نسمة	نسبة المدنية ٪
الدقهلية	٧٣٦٦٦٣	٦	٧٥٦٣١	١٠ر٢٧	١٠٨٠٦٩٣	٦	١٢٥٣٤٧	١١ر٦٠
الشرقية	٧٤٩١٣٠	٦	٦٣١٩٥	٨ر٤٤	١٠١٦٩١٢	٦	١٠١١٩٨	٩ر٩٥
القليوبية	٣٧١٤٦٥	٣	٢٣١٦٣	٦ر٢٤	٥٥٨٨٧٦	٥	٧٥٣١٤	١٣ر٤٨
الغربية	١٢٩٧٦٠٦	١١	١٨٠٩٠٤	١٣ر٩٤	١٧٩١٩٨٥	١١	٢٥٧٨٣٣	١٤ر٣٩
المنوفية	٨٦٤٢٠٦	٥	٧١٣٧٧	٨ر٢٦	١١٠٥١٩١	٦	٩٧٠٤٦	٨ر٧٨
البحيرة	٦٣١٢٢٥	٧	٦١٠٦٦	٩ر٦٧	٩٧٦٩٦٥	٨	١٠٧٣٦٥	١٠ر٩٩
كفر الشيخ	—	—	—	—	—	—	—	—
دمياط	٣١٥١٥	١	٣١٥١٥	١٠٠	٣٤٩٠٧	١	٣٤٩٠٧	١٠٠
الدلتا	٤٦٨١٩٠٥	٣٩	٥٠٦٨٥١	١٠ر٨٣	٦٥٦٥٥٢٩	٤٢	٧٩٩٠١٠	١٢ر١٧

(تابع) جدول (١) نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل

	١٩٤٧				١٩٦٠			
	جملة السكان نسمة	عدد المدن	سكان المدن نسمة	نسبة المدنية ٪	جملة السكان نسمة	عدد المدن	سكان المدن نسمة	نسبة المدنية ٪
الدقهلية	١٤١٣٩٠٥	٨	٢١٨٧٢٤	١٥ر٤٧	٢٠١٤٨٨٣	٩	٣٦٤٢٢٣	١٨ر٠٨
الشرقية	١٣٤٥٨٢٩	٨	١٦٢٩٩٢	١٢ر١١	١٨١٩٧٩٨	١٠	٢٩٢٧٥٥	١٦ر٠٩
القليوبية	٦٩٣٩٠٨	٥	١٠٥٧١٨	١٥ر٢٤	٩٨٨٠٥٥	٦	٢٠٩٢٢٦	٢١ر١٨
الغربية	٢٣٢٧٠٣١	١٥	٥٠٨٦٦٢	٢١ر٨٦	١٧١٥٢١٢	٨	٤٨٤٤٨١	٢٨ر٢٥
المنوفية	٢١٦٥٠١٥	٦	١٢٤٨٢٦	١٠ر٧١	١٣٤٧٩٥٣	٧	١٨٣٦٦٠	١٣ر٦٣
البحيرة	١٢٥٤٤٩٥	١٠	١٧٧٨٧٦	١٤ر١٨	١٦٨٥٦٧٩	١١	٣٠٧٥١٦	١٨ر٢٤
كفر الشيخ	—	—	—	—	٩٧٣٠١٩	٧	١٦٥٣٥٣	١٦ر٩٩
دمياط	٥٣٦٣١	١	٥٣٦٣١	١٠٠	٣٨٧٩٦٢	٣	٩٦٧١٤	٢٤ر٩٣
الدلتا	٨٢٥٣٨١٤	٥٣	١٣٥٢٤٢٩	١٦ر٣٩	١٠٩٣٢٥٦١	٦١	٢١٠٣٩٦٨	١٩ر٢٤

(تابع) جدول (١) تغيرات نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل

	١٩٦٦				١٩٧٢			
	جملة السكان نسمة	عدد المدن	سكان المدن نسمة	نسبة المدنية ٪	جملة السكان نسمة	عدد المدن	سكان المدن نسمة	نسبة المدنية ٪
الدقهلية	٢٢٨٥٣٣٢	١٠	٤٦٩٧٠١	٢٠ر٥٨	٢٥٨٧٠٠٠	١٠	٥٢٣٠٠٠	٢٠ر٢٢
الشرقية	٢١٠٧٩٧١	١٠	٣٨٨٦٧٨	١٨ر٤٤	٢٤٥٢٠٠٠	١٠	٥٠٩٠٠٠	٢٠ر٧٦
القليوبية	١٢١١٧٦٤	٨	٣٨١٥٤٢	٣١ر٤٨	١٤٥٥٠٠٠	٨	٥٢٩٠٠٠	٣٦ر٣٦
الغربية	١٩٠١١١٧	٨	٥٩٩٩٩٦	٣١ر٥٦	٢١٦٢٠٠٠	٨	٦٨٥٠٠٠	٣١ر٦٨
المنوفية	١٤٥٨٠٤٨	٨	٢٣٧٨٧٢	١٦ر٣١	١٥٦٣٠٠٠	٨	٢٧١٠٠٠	١٧ر٣٤
البحيرة	١٩٧٨٨٨٩	١١	٣٥٣٣٩٣	١٧ر٨٠	٢٣٢٨٠٠٠	١١	٣٩٩٠٠٠	١٧ر١٤
كفر الشيخ	١١١٨٤٩٥	٧	٢١٢١٨٦	١٩ر٠٠	١٢٨٨٠٠٠	٧	٢٧١٠٠٠	٢١ر٠٤
دمياط	٤٣١٥٩٦	٣	١١٤٥١٢	٢٦ر٥٣	٤٩١٠٠٠	٣	١٣٩٠٠٠	٢٨ر٣١
الدلتا	١٢٤٩٣٢١٢	٦٥	٢٧٥٧٨٨٠	٢٢ر٠٨	١٤٣٢٦٠٠٠	٦٥	٣٣٢٦٠٠٠	٢٣ر٢٢

جدول (٢)

معدلات الزيادة السكانية الكلية والريفية والحضرية ١٨٩٧ – ١٩٧٢

	تعداد الأساس			نسبة الزيادة المئوية																	
	١٨٩٧			٩٧–١٩٢٧			٢٧–١٩٤٧			٤٧–١٩٦٠			٦٠–١٩٦٦			٦٦–١٩٧٢			١٨٩٧–١٩٧٢		
	جملة	حضر	ريف	كلية	حضر	ريف	ك	ض	ف	ك	ض	ف	ك	ض	ف	ك	ض	ف	ك	ض	ف
الدقهلية	٧٣٦٦٦٣	٧٥٦٣١	٦٦١٠٣٢	٤٧	٦٦	٤٥	٣١	٧٤	٢٤	٤٣	٦٧	٣٩	١٣	٢٩	١٠	١٣	١١	١٤	٢٥١	٥٩٢	٢١٢
الشرقية	٧٤٩١٣٠	٦٣١٩٥	٦٨٥٩٣٥	٣٦	٦٠	٣٣	٣٢	٦١	٢٩	٣٥	٨٠	٢٩	١٦	٣٣	١٣	١٦	٣١	١٣	٢٢٧	٧٠٥	١٨٣
القليوبية	٣٧١٤٦٥	٢٣١٦٣	٣٤٨٣٠٢	٥٠	٢٢٥	٣٩	٢٤	٤٠	٢٢	٤٢	٩٨	٣٢	٢٣	٨٢	٧	٢٠	٣٩	١٢	٢٩٢	٢٢٨٤	١٦٦
الغربية	١٢٩٧٦٥٦	١٨٠٩٠٤	١١١٦٧٥٢	٣٨	٤٣	٣٧	٣٠	٩٧	١٩	٢٦	٥	٣٢	١١	٢٤	٦	١٤	١٤	١٤	٦٧	٢٧٩	٣٢
المنوفية	٨٦٤٢٠٦	٧١٣٧٧	٧٩٢٨٢٩	٢٨	٣٦	٢٧	٥	٢٩	٣	١٦	٤٧	١٢	٨	٣٠	٥	٧	١٤	٦	٨١	٢٨٠	٦٣
البحيرة	٦٣١٢٢٥	٦١٠٦٦	٥٧٠١٥٩	٥٥	٧٦	٥٣	٢٨	٦٦	٢٤	٣٤	٧٣	٢٨	١٧	١٥	١٨	١٨	١٣	١٩	٢٦٩	٥٥٣	٢٣٨
كفر الشيخ	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—(١)	—(٢)	—(٣)	١٥	٢٨	١٢	١٥	٢٨	١٢	—(٤)	—(٥)	—(٦)
دمياط	٣١٥١٥	٣١٥١٥	—	١١	١١	—	٥٤	٥٤	—	٦٢٣	٨٠	—	١١	١٨	٩	١٤	٢١	١١	٤٥٨	٣٤١	—
الدلتا	٤٦٨١٩٠٥	٥٠٦٨٦١	٤١٧٥٠٤٤	٤٠	٥٨	٣٨	٢٦	٦٩	٢٠	٣٢	٥٦	٢٨	١٤	٣١	١٠	١٥	٢١	١٣	٢٠٦	٥٥٦	١٦٣

(١) يبلغ عدد سكان محافظة كفر الشيخ فى تعداد ١٩٦٠ (٩٧٣٠١٩ نسمة) ، وقد أنشئت فى ١٩٤٩ فصلا عن الغربية ، وهو سبب تناقص جملة سكان الأخيرة إلى أقل مما كانت عليه فى ١٩٤٧ .

(٢) بلغت جملة سكان الحضر فى محافظة كفر الشيخ فى ١٩٦٠ (١٦٥٣٥٣ نسمة)

جدول (٣)

تغيرات هرم أحجام المدن فى دلتا النيل ١٨٩٧ – ١٩٦٦

	١٨٩٧									١٩٢٧								
	متوسط حجم المدينة	أقل من ١٠	١٠–	٢٥–	٥٠–	١٠٠–	١٥٠–	٢٠٠–	جملة	متوسط حجم المدينة	أقل من ١٠	١٠–	٢٥–	٥٠–	١٠٠–	١٥٠–	٢٠٠–	جملة
الدقهلية	١٢٦٠٥	٤	١	١	—	—	—	—	٦	٢٠٨٩١	٢	٣	—	١	—	—	—	٦
الشرقية	١٠٥٣٣	٤	١	١	—	—	—	—	٦	١٦٨٦٦	٣	٢	—	١	—	—	—	٦
القليوبية	٧٧٢١	٣	—	—	—	—	—	—	٥	١٥٠٦٣	٣	١	١	—	—	—	—	٥
الغربية	١٦٤٤٦	٤	٥	١	١	—	—	—	١١	٢٢٥٣٠	٢	٧	١	١	—	—	—	١١
المنوفية	١٤٢٥٥	١	٤	—	—	—	—	—	٥	١٦١٧٤	١	٢	٢	—	—	—	—	٥
البحيرة	٨٧٢٤	٥	١	١	—	—	—	—	٧	١٣٤٢٠	٦	١	—	١	—	—	—	٨
كفر الشيخ	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
دمياط	٣١٥١٥	—	—	١	—	—	—	—	١	٣٤٩٠٧	—	—	١	—	—	—	—	١
الدلتا	١٢٩٩٦	٢١	١٢	٥	١	—	—	—	٣٩	١٩٠٢٤	١٧	١٦	٥	٤	—	—	—	٤٢

تابع جدول (٣)
تغيرات هرم أحجام المدن فى دلتا النيل ١٨٩٧ — ١٩٦٦

	١٩٤٧									١٩٦٠								
	متوسط حجم المدينة	أقل من ١٠	١٠-	٢٥-	٥٠-	١٠٠-	١٥٠-	٢٠٠-	جملة	متوسط حجم المدينة	أقل من ١٠	١٠-	٢٥-	٥٠-	١٠٠-	١٥٠-	٢٠٠-	جملة
الدقهلية	٢٧٣٤٠	٢	٣	٢	—	١	—	—	٨	٤٠٤٦٩	١	٣	٤	—	—	١	—	٩
الشرقية	٢٠٣٧٤	٣	٤	—	١	—	—	—	٨	٢٩٢٧٦	٢	٥	٢	—	١	—	—	١٠
القليوبية	٢١١٤٤	—	٣	٢	—	—	—	—	٥	٣٤٨٧٨	—	٣	١	٢	—	—	—	٦
الغربية	٣٣٩١١	٣	٧	٣	—	٢	—	—	١٥	٦٠٥٦٠	٢	١	٣	—	—	٢	—	٨
المنوفية	٢٠٨٠٤	٢	٢	٢	—	—	—	—	٦	٢٦٢٣٧	١	٣	٢	١	—	—	—	٧
البحيرة	١٧٧٨٨	٥	٣	١	١	—	—	—	١٠	٢٧٩٥٦	٣	٤	٣	—	١	—	—	١١
كفر الشيخ	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٢٣٦٢٢	١	٢	٤	—	—	—	—	٧
دمياط	٥٣٦٣١	—	—	—	١	—	—	—	١	٣٢٢٣٦	١	١	—	١	—	—	—	٣
الدلتا	٢٥٥١٨	١٥	٢٢	١٠	٣	٣	—	—	٥٣	٣٤٤٩١	١١	٢٢	١٩	٤	٢	٣	—	٦١

تابع جدول (٣)

تغيرات هرم أحجام المدن فى دلتاالنيل ١٨٩٧ – ١٩٦٦

	١٩٦٦									١٩٧٢
	متوسط حجم المدينة	أقل من ١٠	١٠ –	٢٠ –	٥٠ –	١٠٠ –	١٥٠ –	٢٠٠ –	جملة	متوسط حجم المدينة
الدقهلية	٤٦٩٧٠	—	٣	٦	—	—	١	—	١٠	٥٢٣٠٠
الشرقية	٣٨٨٦٨	١	٤	٣	١	—	١	—	١٠	٥٠٩٠٠
القليوبية	٤٧٦٩٣	١	٣	٢	١	١	—	—	٨	٦٦١٢٥
الغربية	٧٤٩٩٩	١	٢	٣	—	—	—	٢	٨	٨٥٦٢٥
المنوفية	٢٩٧٣٤	—	٤	٣	١	—	—	—	٨	٣٣٨٥٠
البحيرة	٣٢٢٢٧	—	٧	٣	—	١	—	—	١١	٣٦٢٧٣
كفر الشيخ	٣٠٣١٢	—	٣	٣	١	—	—	—	٧	٣٣٨٥٠
دمياط	٣٨١٧١	٣	٢	—	١	—	—	—	٣	٤٤٧٥٠
الدلتا	٤٢٤٢٩		٢٨	٢٣	٥	٢	٢	٢	٦٥	٥١١٩٦

جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلى لمدن الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ — ١٩٦٦

التعداد	١٨٩٧						
البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية ٪	م	البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية ٪	م
طنطا	٥٧٢٨٩	٢٤ر٠٧	١	دكرنس	٥١١٠	٤ر٥٥	٢٦
المنصورة	٣٦١٣١	٢٩ر٤٤	٢	قويسنا	٤٩٥٠	٣ر٤٦	٢٧
الزقازيق	٣٥٧١٥	١٧ر٩٦	٣	طوخ	٤٨٧٨	٣ر٤٤	٢٨
دمنهور	٣٢١٢٢	٣٤ر٢٠	٤	منيا القمح	٤٧٩٦	٣ر٢٦	٢٩
المحلة الكبرى	٣١٧٩١	١٩ر١٥	٥	النجيلة	٤٣٩٧	٣ر٠٦	٣٠
منوف	٢٠٦٨٣	٩ر٩٤	٦	فاقوس	٣٦٧٥	٤ر٠٧	٣١
شبين الكوم	٢٠٧٠٥	١٠ر٧٤	٧	نوى	٣٦٣٧	٣ر١٢	٣٢
بلقاس	١٩٤٦٩	٢٠ر٧٣	٨	السنطة	٣٢٣٠	٢ر٦٩	٣٣
قليوب	١٤٦٤٨	١٢ر٩٥	٩	إيتاى البارود	٣٠٧٧	٢ر٣٥	٣٤
رشيد	١٤٤١٤	٢٢ر٩٠	١٠	شبراخيت	٢٨٢٣	٣ر١٢	٣٥
زفتى	١٤٠٣٩	١٠ر٣٦	١١	أبو حمص	٢٢٥٣	٣ر٣٧	٣٦
فوة	١٣١٨٦	٢٦ر٣٩	١٢	كفر الدوار	١٩٨٠	٤ر١٤	٣٧
تلا	١٣٠٤٨	٧ر١١	١٣	كفر صقر	١٤٦٧	١ر٧٨	٣٨
ميت غمر	١٢٩٣٨	٦ر٩٨	١٤				
أشمون	١١٩٩١	٨ر٧٦	١٥	دمياط	٣٥٥١٥	١٠٠	(٤)
دسوق	١١٨٧٨	١١ر٧٦	١٦				
بلبيس	١١٢٦٧	٩ر١٨	١٧				
كفر الزيات	١٠٢٣١	٦ر٦٨	١٨				
السنبلاوين	٩٢٣٣	٧ر٧٩	١٩				
بلطيم	٧٣٨٣	٤٠ر٦٥	٢٠				
فارسكور	٧٠٦٩	٧ر٩٨	٢١				
طلخا	٦٥٤٠	٦ر٨٨	٢٢				
ههيا	٦٢٧٥	٥ر٨٤	٢٣				
كفر الشيخ	٥٨٦٨	٤ر٦٧	٢٤				
ميت سمنود	٥١٥٠	٤ر٧١	٢٥				

تابع جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلى لمدن الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦

١٩٢٧

البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية ٪	م
طنطا	٩٠٠١٦	٣٠ر٠٠	١
المنصورة	٦٣٦٧٦	٣٣ر١	٢
الزقازيق	٥٢٨٣٩	٢٢ر٤٦	٣
دمنهور	٥١٧٠٩	٥٠ر١٢	٤
المحلة الكبرى	٤٥٦٤٢	٢٠ر٧٨	٥
دمياط	٣٤٩٠٧	١٠٠	٦
شبين الكوم	٢٧٤٤٠	١٢ر٧٢	٧
منوف	٢٦٠٧٨	٩ر٩٨	٨
بنها	٢٥٨٠٢	٢٨ر٢٧	٩
زفتى	٢٣٢٣٣	١٣ر٤٣	١٠
رشيد	٢٣٠٤٨	٢٦ر٢٨	١١
دسوق	٢٢٢٣٧	١٤ر٤٨	١٢
بلبيس	١٦٩٩٢	١١ر٩٥	١٣
ضواحى مصر	١٨٦٠٧	٤٠ر٠٠	١٤
قليوب	٢٠٩٢٣	١٤ر٧٦	١٥
ميت غمر	١٩٧٨٤	٨ر١٧	١٦
أشمون	١٨٥٠٤	٩ر٨٧	١٧
تلا	١٨١٤٥	٨ر١٦	١٨
السنبلاوين	١٧٨٨٣	٩ر٨٧	١٩
فوة	١٧١٨٥	٢٣ر٤٨	٢٠
كفر الزيات	١٤٥٧٨	٧ر٩١	٢١
شربين	١١٦١٢	٦ر٩٠	٢٢
كفر الشيخ	١٠٥٤٠	٥ر٢٢	٢٣
فارسكور	١٠٣٨٤	٩ر٤٠	٢٤
فاقوس	١٠١٩٨	٦ر٢٦	٢٥
طلخا	١٠٠٦٤	٧ر٢٥	٢٦
شبين القناطر	٩٣١٩	٦ر٢٨	٢٧
ههيا	٩١٣٤	٧ر٣٣	٢٨
منيا القمح	٨٩٥٩	٥ر٤٥	٢٩
الدلنجات	٨٥٩٠	١١ر٧٠	٣٠
طوخ	٧٨٣٩	٦ر١٤	٣١
دكرنس	٧٧٦٩	٣ر٦٠	٣٢
قويسنا	٦٨٧٩	٣ر٦٠	٣٣
بلطيم	٦٨٠٠	٢٧ر٠٨	٣٤
إيتاى البارود	٥٩٢٨	٤ر٧٦	٣٥
أجا	٥٧٧٦	٤ر١٩	٣٦
كفر الدوار	٥٤١٢	٥٤ر١٢	٣٧
شبراخيت	٤٦٦١	٤ر٧٥	٣٨
السنطة	٤٦٣٠	٣ر١٧	٣٩
أبو حمص	٤١٦٣	٢ر٨٠	٤٠
كوم حماده	٣٨٥٤	٢ر٤٠	٤١
كفر صقر	٣٠٧٦	٢ر٣٢	٤٢

تابع جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلى لمدن الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦

١٩٤٧							
البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م	البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م
طنطا	١٣٩٩٢٦	٣٩ر٣٢	١	كفر الشيخ	١٥٩٧٣	٧ر٥٥	٢٨
المحلة الكبرى	١١٥٧٥٨	٤٥ر٠٦	٢	فارسكور	١٣٨٠٦	٨ر٧٠	٢٩
المنصورة	١٠١٩٦٥	٣٩ر٣٢	٣	المحمودية	١٣٦٢١	١٧ر٥١	٣٠
دمنهور	٨٤٣٥٢	٤٣ر١٥	٤	كفر الدوار	١٣٥٨٩	٧ر٧٥	٣١
الزقازيق	٨١٨١٣	٣٤ر٨٠	٥	منيا القمح	١٣٣٣٩	٧ر٣٠	٣٢
دمياط	٥٣٦٣١	١٠٠	٦	طلخا	١٣٣١٧	٩ر٧٠	٣٣
شبين الكوم	٤١٦٣٦	٢٠ر٨٢	٧	شبين القناطر	١٢٦٥٩	٦ر٦٩	٣٤
بنها	٣٥٨٨٠	٢٦ر٣١	٨	ههيا	١١٥٩٣	٨ر٦٥	٣٥
بلقاس	٣٤٧٧١	٣٧ر٤٤	٩	دكرنس	١١٢٤٩	٦ر٤٢	٣٦
منوف	٣١٤٧٥	١١ر٤٤	١٠	الدلنجات	١٠٦٠٦	١٢ر٧٥	٣٧
دسوق	٣١٣٣٤	١٩ر٤٢	١١	طوخ	١٠٠٠٣	٦ر٨٨	٣٨
ميت غمر	٢٩٠٣٠	١١ر٠١	١٢	قلين	٩٥٣٠	٨ر٤٤	٣٩
بيلا	٢٨٧٥٧	٢٠ر٤٤	١٣	بلطيم	٨٨٩٠	٢٨ر٦٦	٤٠
رشيد	٢٨٥٥٨	٣٣ر١٩	١٤	ديرب نجم	٨٣٨٥	٨ر٨٢	٤١
زفتى	٢٧٤٠٤	١٧ر٥٥	١٥	أجا	٦٨٨٩	٤ر٤٩	٤٢
قليوب	٢٥٦٦١	١٤ر١٤	١٦	إيتاى البارود	٦٧٢٨	٥ر١٦	٤٣
السنبلاوين	٢٥٦٤٨	١٥ر٩٤	١٧	أبو حماد	٦٤٧٢	٣ر١٥	٤٤
بلبيس	٢٤٨١٤	١٣ر٨٥	١٨	أبو حمص	٦٤٢٩	٥ر١١	٤٥
أشمون	٢٣٠٤٧	١١ر٠٥	١٩	شبراخيت	٥٥٩٠	٤ر٧٥	٤٦
المنزلة	٢١٧٥٢	١٤ر٧٧	٢٠	الشهداء	٥٠٣٣	٥ر٠٩	٤٧
كفر الزيات	٢١٥١٦	١٢ر١٠	٢١	قويسنا	٤٩٧٠	٢ر٤٧	٤٨
ضواحى مصر	٢١٥١٦	٥١ر٩٨	٢٢	الحسينية	٤٥٠٠	٦ر٩٠	٤٩
فوة	٢١٢٦٢	٢٠ر٨٣	٢٣	كوم حماده	٤٣١٤	٢ر٥٥	٥٠
سمنود	١٩٨٢٤	٢٢ر٤٤	٢٤	كفر صقر	٤٢٢٩	٢ر٥٥	٥١
تلا	١٨٦٦٥	١٠ر٢٣	٢٥	أبو المطامير	٤٠٨٩	٤ر٣٨	٥٢
شربين	١٦٣٧٨	١١ر٥٧	٢٦	السنطة	٤٠٢٢	٢ر٥٠	٥٣
فاقوس	١٦٢٣٢	٩ر٨٧	٢٧				

تابع جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلى لمدن الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦

التعداد				١٩٦٠			
البيان / المدينة	الحجم	نسبة المدنية ٪	م	البيان / المدينة	الحجم	نسبة المدنية ٪	م
طنطا	١٨٤٢٩٩	٤٥ر١٧	١	حوش عيسى	٢٥٢٧٦	٣٩ر٨٦	٢٧
المحلة الكبرى	١٧٨٢٨٨	٤٤ر٤٣	٢	شربين	٢٣٤٤٤	١٦ر٧٩	٢٨
المنصورة	١٥١١٩٢	٤١ر٠٥	٣	تلا	٢٣٣٩٣	١٤ر٠٠	٢٩
دمنهور	١٢٦٦٠٠	٤٥ر٥٨	٤	الخانكة	٢١٦٣٧	٢٠ر١٣	٣٠
الزقازيق	١٢٤٤١٧	٣٥ر٧٠	٥	فاقوس	٢٠١٦٣	٩ر٥٨	٣١
دمياط	٧١٧٨٠	٣٩ر٨٠	٦	طلخا	١٩٥٨٨	١٠ر٠٣	٣٢
شبرا الخيمة	٥٩٣٦٣	٥٩ر٠٠	٧	بسيون	١٩٤٥٠	١٧ر٥٧	٣٣
شبين الكوم	٥٤٩١٠	٢٣ر٩٤	٨	شبين القناطر	١٨٥٧٩	١٣ر٥٢	٣٤
بنها	٥٢٦٨٦	١٤ر١٢	٩	منيا القمح	١٨٤٦٤	٨ر٢٦	٣٥
كفر الدوار	٤٣٢١٧	١٦ر٩٦	١٠	فارسكور	١٧٨٤٩	١٣ر٩٠	٣٦
قليوب	٤٣٢٠٢	١٧ر٩١	١١	دكرنس	١٦٤٤٠	٦ر١٩	٣٧
منوف	٤١٩١٤	٢٠ر٠٩	١٢	ههيا	١٥٥١٩	١٢ر٦٨	٣٨
ميت غمر	٤٠٠١٦	١٤ر١٩	١٣	المحمودية	١٥٣٤٠	١٣ر٤٢	٣٩
دسوق	٣٩٤٧٣	٢٠ر٥٣	١٤	الباجور	١٥٢٨٥	١٠ر٦٢	٤٠
كفر الشيخ	٣٨٥٩٢	١٦ر١٩	١٥	الدلنجات	١٤٥٢٨	١٤ر٠١	٤١
بلقاس	٣٨٣٧٦	٢٢ر٤٦	١٦	طوخ	١٣٧٩٩	٧ر٥٥	٤٢
بلبيس	٣٧٩٤١	١٥ر٥٤	١٧	بلطيم	١٣٧٦٤	٢٩ر٤٩	٤٣
أبو كبير	٣٦٨٠٠	٢٦ر٨٢	١٨	قويسنا	١٢٦٦٦	٥ر٤٩	٤٤
السنبلاوين	٣٦٥٠١	١٦ر٤٧	١٩	قلين	١٢٤٩٣	١٣ر٧٣	٤٥
رشيد	٣٢٣٦٨	٢٧ر١٣	٢٠	ديرب نجم	١٢٤٥٢	٩ر٥٠	٤٦
زفتى	٣١٤٢١	١٦ر٣٥	٢١	أبو حماد	١١٥٠٩	٨ر٠٥	٤٧
كفر الزيات	٣٠٤٠٤	١٨ر٣١		شبراخيت	١١٢٧٨	٨ر٣٣	٤٨
المنزلة	٢٩٤١٥	١٣ر٢٨	٢٢	إيتاى البارود	١٠٣٤٨	٦ر٤٥	٤٩
أشمون	٢٩٠٩٥	١١ر٩٨	٢٣	أبو حمص	٩٦٦٦	٦ر١٢	٥٠
بيلا	٢٨٨٦٥	١٨ر٢٩	٢٤	كوم حماده	٩٥٧٥	٤ر٣٨	٥١
سمنود	٢٧٣١٧	٢٢ر٦١	٢٥	أبو المطامير	٩٣٢٠	١١ر٦٣	٥٢
فوة	٢٧٠٢٦	١٩ر٧٥	٢٦	أجا	٩٢٥١	٤ر٢٦	٥٣

تابع جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلى لمدن الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ – ١٩٦٦

١٩٦٠

البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م	البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م
قطور	٧٨٧٣	٦ر٥٠	٥٤	الشهداء	٦٤٢٤	٥ر٥٦	٥٨
كفر صقر	٧٧٩٠	٥ر٣٧	٥٥	السنطة	٥٥٢٩	٢ر٨١	٥٩
الحسينية	٧٦٩٦	٦ر٥٧	٥٦	سيدى سالم	٥١٤٠	٤ر٢٨	٦٠
كفر سعد	٧٠٨٥	٨ر٩٤	٥٧				

١٩٦٦

البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م	البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م
طنطا	٢٢٩٩٧٨	٤٩ر٧٠	١	زفتى	٣٧٨٨٣	١٨ر٠٠	٢٢
المحلة الكبرى	٢٢٥٣٢٣	٤٧ر٨٣	٢	رشيد	٣٦٧١١	٢٦ر٠٠	٢٣
المنصورة	١٩١٤٥٩	٤٥ر٤٠	٣	كفر الزيات	٣٤٠٨٤	١٨ر٨٨	٢٤
الزقازيق	١٥١١٨٦	٣٧ر١٢	٤	المنزلة	٣٣٢٩٨	٢٠ر٧٥	٢٥
دمنهور	١٤٦٠٧٩	٣٩ر٠٠	٥	بيلا	٣٣٠٠٨	١٨ر٢٣	٢٦
شبرا الخيمة	١٠٤١٣٩	٦٠ر٢٤	٦	أشمون	٣٢١٦٨	١٢ر٥٥	٢٧
دمياط	٨٦٣٢٧	٤٢ر٧٨	٧	منيا القمح	٣١٥٣٣	١٢ر٣١	٢٨
شبين الكوم	٦٦٢٩٠	٢٧ر٣٢	٨	فوة	٣٠٦٥٤	١٩ر٧٠	٢٩
بنها	٦٣٨٤٩	٢٩ر١٤	٩	حوش عيسى	٣٠٠٠٦	٤٢ر٠٠	٣٠
بلبيس	٥٨٠٧٠	٢٠ر١٠	١٠	سمنود	٢٩٧٤٩	٢١ر٨٠	٣١
كفر الشيخ	٥١٥٤٤	١٨ر٧٣	١١	الخانكة	٢٨٠٨٤	٢٢ر٨٤	٣٢
قليوب	٤٩٣٠٣	٣٣ر٨٢	١٢	تلا	٢٥٤٤٨	١٥ر٥٢	٣٣
منوف	٤٨٢٥٦	٢١ر٣٤	١٣	شربين	٢٥٠٨٩	١٥ر٥٩	٣٤
دسوق	٤٥٥٨٠	٢٠ر٩٥	١٤	طلخا	٢٣٧٤٢	١٠ر٤٤	٣٥
ميت غمر	٤٣٦٦٥	١٤ر٣٦	١٥	القناطر الخيرية	٢٢٤٧٧	١٧ر٩٧	٣٦
أبو كبير	٤١٧٨٩	٢٧ر٠٠	١٦	الشهداء	٢١٩٤٧	١٧ر٩٥	٣٧
كفر الدوار	٤١٥٦٠	١٣ر٠٤	١٧	بسيون	٢١٨٤١	١٧ر٢١	٣٨
المطرية	٤١١٠٥	٨٤ر٨٨	١٨	سيدى سالم	٢١٠٩٦	١٤ر٩٩	٣٩
بلقاس	٤١٠٦٧	٢١ر٢٤	١٩	شبين القناطر	٢٠٦١٨	١٣ر٤٣	٤٠
السنبلاوين	٤٠٦٨٦	١٦ر٢٢	٢٠	دكرنس	١٨٧٣١	٦ر٢٦	٤١
فاقوس	٤٠٥٦١	١٦ر٦٣	٢١	فارسكور	١٨١٢٧	١٣ر٣٢	٤٢

تابع جدول (٤)

١٩٦٦

البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م	البيان المدينة	الحجم	نسبة المدنية %	م
ههيا	١٧٦٩٦	١٢ر٧٥	٤٣	شبراخيت	١٣١٠٥	٧ر٢٨	٥٥
المحمودية	١٧٢٤١	١٢ر٨٩	٤٤	إيتاى البارود	١٢٦٠٧	٨ر٣٧	٥٦
الدلنجات	١٧٠١١	١٣ر٧٨	٤٥	السنطة	١٢١٤٤	٦ر٨٨	٥٧
بلطيم	١٦٠٩١	٣٢ر٢٦	٤٦	كوم حماده	١١٨٨١	٤ر٧٠	٥٨
طوخ	١٥٦١٠	٧ر٥٧	٤٧	أبو المطامير	١١٨١٥	١١ر٤٣	٥٩
الباجور	١٥٥٥٢	٩ر٤٥	٤٨	أجا	١٠٧٥٩	٥ر٠٠	٦٠
أبو حمص	١٥٣٧٧	٨ر٣٤	٤٩	كفر سعد	١٠٠٥٨	١٠ر٧٩	٦١
قويسنا	١٤٧٠٠	٨ر٥٣	٥٠	الحسينية	١٠٠٢٤	٧ر٣٣	٦٢
ديرب نجم	١٤٣٧٢	٩ر٥٩	٥١	كفر صقر	٩٨٥٦	٥ر٨٢	٦٣
قلين	١٤٢١٣	١٤ر٦٤	٥٢	قطور	٨٩٩٤	٦ر٦٠	٦٤
بركة السبع	١٤٠١١	١٤ر١٥	٥٣	كفر شكر	٨٦٩٨	١٣ر١٩	٦٥
أبو حماد	١٣٥٩١	٨ر٣٤	٥٤				

جدول (٥)

المسافات بين مدن الدلتا الرئيسية

	القاهرة	اسكندرية	بور سعيد	الاسماعيلية	السويس	رشيد	دمنهور	كفر الشيخ	المحلة الكبرى	طنطا	كفر الزيات	شبين الكوم	دمياط	المنصورة	الزقازيق	بنها
الاسكندرية	٢٢١															
بور سعيد	٢٢٠	٣٤٣														
الاسماعيلية	١٤٠	٢٦٧	٨٠													
السويس	١٣٤	٣٣٥	١٧٣	٩٤												
رشيد	٢١٠	٦٣	٣٣٢	٢٥٢	٣٤٤											
دمنهور	١٥٦	٦٥	٢٧٨	١٩٨	٢٩٠	٥٤										
كفر الشيخ	١٤٣	١٧٨	٢٦٥	١٧٥	٢٧٩	٨٢	٥١									
المحلة الكبرى	١٢١	١٥٦	٢٤٣	١٥٣	٢٥٧	١٤٧	٩١	٧٨								
طنطا	٩٣	١٢٨	٢١٥	١٢٥	٢٢٩	١١٧	٦٣	٥٠	٢٨							
كفر الزيات	١١١	١١٠	٢٣٣	١٥٣	٢٤٥	٩٩	٤٥	٦٨	٤٦	١٨						
شبين الكوم	٨٢	١٥٤	٢٢٣	١٤٣	٢١٦	١٤٣	٨٩	٧٦	٥٤	٢٦	٤٤					
دمياط	١٩١	٢٤٣	٢٦٩	١٨٩	٢٨٣	٢١٤	١٦٠	١٤٣	٩٢	١٢٢	١٥٠	١٥٣				
المنصورة	١٢٦	١٧٦	٢١٦	١٣٦	٢٣٠	١٤٩	٩٥	٦١	٢٧	٥٧	٧٥	٨٨	٦٥			
الزقازيق	٨٣	٨٤	١٥٩	٧٩	١٧٣	١٧٣	١١٩	١٠٦	٨٤	٥٦	٧٤	٧٤	١٢٢	٥٧		
بنها	٤٩	١٧٢	١٩٧	١١٧	١٨٣	١٦١	١٠٧	٩٤	٧٢	٤٤	٦٢	٢٦	١٤٢	٧٧	٣٨	

ادوات الشرط فى اللغـات السـامية

للدكتور فاروق محمد جودى

تعبر اللغات السامية عن الشرط بأساليب مختلفة ، أبسطها هو وضع جملتى الشرط إحداهما بعد الأخرى ، دون إستعمال أية أداة للربط بينها . ويفهم الشرط فى هذه الحالة من سياق الكلام . وهذا الأسلوب قليل الاستعمال إلى حد كبير وهذه هى بعض الأمثلة : אתם תמעלו אני אפיץ אתכם בעמים

(نحمياء ١ : ٨) « إن خنتم فانى أفرقكم بين الشعوب » والترجمة الحرفية : أنتم تخونون ، أنا أفرقكم بين الشعوب . . תבגדום

ילקטון תפתח ידך ישבעון טוב (المزامير ١٠٤ : ٢٨) « إن أعطيتها تلتقط ، وإن فتحت يدك تشبع خيراً » . والكلام هنا عن الله وحيوانات البحر .(١) እለቆሙ እምኆጻ፡ ይበዝኁ

إن أحصيتهم فانهم سيكونون أكثر من الرمل(٢) .

وفى اللغة العبرية قد يطرأ تغيير نحوى على الفعل فى جملتى الشرط والجواب مثل : תשת חשך ויהי לילה

---

(١) Gesenius - kautzsch, 159/b Brockelmann, hebr, syn., 164/a.

(٢) Dillnann, p 546.

« إن جعلت ظلمة ، يحل الليل » (المزامير ١٠٤ : ٢٠)(١) .

والأسلوب الثانى من أساليب الشرط فى اللغات السامية ، هو الربط بين كلتا جملتى الشرط بالواو . وتسبق هذه الواو جملة الجواب . وهذا الأسلوب أكثر إستعمالا من الأسلوب الأول . أمثلة : ma - ah̲h̲ū šunu ... išemmū tubbab
šunūti « إن حددته فان إخوته ينفذونه » h̲amšat šiqil kaspam libil -ma šiqil
“ida -š’ « إن أحضر خمسة شواقل من الفضة ، فان أجره يكون شاقلا واحداً »(٢) وتنفرد اللغة العبرية باستعمال واوين للربط بين جملة الشرط وجوابه . وتوضع إحداهما قبل الشرط ، والأخرى قبل الجواب مثل :

לא יוכל הנער לעזב את אביו ועזב את אביו ומת

« لايستطيع الغلام أن يترك أباه . فان ترك أباه يموت » (التكوين ٤٤ : ٢٢)(٣)
ويقول جوون ان وظيفة الواو الأولى هى زيادة إبراز الصلة بين جملتى الشرط والجواب وتوضيحها ، وأن هذه الوظيفة تزداد وضوحاً عندما تستعمل هذه الواو قبل أية كلمة غير الفعل . وضرب أمثلة لذلك منها :

ויש יהוה עמנו ולמה מצאתנו כל זאת

« إن كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه » (القضاة ٦ : ١٣) (٤) .

ولكن الأسلوب الشائع هو إستعمال أدوات الشرط . وتفرق اللغات السامية فى إختيار هذه الأدوات واستعمالها بين الشرط الذى يحتمل وقوعه والشرط الذى لايحتمل وقوعه .

---

(١) Jouon, p 512.
(٢) Von soden, p 212.
(٣) Brockelmann, hebr. syn. 164/a.
(٤) Jouon, p 513.

ومع ذلك تستعمل فى بعض الأحيان أدوات الشرط الذى يحتمل وقوعه للدلالة على شرط لايحتمل وقوعه . كما تستعمل أداة الشرط الذى لايحتمل وقوعه للدلالة على شرط يحتمل وقوعه . وقد فسر بعض الباحثين الأمثلة التى من هذا القبيل تفسيراً بجعلها متمشية مع القاعدة ، لاتشذ عنها . وبهذا يمكن تقسيم أدوات الشرط قسمين هما :

أولا : أدوات الشرط الذى يحتمل وقوعه :

هى الأدوات التى تعبر عن الشرط الذى يمكن أو يحتمل وقوعه فى المستقبل . كما تعبر عن الشرط الذى كان من الممكن أو من المحتمل وقوعه فى الماضى .

ويمكن تقسيمها على النحو التالى :

١ — أدوات مركبة من عنصرين هما الألف (أو الهمزة) والنون :

(أ) « إن » فى اللغة العربية ، مثل : وإن تعودوا نعد . وهى حرف باجماع آراء النحويين العرب . وقد وصفها بعضهم بأنها « أم حروف الشرط »(١) .

وقد تضاف إليها ما ، ثم تدغم النون فى الميم لسكونها ، فتصير إما (إن ما) مثل : إما تأتنى آتك . أى : إن أتيتنى آتك. ومثله قوله تعالى : فاما ترين من البشر أحداً . . . أى إن رأيت من البشر أحداً . وتزاد « ما » كثيراً مع أدوات الشرط . إن

(ب) فى اللغة السريانية ، مثل :

[illegible]

« إذا غضبت يفنى سكانها(٢) » .

٢ — أدوات مركبة من عنصرين هما الألف (أو الهمزة) والميم :

(أ) אם فى اللغة العبرية ، مثل : [illegible]

(١) ابن يعيش ، — ٧ ، ص ١٤١ .

(٢) Brockelmann, syr. Gramm. p 122, Noldeke, 265.

[illegible]

בְּתוֹךְ הָעִיר וְנָשָׂאתִי לְכָל הַמָּקוֹם בַּעֲבוּרָם

وقال الرب : إن وجدت فى مدينة سدوم خمسين باراً ، فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم » (التكوين ١٨ : ٦) .

(ب) فى اللغة الحبشية . [illegible]

(ج) n فى اللغة الأوجاريتية . وهى ليست أداة الشرط العادية فى هذه اللغة . إن الأداة العادية هى hm بالهاء . ويقول جوردون أنه إن لم تكن الألف راجعة إلى خطأ النساخ الذين الذين كتبوها مكان الهاء ، فان هذه الأداة يمكن اعتبارها ممثلة للهجة معينة من لهجات هذه اللغة (١) .

٣ — أدوات مركبة من عنصرين هما الهاء والنون :

(أ) hn فى اللغة العربية الجنوبية القديمة ، فى اللهجتين المعينية والحضرمية ، مثل hn ysqn « إن أكثر من تقديم القرابين » (٢) .

(ب) הֵן فى اللغة العبرية ، مثل :

הֵן נִזְבַּח אֶת תּוֹעֲבַת מִצְרַיִם לְעֵינֵיהֶם וְלֹא יִסְקְלֻנוּ

« إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم ، أفلا يرجموننا » (الخروج ٨ : ٢٢) (٣) . وتستعمل بكثرة فى سفر أيوب : وتحل مكان אם فى بعض الأحيان ، فى الأسفار المتأخرة .

ونلاحظ أن هذه الأمثلة تنقسم قسمين :

(١) Gordon, Dictionary, P. 238.

أنيـ٧ فريحه ص ٩٩ .

(٢) Marshall, Manual of the aramaic Language of the Pallestinian Talmud, p 36.

(٣) Hofner, p 164, Beseton, 55: 11.

الخروج ٨ : ٢٦ فى الترجمة العربية المتداولة .

الأول : تتصدر فيه جملتا الشرط والجواب بالواو ، ويشمل مثالين فقط هما صموئيل الأول ٩ : ٧ ، وصموئيل الثانى ١٨ : ١١ .

الثانى : يقارب فيه معنى הִנֵּה المعنى « وهاهوذا » ويشمل سائر الأمثلة الأخرى .

وينكر فريق آخر من الباحثين ، منهم جزنيوس وجوون ، دلالة הִנֵּה على الشرط فى هذه الأمثلة . وقد تعرض جزنيوس فى كلامه عنها لمثالين فقط ، وهما صموئيل الثانى ١٨ : ١١ . وقال إنه يجب ترجمتها فيهما بـ « هوذا » (١) . أما جوون فانه لم ينكر دلالة هذين المثالين على الشرط ، ولكنه قال انهما من الجمل التى توضع فيها جملة الشرط إلى جوار جملة الجواب ، مع الربط بينهما بواوين تتصدر الأولى جملة الشرط والثانية جملة الجواب . أما عن أمثلة القسم الثانى ، فقد قال ان معنى הִנֵּה فيها هو : « هوذا » أو « أنظر(٢) » .

٤ ــ أدوات مركبة من عنصرين هما الهاء والميم :

(أ) hm فى اللغة الأوجاريتية ، مثل :

hm t pn 1 qbr bny

« إن طارت على قبر ابنى » (٣) . وتستعمل hn, hm فى هذه اللغة بمعنى هوذا » أو « ها » ، مثل הֵן و הִנֵּה فى اللغة العبرية ، اللتين تستعملان للدلالة على الشرط أيضاً فى بعض الأحيان .

(ب) hm فى اللغة العربية الجنوبية القديمة ، فى اللهجة السبئية ، مثل whm yhwkbn « وإن ضمن » أو « وإن كفل » .

---

(١) Gesenius - Kautzsch, p 497.

(٢) Jouon, p 516.

(٣) Gordon, Manual, 12 : 3 13 : 71.

أنيس فريحة ، ص ٦٨١ .

وتستعمل أحياناً فى اللهجتين المعينية والحضرمية . وتضاف إليها واو فى اللهجة القتبانية ، فتصير hmw (١) .

٥ — أدوات مركبة من عنصرين هما الشين والميم :

šumma فى اللغة الأكدية . وهى أداة الشرط العادية الشائعة فى هذه اللغة . وقد إستعملت مكانها ki فى البابلية الحديثة والبابلية المتأخرة . ومن أمثلتها ipluš martum « إن اقتحم أحد المواطنين منزلاً بالقوة » šumma awilum bitam

šsumma "ina abu ul lima na di at ne ku ur tum da an na tum.

« إن وجدت حويصلة المرارة عند باب المدينة ، تكون العداوة شديدة » .

٦ — أدوات مركبة من عنصرين هما الكاف والياء :

(أ) כִּי فى اللغة العبرية : وتختلف هذه الأداة فى مدلولها عن אם ، فهى تدل على شرط أكثر إحتمالا للوقوع . وتستعمل بمعنى « يفترض أن » أو « فى حالة ما إذا » . وبهذا تماثل « إذا » العربية من حيث المعنى .

وغالباً ما تستعمل فى القوانين . وفى بعض الأحيان تتصدر جملة شرطية تدل على مبدأ قانونى عام ، تتلوها جمل شرطية أخرى مصدرة بـ אִם ، وتدل على حالات خاصة ، مثل : כִּי תִקְנֶה עֶבֶד עִבְרִי שֵׁשׁ

לַחָפְשִׁי חִנָּם : אִם בְּגַפּוֹ יָבֹא בגפו יצא אם בעל אשה ،

הנכדה ולחפשי לו אם עבדים בשני ושיה

הוא ויצאה אשתו עמו : אם אדניו יתן לו אשה

וילדה לו בנים או בנות האשה וילדיה תהיה

« إذا اشتريت عبداً عبرياً ، فست سنين يعمل ، وفى السنة السابعة يصبح حراً مجاناً . إن جاء وحده ، فوحده يخرج . إن كانت له زوجة تخرج زوجته معه .

---

(١) Hofner, p 164, Beseton, 55:11.

إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده » (الخروج ٢١ : ٢ — ٤) .

فهنا تدل الجملة الشرطية الأولى المصدرة بـ כִּי على المبدأ العام بينما تدل الجمل الشرطية التالية لها على تفاصيل هذا المبدأ التشريعى . ولكن هذه القاعدة ليست مطردة ، فقد تستعمل في الجملة الرئيسية والجمل التالية لها ، مثل التثنية ١٥ : ١٢ وما بعدها (١) .

٢ — K في اللغة الأوجاريتية ، مثل "k yg r [ssw]" « إذا صهل الحصان » k yraš ssw « إذا هز الحصان رأسه » وينطقها جوردون بالكسرة ki قياساً على العبرية .

٣ — ki في اللغة الأكدية ، مثل kī pānī šarri mahrir « إذا أعجب الملك » "ki la ittannu" « إذا ما لم يعط » . وقد حلت هذه الأداة مكان šumme في البابلية الحديثة والبابلية المتأخرة . والمثالان السابقان أحدهما ، وهو الأول ، من البابلية الحديثة (٢) .

٧ — أدوات مركبة من عنصرين هما الهمزة والذال :

إذا في اللغة العربية ، مثل :

متفن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتحمل

وفي أغلب الأحيان تشبه جملة الشرط المصدرة باذا جملة الشرط المصدرة بأن . والفرق بين الجملتين من حيث البنية هو أن الفعل التالى لأن يكون مجزوماً أما الفعل التالى لإذا فلا يجزم إلا نادراً . والفرق بينهما من حيث المعنى هو أن الفعل التالى لأن يدل على حدث محتمل الوقوع ، مثل « إن جاء زيد » . فقد يحضر زيد ويقع ، نتيجة لذلك ، حدث جواب الشرط وقد لا يحضر فلا يتحقق وقوع هذا

(١) Gesenius - Kautzsch, 159/aa-bb, BOB, p. 473.

(٢) Von Soden, p 215.

الحدث . أما الفعل التالى لإذا فيدل على حدث مؤكد الوقوع بوجه عام ، مثل « إذا جاء رأس الشهر » . فمجيء رأس الشهر واقع لامحالة وعند ما يقع يتحقق وقوع حدث جواب الشرط[1] .

وأداة الشرط « إذا » لامثيل لها فى اللغات السامية الأخرى . وهى متطورة عن إستعمالها فى الأصل للدلالة على الزمن . وقد تزاد بعدها « ما » ، فيقال « إذ ما تقم أقم » بمعنى : إن قمت أقم .

واختلفت آراء النحويين العرب فى صدد « إذ ما » . قال بعضهم ، ومنهم سيبويه وابن عقيل والجمهور ، أنها حرف . وقال بعضهم الآخر ، ومنهم المبرد وابن السراج والفارسى ، أنها إسم[2] .

أصلها ونشأتها :

لم تحظ جملة الشرط بدراسات كثيرة فى كتب المستشرقين التى تتناول نحو اللغات السامية . وكان بروكلمان من القلائل الذين تناولوا هذا الموضوع بالتفصيل ومع ذلك توجد بعض الآراء الجزئية فى هذه الكتب . فعندما يتناول أحدهم جملة الشرط وأدواته فى إحدى هذه اللغات ، يذكر رأيه فيما يتعلق بهذه اللغة وحدها ، أو يقارن بينها وبين اللغات السامية الأخرى .

وتنقسم هذه الأدوات من حيث أصلها ونشأتها قسمين :

الأول : مركب من عناصر كانت تستعمل فى الأصل كعناصر إشارية فى اللغات السامية المختلفة ، وهى الألف والهاء والشين والميم والنون .

وتركب الأدوات التى تنتمى إلى هذا القسم من جزئين هما : الألف أو الهاء أو الشين — الميم أو النون . ومن المعروف أن حروف كل جزء منهما يقابل أحدها

---

(١) Wright, Arabic Grabic Gram., vol. 2, p. 12.

(٢) شذور الذهب ، ص ٣٣٤ .

الآخر فى اللغات السامية فى غير أدوات الشرط ، فاملم تقابل النون والألف تقابل الهاء أو الشين .

وتتضح الدلالة الإشارية الأصلية لهذه الأدوات فى بعض أدوات الشرط التى تدل فى نفس الوقت على المعنى : « هوذا » مثل : הֵן و הִנֵּה فى اللغة العبرية .

وقد أشار بعض المستشرقين إلى هذا الأصل الإشارى فى كلامهم عن أصل بعض أدوات الشرط ، ومنهم :

رايث : قال فى كلامه عن أداة الشرط العبرية « إن » أنها كانت فى الأصل أداة إشارية مثل : العبرية و إِمْ أم الأرامية (١) .

بروكلمان : قال فى كلامه عن أداة الشرط العبرية אִם أنها كانت فى الأصل أداة إشارية ، مثل כִּי (٢): הִנֵּה

ماريا هوفنر : قالت فى كلامها عن أداتى الشرط hn و hm فى اللغة العربية الجنوبية القديمة أنهما كانتا فى الأصل أداتين إشاريتين(٣) .

جوردون : أشار إلى الصلة بين šumma الأكدية وسائر أدوات الشرط الأخرى فقال فى تناوله hm الأوجاديتية أن summa قد تكون قريبة من hm فان الشين الأكدية تقابل الهاء . وذكر أمثلة لهذا التقابل هى :

١ ــ الشين فى وزن شفعل تقابل الهاء فى وزن هفعل .

---

(١) Wright, Arabic Gram., vol. 2, pp. 16–17.

(٢) Brockelmann, hebr. syn., 164/b.

(٣) Hofner, p 165–166.

٢ ــ الشين فى الضمير su للغائب تقابل الهاء فى ضمائر الغائب باللغات السامية الأخرى .

٣ ــ النهاية iš الأكدية تقابل نهاية الظروف h فى اللغات السامية الأخرى(١).

الثانى : أدوات كانت تستعمل فى الأصل للدلالة على الزمن ، ثم إستعملت للدلالة على الشرط أيضاً ، ومنها العبرية و ki (٢) الأوجاريتية وإذا العربية(٣) وقد حدث هذا لأن الصلة وثيقة جداً بين الجملة الزمنية والجملة الشرطية(٤) ولهذا يحدث العكس أيضاً ، فتستعمل فى بعض الأحيان بعض العناصر الإشارية التى فى الأصل للشرط ، للدلالة على الزمن . وفى هذه الحالة يكون معناها « عندما » .

ومن هذه العناصر אִם فى العبرية مثل :

וְעָלָה מִדְיָן וַעֲמָלֵק וּבְנֵי
קֶדֶם וְעָלוּ עָלָיו

« وحدث أنه عندما كان بنو إسرائيل يزرعون ، كان المديانيون والعمالقة وبنو الشرق يصعدون عليهم (أى يهاجمونهم) » . (القضاء ٦ : ٣) . وانظر التكوين ٣٨ : ٩ ، اشعياء ٤ : ٤ .

ومنها أيضاً hn فى العربية الجنوبية القديمة فى النقش المعينى : ywmh/hn « فى الوقت الذى » أو « عندما . ولكن بيستون يرى أنها كانت فى الأصل أداة تدل على الزمن ، وأن هذه الدلالة ما زالت واضحة جلية فى بعض الشواهد(٥) .

(١) Gordon, Manual, 12:3.

(٢) من أمثلة استعمالها بمعنى عندما : ktmhs itn btn brh thly bth qltn.
عندما تضرب الثعبان الشرير لوثان ، فانك تحطم الثعبان السيء الخلق » (أنظر : Gordon,Dictionary, p25

(٣) متطورة عن الاسم « إذ » الذى يدل على الزمن .

(٤) هذا التطور فى دلالة الأدوات التى كانت تستعمل فى الأصل للدلالة على الزمن ، أشار إليه بعض المستشرقين ، ومنهم وليام رايت فى كلامه عن «إذا » العربية . فقد قال أن إستعمالها للشرط عن تطور كونها فى الأصل أداة إشارية تدل على الزمن .

(٥) Beeston, 55 : 14.

ولا أوافقه فيما ذهب إليه ، وأعتقد أن هذه الأداة كانت فى الأصل شرطية ، ثم استعملت بعد ذلك للدلالة على الزمن ، مثل بعض أدوات الشرط السامية الأخرى .

ثانياً : أدوات الشرط الذى لايحتمل الوقوع :

الشرط الذى لايحتمل الوقوع هو الشرط الذى لم يقع فيه الحدث الذى تتضمنه جملة الشرط فى الماضى ، ولهذا لم يقع الجواب فمثلا لو قلنا : لو قام عمرو لقام زيد ، فهذا يعنى أن عمرو لم يقم ، وترتب على ذلك عدم قيام زيد . وقد فسر بعض النحويين العرب الأداة « لو » التى تستعمل للدلالة على هذا الشرط بأنها حرف إمتناع لامتناع ، وهم يعنون بهذا إمتناع حدوث الجواب على الإطلاق لامتناع حدوث الشرط . وشاع هذا التفسير على الألسنة على الرغم من عدم دقته . وقد نبه بعض النحويين العرب إلى ذلك ، ومنهم ابن عقيل الذى قال فى شرحه لألفية ابن مالك أن هذه العبارة المشهورة غير صحيحة وأن الأصح منها هو تفسير سيبويه الذى جاء فيه أن لو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره(١) .

وممن نبه إلى عدم دقة هذه العبارة الأشمونى أيضاً فى شرحه للالفية . وقال أن لو حرف يدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى ، وأن شرطها محكوم بامتناعه . أما جوابها فممتنع إن لم يكن له سبب آخر غير الشرط ، مثل : لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً . وهذا هو الغالب . ولكن إن كان للجواب سبب غير الشرط ، فانه يكون ثابتاً غير ممتنع مثل : لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً ، لأنه قد يكون الضوء موجوداً مع عدم طلوع الشمس (٢) .

وقد لاحظنا من قبل أنه تستعمل للدلالة على الشرط الذى يحتمل الوقوع أدوات شرط مختلفة متنوعة . حقاً ان هذه الأدوات يرجع معظمها إلى أصل واحد مشترك ولكنها ليست متماثلة تماماً من حيث صيغتها . أما الشرط الذى لايحتمل وقوعه فتستعمل للدلالة عليه أداة واحدة فقط فى أغلب الأحيان هى « لو » وما يقابلها . ومن أمثلتها فى اللغة العبرية : « لو قام زيد لقام عمرو » . وتنفى بـ « لولا » أو « لوما » مثل : « لولا زيد لأكرمتك » و « لوما زيد لم يجئ عمرو » .

---

(١) الأشمونى ، ص ٥٩٩ .

(٢) ابن عقيل ، ـ ٢ ، ص ٣٠٢ .

وتستعمل فى العبرية الأداة לוּ ، مثل : לוּ הַחֲיִתֶם

אוֹתָם לֹא הָרַגְתִּי אֶתְכֶם « لو استحييتماهم لما قتلتكما » (قضى ٨ : ١٩).

وتكتب فى بعض الأحيان بالألف بعد الواو : לוּא) انظر اصم ١٤ : ٣٠ ،

اش ٦٣ : ١٩) أو לוּלֵא (أنظر ٢ صم ١٨ : ١٢ ، ١٩ : ٧) ونفيها هو

לוּלֵא أو לוּלֵי المتطورتان عن לוּ ، לֹא ، فقد صارت

الضمة كسرة من قبيل المخالفة .

وتستعمل فى السريانية الأداة ܐܠܘ المتطورة عن ܐܢ ܠܘ مثل

ܐܠܘ ܫܒܩܬ ܢܦܫܐ ܠܦܓܪܐ ܠܐ ܗܘܐ ܚܝܐ « لو تركت الروح الجسد لما عاش » .

وتستعمل فى بعض اللغات السامية أدوات أخرى كانت تدل فى الأصل على التمنى ، مثل الأداة « لو » . وهذا أمر طبيعى ، لأنه ثمة علاقة من حيث المعنى بين هذا الشرط وبين التمنى . فهو شرط لايحتمل وقوعه ، وكذلك التمنى يعتبر عن رغبة ليس من المؤكد تحقيقها . ومن هذه الأدوات ሶበ فى اللغة الحبشية .

ومنها أيضاً אָבִי فى العبرية ، مثل :

אָבִי דָּבָר גָּדוֹל הַנָּבִיא
דִּבֶּר אֵלֶיךָ הֲלוֹא

« لو[1] عرض النبي عليك أمراً عظيماً أما كنت تفعله ؟ » (الملوك الثانى ٥ : ١٣) (٢)

---

(١) دلالة אָבִי على الشرط مسألة ليست محل اتفاق بين الباحثين ، إذ يرى بعضهم أنها تعنى « ياأبى » وهذه هى الترجمة المتداولة سواء بالعربية أو الانجليزية . وحسبها تخرج عن كونها للشرطية .

(٢) Brockelmann, hebr. syn., 165/d, Jouon, p 288.

للدلالة عليه أدوات الشرط الذى يحتمل وقوعه . ومن هذه اللغات :

١ ــ الأكدية : تستعمل فيها أداة الشرط šumma للدلالة أيضاً على الشرط الذى لا يحتمل وقوعه .

٢ ــ العربية الجنوبية القديمة : لم يذكر بيستون أو هوفنر أية أدوات خاصة لهذا الشرط ، ولم يشيرا إليه .

أما اللغات السامية الأخرى التى تخصص للشرط الذى يحتمل الوقوع أدوات غير التى تستعملها للشرط الذي لا يحتمل الوقوع ، هذه اللغات تستعمل فيها فى بعض الأحيان ، بعض أدوات الشرط الذى يحتمل الوقوع للدلالة على هذا الشرط ، ومنها : אם العبرية مثل : (١)

אִם הִתְרָחַצְתִּי בְמֵו שָׁלֶג

« لو إغتسلت بماء الثلج (أيوب ٩ : ٣٠)(٢) . ومنها أيضاً في اللغة السريانية

مثل : ܐܢ ܓܝܪ ܠܐ ܫܠܝܛ ܗܘܐ ܒܐܝܕܝܢ ܠܡܥܒܕ ܡܕܡ ܡܢܐ ܗܘܝܢ ܒܐܝܕܝ ܐܚܪ̈ܢܐ

« لأنه لو لم يكن فى مقدور أيدينا (أو فى إستطاعتنا) أن نفعل شيئاً ، فماذا سنكون فى أيدى الآخرين » (٣) .

وكذلك قد تتصدر « لو » أو ما يقابلها جملا تدل على شرط يحتمل وقوعه ، بخلاف القواعد المتبعة ، مثل قول الشاعر :

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سبسب
لظل صدى صوتى وإن كنت رمة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

ومثل قول الشاعر :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... على ودونى جندل وصفائح ...(٤)

---

(١) هذه صيغة الكتابة . وصيغة القراءة هى .
(٢) Jouon, p 514.
(٣) Noldeke, 376.
(٤) الأشمونى ، ص ٦٠٠ .

أصلها ونشأتها :

تستعمل للدلالة على هذا الشرط أدوات وضعت فى الأصل للدلالة على التمنى . وثمة علاقة وثيقة بين التمنى والشرط الذى لايحتمل وقوعه . وقد أشار إلى هذا

ولاتستعمل فى بعض هذه اللغات أدوات خاصة لهذا الشرط ، بل تستعمل الأصل بعض المستشرقين ، ومنهم بروكلمان فى كلامه عن أداة الشرط فى اللغة العبرية(١) .

ويجب التنبيه إلى أن الحدود لم تكن مرسومة بدقة بين كلا النوعين من أدوات الشرط . ولهذا إستعملت بعض أدوات الشرط الذى يحتمل وقوعه للدلالة على الشرط الآخر .

إجتماع أدلتين للشرط :

تصرر جملة الشرط نادراً بأداتين للشرط بأداة واحدة مثل « إن لو » فى اللغة العربية ، فان رأيت يذكر شواهد لذلك منها « يود له الكاتب إن لو كان فى طى كتابه » ، و « لعمرى إن لو خاول أمير المؤمنين مكافأتك(٢) .

وقد صارت هاتان الأداتان أداة واحدة فى اللغة الأرامية ، هى אלו التى لايقتصر إستعمالها على الحالات النادرة فقط ، بل تستعمل كأداة شرط عادية . فقد نسى فى هذه اللغة التركيب الأصلى لهاتين الأداتين ، واعتبرتا أداة واحدة . وهذا مثال من أرامية التلمود الأورشليمى :

אָמַר רַבִּי מָנָא אִילוּ הֲוָה רַבִּי אַבָּא בַּר זְמִינָא שָׁמַע דְּרַבָּנִין מֵיכַל הֲוָה

« قال ربى مانا : لو كان ربى أبابن زمنياً قد إتبع كلمات بعض الحاخامات لأكل מֵילֵיהוֹן

(١) Brockelmann, hebr. syn., 165/b.
(٢) Wrigth, Arabic Gram., vol 2, p 348.

وقد دخل إستعمالها فى اللغة العبرية عندما تفشى فيها التأثير الأرامى ، مثل : וְאִלּוּ לַעֲבָדִים וְלִשְׁפָחוֹת נִמְכַּרְנוּ הֶחֱרַשְׁתִּי

« ولو بعنا عبيداً وإماء لكنت سكنت » (استير ٧ : ٤)(١) وانظر الحامعة ٦ : ٦ .

وتقول ماريا هوفنر أنه اجتمعت أداتان للشرط فى نقش من نقوش اللغة العربية الجنوبية القديمة هو hn hm dghtbl « أن إن هلك .. » (٢) وأداتا الشرط فى هذه اللغة هما hn و hm . وكل أداة منهما بمعنى « أن » وتكفى بمفردها للدلالة على الشرط . ولكن بيستون لايقر هذه القراءة ويحبذ قراءة أخرى للنقش(٣) .

تضمين الشرط بعض الأسماء و الحروف التى لم توضع للدلالة عليه :

تستعمل فى اللغات السامية المختلفة بعض الأسماء والحروف للدلالة على الشرط ، مع أنها لم توضع فى الأصل لهذا الغرض . فمنها ما وضع فى الأصل للدلالة على الزمان أو المكان ، ومنها أسماء الموصول وغير ذلك . ويمكن تصنيفها على النحو التالى :

أولا : ما وضع للدلالة على الزمان ثم ضمن معنى الشرط :

الصلة وثيقة بين الجملة التى تدل على الشرط والجملة التى تدل على الزمن لدرجة أنه فى بعض الأحيان يلتبس الأمر المرء فلا يستطيع أن يحدد هل الجملة شرطية أم زمنية ؟ . ولهذا تضمن بعض الأسماء والحروف التى تدل على الزمان معنى الشرط ، ففى اللغة العربية يستعمل اسما الزمان : متى وأيان للدلالة على الشرط فى بعض الأحيان مثل :

ولست بحلال التلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم أرفد
أيان نؤمنك تأمن غيرنا ، وإذا ... لم تدرك الأمن منا لم تزل حذرا

(١) Geesnius—Kautzsch, 159/x, Brockelmann, hebr, syn., 165/d.
(٢) Hofenr, p 164.
(٣) Beeston, 55:13.

« متى فتى وأيان فى هذين البيتين بمعنى أن الشرطية . وقد تزاد إليهما « ما » فيصيرا « متى ما » و « أيان ما » ، مثل قول الشاعر :

متى ما تلقنى فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا

ومثل قوله :

إذا النعجة الأدماء كانت بقفرة فأيان ماتعدل به الريح تنزل (١)

وفى اللغة السريانية أيضاً تستعمل ܟܕ « عندما » و ܡܐ ܕ ، ܐܡܬܝ ܕ « عندما » للدلالة على الشرط ، مثل : « عندما يخرج

ܟܕ ܢܦܩ ܢܘܢܐ ܠܐܐܪ ܡܐܬ

السمك إلى الهواء يموت » « عندما يزيد الغنى

ܟܕ ܣܓܐ ܥܘܬܪܐ ܣܓܝܐ ܪܓܬܐ

يزيد الطمع » . ܡܐ ܕܗܝܡܢ ܪܚܡ

« عندما يؤمن يحب(٢) » .

وهذه الظاهرة ليست غريبة لأننا نلاحظ أن بعض أدوات الشرط تدل على الزمان أيضاً فهى تستعمل بمعنى « إن » و « عندما » ، ومنها ki فى اللغة الأوجلايتية ሶበ فى اللغة الحبشية . وكذلك استعمل فى أداة للشرط ሶበ وأداة الزمان አመ من أصل واحد ، هو الحرف መ الذى يستعمل فى جمل الموصول الإستفهام .

وهذه بعض الشواهد التى يلتبس فيها الأمر ، والتى يختلف الباحثون فى صددها فيعتبرها بعضهم دالة على الشرط ، ويعتبرها البعض الآخر جملا زمنية (٣) :

(١) ابن يعيش ، جـ ٦ ، ص ٤٥ — ٤٦ ، الأشمونى ، ص ٥٨٢ .
(٢) Noldeke, 258, 265, 271.
(٣) Dillmann, p. 546 - 547.

እኄልቆሙ፡ እምኆጻ፡ ይበዝኁ

« إنأحصيتهم فانهم سيكونون أكثر منالرمل » أو « عندما أحصيهم سيكونون أكثر من الرمل » . يعتبر دلمان هذه الجملة جملة شرطية ، بينما يرى بتسولد أنهمن الأنسب إعتبارها جملة زمنية .

٢ — תֵּרֶא אַשְׁקְלוֹן וְתִירָא עַזָּה וְתָחִיל מְאֹד

ترى أشقلون (إنتقام الرب) فتخاف ،وغزة فتتوجع جداً ... (زكريا ٩ : ٥ (. والمعنى يمكن أن يكون : عندما ترى أشقلون تخاف ، وعندما ترى غزة تتوجع جداً » أو « إن رأت أشقلون خافت ، وإن رأت غزة تتوجع جداً » ومن هذا القبيل ميخا ٧ : ١٠ (١) .

ثانياً : ما وضع للدلالة على المكان ثم ضمن معنى الشرط .:

وقد تضمن أسماء المكان فى اللغة العربية معنى الشرط ، مثل قول الشاعر :

أين تصرف بنا العداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقى

فأين اسم مكان مبهم يقع على الجهات الست . وقد تزاد إليه « ما » فيصير « أينما » ، مثل قوله تعالى : « أينما تكونوا يدرككم الموت » .

و « أنى » اسم مكان آخر يضمن معنى الشرط فى هذه اللغة ، مثل قول الشاعر :

خليلى أنى تأتيانى تأتيا أخا غير ما يرضيكما لا يحاول

ويدل « أنى » هنا على المكان والشرط ، ولكنه وضع فى الأصل للدلالة على الاستفهام ، فيستعمل تارة بمعنى « من أين » ، وتارة أخرى معنى « كيف » .

وكذلك ظرف المكان المبهم « حيث » يتعمل للدلالة على الشرط ، مثل قول الشاعر :

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحاً فى غابر الأزمان

وقد زيدت « ما » إلى « حيث » فى هذا البيت ، فصار « حيثما »(٢) .

---

(١) Jouon, p. 513.

(٢) ابن يعيش ، جـ ٧ ، ص ٤٤ — ٤٦ .

ثالثاً : أسماء الموصول :

تستعمل أسماء الموصول أحياناً للدلالة على الشرط العام الذى لا يرتبط بزمن أو شخص معين ، وهذه أمثلة من اللغات العربية والعبرية والحبشية :

العربية : تستعمل أسماء الموصول التى تدل على العاقل وغيره للدلالة على الشرط مثل : من يعمل سوءاً يجز به — وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، مهما تأتنا به من آية(١) .

واختلفت آراء النحويين العرب فى صدد أصل مهما ودلالتها ، فقال بعضهم أنها حرف . وقال بعضهم الآخر أنها اسم ، واحتجوا على ذلك بعود الضمير عليها ، لأن الضمير يعود على الاسم ولا يعود على الحرف . أما عن تركيبها وأصلها ، فنجد أربعة آراء هى :

١ — مركبة من « ما » الشرطية و « ما » التى تفيد التوكيد . ثم أبدلت الألف الأولى هاء لقرب الهاء من الألف فى المخرج ، فصارت مهما . ويرجع هذا الإبدال إلى تجنب توالى لفظتين حروفهما واحدة . وانتاب الإبدال ألف « ما » الأولى لأنها اسم والأسماء أقبل للتغيير والتصرف من الحروف . وهذا هو رأى الخليل بن أحمد .

٢ — مركبة من « ما » الشرطية و « ما » الزائدة . وهذا رأى البصريين .

٣ — مركبة من « مه » بمعنى أكفف و « ما » . وحدث بالتركيب معنى جديد . وهذا هو مذهب الكوفيين .

٤ — ليست مركبة من جزأين بل بسيطة(٢) .

أما عن الخلاف فى دلالتها فقد قال بعضهم أنها تدل على الشرط فقط بينما قال آخرون أنها تدل على الاستفهام . ويؤيد الأشمونى الرأى الأول .

العبرية : استعمل اسم الموصول אֲשֶׁר للدلالة على الشرط فى بعض آيات العهد القديم مثل לאדניה והוא יצא בגפו

דבר ידון הנביא דבר אליך הלא

(١) ابن يعيش ، جـ ٧ ، ص ٤٢ .

(٢) ابن يعيش ، جـ ٧ ، ص ٤٢ — ٤٤ ، الأشمونى ، ص ٥٨١ — ٥٧٢ .

וּלְכָדָהּ וְנָתַתִּי לוֹ אֶת

« وقال كالب : من يضرب قرية سفر ويأخذها أعطيه عكسة ابنتي زوجة له[1] » .
(القضاة ١ : ١٢) . وفى هذا المثال يشبه استعمال אשר استعمال أسماء الموصول العربية فى عدم الارتباط بزمن معين والدلالة على شرط عام .

ولكن אֲשֶׁר تدل فى آيات أخرى على شرط غير عام . وهى بهذا تستعمل نفس استعمال أداة الشرط אִם التى تقابل « أن » فى اللغة العربية .
وهذا مثال لذلك

רְאֵה אָנֹכִי נֹתֵן לִפְנֵיכֶם הַיּוֹם בְּרָכָה וּקְלָלָה
אֶת הַבְּרָכָה אֲשֶׁר תִּשְׁמְעוּ אֶל מִצְוֹת יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם
אֲשֶׁר — וְהַקְּלָלָה אִם לֹא תִשְׁמְעוּ אֶל מִצְוֹת יְהוָה
אֱלֹהֵיכֶם.

« أنظر : أنا أعرض عليكم اليوم بركة ولعنة : البركة أن سمعتم لوصايا الرب إلهكم التى . . . واللعنة إن لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم و . . . . (التثنية ١١ — ٢٦ — ٢٨) فهذه الآيات تتضمن شرطين متماثلين شكلا ، متقابلين معنى . وقد استعملت فى أحدهما كأداة للشرط ، واستعملت فى الآخر أداة الشرط العادية[2] .

وقد يصدر اسم الفاعل المعرف جملة الشرط . وفى هذه الحالة يدل على شرط عام ويكون معناه كمعنى اسم الموصول الذى يتلوه فعل مضارع فيقال فى العربية : « القاتل يقتل » بمعنى : « الذى يقتل يقتل » . ومن أمثلة ذلك فى العبرية :

שֹׁפֵךְ דַּם הָאָדָם בָּאָדָם דָּמוֹ יִשָּׁפֵךְ׃

« سافك دم الإنسان (أى من يسفك دم الإنسان) يسفك دمه بواسطة الإنسان » (التكوين ٩ : ٦) .

(١) Brockelmann hebr. syn., 172.

(٢) Brockelmann hebr. syn ; , 172.

الحبشية : من هذا القبيل :

ለዘክሕደኒ፡ እክሕዶ፡ አነኒ

« الذى ينكرنى أنكره » أى « من ينكرنى أنكره »(١) .

رابعاً : ما وضع الدلالة على الاستفهام ثم ضمن معنى الشرط :

وأعنى بهذا أسماء الاستفهام التى تضمن معنى الشرط ومنها فى العربية كيف ، مثل : كيف تصنع أصنع . ولا يجزم الفعل المضارع فى الجمل الشرطية المصدرة بها خلافاً للكوفيين الذين يجيزون ذلك قياساً رمطرداً . ويجيز بعض النحاة الجزم بها بشرط اقترانها بما ، فيقال : كيفما تصنع أصنع(٢) .

---

(١) Dillmann, p 547.

(٢) الأشمونى ، ص ٥٨٣ .

وأخيراً يتضح مما سبق عرضه من مادة لغوية ، ومما سبق ذكره من آراء أن أقدم أشكال التعبير عن الشرط فى اللغات السامية ، وهو وضع جملتى الشرط والجواب متقابلتين ، أو عطف إحداهما على الأخرى بالواو . وتوجد شواهد لهذه الظاهرة فى كثير من هذه اللغات .

وأعتقد أن المرحلة التالية كانت استعمال أدوات للشرط تنقسم قسمين مختلفين تمام الاختلاف فى دلالتهما وأصل نشأتهما ، وهما :

(ا) القسم الأول :

أدوات تعبر عن شرط محتمل الوقوع ، تطورت عن عناصر إشارية قديمة استعملت للدلالة على معان مختلفة منها الشرط .

(ب) القسم الثانى :

أدوات تعبر عن شرط لا يحتمل وقوعه ، تطورت عن أدوات وضعت فى الأصل للدلالة على التمنى . وثمة علاقة بين هذا الشرط والتمنى من حيث المعنى .

وبالإضافة إلى هذين الأسلوبين ضمن الشرط بعض الأسماء التى تدل على معان أخرى ، مثل أسماء المكان والزمان والموصول والاستفهام .

المراجع

ملاحظة :

الإشارات فى الهوامش إلى أرقام الفقرات فى المراجع ، الا حين أنص على ذكر الصفحات .

أولا : المراجع العربية :

(١) الأشمونى :

شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، القاهـــرة ١٩٥٥ .

(٢) ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ») :

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٣) ابن هشام :

شرح شذور الذهب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٤) ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش) :

شرح المفصل للزمخشرى : طبعة إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة :

(٥) أنيس فريحة :

ملامح واساطير من أوغاريت ، بيروت ، ١٩٦٦ .

ثانياً : المراجع الأوروبية :

Beeston (A.F.L.) :

A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian ; London 1962.

Brockelmann (C.) :

(*a*) Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen; Berlin 1980.

(b) Syrische Grammatik, 6th ed., Leipzig, 1951.

(*c*) Hebraisches Syntax, kreis Moeres, 1959.

Dillmann (A.) :

1. Ethiopic Grammar ; 2nd. ed., enlarged and improved by Carl Bezold (1899), transl. by james A. Chrichton, London 1907.

Driver (S.R.):

Notes on the Hebrew text of the books of Samuel, Oxford, 1890.

Gesenius :

(*a*) Gesenisu - Kautzsch :

Gesenius' Hebrew Grammar, as edited and enlarged by E. Kautzsch; 2 nd. English ed., revised in accordance with the 28th. Germau ed. (1909) by A.E. Cowley, Oxford, 1910.

(*b*) B D B

Gesecnius "hebrew and english lexicon of the old Testament, edited and enarged by Brown (F),£Driver (S.R.), Briggs (C.A.), Oxford, 1975.

Gordon : (C.H)

Ugaritic Grammar. London, 1955.

Hofner (Maria):

Altaudarabische Grammatik, Leipzig 1943.

Jouon (P.):

Grammarie de l'hebreu biblique ; Rome 1923.

Marshall (J.T.) :

Manual of the Aramaic Language of the Palestinian Talmud, L ey den, 1929.

Noldeke (Th.) :

Compendious Syriac Grammar, transl. by J.A. Crichton, London, 1904.

Soden (Wolfram von) :

Grundriss der akkadischer Grammatiek ; Roma 1952.

Wright (W.) :

A Grammar of the Arabic Language, 3 rd. ed., Cambridge, 1896.

التقرير العلمى

لبعثة حفائر كلية الآداب ـ جامعة القاهرة
فى كوم اوشيم ـ موسم عام ١٩٧٣
للدكتور سيد احمد على الناصرى
المشرف التنفيذى

بدأت الدراسة الميدانية لتحديد منطقة الحفر الجديدة فى خرائب كوم أوشيم يوم الأربعاء الموافق ٢١ مارس عام ١٩٧٣ . وبعد إجراء عدة دراسات على الطبيعة تقرر الأستمرار فى التنقيب فى نفس المنطقة التى بدأت بها الكلية فى العام الماضى (١) . وقد أيد ذلك السيد أحمد الصاوى كبير مفتشى الآثار بمصلحة الآثار الذى أثنى على نوعية وطبيعة التنقيب الذى قامت به البعثة فى موسم عام ١٩٧٢ ، وكانت البعثة أوصت فى تقريرها الأول بمتابعة الحفر فى المنطقة شرقاً وغرباً بهدف تغطية أكبر مساحة من أرض التل الغربى للمدينة القديمة . وبناء عليه وضعت حدود للمنطقة التى يجب متابعة العمل فيها، وهى تقع غرب المنطقة التى نقب فيها فى العام الماضى ؛ وعلى وجه التحديد هى المنطقة الواقعة على سفح التل من ناحية الغرب والتى يحدها مقر إقامة البعثة شرقاً على بعد حوالى ٣٠٠ متر ، ومن الغرب تحدها الأرض الزراعية الواقعة على بعد ٨٠٠ متر . وبالنسبة للمعبد فهى تقع شمال غرب المعبد القديم (الجنوبى) وجنوب غرب المعبد الشمالى .

واتباعاً للمنهج العلمى فى التنقيب إقترحنا عمل مجسات استطلاعية على طول المنحدر الجنوبى للتل المؤدى إلى الأرض الزراعية للتأكد من أن هذه المنطقة خالية تماماً من أية آثار بعد استنفاذ التنقيب فيها سواء على يد بعثة جامعة ميشيجان التى عملت فى كوم أوشيم من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٣١ أو بسبب العبث من جانب شركة دايرا

---

(١) التقرير العلمى لحفائر كلية الآداب جامعة القاهرة لعام ١٩٧٢ — مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة — المجلد التاسع والعشرون ص ١١٧ — ١٢٥ .

آنيللى الأيطالية التى كان مقرها مدينة طامية القريبة والتى كانت تنقل السباخ من المنازل القديمة بطريقة آلية دمرت معظم آثار هذه المنطقة وأدت إلى ردم « ونبش » المنطقة الغربية والشرقية بكاملها تقريباً . وبالرغم من ذلك قررنا إقامة عدة مجسات جديدة للتأكد من خلو المنطقة التى سوف يلقى فيها الردم المستخرج من التنقيب كما أخذت الصور « البانورامية » للمنطقة كلها قبل التنقيب . وأخيراً استعرضت البعثة حجم العمل المتاح أمام المواسم القادمة ، وقررت أنه لكى يتم كشف الأتربة عن كوم أوشيم تماماً يجب العمل عشرة مواسم أخرى على الأقل وذلك من أجل إخراج كل ما تحت الرمال والأتربة من آثار قيمة وبخاصة أوراق البردى والعملات والأدوات الزجاجية ولوحات الفريسكو التى تزين بعض منازل الأغنياء والتى هى بصورة أو بأخرى إحدى الوثائق المعبرة عن الحياة فى عصور المدينة المختلفة .

بدأ العمل صباح يوم السبت الموافق ٢٤ مارس ١٩٧٣ بقوة من العمال الفنيين يبلغ عددها إثنين وثلاثين عاملا ، يساعدهم نحو عشرين أخرين من فلاحى قرية قصر رشوان الواقعة بالقرب من مكان العمل . وكان بدء العمل يقتضى كما سبق أن اتفقنا اختيار منطقة لإلقاء التراب المستخرج أو ما يعرف بلغة الأثريين « بالمقالب» ولتركيب خط « الدوكوفيل » عليها . وطبقاً للاتفاق الأول السابق ، فقد حددت منطقة « جس » لعمل حفر محدودة « ترنشات » فى سفح المرتفع الغربى فى مواجهة طريق القاهرة — الفيوم ، وذلك لإلقاء الردم فى مكان قريب مناسب . وقد استغرق العمل طوال يوم السبت ، وفى صباح يوم الأحد الموافق ٢٥ مارس بدأت أجزاء من جدران وحدات سكنية فى الظهور . وقد كان ذلك مدعاة لدهشتنا نظراً لأننا لم نكن نتوقع وجود أى آثار قديمة فى هذا الجزء النائى من المدينة الذى يكاد يلاصق الحائط الشمالى الغربى لسورها القديم . ومن الواضح أن هذه المنطقة لم تتعرض للحفر من جانب بعثة جامعة ميشيجان التى آثرت التعمق فى الخرائب الموجودة فوق تل المدينة ، وقد يكون هذا الجزء من المدينة لم يلفت نظر الأمريكيين لأنه يقع فى منطقة تكاد أن تكون مستوية مع سطح الأرض ، كما أن السيول جعلتها منبسطة وكونت لها قشرة شبه صخرية . وبناء على هذا الكشف غير المتوقع غيرنا خطة العمل الأولى وقررنا أن نستمر فى التنقيب فى هذا المكان الواقع فى طرف المدينة الشمالى الغربى . وقد عثر أثناء التنقيب فى الجزء الأعلى من الوحدات السكنية على :

١ – جزء من تمثال صغير من البازلت الأسود للآله سيرابيس إله الزراعة ، والذى كانت له منزلة خاصة فى إقليم الفيوم فى العصر اليونانى الرومانى . وأعلى وجه التمثال مفقود . ويبلغ أقصى طول هذا الجزء ٧ر٣ سم .

٢ – تميمة (amulette) من القيشانى الأزرق للآله المصرى بس (Bes) الذى يرتبط بالسحر وطرد الأرواح الشريرة من المنازل ، والجزء الأعلى من رأس التمثال مفقود ويبلغ أقصى طوله حوالى ٤ سم .

وقد استمر العمل فى المنطقة المذكورة حيث بدأ الكشف عن امتداد حوائط الوحدات السكنية التى ظهر أنها عبارة عن منزل مكون من ثلاث حجرات ، بها سلم يؤدى إلى بهو ، وفى أرضية البهو عثر على عدد من الأوانى الفخارية الخاصة بالمنزل مثل حفظ المياه والمواد التموينية والغلال . وقد أسفر تنظيف هذه الوحدة السكنية رقم (١) عن الاكتشافين التاليين :

١ – جزء من تمثال نصفى من البازلت يمثل الصدر وجزءاً من الوجه ، واتضح أن هذا الجزء مكمل للجزء الذى اكتشف فى اليوم السابق من تمثال سيرابيس . وقد طلبت ترميمه فوراً ، وبعد الترميم أصبح التمثال كاملا يبلغ طوله حوالى ٨ر٧ سم .

٢ – جزء من حوض عصير زيوت أو نبيذ مصنوع من الحجر الساطانى طوله ٦٤ سم وعرضه ٣٦ سم وارتفاعه ٣١ سم ومزين بصور آلهة مصرية مما يدل على امتزاج الديانة المصرية بالديانة اليونانية وانتشار ظاهرة « التمصير» التى تعرض لها الإغريق منذ القرن الأول قبل الميلاد بسبب الزواج المشترك مع المصريين .

وفى يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ مارس أثناء تنظيف حجرات الوحدة السكنية رقم (١) من الداخل ورفع التراب الذى يغطى حوائطها من الخارج وبخاصة من الجهات الشرقية والجنوبية والغربية بدأت ملامح وحدة سكنية أخرى فى الظهور : الوحدة (٢) . وهى أيضاً تتكون من ثلاث حجرات صغيرة نسبياً بها سلم خلف الحجرة الأولى وتمتد من الشمال إلى الجنوب . وقد عثر أثناء تنظيف هذه الوحدة على :

١ – إناء من الفخار البنى اللون على شكل إبريق مياه Pitcher كمثرى الشكل وله قاعدة مستديرة مجوفة ويبلغ ارتفاعه ٢٢ سم وقطر فوهته ٥ر٢ سم وقطر قاعدته ٥ر‌ب سم .

٢ – دمية من الطين المحروق (Terra-Cotta) تمثل إمرأة جالسة على مؤخرتها يغطى رأسها شعر مستعار ، وترفع يديها اليمنى واليسرى (وبعضها مفقود) . ويبلغ ارتفاعها ١٢ سم وأقصى عرض لها ١٢ سم . وهذا النوع من الدمى معروف بكثرة فى نهاية العصر اليونانى الرومانى وقد لقبه برشيا باسم البوبو (Baubo)(١)وكانت تستخدم فى السحر الأسود وربما من أجل الرغبة فى الحمل والولادة . وممارسة السحر عند فلاحى مصر فى هذه الفترة كان شائعاً .

٣ – إفريز (Frieze) من الطين المحروق مستطيل الشكل ومجوف من الداخل وعليه زخرفة لطائرين متجهين فى اتجاهين متضادين وبين مؤخرتيهما دائرة ، ارتفاع ٥ر٣ سم ، عرض ٨ سم ، سمك ٥ر٢ سم .

٤ – وجه لامرأة من القيشانى الأخضر ، ترتدى شعراً مستعاراً على الطريقة المصرية ، والملامح المصرية واضحة ، ويعكس الفن اليونانى – المصرى الذى ساد منذ القرن الأول الميلادى ، الارتفاع ٤ سم ، العرض ٤ سم .

٥ – إناء فخارى على شكل كوب ، ارتفاع ٥ر٦ سم ، قطر فوهته ٤ سم .

هذا وتبين أن أرضية الوحدة السكنية رقم (٢) ترتفع نسبياً عن أرضية الوحدة السكنية رقم (١) التى تقع فى الشرق من الوحدة السكنية رقم (٢) . وأسفر العمل عن وجود امتداد لحوائط وحدة سكنية ثالثة رقم (٣) . وقد ظهر شكلها واضحاً ، وهو عبارة عن مستطيل . وقد أخرج من هذه الوحدة السكنية أربع مسارج وثلاث قطع من العملة التى يعلوها الصدأ . ويلاحظ أننا لم نعثر فى الوحدة السكنية رقم (٣) على السلم المعتاد الذى وجدناه فى الوحدتين السابقتين ، كما لم نعثر لها على مدخل وربما لأنها كانت ملحقة باحدى الوحدات السكنية الأخرى أو كان الدخول إليها هبوطاً من سلم خارجى هدم فيما بعد . وعلى أى حال فان هذه الوحدة تتكون من ثلاث حجرات تمتد من الشمال إلى الجنوب وقد أخرج منها مسرجتان ووعاءين من الفخار .

---

(١) Ev. Breccia, *Terracotte I*, p. 40, No. 181, Tav. IV, 1, 3. cf. S.A.A. El-Nasser, Terra-cotta figurines of Egypt in the Ptolemaic period, London 1968 (unpublished thesis), June 1968, p. 304 f.

استمر العمل فى اتجاه الشرق بجوار الوحدة السكنية رقم (٣) حيث ظهرت ملامح لوحدة سكنية جديدة رقم (٤) ، وهى أيضاً تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وهى تتكون من ثلاث حجرات ، وعثر على « فرنين » فى الحجرة الثالثة . وقد أخرج أثناء تنظيف حجرات هذه الوحدة بعض أدوات الزينة من دلايات ومعالق كحل ومراود وأوان للزيوت .

وباستمرار العمل تجاه الجهة الشمالية للموقع بدأت ملامح وحدة سكنية جديدة فى الظهور (وحدة رقم ٥) . ويبدو من مظهر الحجرات الواسعة ومن آثار الطلاء الجيرى على جدرانها ومن مساحة المنزل الرحبة ، حالة رخاء نسبى بالرغم من أننا لم نستخرج سوى بعض المسارج والخرز وغير ذلك من الآثار المنزلية ، ولكن الشىء الواجب ذكره أنه أمكن استخراج ثلاث قطع من العملة يعلوها الصدأ ، وأمكننا بعد تنظيف إحداها من تحديد عصرها وهو عصر الإمبراطور هادريان ١١٧–١١٨ ميلادية وفيه يبدو أن المدينة قد بلغت أقصى درجات الرخاء والتوسع غرباً إلى هذا الطرف .
وباستمرار رفع الردم من الجهة الشرقية ظهرت حجرات الوحدة السكنية رقم (٦) وهى تتكون من ثلاث حجرات ومزودة بسلم فى أقصى الجنوب ومستوى أرضياتها أعمق نسبياً من الوحدة السكنية رقم (٤) ، كذلك فان هناك بعض الجدران التى يتضح من شكلها أن سقف إحدى الحجرات كان على شكل قبو . وقد استخرج من الحجرات عدد آخر من العملة المتآكلة ومسرجتان وجزء من تمثال الطين المحروق وخرز وحلقة نحاسية .

وفى أقصى الشمال الغربى من الموقع كشف التنقيب عن وحدة سكنية كبيرة رقم (٧) . وهى تتكون من خمسة حجرات مفتوحة بعضها على بعض . وهناك مكان لأبواب خشبية كانت تغلق ما بين هذه الحجرات . وقد عثر فى أرضية هذه الحجرات على أوان فخارية كبيرة الحجم غائرة فى الأرض لا يظهر منها إلا فوهاتها ، ومن الواضح أنها كانت تستخدم لتخزين المواد التموينية . وأخرج من إحدى هذه الحجرات إناء فخارى أحمر اللون ، وتمساح صغير مصنوع من القاشانى المطلى باللون الأزرق القاتم رأسه مفقود وكذلك جزء من الذيل ويبلغ طوله ٦ سم . ومن الواضح أن احتفاظ صاحب هذا المنزل بهذا التمثال دليل على وجود وانتشار عبادة

رب التمساح (سوبك Sobek المعروف عند الأغريق بسوخوس (التى كانت يشتهر بها إقليم الفيوم حيث كان التمساح يعيش بكثرة فى المستنقعات ويطعم على نفقة المعابد وإليه يأتى المتفرجون للتفرج عليه كما تثبت الوثائق البردية المستخرجة من الفيوم[1]. بل إن معبد مدينة كرانيس القديمة كان مقاماً لرب التمساح نفسه الذى عبد فى كرانيس تحت اسم سوكسيس (Soxeis[2]) ، ويلاحظ أن التمصير قد طغى تماماً على الهلينية فى الفن والدين حتى فى الأسماء نتيجة للزواج المختلط بين الإغريق والمصريين ، فأصبح أحفاد الإغريق والمقدونيين فلاحين مصريين يتكلمون لغة يونانية متمصرة . كذلك استخرج من هذه الوحدة تمثال من الطين المحروق لرأس كلب عليه آثار طلاء من الجص وأذنه اليمنى مفقودة ، ويبلغ أقصى طوله حوالى ٦ سم . واستخرجت كذلك مسرجتان من الفخار .

وفى يوم الخميس ٥ أبريل سنة ١٩٧٣ جرى العمل فى شمال الوحدة السكنية رقم (٨) حيث كشف عن جدران تمتد من الشمال إلى الجنوب . وقد عثر بداخل هذا الجزء على بناء مستدير من الطوب هو قاعدة لطاحونة ، وبجواره قطعة من الحجر تمثل الجزء الآخر لهذه الطاحونة ، كما عثر بجوارها على بعض أحواض العجين وعدد آخر من المبانى الصغيرة من الطوب . ومن النظرة الأولى لهذا المبنى يتضح أنه كان عبارة عن مخبز عام وذلك لوجود عدة أفران لا فرن واحد كما فى باقى المنازل ، كما أن تقسيم هذا الجزء لا يدل بأية حال من الأحوال على أنه وحدة سكنية ، وذلك لعدم وجود حجرات متداخلة كما هو متبع فى باقى الوحدات السكنية كما أن جدران حوائطه مقامة على الأرض مباشرة .

---

(١) P. Tebtunis 33 = Sel. Pap. II, 416.
أنظر . عبد اللطيف أحمد على : مصر والأمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية القاهرة ١٩٧٢ . ص ١٢ هامش رقم واحد .

(٢) G. Wagner and S. El-Nassery, *ZPE*, Band 17, Heft 2, (1975), p. 139—142.

وجرى العمل أيضاً فى أقصى الجنوب الشرقى من موقع العمل ، فأسفر ذلك عن وجود وحدة سكنية تتكون من حجرتين وسلم بالإضافة إلى حجيرة صغيرة مستطيلة ومقباه عثر فيها على بعض الأوانى .

وفى يوم السبت ٧-٤-١٩٧٣ جرى العمل فى اتجاه الشمال للتأكد مما إذا كانت هناك مبان أخرى من ناحية الشمال ، ولكن يبدو أنه لا توجد أية مبان وأن المبانى السابقة هى نهاية مدينة كرانيس الشمالية . وعلى ذلك انتقلنا إلى تنظيف حجرات الوحدات السكنية للتأكد مما إذا كانت توجد طبقة أسفلها أم لا . وفى أثناء عملية التنظيف عثر على تمثال من الفخار للآله هربوكراتيس الطفل ، وهو الآله المصرى حورس ابن إيزيس فى صيغته الإغريقية المتمصرة ؛ ويبلغ أقصى طوله ٥ر٥ سم . كذلك عثر على دمية لحصان أسفله مهشم وصناعته رديئة وربما كان يستخدم كلعبة لأحد الأطفال كما كان شائعاً . وعثر أيضاً على مسرجتين من الفخار مزينتين برسم الحيوان وعلى القاعدة علامة المصنع الرمزية ، وعلى مسرجتين أخريين مزينتين برسم عناقيد العنب وسعف النخيل وأرجل ضفدعة ، وكلها تحمل علامة المصنع . ومن الجدير بالذكر أنه أثناء رفع الردم داخل الوحدات السكنية السابقة بحثاً عن الطبقة الثانية ، اضطررنا إلى إزالة بعض أجزاء من المبانى التى لا تنتمى لأجزاء سكنية وإنما كانت عبارة عن إضافات غير منتظمة . وقد أخرج أثناء التنظيف قطعتان من العملة التى يعلوها الصدأ ، ورأس من الفخار لحورس هربوكراتيس ، ومسرجة برسم ضفدعة ، وبعض الأوانى الزجاجية . وفى أثناء تنظيف أرضية الوحدة رقم (٧) أخرج من الردم إناء زجاجى أخضر اللون كروى الشكل له فوهة ذات حافة خارجية وليس له قاعدة ويبلغ ارتفاعه ٥ر١٠ سم وبه آثار تهشيم . كذلك عثر على إناء زجاجى آخر أخضر اللون له عنق طويلة على شكل أنبوبة ، وهو هرمى الشكل يبلغ إرتفاعه ١٥ سم . كذلك أخرج من هذه الوحدة إناء فخارى على شكل الأمفورا بنى اللون مسحوب وله قاعدة مستديرة ومجوفة ويبلغ ارتفاعه ٥ر٤٦ سم من نفس النوع الذى كان يحفظ به الحبوب ، كما عثر على دمية على شكل حصان من الطين المحروق أقصى طوله ٥ر٨ سم ، وعلى قطعتين من العملة وبعض الخرز وتوالى العثور على قطع العملة التى يعلوها الصدأ والمسارج والأوانى الفخارية والخرز

وبعد التأكد من أنه لا يوجد طبقة أسفل طبقة المنازل السابقة انتقلنا للعمل لتوسيع منطقة التنقيب من ناحية الشرق حيث كشف عن جدران وحدات سكنية ظهرت حدودها من الداخل وتتميز حجراتها بنظام القباب (Vaults) . وقد عثر أثناء العمل على دمية من الطين المحروق للطفل هربوكراتيس يحمل قدرين بين ذراعيه ويضع يده اليمنى فى القدر الأيمن ليخرج الطعام وهو نوع شائع فى تماثيل الفيوم الفخارية(١) التى تعكس الخيال الشعبى الدينى الذى يعنى بانجاب الأطفال أو بتقديم قرابين (عند مرحلة الفطام) ، ويبلغ طوله ٥ر٩ سم . وعثر كذلك على دمية للسحر تمثل امرأة عارية جالسة ترفع يدها إلى أعلى، وعلى صدرها يوجد عقد ، وعلى رأسها لباس من الشعر المستعار ، ويدها اليمنى معقودة ، ويبلغ طولها ٧ سم . وعثر أيضاً على عدد من المسارج ، ودمية لتمثال أبى الهول الأنثى طوله ٥ر١٠ سم وارتفاعه ٥ر٧ سم ، ومسن من الحجر الرخاوى مستطيل الشكل قاعدته على شكل هرمى طول ١٠ سم وارتفاعه ٥ر١٠ سم وعرضه ٧ سم .

استمر العمل فى اتجاه الشرق . وفى يوم ١٨ أبريل سنة ١٩٧٣ ظهرت وحدة سكنية تتكون من خمس حجرات كبيرة الحجم نسبياً وبها سلم (الوحدة رقم ٨) ، كما عثر على بقايا جدران يرتكز عليها قبو الحجرات وتؤدى إلى وحدة سكنية أخرى (رقم ٩) . والوحدة السكنية رقم (٩) تتكون من ثلاث حجرات أمكن تنظيفها ؛ وقد زارنا فى هذه الأثناء الدكتور جمال الدين مختار رئيس هيئة الآثار وتفقد العمل وأثنى عليه من ناحية الدقة . وقد رأى أن يكتفى بمنطقة العمل الحالية التى تتكون من تسع وحدات سكنية مترابطة تمتد من الجنوب إلى الشمال ، واقترح أن ننتقل إلى منطقة أخرى فى أعلى التل لمحاولة استكشاف أكبر قدر من المنطقة .

وفى يوم الأحد ٢٢ أبريل انتقلنا إلى موقع جديد فى أعلى التل ، وهو يقع فى الجنوب الشرقى من الموقع الذى تم كشفه (منطقة الوحدات السكنية التسعة (ويرتفع عنه سبعة أمتار . وبعد العمل طوال أسبوع تقريباً أمكن كشف مخازن للغلال

---

(١) Cf. Paul. Perdrizet : Les Terres Cuites grecques d'Egypte de la Collection Fouquet, Nancy 1921, No. 83, Pl. XXV ; cf. Breccia, *op. cit.*, No. 163, Tav. XXXIV ; cf. El-Nassery, *op. cit.*, p. 311—312.

تتكون من حجرات صغيرة مستطيلة تغطى جدرانهاطبقة من الملاط ، وقد عثر على آثار حبوب من القمح والشعير والفول ونتف بردية فى حالة سيئة ؛ ومخازن الغلال مبنية من الطوب اللبن المستطيل وأرضيتها مسطحة مغطاة بطبقة من الملاط . كما عثر على كمية من الأعشاب المجففة التى كانت تستخدم كغذاء للماشية . ومخازن الغلال مقامة على طبقة من الرديم وارتفاع جدرانها لا يزيد عن ٥ر١ متر . وقد حاولنا تتبع جدران المخازن السفلى ، وقد تبين أنها ترتفع بمقدار متر واحد عن سطح الأرض ويوجد أسفلها طبقة من التراب الأحمر الذى يكون أرضية المبانى . ومن الواضح أن مخازن الغلال أقيمت فى أوقات ازدهار المدينة فى مطلع القرن الثانى الميلادى عندما بلغت أقصى اتساعها شمالا وغرباً ، والدليل على ذلك الرديم الترابى الذى عليه أقيمت مخازن الغلال فى الجنوب الشرقى من المدينة .

ونظراً لضيق الوقت قررنا العودة إلى إكمال منطقة العمل الأولى حيث ظهرت آثار مبان من الطوب الأحمر . وهذا أثار الدهشة لأن المنازل عادة مبنية من الطوب اللبن وبعد عدة أيام من العمل ظهرت ملامح حمام من العصر الرومانى مقام على ربوة تطل على المنازل وظهرت وحدات الحمام حيث كشف عن آبار ومجار متصلة بصرف المياه[1] . كما عثر على بعض المسارج فيه ،وبعض حجرات مجاورة للحمام من جهة الشمال .

كذلك عدنا للعمل لتنظيف منطقة التنقيب لهذا العام من ناحية الجنوب لتأخذ مستطيلا حتى يسهل رسمها وتصويرها . وقد كشف بالفعل عن بقايا حجرة كبيرة تجاه الجنوب لوحظ فيها كثرة وجود فخار مدفون فى باطن الأرض . وليست هذه الحجرة بأى حال من الأحوال وحدة سكنية بل مرفق عام قد يكون حجرة حفظ وثائق أو استلام ضرائب أو مكتب كاتب القرية (Grammateus) .

وباكتمال منطقة العمل تقرر التوقف وإقفال موسم التنقيب يوم ١٩ مايو ١٩٧٣

---

(١) أشرنا إلى هذا الحمام الذى كان مخصصاً لطبقة العوام عندما نشرنا الحمام الكبير للمدينة كما قمنا بتصويرة ونحن بصدد نشرة قريباً أنظر :

S.A. El-Nassery, G. Wagner and George Castal : Un Grand Bain à Karanis, *B.I.F.A.O.*, Tome LXXVI (1976).

نظراً لهبوب الرياح واشتداد الحرارة وإقبال موسم الحصاد فضلا عن أن البدء فى منطقة تنقيب جديدة يحتاج لعدة أسابيع من العمل وهذا يحتاج لموسم قائم بذاته .

وأهمية كشف هذا العام تتلخص فى العثور على حى قائم بذاته فى أقصى أطراف المدينة من الشمال الغربى والجنوب الشرقى — مزود بمطحن ومخبز ومخزن غلال وحجرة لتسجيل الوثائق أو حفظها . ويقع هذا الحى على مقربة من حائط المدينة الشمالى الغربى وهو أقصى اتساع وصلت إليه مدينة كرانيس . وبفضل العملة البرونزية التى أمكننى التعرف عليها يتضح أن هذا الاتساع عاصر عهد هادريان—أى فى مطلع القرن الثانى الميلادى وهو ما تؤكده الوثائق من انتشار حالة من الرخاء الاقتصادى فى الفيوم فى صدر الحكم الرومانى لمصر . وقد بدأ هذا الحى من المدينة فى الانكماش فى نهاية القرن الثانى ولم يعد يسكنه الناس بل هجر تماماً بعكس التل الغربى للمدينة حيث أعيد سكنى المنازل القديمة إبان حركة إعادة البناء التى شاهدتها مصر الرومانية فى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد . وهكذا كشفت حفائر كلية الآداب بجامعة القاهرة منطقة جديدة للتنقيب تعتبر إلى حد كبير أملا للأثريين لأنه يبدو أن البعثات الأثرية السابقة قد أهملتها لعدم وجود ما يلفت النظر إليها من الناحية الأثرية وذلك لوقوعها

فى منطقة مسطحة أو جعلتها السيول مسطحة . وإذا كانت المنازل التى عثرنا عليها خالية فان ذلك يرجع إلى أنها تركت خالية فى الماضى عندما هجرت إبان القرن الثالث ق . م. وليس هناك أى دليل على العبث الحديث بهذه الوحدات السكنية . وهذا يجعل الأمل كبيراً فى أن منزلا ما من هذه المنطقة قد يحوى وثائق بردية قد تكون غاية فى الأهمية .

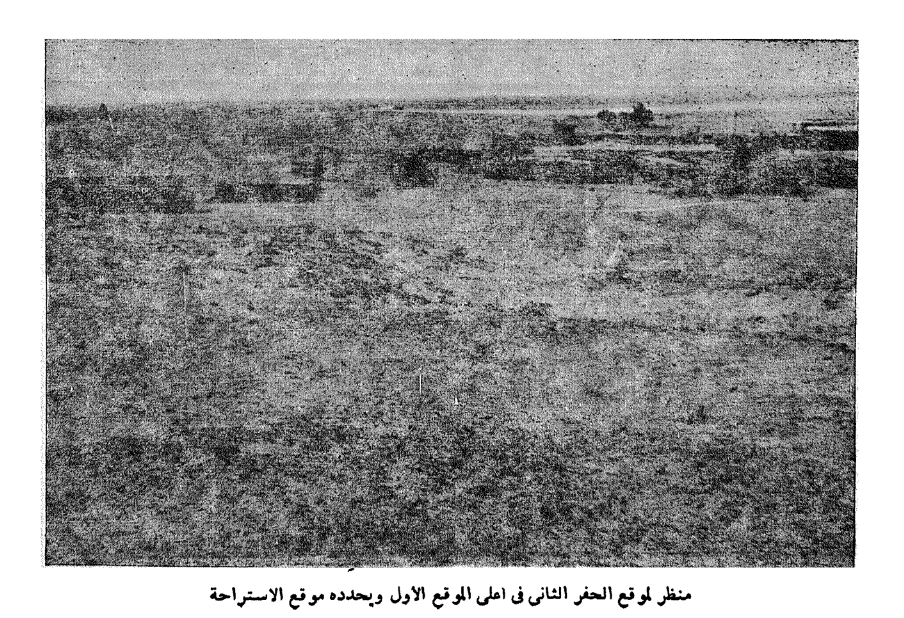
وفى الختام تقدم بعثة التنقيب عن آثار كوم أوشيم شكرها العميق إلى السيد الأستاذ الدكتور عميد الكلية لرعايته الخاصة النابعة من حرصه على استمرار البحث العلمى فى الكلية ، فذلل الكثير من العقبات التى لولاها لتعثر العمل . كما تتوجه البعثة أيضاً بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور ، وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا والبحوث .

وأخيراً وليس آخراً فان بعثة التنقيب تتقدم بالشكر الجزيل للمهندس حسين كامل دبوس محافظ الفيوم لتشجيعه البعثة على العمل فى هذه المنطقة النائية . وتخص البعثة بالشكر والعرفان والتقدير للأستاذ الدكتور جمال الدين مختار رئيس هيئة الآثار لرعايته الشخصية لحفائر الكلية وتذليل العقبات الفنية والإدارية .

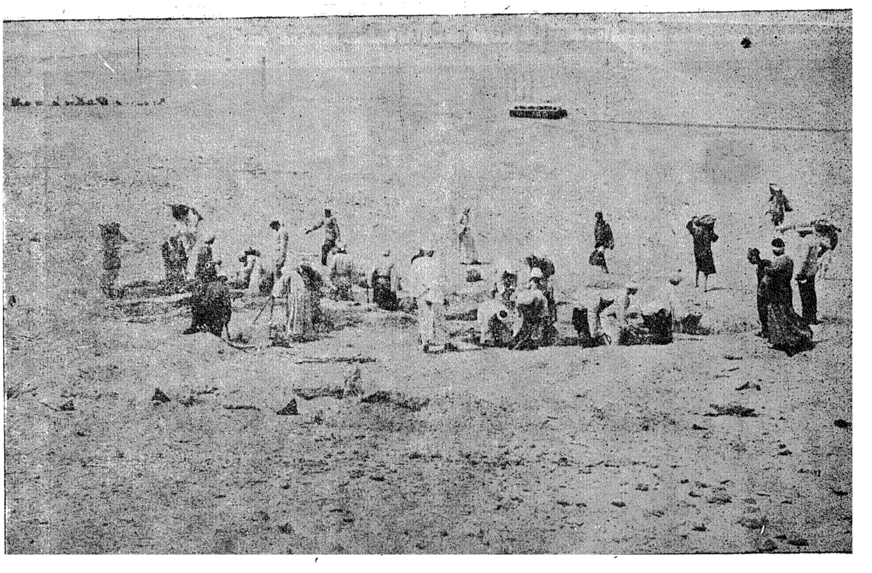
والله ولى التوفيق » »



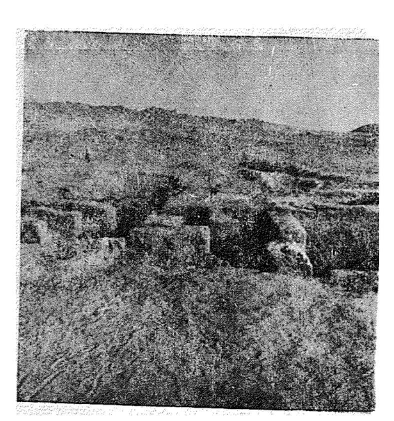
صورة بانورامية للموقع الثاني قبل بدأ العمل وتظهر
في خلفيته الأرض الزراعية لقرية قصر رشوان
مركز طامية



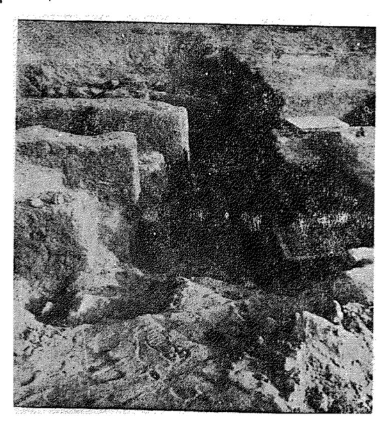
منظر لموقع الحفر الثاني في اعلى الموقع الأول ويحدده موقع الاستراحة



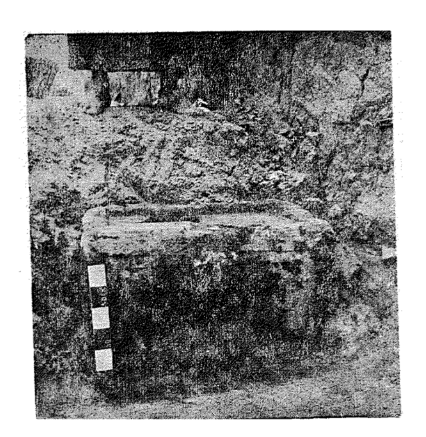
صورة لبعض ما عثر عليه فى الوحدة السكنية



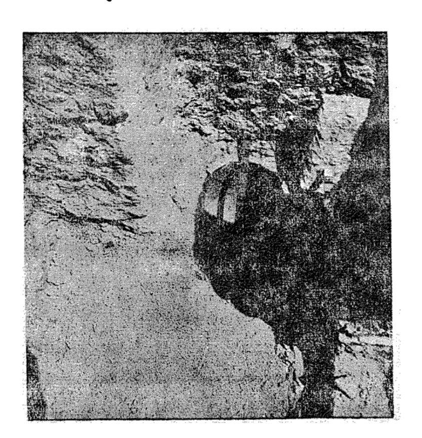
الوحدات السكنية التى بدات فى الظهور
كوم أوشيم موسم ١٩٧٣



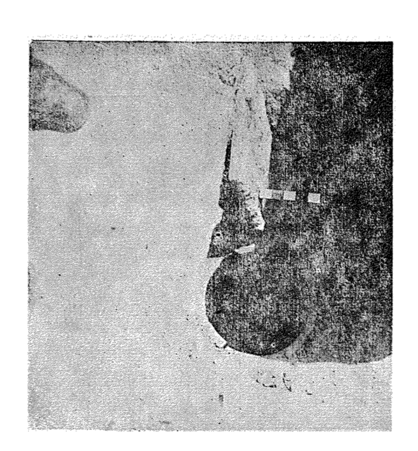
صورة لأحدى الوحدات السكنية بحجراتها المتداخلة يظهر درجات السلم الذى يقود اليها من اعلى
كرانيس موسم ١٩٧٣



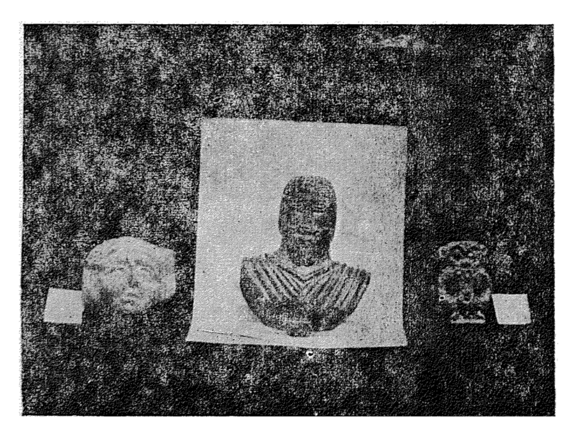
الزيتون أو حبـــة البركة صورة لحوض الحجر لعصر الزيوت
كرانيس موسم ١٩٧٣



صورة للجرار المدفونة فى الأرض لحفظ المقنيات فى المنـــازل



وعاء كبير مدفون فى ارضية احـدى الحجرات



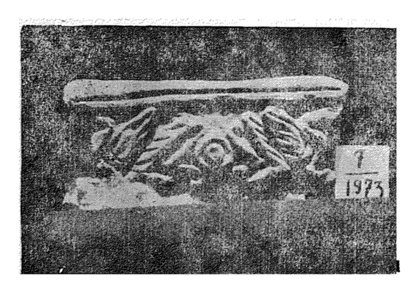
(أ) تميمة من الطين المحروق للأله بس رب السحر
(ب) تمثال من البازلت الأسود لسيرابيس رب الزراعة
(جـ) قناع من الطين المحروق كنموذج لأقنعة ممثلى التراجيديا



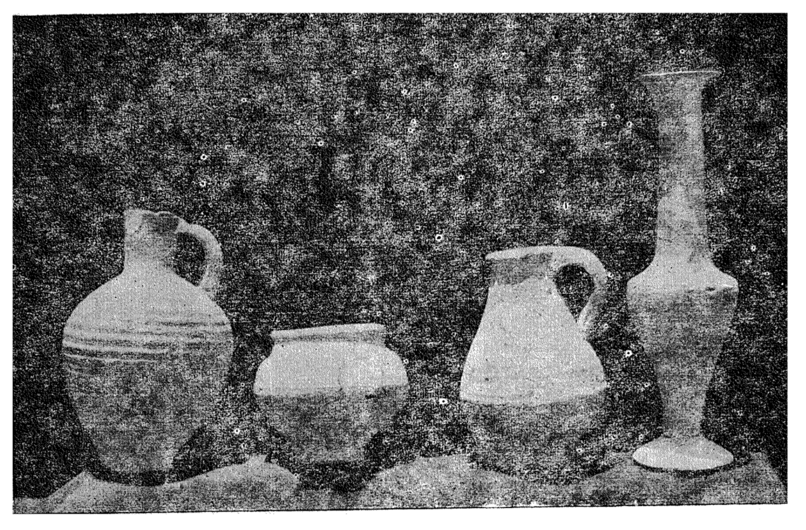
نماذج للتماثيل الطينية التى عثر عليها فى الوحدات السكنية
(أ) تمثال لهربوكراتيس يضع يده فى جرة الخزين من عنقهـا كيس النقود
(ب) تميمة الباوبو المستخدمة لأغراض السحر وهى رافعة يديها ويتدلى
(جـ) تميمة أخرى مماثلة وهى ترتدى السلاسل المتقاطعة حول صدرها ويتوسطها تميمة لميدوسا الطاردة للشر وفى الصف الأسفل جزء من تمثال ايزيس ـ ديمنز الربة المزدوجة للقمح فى مصر اليونانية الرومانية ثم راس لطفل ربما لايروس وراس أخرى ربما للأله الثراكى هيروون Heroon ثم دمية لحصان وأخرى لكلب كنوع شائع للعب الأطفال فى ريف مصر



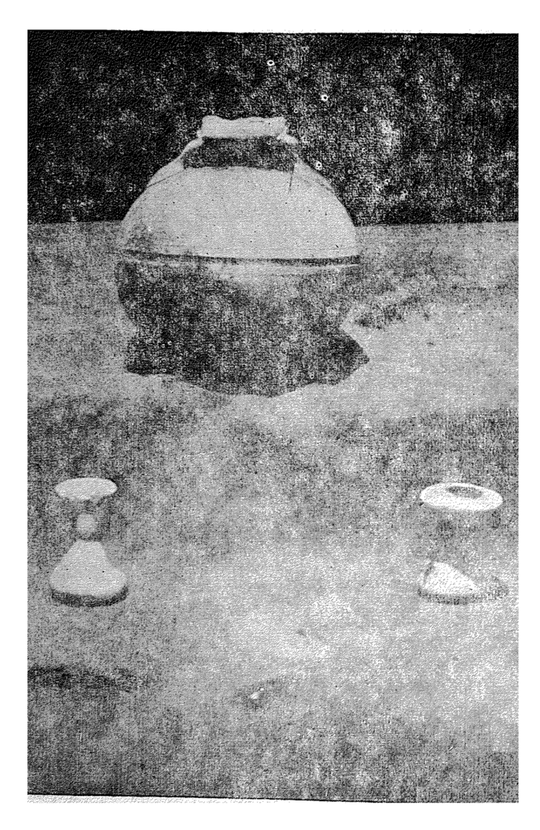
صورة لبعض العاب الاطفال من الطين المحروق ومحرز من العاج وراس لايروس
وتميمة من القيشانى للاله سوخوس وهو التمساح المعبود الأول فى كرانيس
وفى مدن الفيوم فى العصرين البطلمى والرومانى
كرانيس موسم ١٩٧٣



صورة للكورنيس الطينى الذى كان يزنى احد جدران المنازل
يمثل طائران كل منهما يولى وجهه
نحو اتجاه مخالف وبينهما شكل
دائرى ، الرسم يذكرنا بالزخرفة السمنزية
التى بدأ بها الفن الاغريقى فى آسيا ابان القرن

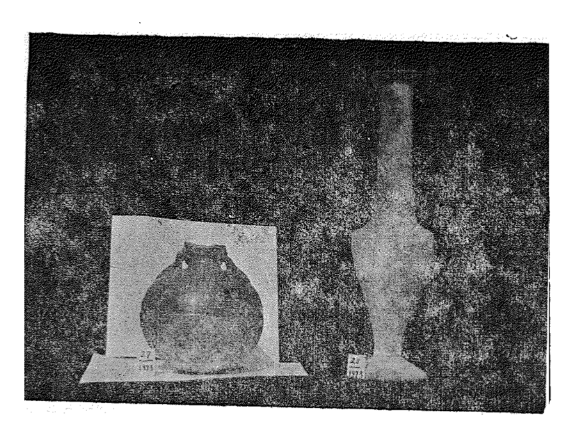


نماذج من الأوانى الفخارية المختلفة
والتى عثر عليها داخل المنازل



ومعيارين صغيرين من الزجاج
صورة أخرى لقدر من الفخار

صورة لجدار مخازن الغلال



اناءان من الفخـــار

القصة على لسان الحيوان بين العربية والفارسية (١)

دكتور محمد فتحي يوسف الريس

استاذ مساعد اللغة والادب الفارسي

بقسم اللغات الشرقية

المعروف أن كتاب كليلة ودمنة من أصل هندى ثم نقل إلى اللغة البهلوية فى عهد كسرى انوشيروان فى القرن السادس الميلادى (٥٣١—٥٧٩ م) ، حتى جاء ابن المقفع فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى فترجمه من البهلوية للعربية .

والمرجح للآن أن الأصل البهلوى الذى كتبه برزويه الطبيب المروزى نقل عن كتاب هندى اسمه « بنجاتنترا » (٢) ، وتعرف أقدم نسخ هذا الكتاب باسم « تانتر كهيايكا » وقد بقى الكتاب محفوظاً فى كشمير والمناطق المجاورة . وتوجد عدة نسخ من البنجاتنترا بينها اختلاف كبير ولكن أقربها إلى النصين العربى والفارسى متن نشره مستشرق من أصل ألمانى اسمه فرانك ادجرتون (٣).

وكلمة تنترا لها معان كثيرة ، ولكن يقصد بها فى هذه التسمية معنى الباب أو الكتاب ،وكهيايكا تعنى القصة ، وعلى هذا فان تنترا كهيايكا تعنى كتاب القصص ، ويقصد بها القصص التمثيلى والتعليمى المتعلق بامور الحياة والمعاش (٤).

ويقولون ان التنترا كهيايكا ألفت فى كشمير موطن الأدب التمثيلى فى الهند ، وذلك فى حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وتوجد أقدم نسخة من هذا الكتاب فى جامعة الدكن فى بونا (٥) . كما توجد عدة نسخ أحدث منها وبلغات هندية أخرى تعد بالمئات فى أماكن متفرقة من الهند .

---

(١) كلمة حيوان للدلالة على غير الإنسان كالجان والحيوان والطير والحشرات .

(٢) Panchatantra (٣) F. Edgerton

(٤) بنجاتنترا — الترجمة الفارسية ص ٥

(٥) المرجع السابق ص ٦ .

أما سبب انتقال هذا الكتاب إلى الفرس فيذكرون عدة روايات لا تخلو من الطرافة ، منها أن كسرى انوشيروان ملك الفرس سمع أن بالهند عشباً يحيي الموتى ففرح بهذا النبا وأرسل طبيبه الخاص برزويه إلى الهند ليأتى له بهذا العشب ، ولكنه لم يعثر عليه . وفى أثناء إقامته هناك سمع بهذا الكتاب وبغيره من كتب الهند فى الأدب والدين فقام بمساعدة العلماء هناك بترجمة هذا الكتاب إلى البهلوية وحمله معه إلى إيران ولكنه لم يلتزم بالأصل الذى نقل عنه وإنما أضاف إليه من كتب هندية أخرى مثل « المهابهاراتا » (٦) التى اقتبس منها ثلاثة أبواب هى :

(١) باب السنور والجرذ (٢) باب الطائر وابن الملك (٣) باب الأسد وابن آوى .

وقد فسر أبو المعالى نصر الله فى ديباجته لترجمة كليلة ودمنة الفارسية هذه القصة فقال : « سألوا أحد براهمة الهند عما يقال من أن فى الهند جبالا تنبت أعشاب أدوية تحيي الموتى فما السبيل للحصول عليها ؟

فاجاب : حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء ، لأن هذا الكلام من رموز المتقدمين وإشاراتهم ، فالجبال هى العلماء ، والأدوية كلامهم ، أما إحياء الموتى فهم الجهلاء الذين يجدون طريقهم إلى الحياة بكلام العلماء ، وقد جمع هذا الكلام فى كتاب كليلة ودمنة المحفوظ فى خزائن ملوك الهند (٧).

وهناك رواية ثانية تقول أن أحد ملوك الهند أقام احتفالا كبيراً بمناسبة الانتهاء من جمع هذه القصص وكتابتها دعا إليه العلماء من كافة الدول المجاورة ، وقد اشترك برزويه – نيابة عن إيران – فى هذه الاحتفالات نظراً لتبحره فى العلوم واللغات . وبعد انتهاء الاحتفالات وضع الكتاب تحت حراسة مشددة ولكن برزويه استطاع عن طريق اغراء أحد العلماء الهنود بالمال أن يلقى نظرة سريعة عليه وينقله بعجلة إلى اللغة البهلوية .

---

(٦) mahabharata وتقع المهابهاراتا فى ١٨ جزءاً منظومة بالشعر جمعها شخص إسمه بياس وتعد أطول كتاب حماسى فى جميع الآداب العالمية وتضم اشعارا لأكثر من مائة شاعر ولها قدسية دينية عند الهنود .

(٧) كليلة ودمنة بهرام شاهى ص ١٨ .

وقد حسم ابن المقفع نفسه هذا الأمر فقال فى باب « بعثة كسرى انوشيروان لبرزويه » وكان فيما يطلب من العلم – يقصد انوشيروان – ويبحث عنه أنه بلغه أن كتاباً من كتب الهند عند ملوكهم وعلمائهم نفيس مخزون ، وهو أصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة ومفتاح طلب الآخرة والعمل للنجاة من هولها ، والمقوى لما يحتاج إليه الملوك لتدبير ملكهم ويصلحون به معاشهم وهو كتاب كليلة ودمنة » (٨).

وعلى هذا فان الروايات الأخرى ما هى إلا من باب القصص التى اعتاد الأدباء والمؤرخون ترديدها ازاء كل عمل عظيم أو شخصية مشهورة .

على أية حال فقد أحضر برزويه هذا الكتاب من الهند واختار له اسم حيوانين من الحيوانات التى جاء ذكرها فى الكتاب وهما « كراتاكا ودمناكا » وقد عرب الإسمان إلى كليلة ودمنة . وللاسف فان هذه الترجمة البهلوية فقدت بعد نقلها إلى اللغة العربية .

ومن المفارقات أن هذه الترجمة البهلوية كانت قد نقلت إلى اللغة السريانية فى أواخر القرن السادس الميلادى (٥٧٥ م تقريباً) ، وقام بهذه الترجمة قسيس سريانى اسمه بود (٩) وهو صاحب كتاب المسائل اليونانى (١٠) فى حكمة ارسطو . وقد عاش بود فى عصر خسرو انوشيروان (٥٣١–٥٧٩ م) ويحتمل أنه عاصر أو شاهد برزويه الطبيب صاحب الترجمة البهلوية . وظلت هذه الترجمة مجهولة إلى أن عثر عليها فى دير الزعفران فى ماردين (١١) سنة ١٨٧٠ م ونشرها العالم جوستاف بيكل مع ترجمة ألمانية فى عام ١٨٧٦ م ، وتعد هذه النسخة السريانية أقرب إلى الأصل البهلوى من ترجمة ابن المقفع (١٢).

وهناك ثلاث ترجمات سريانية أخرى ولكنها منقولة عن نسخة ابن المقفع العربية أحدثها ترجمت فى القرن التاسع عشر الميلادى وهى بالسريانية الجديدة أو الآسورية،

---

(٨) كليلة ودمنة – طبعة الحياة بيروت ص ٥٠ .

(٩) Bod—Bud　　(١٠) alephmigin

(١١) مدينة فى جنوب شرق تركيا قرب الحدود السورية العراقية .

(١٢) بنجاتنترا ص ٢١٤ .

وقام بهذه الترجمة الراهب توماس اودو أسقف الكلدانيين فى أورميه(١٣) باذربيجان الغربية بإيران ، وقد طبعت فى مطبعة الآباء الدومينكان فى الموصل طبعة حجر عام ١٨٩٥ م (١٤).

وترجم كتاب كليلة ودمنة إلى معظم اللغات الأوربية وقلده كثير من كتاب الغرب ، وكان أساس كل هذه الترجمات هو كتاب ابن المقفع . ولن نتعرض هنا للترجمات الغربية وأثر كليلة ودمنة فى الأدب الغربى فهذا موضوع يحتاج إلى دراسة متخصصة على حدة .

التراجم العربية والفارسية

الأصل فى كل هذه التراجم أو المنظومات أو محاولات التقليد هو كتاب ابن المقفع ، وهو الذى نسج على منواله كل من كتب قصصاً على لسان الحيوان ، وكتاب ابن المقفع معروف لا داعى للدخول فى الحديث عنه .

فى العصر العباسى الأول عهد جعفر بن خالد البرمكى إلى عبد الله بن هلال بترجمة الكتاب مرة ثانية له ، ولكن لم يصلنا شئ من هذه الترجمة . كما كلف جعفر أبان بن عبد الحميد اللاحق بنظم كليلة ودمنة فنظمه فى ١٤٠٠٠ بيت لم يبق منها سوى ٧٦ بيتاً ذكرها الصولى فى كتابه الأوراق (١٥).

وهناك أيضاً نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة للشريف بن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ ﻫ وهو الذى ألف كتاباً آخر على شاكلته سماه « الصادح والباغم » كما نظم الكتاب شعراء آخرون منهم على بن داود وبشر بن المعتمر ، وأبى المكارم أسعد ابن خاطر ، كما وضع سهل بن هارون كتاباً سماه « ثعلة وعفراء » ، وللاسف لم يصلنا شئ من هذه الكتب .

وكتب إخوان الصفا فى القرن الرابع الهجرى رسالة « الحيوان والإنسان » ، وهى فى ظاهرها حوار يدور أمام بيوراسب الحكيم ملك الجن الذى يحكم بين مجموعة من الناس وبين سائر الحيوان ، ولكن الرسالة فى حقيقتها عبارة عن الآراء

---

(١٣) تعرف حاليا باسم رضائية نسبة لرضا شاه بهلوى مؤسس الأسرة البهلوية .

(١٤) بنجاتنترا ص ٢١٤ .

(١٥) الأدب المقارن – محمد غنيمى هلال ص ١٨٥ .

الفلسفية التى اعتنقها إخوان الصفا وأجروها هنا على لسان الحيوان ، فهم على لسان الصرصر مثلا يقولون « كان قبل الأماكن والأزمان ، والجواهر ذوات الكيان ، لاسماء فوقه ولا أرض تحته ، محتجب بنوره ومتوحد بوحدانيته وأسرار غيبه حيث لاسماء مبنية ولا أرض مدحية ، ثم قضى ودبر كما شاء قدر ، فابدع نوراً بسيطاً لا من هيولى مهيئة ولا من صورة متوهمة ، بل قال كن فكان ، هو العقل الفعال ذو العلم والأسرار ، خلقه لا لوحشة كان فى وحدته ولا لاستعانة على أمر من الأمور » (١٦).

ويتناول إخوان الصفا أثناء المحاكمة بين الإنسان والحيوان صفات كثير من الحيوان، ويذكرون حكمة الله فى خلقه لها وفائدتها التى تخفى عن الناس ليبينوا حكمة الله فى خلقه كما يتعرضون لصفات الإنسان السيئة والقبيحة كالحروب والقتال والاستغلال والتكبر وغير ذلك . وفى أثناء المحاكمة يشيرون إلى كليلة ودمنة مما يقطع باطلاعهم على الكتاب وتقليدهم له فيقولون « فلما فرغ العراقى من كلامه نظر الملك إلى طوائف الحيوان الحضور فقال « ما تقولون فيما ذكر وافتخر عليكم ؟

فقام عند ذلك زعيم السباع وهو كليلة أخو دمنة فقال . . . .

ويلاحظ هنا أنهم جعلوا كليلة وهو أحد أبناء آوى — عند ابن المقفع — زعيما للسباع هنا .

وقد أشار إخوان الصفا فى آخر الرسالة إلى غرضها والباعث على جعلها على لسان الحيوان فقالوا « وأنت — يا أخى — فاعلم علم اليقين أن تلك الأوصاف التى غلبت الانس على طبقات الحيوان بحضور ملك الجن ، هى التحقق بالعلوم والمعارف التى أوردناها فى إحدى وخمسين رسالة باوجز ما يمكن وأقرب ما يكون ، وهذه الرسالة واحدة منها . ونحن قد بينا فى هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب على لسان الحيوان ، فلا تظنن بنا ظن السوء ولا تعد مقالتنا ملعبة لصبيان ومخرقة الإخوان ، لأن عادتنا جارية على أنا نبين الحقائق بالفاظ وعبارات على وجه الإشارات وتشبيهات على لسان الحيوانات ، عسى أن يتامل المتامل فى هذه الرسالة وينبه من نوم الغفلة ،

(١٦) رسالة الإنسان والحيوان — إخوان الصفا — ص ٦٤ .

ويتعظ من مواعظ الحيوانات وخطبهم ولعله يفوز بالموعظة الحسنة » (١٧).

وهناك كتاب آخر على شاكلة كليلة ودمنة اسمه « درر الحكم فى أمثال الهنود والعجم » نظمه عبد المؤمن بن الحسن بن الحسين الصغانى من رجال القرن السابع الهجرى فى تسعة آلاف بيت ، وتوجد منه نسخ خطية فى فينا وميونيخ .

وكان آخر من نظم كليلة ودمنة هو جلال الدين حسن بن أحمد النقاش فى كتابه « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » ، وتغلب على هذا الكتاب الصبغة الدينية ، وتوجد نسخة من هذا الكتاب بالمتحف البريطانى وأخرى ببيروت (١٨).

وفى العصر الحديث تأثر بهذا الجنس الأدبى الشاعر المصرى أحمد شوقى وإن كان قد جعل حكاياته ذات صبغة سياسية كما يتضح من الأبيات التالية :

بينا ضعاف من دجاج الريف ... تخطر فى بيت لها ظريف
إذ جاء هندى كبير العرف ... فقام فى الباب مقام الضيف
يقول حيا الله ذى الوجوها ... ولا أراها أبدا مكروها
أتيتكم أنشر فيكم فضلى ... يوماً ، وأقضى بينكم بالعدل
حتى إذا تهلل الصباح ... واقتبست من نوره الأشباح
صاح بها صاحبها الفصيح ... يقول دام منزلى المليح (١٩)

التراجم الفارسية :

قلنا أن الأصل البهلوى الذى ترجم عنه ابن المقفع كتابه إلى اللغة العربية فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى فقد بعد ذلك ، كما أن الترجمة السريانية التى ترجمت بعد نقل الكتاب من الهندية إلى البهلوية بفترة وجيزة قد اختفت أو لم يلتفت إليها أحد ، ولهذا أصبحت ترجمة ابن المقفع هى الأصل الوحيد الذى اعتمد علية الفرس فى إعادة ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية بعد الإسلام .

---

(١٧) نفس المرجع ص ١١٧ .
(١٨) الأدب المقارن ص ١٨٩ .
(١٩) نفس المرجع ص ١٩٣ .

وأول ترجمة لكتاب كليلة ودمنة إلى اللغة الفارسية تمت فى عهد الأمير السعيد نصر بن أحمد السامانى (٣٠١ – ٣٣١ هـ) فقد استمع إلى هذا الكلام فاعجبه ولهذا أمر وزيره أبا الفضل البلعمى كى يترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية ، كما أمر الشاعر الفارسى الضرير أبا عبد الله الرودكى أن ينظم الكتاب فكانوا يقرأونه عليه ويقوم هو بنظمه . ولم يبق من هذه المنظومة سوى بضعة أبيات قليلة (٢٠) .

أما أهم التراجم الفارسية فهى الترجمة المعروفة باسم « بهرام شاهى » وقام بها أبو المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد المنشى أحد كتاب ديوان الإنشاء فى عصر الأمير بهرام شاه الغزنوى (٥١٢ – ٥٤٧ هـ) . وقد أصبح نصر الله بعد هذا كاتب الإنشاء فى عهد السلطان خسرو شاه الغزنوى (٥٤٧ – ٥٥٥ هـ) ثم تولى الوزارة فى عهد خلفه السلطان خسرو ملك (٥٥٥ – ٥٨٢ هـ) ولكنه عزل بعد ذلك وسجن ثم قتل ولا يعرف تاريخ قتله على وجه التحديد .

ولا نعرف تاريخ ترجمة هذا الكتاب بالتحديد ولكن الثابت أنه كان فى عصر السلطان بهرام شاه أى فى النصف الأول من القرن السادس .

ويقول نصر الله المنشى فى سبب ترجمته للكتاب « أن فقيهاً اسمه على بن إبراهيم إسماعيل أهداه نسخة من كتاب كليلة ودمنة ، ولما كانت همة الناس قد قصرت عن قراءة الكتب العربية فقد رأى أن يترجم الكتاب إلى الفارسية ويبسط فيه الكلام وينير الإشارات ويحليه بالأخبار والأمثال والأبيات ، فلما فرغ من ترجمة بعض أجزائه عرضوها على السلطان بهرام شاه فاعجبته وأمر أن يكمل الكتاب وأن يوشح باسمه وألقابه (٢١) » وبهذا إشتهر الكتاب باسم كليلة ودمنة بهرامشاهى .

وهناك ترجمات فارسية كثيرة سواء بالنظم أو بالنثر مثل « أنوار سهيلى ، ومعيار دانش ، وجلشن آرا ، وشكرستان ، وراى وبرهمن » ، كما أن كثيراً

---

(٢٠) مقدمة شاهنامة الفردوسى الفارسية .

(٢١) كليلة ودمنة – بهرامشاهى ص ٢٦ .

من شعراء التصوف الفرس إستخدموا هذا الجنس الأدبى فى أشعارهم وضرب أمثالهم ولهذا فان المجال لتناولها كل على حدة يحتاج إلى بحث طويل لا يتسع له المجال هنا ، ولكننا ننتقل إلى كتاب مرزبان نامه الذى ألف على غرار كليلة ودمنة .

مرزبان نامة :

ألف هذا الكتاب فى أواخر القرن الرابع الهجرى وباللهجة الطبرية القديمة التى كانت شائعة فى طبرستان ومازندران (جنوبى بحر قزوين) ومؤلفه هو الاسبهبد مرزبان بن رستم ابن شهريار بن شروين من آل باوند ملوك طبرستان (٢٢) .

ولا يعرف متى ألف كتاب مرزبان نامة على وجه التحديد ولكن من المرجح أنه ألف فى أواخر القرن الرابع الهجرى لأن أبا مرزبان وهو الأصبهبد رستم ابن شهريار كان معاصراً للامير شمس المعالى قابوس بن وشمكير (٣٦٦ — ٤٠٣ هـ) وكان ملكاً على جبال فريم (أو بريم) فى طبرستان ، وقد ناب مرزبان عن أبيه بعض الوقت فى هذا العمل .

وجاء ذكر هذا الكتاب للمرة الأولى فى كتاب قابوس نامة لعنصر المعالى كيكاوس بن إسكندر بن قابوس بن وشمكير (م ٤٧٥ هـ) ، ثم فى تاريخ طبرستان لمحمد بن الحسن بن إسفنديار المؤلف سنة ٦١٣ هـ حيث يقول :

« الأصبهبد مرزبان بن رستم بن شروين بريم هو الذى ألف كتاب مرزبان نامة على السنة الوحوش والطيور والإنس والجن والشياطين والذى إذا قرأه العالم العارف بعين الإنصاف لا التقليد ، وأحسن فهمه ، لنثر التراب على علم بيدبا الفيلسوف الهندى الذى جمع كليلة ودمنة ، ولعلم أنه بهذا الكتاب أصبح للعجم على الهنود وغيرهم درجات من الفخر والامتياز (٢٣)

وبقى كتاب مرزبان نامة باللغة الطبرية نحو قرنين إلى أن كان آخر القرن السادس وأوائل القرن السابع تقريباً حين ترجم من الطبرية إلى الفارسية ترجمتان

---

(٢٢) أصبهبد أو سبهبد رتبة فى الجيش تعادل فريق وكانت من ألقاب ملوك طبرستان .

(٢٣) مرزبان نامه ، المقدمة ص د .

بينهما فاصل زمنى يقدر بنحو عشر سنوات أو أكثر قليلا ، وحليت الترجمة بالأشعار والأمثال العربية والفارسية ولم يقف أى من المترجمين على ترجمة الآخر أو علم بها .

روضة العقول :

فى غرة محرم عام ٥٩٨ هـ قام أحد فضلاء مدينة ملطية ويدعى محمد بن غازى الملطيوى (٢٤) ، والذى عمل كاتباً ثم وزيراً للسلطان أبى الفتح ركن الدين سليمان شاه بن قليج أرسلان من سلاجقة الروم (٥٨٨ — ٦٠٠ هـ) بترجمة كتاب مرزبان نامة من اللهجة الطبرية إلى اللغة الفارسية لأنه رأى أن « هذا الجمال يجب تجميله وهذا الكمال يلزم تكميله ، وأن هذه العروس تحتاج إلى وشاح لائق ، وهذا الحسن يحتاج إلى شاهد صادق » ولهذا زين الترجمة بكثير من الشواهد الشعرية والأمثال العربية والفارسية وسمى كتابه « روضة العقول » .

ويختلف كتاب روضة العقول عن مرزبان نامة إختلافاً بيناً من حيث عدد الأبواب وترتيب الحكايات وزيادتها ونقصانها ، فهناك حكايات فى روضة العقول ليست موجودة فى مرزبان نامة ولهذا وصل حجم روضة العقول إلى ضعف حجم مرزبان نامة تقريباً . ويشمل كتاب روضة العقول أحد عشر باباً هى (٢٥) :

١ — باب الملك وأولاده .
٢ — باب مناظرة الأمير مع وزير أخيه .
٣ — باب اردشير بابكان مع مهران به العالم .
٤ — باب مناظرة العفريت ذى الظلف مع العالم .
٥ — باب مناظرة العالم مع العفريت .
٦ — باب داذمة والقصة .
٧ — باب الذكى وزر روى .

---

(٢٤) مرزبان نامه ، المقدمة ص ى .

(٢٥) ملطية مدينة بآسيا الصغرى تقع بين حلب وسيواس ينسب إليها ملطى وملطيوى .

٨ – باب ملك الأسود مع ملك الأفيال .

٩ – باب الأسد الزاهد والدب الجاهل .

١٠ – باب العقاب الصياد والحجلتين .

١١ – باب الملك السعيد مع زوجته بونا .

والباب الأخير غير موجود فى مرزبان نامة وإنما أضافه الملطيوى إلى روضة العقول فيما أضاف .

مرزبان نامة للوراوينى (٢٦) :

بعد نحو عشر سنوات أو أكثر قليلا على ترجمة الملطيوى لمرزبان نامة ، قام أحد فضلاء العراق العجمى وهو سعد الدين الوراوينى بترجمة الكتاب مرة أخرى إلى اللغة الفارسية دون أن يكون لديه علم بسبق ترجمته .

وليس لدينا شئ عن سعد الدين الوراوينى ولا حياته سوى ماذكره عن نفسه فى مقدمة الكتاب وخاتمته من أنه كان من خاصة أبى القاسم ربيب الدين هرون ابن على بن ظفر دندان وزير الأتابك أزبك بن محمد بن أيلدكز أحد أتابكة أذربيجان وأران (٦٠٧ – ٦٢٢ هـ) وهو الذى جعل باسمه كتاب مرزبان نامة .

ولما كان تاريخ ترجمة مرزبان نامة الفارسى غير معروف بالتحديد ، فالأرجح أنه كان فى أثناء وزارة ربيب الدين هذا أى فى الفترة من ٦٠٧ إلى ٦٢٢ هـ حيث عاش الوراوينى فى كنفة وحمايته ، وذكر فى خاتمة الكتاب أن ربيب الدين بعد أن أعفى من منصبه أقام داراً عامرة للكتب فى جامع تبريز كانت تضم ألفين من الكتب فى مختلف العلوم والفنون غير ما أمر بجمعه لها ، كما جعل بالدار خمسة عشر ناسخاً ينسخون ما يشاءون من الكتب لىزداد ما تحتويه منها الدار وقال الوراوينى أن خاتمة مرزبان نامة تصادفت كتابتها مع إفتتاح هذه الدار ليضاف إلى ذخائرها (٢٧) .

---

(٢٦) نسبة إلى مدينة صغيرة إسمها وراوى تقع فى جبال آذربيجان بين أردبيل وتبريز .

(٢٧) مرزبان نامه الفارسى ص ٣٠٠ .

ويقول الوراويني في سبب تاليف الكتاب أن شروين كان له خمسة أولاد يمتازون جميعاً برجحان العقل ورزانة الرأى والاستعداد للملك ، فلما توفى شروين بويع ابنه الأكبر ، ولكن الشقاق ظهر بين الأخوة بعد مدة من الزمان وطالب الأخوة بالملك إلا مرزبان الذى كان يمتاز عن اخوته بالفضل والزهد فى حطام الدنيا ، وخشى أن يتطرق إلى ذهن أخيه الملك أنه فى جانب إخوته المخالفين له ولهذا إستقر رأيه على السفر إلى مكان بعيد والإقامة خارج المملكة حتى لا تتفكك الأخوة وتضعف المحبة بين الأشقاء .

حين علم جمع من الأكابر والأعيان بما اعتزمه مرزبان طلبوا منه أن يكتب لهم كتاباً يشتمل على لطائف الحكمة وفوائد الفطنة ليجعلوه هاديهم فى معاش دنياهم ومعاد آخرتهم ، و أن يجعل فيه بعض المواعظ والزواجر لتصل إلى سمع أخيه الملك لعلها تهديه إلى سلوك الطريق القويم . لكن مرزبان رأى أن يستاذن أخاه فى الخروج من المملكة وكتابة الكتاب الذى طلبه الكبار والأعيان ، فلما مثل بين يديه وعرض ما لديه ، إستشار الملك وزيره الذى قال ان خروج مرزبان فكرة حسنة لأن فيها نقصاً لعدو من الأعداء واقتلاعاً لشوكة من قلب المملكة أما فيما يتعلق بالكتاب فيخشى أن يعرض فيه بالملك فيصبح حديثه سمرا للناس ، فان كان يريد أن يقول شيئاً أو ينصح نصيحة فعليه أن يقولها فى حضوره — أى الوزير — حتى يظهر للملك ما فى نصائح ذلك الفضولى من زيف وما فى مواعظ ذلك المرائى من بهتان .

فلما كان اليوم التالى استدعى الملك أخاه إلى مجلسه فى حضور الوزير والأعيان وطلب منه أن يحدثه بما أراد ، فاخذ مرزبان فى الحديث بلفظ فصيح وأسلوب بليغ وبيان واضح مشيراً إلى الخلل فى أمور المملكة وتطاول الحكام وكساد سوق العلم والعلماء ، وقال « لقد سكت على ماكنت أرى إلى أن أمرنى الملك بالكلام لأن القرابة مما لا يقطع بالسيف ولأن علائق الأخوة مما لا يشترى بكل علق نفيس مثل ما حدث لامرأة اسمها هنبوى » .

وهنا يساله أخوه الملك وما قصتها ؟ فيذكرها مرزبان مستشهداً بها على صدق

ما يقول ويستمر الحوار بين الوزير ومرزبان ، وتستمر القصص المتتالية والمتداخلة على هذا النحو فى الكتاب وفى أبوابه المختلفة أيضاً .

ويشتمل كتاب مرزبان نامة الفارسى على تسعة أبواب ومقدمة وخاتمة ، كل باب يشتمل على عدة قصص كما هو المتبع فى كليلة ودمنة وكل الكتب التى قلدته وجرت مجراه ، وهذه الأبواب بعد الديباجة هى :

١ — تعريف الكتاب وذكر واضعه وبيان سبب وضعه .

٢ — الملك السعيد الحظ ووصاياه لأبنائه عند وفاته .

٣ — الملك أردشير ومهران به العالم .

٤ — العفريت ذو الظلف وعالم الدين .

٥ — دادمه والقصة .

٦ — الذكى وزر روى .

٧ — الأسد وملك الأفيال .

٨ — الجمل والأسد الزاهد .

٩ — العقاب والحجلتين .

١٠ — الخاتمة ، وتنتهى بقصيدة فارسية من ٢٠ بيتاً يمدح بها الوزير ربيب الدين

وتتفق هذه الأبواب مع أبواب روضة العقول إلا فى أن الباب الرابع فى مرزبان نامة يضم البابين الرابع والخامس فى روضة العقول وهما المناظرة بين العفريت والعالم والمناظرة بين العالم والعفريت . كما أن باب الملك السعيد وزوجته بونا فى روضة العقول غير موجود فى مرزبان نامة ، وهذا ما جعل أبواب روضة العقول أحد عشر باباً وأبواب مرزبان نامة تسعة فقط .

وذكر الوراوينى أنه انتقى ألفاظ الكتاب ، فلا تجد فيه لفظاً شارداً أو كلمة باردة يمجها السمع وتاباها النفس ، كما أنه تجنب إستعمال الشواهد الشعرية العربية والفارسية التى إستعملها الآخرون فى كتبهم ، فلم يشم وردة سبق إستنشامها

ولا مس زهرة سبق قطافها كما أن موضوعاً بعينه إذا تكرر فى أماكن كثيرة فانه لم يكرر كلمة واحدة سبق إستعمالها أو جرى تداولها إلا فيما ندر (٢٨) .

وقد بلغ الوراوينى فى كتابه مرزبان نامة بالنثر الفارسى أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة بل إنه فى بعض مواضعه تجاوز النثر المصنوع إلى النظم المنثور .

مرزبان نامة العربى :

ترجم كتاب مرزبان نامة إلى اللغة العربية وقام بالترجمة الشيخ العلامة أقضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عرب شاه الحنفى الدمشقى المتوفى سنة ٨٥٤ هـ .

والترجمة العربية لم تنقل عن الأصل الطبرى أو الترجمة الفارسية بل أخذت عن ترجمة تركية كما يصرح بهذا ابن عربشاه إذ يقول « وقد وضع فى ذلك كتاب يسمى بمرزبان نامة مترجم باللسان التركى من الفارسى ، فاشار إلى المخدوم الذى لا يمكننى مخالفته أن أترجمه باللسان العربى فامتثلت أمره وترجمته ، وقد جعله واضعه ثمانية أبواب (٢٩) :

١ ــ فى تسميته وسبب وضعه .

٢ ــ فى ذكر العالم والعفريت .

٣ ــ فى ذكر أحوال الثعلبين .

٤ ــ فى ذكر الكلب المسمى بالذكى والعنز .

٥ ــ فى ذكر السبع وسلطان الأفيال .

٦ ــ فى ذكر وقايع الجمل والأسد .

٧ ــ فى ذكر العقاب والحجلتين .

٨ ــ فى معاملة الأحباب .

أما الترجمة العربية فتتفق عناوين أبوابها مع الأبواب السابقة تماماً وإن كانت تختلف مع الأصل الفارسى من حيث الترتيب والتقديم والتاخير ، كما أن ابن عربشاه

(٢٨) مرزبان نامه الفارسى ص ٢٩٦ .

(٢٩) مرزبان نامه العربى ص ٥ .

أضاف فصلين فى آخر الكتاب هما فصل « ليعلم الناظر فى هذا الكتاب أن فيه من الحكم ولطائف الكلم » والثانى « فصل وينبغى أن لا يتمنى لقاء العدو » .

ويلاحظ على الترجمة العربية أنها ركيكة الأسلوب تكاد تقرب من العامية مثل هذه العبارة « قالت لبنتها يا بنتى أن أولاد ملوك الطير خطبوك وأنا أخشى أن أزوجك لمن لا يعرف بمقدارك فلا تستريحى معه ، وقد خطبك ابن صاحبتى القديمة فلانة البومة » .... كما أن الأشعار الفارسية والأمثال لم تترجم أو تضمن معانيها فى الترجمة العربية بل إن بعض الجمل الموجودة فى النسخة الفارسية غير موجودة فى الترجمة العربية ، واختفى الاسهاب والاسترسال البليغ والترادف الذى يعطى للجمل حلاوة وللكلام طلاوة وهو ما حرص عليه الوراوينى فى الترجمة الفارسية .

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء :

لابن عربشاه كتاب آخر على شاكلة مرزبان نامة وهو كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء وتتفق المقدمتان فى الكتابين إتفاقاً تاماً من أولهما حتى كلمة « أما بعد » اللهم إلا فى بعض الكلمات البسيطة التى لا تغير من المعنى شيئاً .

ويختلف كتاب فاكهة الخلفاء عن مرزبان نامة فى تسميات بعض الأبواب والقصص وإن كان هناك تشابه فى بعضها الآخر ، ويغلب السجع على تسميات الأبواب ويتضح هذا من العناوين التالية :

الباب الأول — فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع الكتاب السبب .

الباب الثانى — فى وصايا ملك العجم المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم .

الباب الثالث — فى حكم ملك الأتراك مع فتنة الزاهد شيخ النساك .

الباب الرابع — فى مباحث عالم الإنسان مع العفريت جان الجان .

الباب الخامس — فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع .

الباب السادس — فى نوادر التيس المشرقى والكلب الأفرقى .

الباب السابع — فى ذكر القتال بين أبى الأبطال الريبال وأبى دغفل سلطان الأفيال .

الباب الثامن — فى حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد .

الباب التاسع — فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب .

الباب العاشر — فى معاملة الأعداء والأصحاب وسياسة الرعايا والأحباب ونكت أخبار وتواريخ اخيار وأشرار .

وأسلوب فاكهة الخلفاء أجمل من أسلوب مرزبان نامة العربى مع أن مؤلفهما واحد ولعل هذا يرجع إلى أن ابن عربشاه فى كتاب مرزبان نامة كان يترجم عن أصل تركى فكان مقيداً فى أسلوبه إلى حد ما ولكنه كان فى كتاب فاكهة الخلفاء يكتب على سجيته دون قيد أو إلتزام بمعنى أو بنص يحد من حريته .

وتوجد ثلاث نسخ خطية من مرزبان نامة العربى إحداها فى المكتبة الوطنية بباريس ، والثانية فى مكتبة برلين ، والثالثة فى مكتبة جوته ، وقد طبع هذا الكتاب فى مصر طبعة حجر سيئة عام ١٢٧٨ ﻫ وحلى ببعض الصور التى تمثل بعض أحداث القصص وكانها من رسوم أطفال فى مدرسة إبتدائية .

هذه لمحة سريعة عن هذا الجنس الأدبى بين أصله الهندى وترجماته الفارسية والعربية أو محاكاته وتقليده فى اللغتين ولا زال الموضوع رغم الدراسات المتعددة التى جرت يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث المتخصصة الطويلة للمقارنة بين هذه الكتب جميعاً .

واختتم هذه الدراسة القصيرة بترجمة لثلاثة أبيات من منظومة كليلة ودمنة لأبى عبد الله الرودكى التى فقدت ولم يصلنا منها إلا أبيات قليلة حيث يقول :

منذ أظلت السماء الانسان	لم يستغن عن العلم والايمان
واجتمع العلماء فى كل مكان	وكتبوا اسرار المعرفة بكل لسان
لأن المعرفة فى قلب الإنسان	درع يحميه من أحداث الزمان .

مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية

(مايو ١٩٧٧ – ابريل ١٩٧٨)

١ – العلاقات العربية الإفريقية – دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار – باشراف أ . د . جمال زكريا قاسم .

٢ – ندوة البترول العربي والآفاق المستقبلية لمشكلة الطاقة بغداد ٢٠–٢٣ نوفمبر ١٩٧٦ – باشراف الأستاذ الدكتور على لطفى .

٣ – إستخدام عوائد النفط العربي حتى نهاية السبعينات – باشراف الأستاذ الدكتور فؤاد هاشم .

٤ – قانون البحار الجديد والمصالح العربية – باشراف أ . د . مفيد شهاب .

٥ – توحيد مصطلحات الشهر العقارى فى البلاد العربية – أ . د . جميل الشرقاوى

٦ – الفلسطينيون فى الوطن العربى : دراسات فى أوضاعهم الديموجرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية – باشراف أ . د . أحمد صدقى الرجانى ، أ . د . السيد ياسين ، أ . د . على الدين هلال .

٧ – العلاقات العربية الإفريقية : دراسة تحليلية فى أبعادها المختلفة باشراف أ . د . محمود خيرى عيسى .

٨ – معالم على طريق الكلاسيكية العربية الحديثة : طه حسين ومحمود تيمور باشراف أ . د . محمد خلف الله أحمد .

٩ – الأطماع الصهيونية فى مياه الأردن والليطانى – باشراف أ . د . عز الدين الخيرو .

١٠ – الوظيفة الإتصالية لجامعة الدول العربية – باشرف أ . د . عبد الخبير محمود عطا .

١١ - دراسة مقارنة بين السد العالى وسد الفرات - باشراف أ . د . أجيه يونان .
١٢ - دراسات فى الاقتصاد السعودى - باشراف أ . محمد على رضا الجاسم .
١٣ - وثيقة كوينج وعرب الأرض المحتله - باشراف أ . د . عبد المنعم سعيد .
١٤ - إدارة الاقتصاد الاسرائيلى - باشراف أ . د . السيد عليوه .
١٥ - المدينة المنورة : التركيب الوظيفى . . النمو والتغيرات - باشراف أ . د . عمر الفاروق سيد رجب .
١٦ - الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية - باشراف أ . د السيد رجب حراز .
١٧ - ندوة قانون البحار الجديد والمصالح العربية - القاهرة ١٢-١٤ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٦ .
١٨ - سيولوجية الثقافة - باشراف أ . د . الطاهر لبيب .
١٩ - الجغرافيا السياسية لإسرائيل - باشراف أ . د . محمود توفيق محمود .
٢٠ - مشكلة فلسطين والصراع الدولى ١٩٤٥-١٩٦٧ - باشراف أ . د . محمد نصر الدين مهنا .
٢١ - الصهيونية والعنصرية - باللغتين الفرنسية والإنجليزية - باشراف أ . د . مفيد شهاب ، أ . د . السيد ياسين ، أ . د . يونان لبيب رزق .
٢٢ - جامعة الدول العربية : ميثاقها وانجازاتها - باشراف أ . د مفيد شهاب .
٢٣ - العدد الثامن (خاص بالموارد المائية فى الوطن العربى) - مجلة المعهد العلمية .
٢٤ - جامعة الدول العربية وتسوية المنازعات المحلية - باشراف أ . د . بطرس بطرس غالى .
٢٥ - الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة - باشراف السيد / عادل محمود رياض .
٢٦ - المؤسسة العسكرية الإسرائلية الاستراتيجية - البناء - الإطار الفكرى للسيد/ عبده مباشر .
٢٧ - الشخصية : النظرية - التقيم - مناهج البحث - باشراف أ . د . نعيمة الشماع .

٢٨ – أركان الظاهر كمصدر للحق : التنازع بين القانون والواقع المستقر – باشراف أ . د . نعمان خليل جمعه .

٢٩ – الحرب الوقائية في استراتيجية إسرائيل العسكرية – للسيد / جميل عائد الجبوري .

٣٠ – الحركة الوطنية الجزائرية : الجزء الثالث ١٩٣٠-١٩٤٥ طبعة ثانية منقحه باشراف أ . د . أبو القاسم سعد الله .

٣١ – الصحافة العربية فى الجزائر : دراسة تحليلية لصحافة الثورةالجزائرية ١٩٥٤ ١٩٦٢ – باشراف أ . د . عواطف عبد الرحمن .

٣٢ – السوق العربية المشتركة – للسيد / أحمد البار .

٣٣ – التعاون النقدى العربى: مجالاته وإمكانياته – للسيد/ سليمان حميد المنذرى .

٣٤ – ملخصات البحوث المقدمة لندوة مشكلة الغذاء فى الوطن العربى (المنعقدة بالكويت من ٩–١٢ أبريل « نيسان » ١٩٧٨) .

٣٥ – الأزمة اللبنانية – أصولها – تطورها – أبعادها المختلفة – باشراف الأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم .

٣٦ – دراسات فى تنسيق الخطط والتكامل الإقتصادى العربى – تجارب تخطيطية فى بعض الأقطار العربية .

٣٧ – دراسات حول ضمانات الاستثمار فى قوانين البلاد العربية – باشراف أ . د . يحيى الجمل .

تم الطبع بالمراقبة العامة لمطبعة
جامعة القاهرة والكتاب الجـامعى
المراقب العام
البرنس حمودة حسين
١٩٨٠/٤/١٣

رقم الايداع ١٥٢ سنة ١٩٧٨

(مطبعة جامعة القاهرة ٣٤٩/١٩٧٨/٩٥٠)

Printed by :

Press and University Book Department

AL BRINCE H. HUSSEIN

Supervisor General

17-3-1979

NATIONAL LIBRARY LEGAL DEPOSIT
No. 152 — 1979

Cairo Univ. Press, 349-1978-500 ex.

BIBLIOGRAPHY

1. CHADWICK (JOHN) : *The Decipherment of Linear B*, Cambridge, 1958.

2. DODDS (E.R.) : *Euripides Bacchae*, Oxford, 1960.

3. —— —— : *The Greeks And The Irrational*, (Sather Classical Lectures, vol. XXV), California, 1963.

4. FARNELL (L.R.) : *The Cults Of The Greek States*, vol. V, Oxford, 1909.

5. GRANT (MICHAEL) : *Myths Of The Greeks And The Romans*, London, 1962.

6. GUTHRIE (W.K.C.) : *The Greeks And Their Gods*, Methuen, 1950.

7. —— —— : *"Early Greek Religion In The Light Of The Decipherment Of Linear B"*. Bulletin of The Institute of Classical Studies, University of London, VI (1959), pp. 35–46.

8. JAEGER (WERNER) : *The Theology Of The Early Greek Philosophers*, Oxford, 1947.

9. KABERRY (PH.M.) : *"Myth And Ritual, Some Recent Theories"*, Bulletin Of The Institute of Classical Studies, IV (1957), pp. 42–54.

10. LANG (MABEL) : *"The Palace Of Nestor Excavations of* 1960" (Part II), American Journal Of Archaeology, LXV (1961), pp. 158–163.

11. LESKY (ALBIN) : *Greek Tragedy* (translated by H.A. Frankfort, with a forword by E.G. Turner), London, 1965.

12. NILSSON (MARTIN P.) : *A History Of Greek Religion* (translated by F.J. Fielden), Oxford, 1925)

13. —— —— : *The Minoan-Mycenaean Religion And Its Survival In Greek Religion*, Lund (C.W.K. Cleerup), 1950.

14. PICKARD-CAMBRIDGE (SIR ARTHUR) : *Dithyramb, Tragedy And Comedy*, (revised by T.B.L. Webster), Oxford, 1962,

15. POLLARD (JOHN) : *Seers, Shrines And Sirens* (*The Greek Religious Revolution In The Sixth Century*), London, 1965.

16. PUHVEL (JAAN) : *"Eleuther And Oinoatis, Dionysiac Data From Mycenaean Greece"* (in Bennett, *Mycenaean Studies*, University of Winconsin Press, 1964, pp. 161–170).

17. RHODE (ERWIN) : *Psyche, The Cult Of Souls And Belief In Immortality Among The Greeks* (translated by W.B. Hillis), London, 1925.

18. VENTRIS (M) & CHADWICK (JOHN) : *Documents In Mycenaean Greece*, Cambridge 1956.

19. —— —— : *"Evidence For Greek Dialect In The Mycenaean Archives"*, Journal Of American Studies, LXXIII (1953), pp, 84–103.

20. WEBSTER (T.B.L.) : *From Mycenae To Homer*, Methuen 1958.

21. —— —— : *"Monuments Illustrating Tragedy And Satyrplay"*, Bulletin Of The Institute Of Classical Studies, University of London, Suppl, no. 14 (1962), passim.

22. —— —— : *"Some Thoughts On The Pre-history Of Greek Drama"*, Bulletin Of The Institute Of Classical Studies, University of London, V (1958), pp. 43–48.

extent one of the Boeotian cities, Thebes, was important (1). Before the worship of Dionysus was introduced into a city a band of Theban maenads was sent to organise and establish the new cult. These maenads were sent according to a divine oracle(2). This may not seem surprising, for at that time mythology had established Thebes as the birth-place of Dionysus and the burial place of Semele. In the time of Plutarch Boeotia (especially Thebes and Orchomenus) was the field of many vehement rites and the female worshippers were liable to meet with troubles and dangers which may have sometimes led them to death(3). In Macedonia, ἐκ τοῦ πάνυ παλαιου down to the fourth century, all women were addicted to the orgies of Dionysus. They were encouraged by their princess Olympias, the wife of Philip and the mother of Alexander the Great, who provided them with snakes. They were decked with ivy and garlands and equipped with winnowing baskets and wands. They were described as imitating in many ways the Edonian and the Thracian female worshippers of Dionysus(4). If we are to believe the story of the Macedonian dog-eating tribe, ὠμοφαγια was practised in the fifth-century at least in some Macedonian villages. One of the fifth-century famous Greek writers is said to have known this story and to have interceded and defended the deed of the tribe before the king of Macedonia, his host at that time (4).

These were some brief observations on the position of the god Dionysus among the Greeks. And thus Homer's "SILENTIUM" of Dionysus may be now justified.

---

(1) Guthrie, *The Greeks*, p. 162, p. 166 ; Nilsson, *Op. Cit.*, p. 207, p.208. Guthrie, (*Op. Cit.*, p. 166) believes with Farnell (*Cults*, V, p. 152) that such a band was sent to Magnesia in the fifth century, while Nilsson (*Op. Cit.*, p. 208) seems to allocate it to some time later.

(2) Plut., *Quaest. Graec.*, XXXVIII ; Dem, *Quaest. Conv.*, VIII, 1 ; *Pausanias*, VIII, 23, 1.

(3) Plut., *Vit. Alex.*, II,5-6.

(4) Suid., s.v. Εὐριπιδης Murray, *Euripides*, pp. 171-2.

aspect of the Dionysiac character were still observed among the Greeks, at Delphi and even at Athens (in the Anthesteria), at Argos (in the Dionysiac festivals of the Agriana and the Agrionia), at Thebes (in the Agrionia), at Megara, at Lerna, at Melageia in Arcadia and to a great extent at Sparta (1). Towards the end of the fifth century, on the other hand, Athens seems to have got rid of all these vehement rites and the worship may have been brought under the control of the State. Yet the memory of these rites seems to have been still observed among the Athenians in the religious embassy of women which was sent to Delphi, in obedience to an oracular command, to attend the Trieteria (2). Most — if not all — of the Athenian festivals did not contain the wilder features of the ecstatic rites ; these were kept only into the background and were mentioned by the Athenians as elements of traditional stories. As such they occur as aetiological details appropriate to the circumstances during the festivals which were considered in turn by the Athenians themselves as a source of ἀνάπαυλαι τῶν πόνων and which seem to have had more social than religious value. In the fifth-century Athens no biennial festivals on the bare mountain-top in winter (τριετηρι'ς) existed, nor torchlit midnight rovings (ὀρειβασια), nor raw flesh eating (ὠμοφαγια). Most of the dreadful orgiastic rites mentioned by the fifth-century Athenian writers were not practised by the worshippers of Dionysus in fifth-century Athens. Yet it cannot be argued that Dionysus was so completely tamed and that his worship was so greatly emasculated that those writers are to be considered as describing things which could not have been found in Greece nor known to their Athenian contemporaries (3). For it is evident that these orgiastic rites were familiar to every Greek and that they formed a characteristic aspect of the Dionysiac worship from the time of these writers down to the time of the Roman empire. In the fifth century, if not earlier, Boeotia was one of the greatest centres of Dionysiac worship. An inscription from Magnesia on the Meander explains to what

---

(1) Cf. Dodds, *The Gseeks*, pp. 270sqq.

(2) Idem, *Bacchae*, p. xxii.

(3) Guthrie, *The Greeks*, pp. 178 sqq.

(4) Thebes was celebrated not only in the Dionysiac myth but also in many others such as those of Amphion and Zethus, Oedipus, and the Seven. The importance of Thebes, according to archaeological evidence (Nilsson, *History*, pp. 41–42). goes back to the Myce . naean Age.

to the introduction of the worship of the god into Greece. It has been suggested that such stories may refer to some remote events which took place before the time of the Trojan war (1). Yet, it seems more justifiable to believe — with Nilsson — in the survival of Minoan Dionysiac ideas and perhaps rites among the aboriginal inhabitants of Asia Minor even after the violent destruction of the Minoan civilisation. These ideas and rites were overwhelmed in the mainland by the ideas and rites of the conquerors and the newcomers. In the Archaic Age missionary movements began to reintroduce the worship of Dionysus (presumably from the north) into Greece. The greatest part of the success of these movements may have depended on these suppressed ideas which found at that time occasion to reappear. The stories of Resistance, then, may be considered to denote a revival of some ideas and perhaps rites which had been known to the Minoans and the Mycenaeans (2). Nevertheless, it is evident that various influences, notably Phrygian, Lydian and Thracian, contributed so much in shaping the rites and the ideas of the reintroduced worship that it appeared completely foreign to the Greek community. This may have been partly the reason of the appearance of some resistance stories (3).

It was too difficult, it seems, for the Greeks to accept without opposition or to practise the disorderly and tumultuous worship of Dionysus. It was impossible also to refuse — whatever the reason was — and oppose these orgiastic rites(4). But once the worship was introduced — not without opposition — into the Greek states, the Greeks sooner or later began to assimilate it to their own purposes (5). Yet some features of the ecstatic

---

(1) Dodds, *Bacchae*, p. xxi n. 3 ; cf. Pickard-Cambridge, *Dithyramb*, p. 129.

(2) Nilsson, *Minoan*, pp. 575 sqq. ; Webster, *From Mycenae*, pp. 49–51, p. 293.

(3) Rhode (*Psyche*, pp. 283 sqq.), who includes these stories among the aetiological myths, finds in them a plain presupposition that Dionysiac worship was considered by the Greeks themselves to be a foreign religion which came to Greece from abroad. He is sure, on the other hand, that it contains some historical facts about Rhode's Thracian Dionysus. Cf. Guthrie, *The Greeks*, pp. 159–173. Guthrie (*Op. Cit.*, p. 172 n. 2) quotes Tierny (who agrees with Otto, (*Dionysus*, p. 72) and claims that "This explanation is however very improbable ; it is much more likely that the idea of opposition, struggle, and catastrophè was an ancient component of the god's ritual, which represented him as taking violent possession of men's souls and bodies, sweeping them out of themselves, and driving them to act like madmen".

(4) Rhode, *Op. Cit.*, pp. 285–289.

(5) Cf. Winnington-Ingram, *Euripides*, pp. 150–151.

worship was introduced into Greece comparatively late was so prevailing that the comment on this form came to the effect that it "is a surprising name to find, and there is no evidence to prove that it is divine" or that the fragment on which the name occurs is "a shock for the experts" and "the coincidence is striking" (1). In 1960 other fragments from Pylos were restored and the same form reoccurred on one of these (2). Yet some scholars were still hesitating to accept "the unlikely possibility that the god of wine was worhipped in Pylos" (3). Eventually, the Mycenaean evidence was re-examined by Jean Puhvel· and the case was thoroughly discussed in a paper delivered on the 7th of September 1961 A.D. before the Third International Cellcquium For Mycenaean Studies, held in Wingspread (4). On the analysis of other forms which occur on the Pylos tablets, Puhvel proclaimed that the form di—wo—nu—so—jo cannot be considered a name of a mortal man. The view that the name Dionysus means "son of Zeus" can be attested by the examination of some other Pylian forms. Puhvel concludes that the Pylian tablets show clearly some affinity between Dionysus, Ariadne, and Artemis and connect these divinities with the worship of 'Eleuther' at Knossos(5).

With some confidence we may say now that the Greeks knew Dicnysus eight or nine centuries at least before the golden age of Athens or roughly in the second millenium B.C. (6). It is noteworthy that this new conception need not shake the historical foundation of the stories telling of Resistance

---

(1) Ventris & Chadwick, *Documents*, p. 124 ; cf. Guthrie, *B.I.C.S.*, VI (1959), pp. 40 sqq. ; Chadwick, *Decipherment*, p. 124.

(2) Xb 1419.

(3) Lang, *A.J.A.*, LXV (1961), p. 162. It is noteworthy that at that time few scholars began to analyse the new evidence and make use of other modern documents ; the great contributions of H. Kereny! (*Diogenes*, 20 (1957), 1—20 ; apud Puhvel, *Eleuther*, p. 162) and Webster (*B.I.C.S.*, V (1958), pp. 43—48 ; *B.I.C.S.*, Suppl. no. 14 (1962), passim ; *From Mycenae* ; *Dithyramb*) cannot be denied.

(4) A paper with the title "*Eleuther and Oinoatis, Dionysiac Data From Mycenaean Greece*" ; see Bibliography.

(5) Puhvel, *Eleuther*, pp. 162-169.

(6) Cf. Rhode, *Psyche*, p. 282. Rhode argues that the worship of Dionysus was not completely established among the Greeks at the time of Homer. He implies that the worship of the god exists at that time but it had not already taken its important position among the Greek divinities, Homer's "silentium" is discussed by Guthrie, (*The Greeks*, pp. 160-165) and others.

Lydia. They find evidence in the connection between Dionysus and the Lydian word "Bakivalis" or between Semele and the Phrygian Ζεμελ [1]. Nilsson suggests that Mt, Nysa (where the babe Dionysus was reared), which is mentioned by Homer, refers to the mountain-top cults of Asia Minor. Yet he affirms that the element of immigration played the most important rôle in the history of this religion [2]. The Phrygians were originally Thracians; they left Thrace and went to Asia Minor[3]. Hence Dionysiac worship was connected with the cult of the Great Mother. This cult was always known as Phrygian, but it actually belonged to Asia Minor. Bringing Dionysus with them from their Thracian home, the Phrygians mixed the worship of the god with their local cult. Yet the influence of the Lydians, who were their neighbours and mixed with them, cannot be denied. The idea of the divine child born of the Earth and notr eared by its mother seems to have been borrowed from the Lydians by the Phrygians. Nilsson suggests that this idea may have belonged to the aboriginal inhabitants of Asia Minor who were of the same stock as the Minoans in Crete. The Cretan element was traced in the story of the god by another scholar, Walter Otto, who endorsed the views of Nilsson in rejecting the Thraco-Phrygian origin of the god and went further in assigning an earlier date to the acquaintance of the Greeks with Dionysus[4].

In spite of the reasonable and instructive suggesti ons of Nilsson and Otto, Dionysus was still considered a divine newcomer and his worship was still regarded as imported. In 1951-2 A.D. the monuments of Pylos became more accessible, and scholars began to decipher their figures[5]. Among these figures the form di—wo—nu—so—jo is restored and interpreted as Dionysus(6). Yet the view that Dionysus was a non-Greek god whose

---

(1) On one of the bilingual inscriptions, found in Sardis (*Sardis*, VI. I. 39, line 25), the name βakiFaλis=Διovυσikλῆs. Wilamowitz suggests that βakχòs is derived from the Phrygian, Nilsson from the Lydian . Nilsson, *Minoan*, p. 271 (especially n. 33) ; cf. Dodds, *Bacchae*, p. xx ; Guthrie, *The Greeks*, p, 154.

(2) Nilsson, *Op. Cit.*, pp. 564—576.

(3) Guthrie, *Op. Cit.*, pp. 154 sqq.

(4) In his Dionysus. See Puhvel, *Eleuther*, p. 161 ; Guthrie, *Op. Cit.*, p. 146,

(5) In 1951 A.D. Emmett published "*The Pylos Tablets*" and 1952 Sir John Myres the "*Scripta Minoa II*". Some other publications are mentioned or discussed above.

(6) IXa (now 102) ; Ventris & Chadwick, *J.H.S.*, LXXIII (1953), p. 95.

is the god of the φαυλότερον πλῆθος .He is almost ignored in the Homeric epics where the spirit of aristocracy prevailed [1]. Historical evidence may clarify this point. When Cleisthenes wished to weaken the power of the aristocrats in Sicyon he introduced the worship of the god in place of the worship of the ancient hero Adrastus [2]. The establishment of the Dionysiac festivals in Corinth under Priander and these in Athens under Peisistratus may give further evidence that Dionysus was the god of the poor on whom tyrants relied [3]. These who opposed the worship of the god in Corinth, Thebes, or other cities belonged to the Aristocratic class [4].

It may now be interesting to know about Dionysus some of what Homer himself did not wish to tell, and to follow, as far as extant evidence can afford, the establishment of the Dionysiac worship in some of the Greek states.

So much has been said about the origin of the Dionysiac worship and the home of the god. Homer connects him with Thrace [5] ; so also does the chorus in Sophocles' Antigone [6]. Rhode remarked that, since the Greeks believed in the cult of the dead and mortality of the soul, Dionysiac worship, which inspired the belief in the indestructibility and eternal life of the soul, was not Greek in origin [7]. He found in Thrace the original abode of the god ; yet he argues that Διόνυσος is a Greek word especially coined by the Greeks to refer to this imported god [8]. Wilamowitz and others assert that the god came from Asia Minor and especially from Phrygia or

---

(1) Guthrie, *The Greeks*, p. 160.

(2) *Herod.*, V. 67.

(3) Jaeger, *Theology*, p. 58 ; Grant, *Myths*, p. 282.

(4) Pollard, *Seers*, p. 86. In Greek states, Pickard-Cambridge (*Dithyramb*, p. 102) suggests, there was a great tendency to introduce the worship not only of Dionysus but also of other gods instead of the ancient heroes. This might have been due to a political reason since the worship of heroes was in general favoured by the aristocrats. See Bury, *History*, pp, 78—84 (quoted by Kaberry, *B.I.C.S.*, IV, (1957), p. 53 n. 5) ; Lesky, *Greek Tragedy*, p. 41.

(5) *Iliad*, VI, 130 sqq.

(6) Lines 955-978.

(7) Rhode, *Psyche*, pp. 253 sqq. ; Pollard, *Op. cit.*, p. 89 ; cf. Guthrie, *Op. Cit.*, pp, 174. See further Nilsson (*History*, p. 210) who sees that "the view that the belief in immortality in the proper sense was introduced into Greece by Dionysus" seems to be doubtful. See Jaeger, *Theology*, pp. 73 sqq.

(8) Rhode, (*Op. Cit.*, p. 304 n. 1) is not convinced by the suggestions of Tomaschek and Kretschner that the word belonged to a Thracian origin.

HOMER'S "SILENTIUM" OF DIONYSUS

by

ABDEL MOATI A. SHAARAWI (Ph.D.)

In the sixth book of the Iliad [1], Homer mentions Dionysus almost with contempt. He shows how Lucurgus attacked Dionysus and his female-worshippers, and how the god "fled, and plunged beneath the wave of the sea, and Thetis received him in her bosom, filled with dread, for mighty terror gat hold of him at the man's threatenings" [2]. Yet, the epic poet tells that the gods became angry with Lucurgus and the son of Cronos made him blind.

In the fourteenth book of the same epic [3], Homer mentions Semele as one of the concubines of Zeus and tells that Semele is the mother of Dionysus, the joy of mortals.

In the eleventh book of the Odyssey [4], the poet mentions Dionysus while referring to the murder of Ariadne at the hands of Artemis.

In the twenty-fourth book of the same epic(5), we are told that the ashes of the dead Achilles were put in a two-handled golden urn which had been given by Dionysus as a gift to Achilles' mother Thetis.

Apart from these quick and brief references we do not find any mention of the god Dionysus in Homer's epics. Moreover, one can easily notice that in Homer's epics Dionysus is not one of the Olympian gods nor has he such an important position as they. It may not seen astonishable now to find the reason. Dionysus, as one of the fifth-century Greek writers says(6),

---

(1) Lines 123–143.

(2) Way's translation (Loeb Classical Library).

(3) Lines 314–328.

(4) Lines 321–325.

(5) Lines 71—79.

(6) Euripides, *Bacchae*, 431-432. See Dodos, *Bacchae*, nn. on lines 431–432, pp. 129–130 ; Idem, *The Greeks*, p. 78.

the veracity of his conclusions. Densher realizes, and it turns out to be true, that Mark has told Milly of the love between Densher and Kate. The effect of this scene is immediately reflected in the feeling of despite with which he comes to see his act.

> It was a great thing for Densher to get this answer. It kept him going and going — it made him no less restless. The vice in the air, otherwise, was too much like the breath of fate. The weather had changed, the rain was ugly, the wind wicked, the sea impossible because of Lord Mark(1).

It is this feeling that he carries back home with him, only to repeat more than once to Kate that when Milly heard of his love for Kate she "turned her face to the wall". It is this turning that brings in him the change towards Kate. The latter impatiently asks him what has happened to him, to which he replies, "well, that I cannot bear it any longer. That's simply what has happened. Something has happened, has broken in me and here I am. It's as I am that you must have me". He brings her a new challenge. He is going to renounce the money which Milly has left him and Kate is to choose either the money or to marry him as he is. Kate realizes that he is now none but what he has been made through his experience with Milly — an experience to which she herself has dragged him. Nothing can release her of Milly's act. She refuses his optional offers and says : "we shall never be again the same"- words with which the book ends.

---

(1) *Ibid.* P. 287

Here in this scene James is careful to keep the balance between these two points of consciousness as represented in Kate and Dnesher on one hand and in Milly on the other. Thes ituation may get out of hand through its moral implications. For the reader is likely to sympathize with Milly to the detriment of the axreement between Kate and Densher, Kate's momentary loss of courage referred to in the above quotation — "Kate grew a little pale" is seized upon by Densher, and following this we get another Densher who is different from what we know.

Densher turns upon Kate with this bargain. She is to go to his rooms or alse he would not play the role demanded from him. It is thus axreat change in the situation between the two of them. Densher, so far, has been played upon by Kate since the time he used to see her off outside Lancaster gate, He has been feeding himself on the humiliation he expressed in the image of the milkman who was to leave the milk at the door. He has come to resent being pushed this way irrespective of his own wish. To him this feeling becomes all the more oppressive when he finds himself shuffled around by three women. He feels a shame and a humiliation to be tied to a woman's petticoat. Now is his chance to put down his terms before Kate. This scene foreshadows the last one which closes the book.

In the meanwhile we get a scene that stands as an illustration of the point of pressure of which James talks in his preface. A point of pressure results from the novelist's indirect approach to his theme. He lets his theme expose itself through the creation of such points. In their turn, such points are used to heighten the dramatic significance of otherwise cursory scenes. This scene is where Densher goes to see Milly but he is refused and feels quite surprised. But on his way back to the hotel he passes by a café and stops suddenly for he sees the face of Lord Mark.

> His eye had caught suddenly a face within the café ... the person he had thus passed was seated, well within range, at a small table in which a tumbler, half-emptied and evidently neglected, still reremained ... he stared before him at the roccoco wall(16).

The scene lasts a few seconds. But those seconds supply Densher with an answer to the riddle of his day, i.e. Milly refusing to see him. Densher is then able to establish connections. His eyes meet Mark's as if to sanction

---

(16) *Ibid.* p. 285

to him that Milly is a dying woman and to put it in her own words, "you'll in the natural course have money. We shall in the natural course be free".

This planning informs the background of the incidents of that evening. Susan is taken by the way in which Milly is fulfilling her passionate desire for life. Everyone is taken by and comments on Milly's charm and suavity. Her dress and pearls attract attention. Kate and Densher are watching Milly and it is Kate who introduces for the first time the comparison of Milly to a dove. Commenting on Milly's jewels Kate says : "she is a dove and although one does not think of doves as jewelled yet the jewels suit Milly". Densher who accepts Kate's simile as referring to Milly's wealth answers sarcastically whether the dove has not extended her wings to an inordinate reach and were they not all nestling under them. But Kate, still pursuing her aim draws Densher's attention to the pearls which he says— still in the dark as to her aim — would suit her admirably. Then Kate breaks out saying v

> "Oh yes, I see myself !
> As she saw herself, suddenly, he saw her — she would have been splended, and with it he felt more what she was thinking of. Milly's royal ornament had — under pressure now not wholly occult — taken on the character of a symbol of differences, of which the vision was actually in Kate's face"(1).

The possible fulfillment of their plan comes very smmothly. A bit later Densher comes to see that his stay is sealed by an understanding look which he and Kate exchange. They look once more in the direction where Milly was standing :

> Kate turned her head where their friend was standing in range and it made him turn his head, so that they watched a minute in concert. Milly, from the other side, happened at the moment to notice them, and she sent across toward them in response all the candour of her smile, the lustre of her pearls, the value of her life, the essence of her wealth. It brought them, with faces made fairly grave by the reality she put into their plan, together again, Kate herself grew a little pale for it, and they had for a time only a silence. The music, however, gay and vociferous, had broken out a fresh and protected more than interrupted them(2).

---

(1) *Ibid.* P. 239.
(2) *Ibid.* 260–1.

she was then contemplating, is here present before her. Turning from the picture she sees Kate in the company of two ladies whom she has brought to have a look at the picture. Milly immediately addresses Kate and asks her to accompany her to the doctor and begs her to mention nothing to Susan.

> " ... It's only to deceive Susan Shepherd"
> "Oh!" said Kate as if this were indeed mild...
> "And for cheating", Kate asked, "my powers will contribute ? Well, I'll do my best for you"(1).

Kate's role is designated here. She is being linked to Milly's fear of death. The same scene is given another dimension through the craft of James. For when Kate appears on the scene and sees Kark, there passes a flicker of a look on Kate's face which Milly observes. It makes her think to herself whether Kate shows such a look to Densber.

All through Milly's admiration for Kate a question repeats itself — a question which Milly has not been able to face except at that particular moment. Could there possibly be a relation between Kate and Densher ? That's why James states in his preface that the Bronzino scene is the centre of the whole book.

From now on, the important scenes begin to centre round the three figures of Densher, Kate and Milly. The first scene in this round of interaction is in the National Gallery where Kade meets Densher secretly on his return from New York.

This event, in its turn, prepares us for the more important party in Venice. The importance of this scene lies in the fact that it comes as a comment on the plotting that has been going on behind Milly's back. It is a plotting that is being perfected, ironically enough, through the participation of Susan. The latter has asked Mrs. Lowder to help her save Milly from her worries. The three women agree among themselves, during their stayin Ven ice, to meet together thus leaving a chance open before Densher to call on Milly. Kate takes upon herself pushing Densher to pretend that he is in love with Milly. This reaches its climax in the party Milly gives and in which Kate declares that they are going back home, while Densher will stay behind. She instructs Densher to succeed in the meanwhile to marry Milly. She says

(1) *Ibid.* 248.

> of an hour — her only one — with Lord Mark. "Have you seen the picture in the house, the beautiful one that's so like you ?", he was asking as he stood before her... Their progress (towards the picture) was not of the straightest ; it was an advance, without haste, through innumerable natural pauses... The Bronzino was ... deep within, and the long afternoon light lingered for them on patches of old colour and waylaid them, as they went, in nooks and opening vistas"(1).

When Milly at last stood before the picture of her own resemblance facing her, she could not then help her tears because there before her was :

> " ... a face almost livid in hue, yet handsome in sadness and crowned with a mass of hair rolled back and high, that must, before fading with time, have had a family resemblance to her own. The lady in question, at all events, with her slightly Michaelangelesque squareness, her eyes of other days, her full lips, her long neck, her recorded jewels, her brocaded and wasted reds, was a very great personage — only unaccompanied by a joy, And she was dead, dead, dead"(2).

We see the scene through the tears of Milly, tears that make her realize when she recalls the scene later–how she poured herself in words only to fill the moments between her and Lord Mark. The words that she immediately says are : "I shall never be better than this". And when Lord Mark denies these words she says : "I mean that everything this afternoon has been beautiful, and that perhaps everything will never be right again. I'm very glad therefore you've been a part of it".

But the significant thing is that immediately after these words and when Milly takes another look at the picture what she emphasizes is the difference between her and the picture. But in sod oing she makes evident her resemblance to the picture. What she resents is the green complexion of the face, and the large hands of the pictured woman before her. Lord Mark's insistence on the resemblance cannot, however, bring Milly back to the point from where they started. For what Milly is seeing now is but herself in deacy, in a process of becoming dead. What was latent in the scene on the hill (i.e. the one we mentioned), is present here. The concept of death which

(1) *Ibid.* PP. 238 and 241.

(2) *Ibid.* P. 42.

On the contrary Susan comes to think that the ability to remain calm in such a position points to the fact that Milly's way in life exists as a struggle and not as an escape from the human predicament.

> " ... the future was not to exist for her princess in the form of any sharp or simple release from the human predicament. It wouldn't be for her (Milly) a question of a flying leap and thereby of a quick escape. It would be a question of taking full in the face the whole assault of life, to the general master of which indeed her face might have been directly presented as she sat there on the rock"(1).

The beauty of the scene springs from one's capacity to face the hardships of life. It is the same capacity that Kate shows in the ladder scene, only here it moves along finer strings of response. Both scenes tell of two concepts of life. Kate's life is like a ladder on which she is forced to perch. In other words, her life is a string of schemes which she interveaves so as to arrive finally at her goal. But Milly's desire which is to echo along the rest of the novel is that of a passionate desire for life. (2) To it we return when we have been with her through the Lancaster gate scene before the Bronzino picture.

Lancaster Gate is Mrs. Lowder's impressive house and there she is holding a party for Milly whom we are told has become a social success. In the house Milly is led by Lord Mark to a bronze picture because, as he says, the picture looks very much like Milly. The incident before the picture is emphasized through the long way they take to)the picture. It is a long way as it gives James the chance of speaking of aristocratic society and of telling us that the one who accompanies Milly to the picture is Lord Mark who is Kate's future finance :

> "A prime reason, we must add, why sundry impressions were not to be fully present to the girl till later on was that they yielded at this stage, with an effect of sharp suppression, to a detached quarter

(1) *Ibid.* p. 140

(2) Percy Lubbock admires the secne and comments on it thus :

"The glimpse so rendered, tells nothing. But in Milly's attitude, while she sits enthroned above the world, there is a certain expression depe and strange, not to be missed though who shall say exactly what it implies. Is it hope, is it despari? At any rate the clear picture of her remains, and a little later when her mid is visible again, the memory of her up there on the mountain has quickened the eye of the onlooker".

P. Lubbock, *The Craft of Fuction*, N.Y. The Viking Press, p. 177,

> many distinct lamps, as I liked to call them, the function of each of which would be to light with all due intensity one of its aspects"((1).

If we apply James' words to our novel we see that the central object before us becomes the relation between Kate and Milly. The possibilities of reaction that come from both, create those rounds that culminate in a scene such as James always aims at constructing. And James is able, to mention another capacity of his, to create a poise and a balance between character and scene such as we shall see him building later in the "Venetian Party" given by Milly(2). What we should bear in mind is that when James speaks of situation he is speaking in terms of character. To him a situation is created for and moulded by a character. The best scene that illustrates this is the "Brünig scene". This occurs in Bk. III where James, after devoting the previous two books to Kate, turns to introduce Milly to us. Details about Milly's life are given rapidly. The figure who appears on the scene with her is that of Susan Stringham who is to become Milly's confidant and companion on her trip to Europe. It is she who introduces Milly to Kate. Meanwhile during their journey in Switzerland they stop at Brünig. It happens then that Milly goes for a walk and is late ; so Susan goes out to find her. After a long walk in the high Alpine Meadows Susan sees Milly absorbed in meditation at the edge of a precipice. This is how the scene is described :

> " ... The whole place, with the descent of the path and as a sequal to a sharp turn that was masked by rocks and shrubs, appeared to fall precipituously and became a 'view' pure and simple, a view of great extent and beauty, but thrown forwards and vertigiuous"(3).

Susan cannot trespass on the scene, she cannot break that moment — a trick of James to line the reader with Susan as contemplators of the scene with the implications which, on close examination, we find it carries. For Milly to be seated on that precipituous edge naturally raises in Susan's mind the idea that Milly might be contemplating suicide. But on a second look Susan drives that idea away telling herself that :

> " ... she sat (i.e. Milly) in a state of uplifted and unlimited possession that had nothing to gain from violence"(4).

---

(1) *The Art of the Novel*, P. 110.
(2) *Ibid.* Bk VIII, Chap. XXVIII.
(3) *Ibid.* p. 137.
(4) *Ibid.* p. 139.

to which, we are told, she comes back as it carries for her "supreme brilliancy". Kate was then taken to a party given by a friend of her mother and it is here that she first meets Densher. This is how the scene is described :

> " ... It wasn't, in a word, simply that their eyes had met ; other conscious organs, faculties, feelers had met as well, and when Kate afterwards imaged to herself the sharp, deep fact she saw it, in the addest way, as a particular performance. She had observed a ladder gainst a garden wall, and had trusted herself so to climb it as to be able to see over into the probable garden on the other side. On reaching the top she had found herself face to face with a gentleman engaged in a like calculation at the same moment, and the *I*wo enquirers had remained confronted on their ladders. The great point was that for the rest of that evening they had been perched — they had not climbed down ; and indeed during the time that followed, Kate at least had the perched feeling — it was as if she were a loft without a retreat"(1).

It is characteristic of James that when he would give a significance to a scene it is always seta part by the quantum of meaning it is made to bear. This scene is set apart, not in the sense of being detached, but it stands as if clipped of the flow of life to set according to it the pattern of future moments. We are told that Kate has been, for a long time following that scene, filled with the feeling of being perched. Its emphasis is on the distance that links the seeing eye with the object seen. It is this relation that creates a scene and makes the latter look like, as James says in the opening sentence of the above-quoted passage "a particulat performance". It is a performance only because James sees it in a scenic succession, for we cannot but link this perched feeling with the equally consumating feeling which the other character Milly rouses in her friend Susan and in us. The similarity between the two scenes creates a sort of cadre that encircles both bringing the two characters nearer. The possibility of such an achievement stems from James' method of presentation. In devising a plot or building up a connection between two definite characters he says :

> " I drew ... the neat figure of a circle consisting of a number of small rounds disposed at equal distance about a central object. The central object was my situation ... and small rounds represent so

(1) *Ibid.* 60.

and marry her lover Densher. Kate's sister would have Kate regard her stay with their aunt a duty, "The greatest of all". The duty, as the sister explains, lies in accepting the new life which would procure money. When Kate sarcastically asks her sister, "to give it to you ?" the latter answers "to have it first. Not at any rate to go on not having it. Then we should, see". This, however, fills Kate with the same feeling of disgust with which she has just enveloped the meeting with her father. It is also this feeling which evokes before Kate the picture of her sisters-in-law who are to Kate the peak of vulgarity. They never appear on the scene but we see them through Kate's feeling of detachment that is enhanced after meeting her sisters. And if she left her father with the words " No one has ever wanted to keep me before" her sister's words "Poor old Pappa" ring in her ears as "Dear old aunt Maud". The picture that looms large before Kate (having identified her sister's words with her father's) is that of those sisters-in-law and the shabby home in which those two old maids live. The thought they evoke is made by James to stand as a silent comment on the future that faces Kate. The introduction of Kate closes thus :

> "There were times when Kate wondered if the Miss Condrips were offered her by fate as a warning for her own future — to be taken as showing her that she herself might become at forty if she let things too recklessly go... She had denied everything and everyone, she reflected as she went away — and that was a relief, but it also made rather a clean sweep of the future. The prospect put on a bareness that already gave her something in common with the Miss Condrips".

From this we get an idea about Kate(s nature of acceptance — it is an acceptance which she links with her dislike of her aunt, and which is contained in the name which she secretely gives her aunt : "Britania ". "She was a complex and subtle Britania, as passionate as she was practical, with a reticule for her prejudices as that other pocket, the pocket full of coins stamped in her image, that the world best knows her by (3). Kate sees in he a besieger in the citadel which she offers her. Against this sense of being besieged we are to put the relation between Kate and Densher displayed in a scene full of spontaneity and freshness. What heightens its dramatic effect is that the scene occurs when Kate was still living with her mother. It is a scene

---

(3) James, *The Wings of the Dove* , the Modern Library, 1909, pp. 48 and 50.

The scene opens on the figure of Kate Croy in her father's room. She has come to tell him of the choicc (1) placed before her by her aunt, Mrs. Lowder. The latter would have Kate stay with her on condition that she would put an end to her relation with her own father. Kate is restless and annoyed to the verge of anger with her father whom she thinks has made her wait purposely, pretending that he was sick in bed. The scene is laden with the sense of severance which is to take place. The looking glass which hangs upon the mantlepiece mentioned in the very opening sentence serves all along the scene to bring out the discrepancy between Kate's hopes for the future and the shabbiness of the room behind her. Every article in the room that is mentioned betrays a sense of decay and vulgarity. Kate's eyes move from the "lonely year-old magazine" to the lamp that is wanting in freshness. If she resents the atmosphere around her and seeks to escape it by looking through the window, the street below reeks with vulgarity and so she is sent back to the mirror. And we read that her "repeated pause before the mirror and the chimney-place might have presented her nearest approach to an escape from them". The drift of this opening scene is only to strike the note of cleavage that is to characterize the conversation between father and daughter. James brings out this note by making the father absent from the scene as it is described through the eyes of Kate. The father has gone out to buy himself some medicine. This incident fills the scene with a feeling of detachment which is to prepare us for the father,s renouncement of his daughter's stay with him. He readily concedes to Mrs. Lowder's conditions and is ready to offer "the final sponge ... well saturated and well applied to rub every connection with her". The girl reads behind his words, and points it out, the profit he is hoping to gain through his renouncement. The father readily acknowledges it. To heighten the shock for us the girl momentarily pretends that she would stay as she is. She would rather be poor and marry the man she loves. The father spares her the mention of the latter wish ridiculing it to himself. It is the same ridicule which Kate receives from her sister in the scene that immediately follows this one. The two scenes are, as a matter of fact, two sides of the same picture. Kate is torn between the poverty of her present state, a poverty that she resents, and between her future stay with Aunt Maud whom she dislikes. But she realizes that her stay with her aunt may bring her nearer to her aim which is to become rich

---

(1) Readers of the novel cannot but help recall the act of "choice" placed before Kate by Densher at the end of the nove'.

hear of the news but Densher, horrified at his falsity, cannot forgive either himself or Kate. He agrees to her words when she mockingly suggests that he has fallen in love with Milly's memory. He resolutely asks Kate to make her choice of either marrying him without the money or taking the money and remaining single. With a shake of the head she refuses both saying "we shall never be again as we were".

We are here presented with two characters each forming a centre. The interaction of both centres marks the action of the novel. James realizes, as he says in his introduction, that the establishment of Kate Croy within her own circle and the very circumstances that govern it are the essential ground on which to introduce Milly Theale. This establishment he refers to as finding one's "compositional key", a primary step for the novelist, which once found the artist gains a freedom — otherwise difficult to obtain — to choose his starting point. His method is then a successive narrowing of circles toward the centre which is made to hold the situation. The interaction we see between those two centres mentioned above (i.e. that of Kate and that of Milly) mark through the succession of the scenes creates the very body of the novel. James says :

> " ... I had noted that there could be no full presentation of Milly Theale as engaged with elements amid which she was to draw her breath in such pain, should not the elements have been, with all sollicitude, duly prefigured... then I was free to choose, as it were, the half with which I should begin... Preparatively and, as it were yearningly — given the whole ground — one began in the event, with the outer ring, approaching the centre by narrowing circumvallations"(1).

---

(1) H ·James. *The Art of the Novel : Critical Prefaces*, Charfes Scribner's Sons, 1937, p. 294.

It is to be noted that the two opening books as well as the two last ones are devoid of the character of Milly. If we ponder over this fact we realize that such an "emptiness" does not disturb the structural poise of the novel. The first two books elaborate the vulgar taint of the milieu which Kate wants to wipe away. Her sister's assurance that her stay with their aunt would enable Kate to get the aunt's money. Her sister's words are "... he'll never get it (i.e. Denesher). You must have it. You shall have it "p. 44 (The modern Libray edition of 1937 was used in this study). In the last two a chapters sarcastic note becomes evident. The single figure we see is that of Kate. The loss that Kate suffers in her life (i.e. the irefusal of wealth given to her) is another aspect of the sense of loss which an individual would incur, in life. The two characters are then in James words a half of one entity ; both represent the same meaning only on different levels.

THE SIGNIFICANCE OF THE DRAMATIC SCENE IN THE METHOD OF HENRY JAMES

By

SAFIA RABIH

The principle that is prominent in the creative method of Henry James and which has been labelled "the indrirect approach", depends for its power on its handling the scene as a structural unit. In this case the scene is related to and made to bear on the thematic significance of the whole pattern of the novel. To trace the way in which such scenes are worked out in only a tracing of the artistic skill of H. James, for it leads us to reveal the subtle variations under which this unit is handled. Sometimes the scene is created entirely through dialogue as is the case in *The Awkward Age* ; or, a series of those units are grouped in significant centres as in *The Wings of the Dove*, which we shall single out for our present study. But since we are going to concentrate on definite scenes we shall first give a brief summary of the book. Milly Theale who is a rich New York girl goes over to Europe and takes for company Susan Stringham. Upon reaching England where they decide to stay, Sudan introduces to Milly an acquaintance of hers Mrs. Maud Lowder who is a rich woman of society. Living with Mrs. Lowder is her niece Kate Croy. The latter resents her aunt's scheme of marrying her off to the rich Lord Mark as she is secretly engaged to Merton Densher who is a young journalist and as poor as herself. Densher had already, while in New York, left a deep impression on Milly — a thing that Kate comes to know through her friendship to Milly. Kate also learns that Milly is doomed through her illness to a short life. So she persuades Densher to marry Milly so that on the latter's death he would inherit her money. That money would enable them to get married and would free Kate from her aunt. The plan was to succeed only Mark happens then to prosopose to Kate and is refused. This leads Mark to guess the secret behind Kate's refusal and in revenge he reveals that secret to Milly. Milly's death follows upon that incident. Densher comes to know that Milly has left him all her money. Kate is delighted to

Besides, reports soon reached the British Government" connecting the Consul Petherick's name with the slave trade in the White Nile". The Foreign Office found that "so long as such reports are not disproved, it can not for the advantage of the public service, that Consul Petherick should continue to exercise his official practices" [69]. It was not unusual therefore that the British Consulate at Khartoum was closed in 1864, and Petherick was removed from his office. Paradoxically, the exaction of the British Consul four years ago for importing arms and ammunition into the Sudan was quietly warranted. It shadowed forth the outset of an alteration in the matters of state on the Upper Nile, namely the speedy and tremendous increase in the slave traffic in that part of inner Africa.

By the middle of the nineteenth century, at any rate, the power of Egypt was established for some 120 miles south of the junction of the Blue and White Niles[70]. After the opening of the White Nile for navigation, and commerce foreign traders percolated into the Southern Sudan, establishing posts far up the country, and so a legitimate trade at fieat arose. The Negroes exchanged with liberty their ivory with worthless glasswares, while the traders organized bands under ihe command of Arabs or Northern Sudanese to protect their merchandise. But the easy profits of the ivory trade did not delay to stir up a frantic competition, wh,h could be interpreted by a prodigality in the demand of elephants "tusks" that carried away the debasement of this commodity in the smae time by which the prices of the ivory were rapidly elevated.

Some European traders, such as Alexandre Vayssiere, the brothers Poncert, Theodore Evangelistic, thought then to procure with gun the ivory which the Negroes sold it to them with expensive prices. Accordingly, they threw themselves in the woods for the pursuing elephants. Beating by the hunters, these animals disappeared from their secular domains along the banks of the White Nile, Dender, the Settit, and their flights in the interior forests shortly ended what had commenced the competition : the ivory became rare, and the traffic covered with much difficulty its expenses [71]. Finding that slave-hunting paid better than marketing ivory, the ivory-hunters by and by got to be slave-hunters. Thus, from about the middle of the fifties, slave-hunting in the Southern Sudan set on foot in merciless fervency.

---

(69) F.O. 78/1774, Private, Draft, F.O. to Capt. Speke, F.O., 30 Sept., 1863.

(70) Hamilton, J.A. : The Anglo-Egyptian Sudan from within (London 1935), p. 61.

(71) Douin, G : Histoire du Regne du Khrdive Ismail, tome III, Ire partie, pp 10-11.

him when should reach that part of the Nile, penetrating westwards from Zanzibar [66].

Trying to make use of these arrangements for his business advantage, Petherick promptly applied for the interference of his Government with the Egyptian authorities to enable him to keep in the Sudan a great quantity of firearms and ammunition. He claimed that those firearms and ammunition were needed, partly to "carry out the objects of the expedition of Speke and Grant on their homeward progress to the Nile, from the Lake Nyanza", and partly for "the defence of upwards of two hundred men. employed by myself for the introduction of trade, located in seven different establishments, amongst as many turbulent and warlike tribes, in countries bordering on the white Nile".

This application however seems to have shaken the Foreign Secretary's trust of Petheick as a Consul. Moreover, Petherick's failure to reach Gondokoro in time to meet Speke and Grant was ascribed to the ardor of the Brtiish Consul in the Sudan to his commercial interest and nothin else. Undoubtedly' the latter accusation stood behind the remarks expressed by Colquhoun, the British Consul General in Cairo, regarding the characteristics should carried by the person appointed as British Consul at Khartoum. In his despatch to the Foreign Secretary, Lord John Russell (1859–65), the British Consul Consul General in Cairo spoke about :

> "A very serious question I feel compelled to submit to your Lordship, and which requires an immediate solution. Should not the British Consul in the Soudan be most strictly prohibited from trading) a Consul we require, and if the trade opens up, he will be of great use, both in watching that trade ; when, untrammelled by any connexion with wretches who now abound in the upper partsof the country when he will be able to make his voice heard in favour of humanity ; and will serve, if not as a positive and complete check on the Government, to mitigate the horrors of the traffic, and pave the way to its entire abolition. Such officer, to be efficient, should be an Englishman, a young man who may hope for a removal to a better palce and climate after three or four years at Khartoum".[68].

---

(66) Johnston, H : The Nile Quest, pp 126 – 7.

(67) F.O. 78/1612, Petherick to Oussell, London, 29 March, 1861.

(68) F.O. 84/1204, Colquhoun to Russell, Alex., 17 August, 1863.

In May 1850, he was appointed British Vice-Consul at Khartoum, with a view to protect British trade against local monopoly. Heretofore, British interest in the Sudan were guarded by a Syrian called Khalil Al Shami.

The nomination however of Petherick in that post did not prevent him from carrying on commerce. He then resided some years in Kordofan trafficking in gums and other articles. By June 1851he was hoping to join in the ivory "rush" on the White Nile[60]. Shortly after the opeing of the White Nile for navigation and commerce, he was capable in 1853 to reside there as trader in ivory, establishing at Meshra Al Rekin the region of Bahr Al Ghazal a depot for ivory ; and in 1858, after various trips in the Bahr Al Ghazal basin, pushed on as for as the Makaraka (Niam Niam) country on the watershed[61].

After a visit to England, Petherick, set out again with his wife, in the capacity of British Consul for "the whole of the Sudan", within its districts he was allowed to be "at liberty to move about as occasion may require, without appointing an Acting Consul at Khartoum"[62]. Simultaneously, he was instructed to "endeavour to promote peace among the natives of the Sudan, and to afford encouragement to commerce, and every measure which may tend to introduce civilization into Central Africa" [63]. He was, too, permitted to "travel about three months of the year in his own commercial business" [64].

Ostensibly, Petherick as a Consul attempted to avail himself of the post for the helping forward of his own interest. In 1859, during the preparations for the great expedition of john Hanning Speke and James Augusts Grant, commissioned by the Royal Geographical Society to ascertain the connection of the Victoria Nyanza with the Nile system [65], Petherick was then in England. Before he left for the Sudan, Speke made arrangements with him, to place boats at his disposal in Gondokoro, and to send a Party of men to the vicinity of that locality, to collect ivory and to await with provisions, in order to help

---

(60- Gray, R : A History of the Southern Sudan; p. 30.

(61) Junker, W : Op. cit, p. 368 ; The Cambridge History of the British Empire, vol 2,.Op. 652.

(62) F.O. 78/1542, Draft, F.O. to Pe therick, F.O., 26 March, 1860.

(63) F.O. 78/1612, Draft, F.O. to Petherick, F.O., 2 April, 1861.

(64) F.O. 78/1542, F.O. to Petherick, F.O., 7 May, 1860.

(65) Coqpland, R : The Exploitation of East Africa, 1856 – 1980 (London 1939), p. 107.

had no other business than catching slaves in the interior. Notwithstanding, the Governor General took form the returned merchants one third of their merchandize as an imposition for the soldierly escorts.

These harsh methods however caused much troubles to the dealers, who were in the greatest degree Levantines and Europeans. Applied for the succour of their particular consuls, the traffickers soon attained their desires. Thanks to the intervention of the representatives of the powers, at both Khartoum and Cairo, that Abbas I became cognizant of the inequitable policy of his Governor General in the Sudan. Being too ireful, the Viceroy dispatched without delay to the said حكمدار or Governor General, threatening him that if he continued to adopt that course of action, he would have been deprived of "his rank, badges of honour, and annual salary" [57]. Early in 1852, the freedom of navigation along the White Nile was declared upon, and Latif Pasha was removed from lis office.

Therefore, a new propulsive force was given to the ivory trade. A fistful of merchants-indigenous and foreigners-started to remain in the far south beyond Gondokoro and in the Western Bahr-Al Ghazal, in order to exploit the resources of the riverain areas. Among the early traders who established themselves in these regions, were the Sudanese Habeshi, the Egyptian Abou Amouri, the Sardinian brothers Poncet, and the British John Petherick. Habeshi was reported to be the first ivory trader whose vessels floated on the Bahr-Al Ghazal. Abou Amouri penetrated for collecting elephants" tusks as Fertit colntry. The brothers Poncet, Jules and Ambroise, were able to establish depots in the region of Bahr-Al Ghazal, and for he purchase and collecting of ivory, they rarely hesitated to sucud their ships beyond Gondokoro [58]. Yet, it appears that John Petheirck was the most successful ivory trader in the White Nile region in this period.

John Petherick was a Welsh mining engineer who entered in 1845 the employment of Mohamed Ali, in order to examine mineralogically Upper Egypt, the Red Sea littoral, and Kordofan. On the death of Mohamed Ali, Petherick became interested in the gum trade. He therefore gave up the servic]e of the Egyptian Government, and made his way as a trader to the Sudan [59.

(57) Shukry, M.F : The Egyptian Rule in the Sudan, 1820 – 1885 (in Arabi), pp 52 – 3.

(58) Poncet, J : Le Fleuve Blanc. Notes Geog. et Ethnol., pp 57 –i8,| 62.

(59) Johnston, H : The Nile Quest (London 1903), p. 100.

of Central Africa failed in what other missions latterly succeeded [53].

The Egyptian expeditions however reached the latitude of Gondokoro in the beginning of the "forties, brought thence narratives of the fabulous quantities of ivory which were said to be attainable in the territories to the south of Gondokoro [54]. In antedating a progressive growth of trade, the British Government appointed in 1849 John Petherick a vice Consul in the Sudan [55]. It is well known that trade in both Egypt and the Sudan since the reign of Mohamed Ali was monopolized by the Government. But in 1849 the monopoly of the gum trade was abolished in both countries by Abbas I. This later step, together with the opening up of the Upper Nile region, where where elephants lived there in great numbers, instigated adventurors of all kind to come to Khartoum, at which the elephant and the slave huntsmen fitted out yearly their expeditions to the White Nile.

Yet although, in the Southern Sudan, the ivory trade and slave traffic went side by side, the elephants" tusks were at first the main commodity sought by these adventurers. Desiring to gather opulences by trafficking in territories, still unoccupied by the Government of Khartoum ; the dealers reaching Khartoum made feverish preparation to sail their fleets up the Nile to the Southern Sudan. But to their consternation, they soon ascertained that no many were capable to ascend up the White Nile, by virture of the interference of Khartoum administration. The system of monopoly still carried on was roughly executed by the Gover nor General, particularly Abd-el-Latif Pasha, who coveted to forestall the White Nile trade for his own interest [56]. Insisting to protect the foreign traders frcm the assaults of the Negro tribes, Latif Pasha accustomed to send martial guards to consort them in their excursions. But the troops

---

(53) Missonary activity in Nyasaland and in Uganda was to be many years later a chief element in European imperial expansion. No doubt athat missionaries in East Africa were in th "eighties" the most steadfast and outspoken advocates of the European occupation of Central Africe". See, Oliver, R : The Missoinary Factor in East Africa, pp 94–163 ; and "Some Factors in the British Occupation of Eaxt Africa, 1884–1894", Uganda Jour., vol 15, March 1951, p. 51.

(45) Gray, Sir J.M : "Acholi History 1860 – 1901, I " Uganda Jour., vol 15, Sept., 1951, p. 123.

(55) Peterick, J : Travels in Central Africa (London 1869), v l 2, p, 156 ; M'Queen, J : The Nile Basin (London 1864), Part II, p. 186.

(56) Brun-Rollet, A : Le Nil Blanc et le Soudan, p. 178.

evangelists dwelling then in the Sudan(48). For this purpose however the Jesuit fathers, Ryllo, Angelo Vinco, don Knoblecher, and some others, attained Khartoum in February 1848. Not many months later, Ryllo died of dysentery; and Knoblecher succeeded him in the leadership of the mission, which was able to institute at Khartoum the far-famed "Catholic Mission" of Central Africa(49) .

Directly, in the "barques" of the Savoyard trader Brun-Rollet(50), the Catholic vicars headed by Knoblecher sailed up the White Nile on a mission which failed. Nevertheless, in the middle of January 1850, they reached the Bari country, at which they founded on establishment. And it was after returning from Europe, where helpers and funds were collected, that Knoblecher travelled again to the Sudan in 1852. Arrived at Khartoum, he immediately accompanied with Vinco ascended the White Nile in the same year, and constructed on or beside a land purchased in the previous year by Brun-Rollet in Gondokoro, "a house, a fortress, defended by some cannons" (51). In 1854 he founded another mission at a point between Shambe and Bor, which he called Heiligencruez (Holy Cross), the site of which is still termed كنيسة the Arabic name of a Christian church.

Yet the circumventions faced by the collaborateurs among the Bari and the great victims effectuated by the climate disssuaded the mission's maintainers. Therefore, by 1860 the station at Gondokro was abandoned.[52]. Yet although a large party of Franciscans from Rome ventured in 1861to establish a mission amongst the Shilluk ; they were almost compelled to withdraw by the climate. For the remainder of the nineteenth century, the mission played no direct part in the history of the Southern Sudan. Thus, the Catholic Vicarate

---

(48) Junker, W : Travels in Africa during the years 1875-1878 (London 1890), p, 197.

(49) Shukry, M.F : The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan, p. 101.

(50) Brun-Rollet had come to the Sudan in 1831 in the service of a Frenchman reported to be engaged in the slave trade. In 1839 Joyce Thurburn and Company, a formeost British mercantile firm established at Alexandria, supplied him with credit and manufactures which were "to be sold against Sudan products on joint account", and, obtaining" satisfactory resu-Its", they renewed operations with him on" x lxrge scale" in 1843. See, Hill, R : Biographical Dictionary, and Gray, R : A History of the Southern Sudan 1839 – 1889 (Oxford 1961), p. 21,

(51) Brun - Tollet, A : Le Nil Blanc et le Soudan (Paris 1855), Op. 194

(52) Shukry, M.F. : OP. cit., p, 107.

century to stop the slave trade in the Sudan. The failure of the Egyptian Government's efforts for the suppression of that traffic was due to two important factors the participating of the Governors General of the Sudan in the slave trade, and the opening of the White Nile to commerce and navigation(45).

Concerning the first factor, there is no doubt that the Governors General of the Sudan carried on a good deal of trade in slaves, and imported in return European merchandise from Egypt(46). Distance separating Cairo from Khartoum made virtual superintendence unachievable. Thus, after the Viceroy's return to Egypt from the Sudan, the Governor General of the Sudan and administrators of its various provinces, not merely took part in the conspicuous commerce, but aided certain adventurers in organising razzias for the seizure of slaves, by turning a blind eye upon impor ting arms and ammunition needed for slave hunting from Egypt.

Let us turn now to the second factor affecting the White Nile region or the Southern Sudan. The isolation of this part of the Sudan from the outside world was almost complete till the second quarter of the nineteenth century. But the three expeditions of Selim Bimbachi despatched by Egypt between 1839 and 1842 to explore the upper reaches of the White Nile (47), succeeded in discovering a navigable passage extended for into the heart of Africa, to a point of one thousand mile south of Khartoum. As the White Nile was rendered free of access for navigation, the Equatorial country was then opened to traffic and legitimate commerce, as well as missionary activity.

About four years after the return of the third expedition of Selim Bimbachi, a Papal rescript was issued by Pope Gregory XVI for the establishment of an Apostolic Vicariate in the region of the White Nile. The aims of the mission were to convert heathens of the Upper Nile, to overthrow the slave trade, and to increase the ecclesiastical prestige of the few Roman Catholic

---

(45) Shukry, M.F. : The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan, 1863 – 1879 (Cairo 937), pp 86–7.i

(46) F.O. 78/381, Ibid, p, 295.

(47) Selim : "Voyage aux sources du Nil Blanc", ed. E.F. Jomard, Memoires Soc. Grog. de vol. XViii, 1842 ; Viven de Saint-Martin : "La Recherche des Sources du Nil", Bulletin de la Societe Geographique, tome XVii, Paris 1859, pp 253-5 ; Bonola Cey, F :L'Egypte et la Geographie, pp 27-8.

and retained them in their service under the appellation of servants, though without granting them certificates of liberty(39).

It is to be noted that slaves were generally well treated by the native population who considered them as members of their families, and so stayed till the day of death(40). As an European contemporary in the sixties indicated :

> "Every Turkish and Egyptian family has more than one (slave), generally several black slaves — male and female — in their households. The position of these people however, is by no means a bad one. They are well and kindly treated, and are much better off, than if they had remained in their own country"(41).

But the slaves under the service of the foreigners were on the contrary ill-treated. Many of these unhappy slaves had been so severely beaten, and occasionally even mutilated by their owners, more especially by Ionians and Maltase, that they had not hesitated to throw themselves out of window with the hope of abscending, and thus risked losing life rather than endured further torture from the hands of their owners. Towards the end of the fourties the cruelty practised by some British subjects residing at Alexandria and its neighbourhood, became a topic of public scandal, so that the British Agent at that city was compelled to adopt some decided measure for checking the traffic in slaves among the British subjects and protégés(42). Furthermore, it was reported that certain Europeans were engaging in that trade between the Southern Sudan and Egypt(43). A Frenchman was mentioned to partake in that notorious commerce, wearing "the decoration of the Legion of Honour", and was said to escort his slaves from Wady Halfa "under the protection of the tri-coloured flag of France"(44).

It was quite beyond the power of Egypt in the first half of the nineteenth

---

(39) F.O. 84/737, Gilbert to Palmereton, Alex., 7 Nov., 1848.

(40) Elgood, p.G : The Transit of Egypt (London 1928), pp 155 - 6.

(41) F.I. 48/1181, Hornley to Russell, 12 Sept., 1862.

(42) F.O. 84/737, Gilbert to Palmerston, Alex., 7 Nov., 2848 ; L.O. 84/774, Palmerston to Gilbert, F.O., 22 Jan., 1849.

(43) F.O. 84/258, Campbell to Palmerston, Alex., 5 May, 1838.

(44) F.O. 78/381, The Ms. Draft of a Report on Egypt and Candia by mr.John Bowring, pp 294 - 5, 300.

and then separating the individuals of each family as a prey to the several actors in this tragedy"(34).

Apart from the fact that the blacks were captured for the replenishment of the Egyptian army, they were seized also in order to maintain the social and economical life of the Northern Sudan, as well as of Egypt tself. Great number of those male "negroes" were kept in the Sudan for cultivating the fields ; others were exported as labourers to Egypt, which was still grappled to domestic slavery. Every house in Egypt was dependent upon slave service; the women in the harems of both rich and middle-class were served by slaves. In reality, according to T. Archer, "Egyptian society without slaves would be like a carriage devoid of wheels — it could not proceed"(35).

Thus, when Barnett the British Agent at Cairo asked that a serious action should be taken against slavery in Egypt, the Viceroy replied that he could not with safety to himself abolish it(36). He moreover admitted that "negroes" were taken by force in Sennar as soldiers ; and that he had no other means of recruiting the regiments which he was obliged to keep in that country. Although the Viceroy was personally favourable to the abolition of slavery, the prejudices of the higher classes — as Barnett pointed out — were too strong on that question for him at present to venture upon such a measure(37).

In addition to Turkish and Egyptian families, many foreigners were also in the habit of purchasing slaves. From about the beginning of the nineteenth century the number of Europeans and Levantines residing in Egypt was progressively increasing. According to Pezzoni, the Russian Consul in Egypt, the difficulty of procuring domestics habituated to the climate and cognizant of the languages and customs of the country, had forced the France to purchase "negroes" from both sexes(38).

From the outset however the Egyptian government facilated the purchase of the blacks by Europeans. Accordingly, many British subjects dwelling in the main towns of Egypt imitated other foreigners in purchasing slaves

---

(34) F.O. 84/486, mraft, Aberdeen to Barnett, F.O., 23 Dec., 1843.

(35) Archer, T : The War in Egypt and the Soudan (London 2887), vol. 1, p. 123.

(36) F.O. 84/426, Barnett to Aberdeen, Alex., 12 July, 1842.

(37) F.O. 84/486, Barnett to Aberdeen, Alex., 1 August, 1843.

(38) Pezzoni z Nesselrode, 24 Mai, 1828. Cattaui, R : Op. cit, t. 1, pp 230 - 231.

As it happened, after his return to Egypt from the Sudan, the Viceroy received a letter, by which the Governor General of the Sudan enquired whether he might be permitted to go into the desert of the Sudan "to seize black savages" who, he said were "in their present state neither fit to serve God nor men", and "from amongst those non seize, pick out for the troops such as are fit to be made soldiers of, and sell away the others". Yet although the Governor General of the Sudan was immediately notified that slave hunts were strongly prohibited, and it was the express command of the Viceroy that it should not hence forward be continued(30), "the ghazzua, or slave hunting, by the troops of the Pasha" recommenced for the capture of negroes(31) after about four years of the Viceroy's departure from the Sudan. As a matter of fact, since deceases were so great among the Egyptian troops especially in Sennar, the Governors General of the Sudan were compeesl to set out every year from Khartoum on expeditions to hunt "negroes"as recruits for their armies(32).

Hearing that those barbarous practices still going on, Earl Aberdeen the British Foreign Secretary (1841-6) ordered his representative at Cairo to seek an interview with the Pasha in order to call his attention to the promise which he made in December 1837 to Campbell, that the practice of slave hunting should cease on the part of the troops, and that even if the abolition of all slave trade required sacrifices on his part, he would be ready to make them. Earl Aberdeen however continued in his instructions to command the British Consul General to :

> "Call upon his Highness to give effect and force to his repeated promises on this head by some Public Act, in order that the officers of His Highness may be assured that it is His Highness' intention that, in accordance with his word, such cruelties shall cease"(33).

About five months later, a new expostulation on the part of the British government was made, against "the mutilation, the wholesale destruction of peaceful villages, the carrying into slavery entire tribes of unoffending beings,

---

(30) F.O. 84/426, Barnett to Aberdeen, Alex., 12 March, 1842 ; enclos., Translation of a letter from the Divan of the Pasha to the Governor General of the Sudan.

(31) F.O. 84/486, Barnett to Aberdeen, Alex,. 19 April, 1843.

(32) F.O. 84/540, Barnett to Aberdeen, Alex., 19 March, 1844.

(33) F.O. 84/486, Draft, Aberdeen to Barnett, F.O., 6 July, 1843.

Howsoever' the British Consul General in Egypt had felt quiet assured that these positive steps taken by the Viceroy for the suppression of the slave trade, would been seen with much gratification and with and with great interest by the British government and the people of England (27). In point of fact, the Pasha's actions received favourable publicity not only in the official British circles, but also among the anti-slavery writers and humanitarians (28).

It was in consequence of those actions that the "Anti-Slavery Society" of London sent Richard Madden to Egypt in 1840, in order to express the great satisfaction felt by the Society, at the part carried by the Pasha during his visit to the Sudan, when he prohibited the practice pursued by his army of making slave hunts. Furthermore, the British envoy was entrusted to express an anxious desire, that slave trade should be totally prohibited in every part of the Egyptian dominions.

On 14th August 1840, Madden accompanied with Hodges, the British Consul General in Egypt, met the Viceroy and discussed with him on the subject of slavery in general. In the course of the lengthy conversation that took place, Mohamed Ali indicated that he would be very glad to abolish slavery altogether, but he continued to say :

> "We must give the people education first, slavery here is a very different thing to what it is in your countries... You found it a difficult thing to abolish slavery in your colonies ... and here the difficulty would be much greater, for the people are accustomed to the services of the slaves, and if there were no more to be found in the market, they would complain as they did before, when I prevented my troops making the slave hunts in Sennar ... The difficulty is to civilize them in their country, and accustom them to modes of life like ours. I tried to make soldiers of them some years ago, but they died here, and wherever they were sent. In their own country they live on almost nothing. There is no peace amongst them — here is one tribe living on this mountain — here's a second marauding on another — here's a third at war with both, all at war, hunting one another, and making slaves"(29).

---

(27) F.O. 78/373, Campbell to Palmerston, Alex., 8 May, 1839.

(28) Buxton, T.F. : Op. Cit, pp 433 – 4.

(29) Madden, R.R : Egypt and Mohamed Ali (London 1841), pp 110 – 114.

furthermore declared that he would not permit his officers in the interior to seize slaves ; but as some of those officers had their harmes and families in Cairo and in Alexandria, it would be too serous an undertaking for him to prevent his officers from doing what was done by all other classes, and which must continue more or less, so long as Turks had harems. The Pasha also asserted that he was desirous to do all in his power to ameliorates lavery, and leave the rest to time [22].

This desire however was immediately assured by Mohamed Ali during his visti to the Sudan. Moved by the inflexibel sentiments of the French Saint-Simonians who kept company with him, the Viceroy took the opportunity to declare at Khartoum on 4 th December 1838 the abolition of slavery, or more correctly speaking, the slave hunting [23]. During his travel through Nubia in his way to Khartoum, the Pasha had been profoundly actuated by the plaint narratives of the natives endurances in the first years of the conquest, specifically at the hands of the Daftardar [24].

Therefore, circulars were dispatched to the far outposts, and formal instrucutions were issued to the army chiefs, to the effect that full and entire guarantee should be given to the natives, as well as the terrible slave hunts should be stopped in the future. The Viceroy ordered likewise that the tax called "el miri" المرى which was merely paid in slaves, and hereafter to be paid in grain or production [25]. Besides, he released in January 1839 five hundred captives who had been siezed by a superior officer, after a punitive expedition against a tribe of mountaineers who had committed depredations on their feeble neighbours. Yet although these prisoners were by "law of war" mere slaves, the Viceroy sent them to their homes, after having dispensed to every one ten day's supplies and presented dresses to five of their chiefs. By this occasion, orders were again issued that the "ghazzuas" should desist from making slaves, because the "ghazzuas" were only driven at the castigation of the "negro" rebels to obtain their submission [26].

(22) F.O.84/268, Campbell to Palmerston, Alex., 5 May ,1838.

(23) Buxton, T.F. : The African Slave Trade and Its Remedy, pp 429—39.

(24) Sammarco, A : Il Viaggio di Mohammed Ali al Sudan, pp XXVIII - XXIX.

(25) F.O. 78/373, Campbell to Palmerston, Cairo, 15 March, 1839.

(26) F.O. 78/373, Campbell to Palmerstion, Cario, 20 Feb., 1839 ; enclos., Traduction d'une lettre de Tossizza z Sturnari, Fazoglnu, 2 Fev., 1839 ; F.O. 195/151, Campbell to Palmerston, Cairo, 11 March, 1839 ; Il Console Generale in Alexandria a S.E. Il Ministro Segretario di Stato degli Affari Esteri, Aless., 25 Marzo, 1839, Doc. N. 35, [Sammarco, A] : Op. Cit, p. 45.

labour in cultivating its plantations in one hand, and to try to create in the other social problems in the Powers which habituated to employ slaves in household duties. Thus, between 1830 and 1841 Palmerston's fulminations had not only been against the Atlantic trade, but the too had denounced the slave traffic in East Africa as Mell as in Egypt and the Sudan. Since the end of the thirties, the British consuls and representatives in Egypt had called the attention of the Viceroy to the exigency of abolishing slavery and the slave trade.

Before his visti to the Sudan, Mohamed Ali was aware by Patrick Campbell, the British Consul General in Egypt, and John Bowring, a former member of parliament and celebrated for his report on "Egypt and Candia", of the fact that the Egyptian soldiery in the Sudan were paid their wages in slaves instead of money [19]. Consequently, the Viceroy addressed in December 1837 a letter to Ali Khurshid the governor general of the Sudan, by which the latter was ordered that for the future care should be taken that no slaves, either male or female, should be given by way of payment ot the troops. Moreover, Ali Khurshid was commanded that from henceforward that practice, namely slave hunts, should not be continued [20].

But since the British Foreign Office had observed that the Pasha's orders apparently sitll permitted the Egyptian officers to buy or seize slaves and to send them to Cairo for sale, instructions were dispatched to Cambell to

"take the same occasion to submit to His Higness, that it would tend to raise the character of his army in the estimation of other countries, and to render the presence of his troops less opressive to the population of the districts in which they may happen to be stationed, if the was absolutely to forbid any officer in his service from dealing in any way whatever in the trade of slaves"[21].

Accordingly, the British Consul General made an interview on that Subject with the Viceroy, who expressed his anxious desire to conform to the wishes of the British government, and to do all in his power to obtain the good opinion of the people of England. Yet the Viceroy pointed out that the abolition of slavery could not take place in any Islamic country, unless by very slow degree, whic hcould only be brought about bytime, and the union of circumstances. He

(19) F.O. 78/381. Ibid, pp 338–9.

(20) G.O.84/426, Barnett to Aberdeen. Alex., 12 March, 1842 ; enclos.a Translation of a letter from Mohamed Ali to the governor genral of the Sudan.

(21) F.O. 84/268, draft, F.O. to Campbell, F.O., 17 Jan., 1838.

who selected the able-bodied men for the army. The rest however were arranged for the purpose of distributing them to the troops in lieu of pay. According to Bowring, the slaves were classified by their size and sex. Io one segment were laid the elderly and feeble women, the pregnant females ; and young girls in a a second; boys from roughly eight to twelve years old in a third, children about the age of from four to eight years ; and in a fourth infants from one and half to four years old. On the apporitonment of these slaves, one or two were taken from each category, and officer with the rank of captain received four adults and three children, whilst one adult slave was given between two private soliders [16]. Many of these soliders were in the habit of selling their flesh wages to the Danagla dealers.

Such scandalous actions could not exist without the outside world hearing of them. By this time, a long struggle had taken place in West Europe for the abolition of the slave trade. This commerce, however, had abolition of the slave trade. This commerce, however, had become so indispensable a part of the Birtish system of trade by the 18 th century, and so essential to the economy of the Caribbean and the Americas, where the plantations and tobacco fields needed human animals. It is a well known fact that Denmark was the first European Power to prohbit the aslave trade to her subjects since the end of the 18th century[17]. Towards the early part of the nineteenth century, the United States of America forbade the introduction of any mor slaves into her lands.

Yet although the British government abolished the slave trade so far as British subjects were affected only in 1807 [18], the anti-slavery enthusiasms of the British had been concentrated form the middle of the eighteen century on the Atlantic slave trade. After the aboliiion of slavery in the British Empire in 1833, Palmerstons advertence had been transferred to the slave traffic still dealt in by foreign nations, a task which rendered un aboidable diplomatic and naval work.

Needless to say that the British in their fight against slavery and the slave trade were not entirely devoted to the humanitarian factor, but used this pretention to combat economically against the Powers which depended upon slave

---

(16) F.O. 78/381, Ibid, pp 284. 5.

(17) Johnston, H : History of the Colonization of Africa by Alien Races, p. 157.

(18) Coupland, R : East Africa and Its Invaders (Oxford 1938), p. 186 ; Coupland, R : The British Anti-Slavery Movement (London 1933), p. 109.

with the merchants of the Upper Egypt for slaves directly after their access, and satisfied themselves with a frivolous gain for the re-sale [11].

It was among the chief purposes of the Sudan's conquest by Egypting 1820, the desire of Mohamed Ali to augment the number of his army by procuring recrutis amidst the Negroes of inner Africa [12]. Besides, when the Viceroy sent his son Ibrahim to the Sudan, the latter, as the Swede Consul Bockty-who was then watching over the Russian interests in Egypt-pointed out:

"n'ayant d'autre-object que celui de faire descendre quelques populations de Negres pour la cultivation de plusieurs provinces de L'Egypte qui manquent de main-d'ouvre"[13].

As a matter of fact, the procurement of the "negro" natives for employing them in the lavours of the fields and as workmen in the factories, occupied most eminent place in the Pasha's instructions to the commanders of the Egyptian expedition [14]. Consequently, during the conquest, the Egyptian commandants were able to capture lots of slaves and dispatched them to Egypt. This process continued after the settlement of the Egyptian rule in the sSudan. And for a while the repelenishment of the Egyptian army carried by the "ghazzua غزوة or annual war which was waged against the negroes.

For this purpose, the governors general of the Sudan sent forth every year two or three expeditions in different directions in the months of September and October [15]. In these slave hunts or razzias, horrible atrocities were often committed. The ghazzua leaders displayed no mercy in the seizure of blacks : they discriminated netiher young from old, nor male from female. The captives from Kordofan were compelled to march down to Khartoum, fourteen days journey, entirely unclothed, without suffiicient provisions, and obliged to cross a hot desert with a petty supply of water.

Arrived ultimately at Khartoum, the slaves were investigated by a physician,

---

(12) Driault, E : La Formation de l'Empire de Mohamed Ali. De l'Arabie au Soudan (Le Caire 1927), p. 225.

(13) Cattaui, R : Le Regne de Mohamed Aly d'apres les archives Russes en Egypte (Le Caire 1931), t. 1, p. 34.

(14) Shukry, M.L : The Egyptian Rule in the Sudan 1820-1885 (in Arabic), Cairo 1947, pp 159-160.

(15) F.D. 78/381, The Ms. Draft of Report on Egypt and Candia by Dr. John Bowring, March 1839, p. 282.

were at variance in its numbers according to time and circumstances ; the smaller caravans, consisted of from five to six thousand ; the larger, which however did not occasionally arrive, of about twelve thousand(8).

The great facilities indeed which the Nile offers for communication, enticed the Jellabs وكالة الجلابة or slave dealers to descend the river in vessels than to traverse the desert with camels. It is worthy of note that Assiout in the Upper Egypt had a fame as "the great central slave market of Egypt"(9). Here, the caravans of Darfur and Sennar disposed of entire portions of slaves. At a village called "Zawyet El Deyr" زاوية الدير near Assiout, which was principally inhabited by Christians, some of those male slaves were castrated. During Burckhardt's stay at that part of the Upper Egypt, the operators were two Coptic monks who had a house in which the victims were received. Those eunuchs or rather "guardians of female virtue" were sent to Europe and the greater part of Asiatic Turkey, by means of Turkish merchants who were domiciliating permanently at Cairo, and had commerce in nothing but slaves. The Turkish traffickers exported those eunuchs from Alexandria ; and it usually befell that they passed through many hands between Alexandria and their final destination(10).

The Darfur and Sennar caravans, however, in order to vend their merchandize, stayed at Assiout from one to five months, during that time great numbers of slaves were taken off by dealers, who sold them in retail at Cairo. While coming down the river, the slave raders often stopped for a few days in the small towns of the Upper Egypt to put up to sale those living beings. Finally reached Cario, the slaves were instantly paraded at the slave-market called "Wikalet el Jellaba" وكالة الجلابة – that is the mark et of the slave dealers. Commonly, it was huddled with pedlars and trivial retailers, who made bargains

---

(8) Buxton, T.F. : The African Slave Trade and Its Remedy (London 1840), p. 65.

(9) F.O.78/381, The Ms. Draft of a Report on Egypt and Candia by John Boweing, March 1839, pp 289—90.

(10) Burekhardt, J.L. : Op. Cit, pp 292, 294—5.

(11) George Melly had visited that slave market in 1850, andd escribed it as a very small Square near the mosque of Al Azhar, the four sides of which formed a kind of barrack, or lodging-house, for the accommodation of the female slaves. The British traveller noticed that the slaves were well-fed and contented ; but the one point which he remarked with pleasure, was "the good understanding that seemed to subsist between the slaves and their masters. and the care with which the poor creatures were treated". See, Melly, G : Khartoum and he Blue and White Niles (London 1851), vol 1, pp 63-5.

those of Egypt ; the remainder went to Dongola and the nomades inhabiting to the east of Shendy, towards the Atbara and the Red Sea(3).

In point of fact, the pure-blooded Negroes of the Southern Sudan were constantly attacked by the half-caste or mixed Negro tribes of the Northern Sudan, and were carried captive into slavery(4). Some of the captured slaves were exported ; the restw ere employed inside the Sudan in household duties as well as in the labours of the field. Burckhardt, however, had reason to believe that the number of slaves exported from the Sudan to Egypt and Arabia:

> "...bears only a small proportion to those kept by the Mussulmans of the southern countries themselves, or in other words to the whole number yearly derived by purchase, or by force, from the natives in the interior of Africa".

As the Swiss traveller remarked there was scarcely in the province of Sennar and especially at Shendy, a house which did not possess one or two slaves, and five or six were frequently decribed in the same family, tilling the glebes or shepherding Cattle ; but the notables and chiefs kept them by dozens(5). It is to be noted that domestic slavery was not confined only in the province of Sennar, or generally speaking in the Sudan, but it was widespread throughout Africa as a kind of feudal system(6).

Yet, Barfur was no less flagrant than Sennar as territory for slavery and slave trade. Towards the end of the 18th Century, Girard of "la Commission des Sciences et Arts de l'institut d'Egypte" appreciated that the annual Caravan from Darfur to Egypt conveyed from five to six thousand slaves, the majority of whom were girls predetermined for the harems and houschold duties. Nevertheless, the caravans from Darfur were subject to interruptions. According to Cailliaud, no caravan arrived between 1810 and 1817. In this later year, a large caravan made her way to Egypt. It was composed of sixteen thousand heads, and brought certain amount of ivory, feathers, tamarind, together with six thousand slaves including men, women, children, and young girls(7). As it was observed the Darfur caravans arrived at Egyot,

---

(3) Burckhardt, J. L : Travels in Nubia (London 1822), p. 290

(4) Besant, A : The Story of the Soudan (London 1884), p. 67.

(5) Bruckhardt, J. L : OP. Git, p. 307.

(6) Pruen, S. T : The Arab and the African, p. 209.

(7) Gailliaud, F : Voyage a l'oasis de Thebes (paris 1821), p. 58.

EGYPT AND THE SLAVE TRADE DURING THE FIRST HALF OF THE NINETEENTH CENTURY

By

EL-SAYED RAGAB HARRAZ, Ph.D.

Slavery and the slave trade remained long time a source of misery and wretchedness to a great number of the natives of the Sudan, and it was one of the problems which confronted the Egyptian Government since the annexation of the Sudan to Egypt in 1820. Many Centuries before, the basis of the Sudan's economy was the slave traffic, which planted deeply in the social and political structure of the country.

From the Sudan, however, slaves were imported to Egypt as servants in the earliest dynastic times ; and in the process of time they were brought into North Africa, Arabia, Turkey, and Persia, as household slaves and eunuchs for the harems(1). Many towns such as Berber, Shendy, Swakin, and Sennar, had prospered as the main slave mark ets in Northern and Eastern Africa. Shortly before the annexation of the Sudan to Egypt, Johann Ludwig Burckhardt(2) calculated the number of slaves sold yearly in the market of Shendy at about five thousand, of whom nearly two thousand five hundred were carried off by the Swakin traders, and one thousand five hundred by

---

(1) Johnston, H : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1899), P. 152.

(2) A young Swiss explorer, came to England in 1806 with a letter of introduction to the African Association (afterwards absorbed by the Royal Geographical Society). This Association accepted his proposals for African exploration. After his three years "residence in Englxnd he left for Malta, and reached Aleppo in October 1890. Here he thoroughly mastered Arabic. In 1812 he visited Cario ; prevented from journeying across the desert to Fezzanhe traversed the Sudan in 1812—14 on his way to Makka ; first he ascended the Nile vall by land through Aswan and Wadi Halfa to Dar Manas,then,he returned to Aswan in 1813, and at the end of 1813 he joined a caravan of slave traders and crossed the Nubian desert from Darraw to Berber and Shendy where he arrived early in 1814 . see Hill,R.L: Biographical Dictionary of the Anglo - Egyptian Sudan, pp 90-91.

CONTENTS

OF THE EUROAEAN SECTION

CAIRO UNIV. PRESS

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year; in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Library Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the

Prof. Dr. Mohammad Algauhori

Vice Dean of Faculty of Arts, Giza, U.A.R.

Back numbers of this Bulletin are available

at 30 P. T. for each Part

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXXII and XXXIII

PART I, II

May, December, 1970

May, December, 1971

CAIRO UNIV. PRESS

1979

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXXII and XXXIII
PART I, II
May, December, 1970
May, December, 1971

CAIRO UNIV. PRESS
1979



Bibliotheca Alexandrina
0531332